الجزء الثاني من حاشية العالم العلامة الحبر البحر الفهامة امام
الفضلاء الفخام وشيخ مشايخ الاسلام مظهر الفيض
القدوسي الاستاذ السيد مصطفى العروسي المسماة
بنتائج الافكار القدسية في بيان معاني شرح
الرسالة القشيرية لشيخ الاسلام
زكريا الانصاري نفعنا الله
بها كما نفع بأصلها
آمين

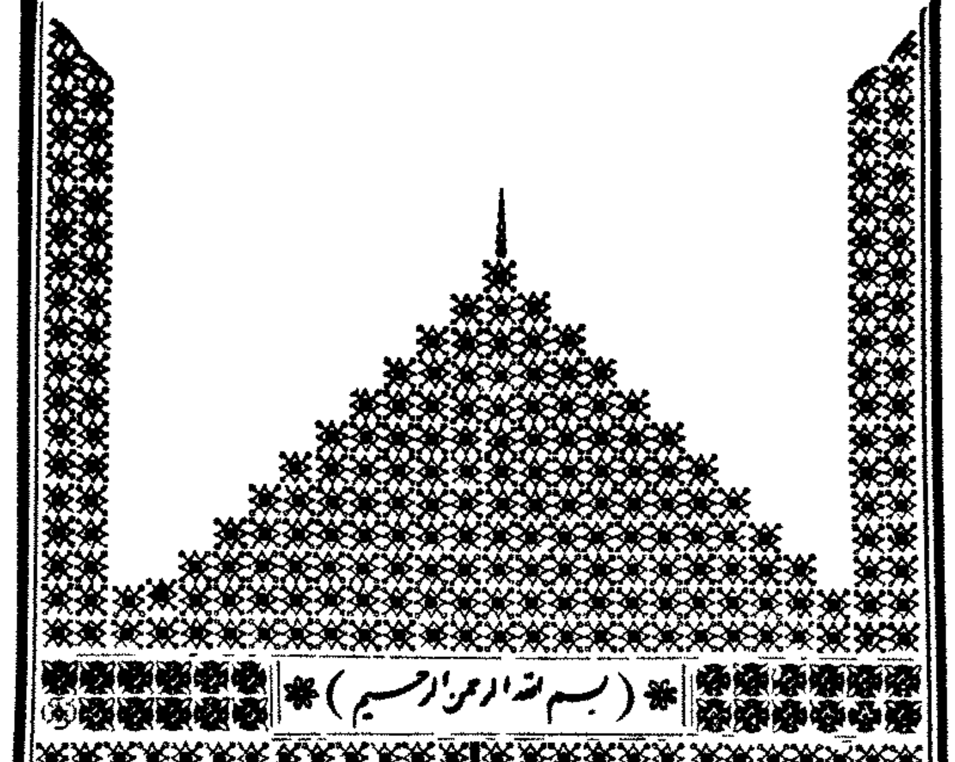
م

●(وبهامشها الشرح المذكور)●

(فهرسة الجزء الثاني من نتائج الافكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية)

صحيفة		صحيفة	
٢	ومنهم أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير	٧٥	ومن ذلك المحو والاثبات
٣	ومنهم أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالدقي	٧٧	ومن ذلك الستر والتجلي
٤	ومنهم أبو عمرو اسمعيل بن نجيد	٧٩	ومن ذلك المحاضرة والكشف والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة
٥	ومنهم ابو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجي	٨٣	ومن ذلك اللوائح والطوالع واللوامع
٧	ومنهم أبو الحسين بندار بن الحسين	٨٤	ومن ذلك البواده والهجوم
٨	ومنهم ابو بكر الطمستاني	٨٥	ومن ذلك التلوين والتمكين
٩	ومنهم ابو العباس أحمد بن محمد الدينورى	٨٨	ومن ذلك القرب والبعد
١٢	ومنهم ابو عثمان سعيد بن سلام المغربي	٩٢	ومن ذلك الشريعة والحقيقة والطريقة
١٣	ومنهم ابو القاسم ابراهيم بن محمد النصراباذى	٩٤	ومن ذلك النفس بفتح الفاء
١٦	ومنهم ابو الحسن على بن ابراهيم الحصرى	٩٦	ومن ذلك الخواطر
١٦	ومنهم ابو عبد الله أحمد بن عطاء الروذبارى	٩٩	ومن ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
١٩	(باب) في تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة	١٠١	ومن ذلك الوارد
٢١	فمن ذلك الوقت	١٠٢	ومن ذلك لفظ الشاهد
٢٦	ومن ذلك المقام	١٠٣	ومن ذلك النفس باسكان الفاء
٢٩	ومن ذلك الحال	١٠٦	ومن ذلك الروح
٣٣	ومن ذلك القبض والبسط	١٠٧	ومن ذلك السر
٣٩	ومن ذلك الهيبة والانس	١٠٩	(باب التوبة)
٤٢	ومن ذلك التواجد والوجد والوجود	١٢٣	(باب المجاهدة)
٥١	ومن ذلك الجمع والفرق	١٣٦	(باب الخلوة والعزلة)
٦٠	ومن ذلك الفناء والبقاء	١٤٤	باب التقوى
٦٦	ومن ذلك الغيبة والحضور	١٥٥	باب الورع
٦٩	ومن ذلك الصحو والسكر	١٦٣	باب الزهد
٧٢	ومن ذلك الذوق والشرب	١٧٧	باب الصمت
		١٨٧	باب الخوف
		٢٠١	باب الرجاء
		٢١٣	باب الحزن

(تمت)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله ومنهم ابو محمد جعفر بن محمد بن نصير) أى الخواص البغدادى ويعرف بالخلدى امام بم فضله متسع وشمل معرفته مجتمع أخذ عن سمنون والجنيد وتلك الطبقة كان ملجأ للقوم فى فهم كلامهم وحكاياتهم حتى قال عندى مائة ونيف وثلاثون ديوانا من دواوين الصوفية وحج نحو ستين حجة وكتب اليه أبو الخير التيناتى وزر جهل الفقراء عليكم لانكم اشتغلتم بنفوسكم عن تأديبهم فبقوا بجهلهم وترجمه الخطيب فى تاريخه وقال هو شيخ الصوفية وذكر أنه سمع الحديث من جماعة كثيرين أجلاء من اهل الفرات ومكة ومصر وقال انه رحل ولقى المشايخ الكبراء من المحدثين والصوفية ثم عاد بغداد وروى بها علما كثيرا قال وكان ثقة صدوقا ينتاد بنا صوفيا نام فى ابتداء أمره فسمع هاتفا يقول امض الى موضع كذا واحفر تجد هناك شيأ ففعل فوجد صندوقا فيه دفاتر فيها اسماء ستة آلاف شيخ من اهل الحقائق والاصفياء والاولياء من آدم الى زمنه ونعوتهم وصفاتهم وكلامهم فكان يقرؤها ثم دفنها فلم تظهر لاحد ومن كلامه لا يقدح فى الاخلاص حتى يكون المريد يعمل ليصل للمقامات العلية وقال من أخلص لله فى المعاملة اراحه من الدعاوى الكاذبة وقال المحب يجتهد فى كتمان حبه وتأبى المحبة الا اشتهارا وقال العقل ما يبعدك عن مواطن الهلكات مات ببغداد سنة ثمان واربعين وثلاثمائة (قوله لا يجد العبد الخ) اى فذوق لذة المعاملة له تعالى لا يتم مع وجود لذة حظوظ النفس اذ لا يجتمع نور وظلمة فى محل واحد (قوله اذا امتلأ بشئ الخ) اى لان المشغول لا يشغل (قوله انما بين العبد وبين الوجود) أى حضور القلب ووجدان لذة المناجاة أن تسكن التقوى قلبه وهى لا تسكن فيه الا اذا

(ومنهم ابو محمد جعفر بن محمد بن نصير بغدادى المنشا والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وصحب النورى ورويما وسمنون والطبقة) أى ومن فى طبقتهم وحج قريبا من ستين حجة (مات ببغداد سنة ثمان واربعين وثلثمائة قال جعفر لا يجد العبد لذة المعاملة) مع الله (مع لذة النفس لأن اهل الحقائق قطعوا العلائق التى تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق) قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وذلك لان القلب اذا امتلأ بشئ شغل به عن غيره فلا يجد أحد اللذة مع الله والانس به والتنعم بمناجاته الا اذا تفرغ له بالكلية ومن كان كذلك أعرض عن شهوات نفسه (سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت جعفرا يقول انما بين العبد وبين الوجود) أى وجود الحق تعالى بأن يديم نظره اليه ويعبده كأنه يراه (أن تسكن التقوى) بفعل المأمورات وترك المنهيات (قلبه فاذا سكنت التقوى قلبه نزلت عليه بركات العلم وزالت عنه رغبة الدنيا) لما يراه من لذة المناجاة

تفرغ

*(ومنهم أبو العباس السياري) نسبة الى سيار جده (واسمه القاسم بن القاسم من مرو صحب الواسطي وانتمى اليه في علوم هذه الطائفة وكان عالما مات سنة اثنتين واربعين وثلثمائة سئل ابو العباس السياري بماذا يروض المريد نفسه فقال بالصبر على) فعل (الاوامر واجتناب النواهي وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء) فلا يروضها الا بالامور الشرعية لا بما زعمه بعضهم من أنه يروضها بماشاء حتى بالغناء والشبابة ونحوهما (وقال) ابو العباس (ما التذ عاقل بمشاهدة قط لان مشاهدة الحق) الكاملة بان يفقد العبد فيها احساسه بنفسه (فناء ليس فيه لذة) فالمراد فناء الفناء لان العبد متى كمل شغله بربه حتى فني عن ذكر غيره من قلبه كان فناء وان قوي شغله به حتى نسي نفسه كان فناء الفناء فالمشاهدة مقولة بالتشكيك لان فيها اعلى وهو المسمى بفناء الفناء كما ذكر وادنى أن يكون العبد مشاهدا لمولاه قليل الغفلة عنه ناظرا لما يرد عليه من فضله وهو مدرك لنفسه ومولاه وتفضله عليه فهذا فناء فيه لذة قالوا والفناء على ثلاثة أوجه فناء في الافعال لا فاعل الا الله وفناء في الصفات لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله وفناء في الذات لا موجود على الاطلاق الا الله وانشدوا في ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى
فكان فناؤه عين البقاء

*(ومنهم ابو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي أقام بالشام وعاش اكثر من مائة سنة مات بدمشق بعد الخمسين) قال السراج بن الملقن سنة ستين وثلثمائة صحب ابن الجلاء والزقاق قال ابو بكر الدقي المعدة موضع يجمع الاطعمة فاذا طرحت فيها الحلال صدرت الاعضاء بالاعمال الصالحة) لاجراء عادة الله تعالى بان من أكل الحلال نشط لعمل الطاعات (واذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق الى الله تعالى واذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين امر الله حجاب) لان الشهوة غلبت على القلب فأعمته

تفرغ من غيرها من ملاءمات النفوس (قوله ومنهم أبو العباس السياري) قال المناوي اسمه القاسم بن القاسم بن مهدي من اهل مرو كان فقيها محدثا صوفيا متصلبا بالزهد والورع بعيدا عن الحرص والطمع صحب الواسطي وغيره * ومن كلامه كيف السبيل الى ترك ذنب كان عليك في اللوح المحفوظ محفوظا . والى صرف قضاء كان بك مربوطا وقال حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف وقال ظلمة الطبع تمنع انوار المشاهدة وقال لباس الهيبة للعارفين ولباس التقوى للمقربين ولباس التقوى ذلك خير وقال ما التذ عاقل بمشاهدة قط لان مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة وقال انما يروض المريد نفسه بالصبر على الاوامر وتجنب النواهي ومحبة الصالحين وخدمة الفقراء مات سنة اثنين واربعين وثلثمائة

(قوله فقال بالصبر على فعل الاوامر الخ) اي فلا سبيل الا سبيل الهدى المحمدي وطريقه المتابعة والموافقة والله اعلم (قوله والشبابة) بتخفيف الباء آلة من آلات الملاهي (قوله ما التذ عاقل الخ) اي لان اللذة من لوازم النفس وهي في هذا المقام يفنى عنها صاحبها فيفنى لازمها معها (قوله فناء ليس فيه لذة) أي ولا غيرها الفناء الاحساس بفناء النفس في هذا المقام الذي هو مقام فناء الفناء كما اشار اليه الشارح وذلك أعلى اوجه الفناء الآتي بيانها في كلامه (قوله فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء) فقوله يفنى أولا فهو عن الفعل بذوق والله خلقكم وما تعملون وقوله ثم يفنى ثانيا فهو عن الوصف بذوق وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقوله ثم يفنى ثالثا أي عن الذات بذوق كان الله ولا شيء معه ويبقى الله ولا شيء معه وقوله فكان فناؤه عين البقاء المراد الفناء باوجهه الثلاثة المتقدمة عين البقاء وذلك لانه بفنائه المذكور يبقى به سبحانه وتعالى ولا بعد في كون العدم من اسباب الوجود حيث المؤثر الرب المقصود (قوله ومنهم ابو بكر محمد بن داود الدينوري الخ) قال المناوي امام تقدم في جامع الطاعة وسبق في حلبة الزهد والقناعة وسار بالورع والصلاح وطار على آفاق اجنحة النجاح صحب ابن الجلاء والدقاق وعمر مائة سنة * ومن فوائده علامة القرب الى الله الانقطاع عمن سواه وقال من عرف الله لم ينقطع رجاؤه ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله ومن عرف ربه لجأ اليه ومن نسي ربه لجأ الى المخلوق وقال اهل المعرفة أحياء بحياة معروفهم وغيرهم لا حياة لهم الا مجازا وقال لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة شيأ وقال كم من مسرور سروره بلاؤه وكم من مغموم غمه نجاته مات سنة ثلاث وستين وثلثمائة عن نحو

ومن كلامه من عرف ربه لم ينقطع
رجاؤه ومن عرف نفسه لم يعجب
بعمله ومن ذكر الله لجأ اليه
ومن نسى الله لجأ الى المخلوقين
والمؤمن لا يسهو حتى يغفل فاذا
تذكر حزن واستغفر اى اذا سها
لا يستقر سهوه حتى يغفل بل اذا
سها يعقبه التذكر فاذا تذكر حزن
واستغفر * (ومنهم ابو محمد عبد الله
ابن محمد الرازى مولده ومنشؤه
بنيسابور صحب أبا عثمان الحيرى
والجنيد ويوسف بن الحسين ورويما
وسمنون وغيرهم مات سنة ثلاث
وخمسين وثلثمائة سمعت محمد بن
الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد
الله الرازى يقول وقد سئل ما بال)
اى حال (الناس يعرفون عيوبهم
ولا يرجعون الى الصواب فقال
لانهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ولم
يشتغلوا باستعماله) أى بالعمل به
(واشتغلوا بالظواهر) أى بآدابها
(ولم يشتغلوا بآداب البواطن فأعمى
الله قلوبهم وقيد جوارحهم عن
العبادات) لان العبد انما يرجع
عن خطئه وزلله بكمال خوفه من
ربه وشدة حذره من مقته وانما
يحصل له ذلك بدوام فكره فى وعده
ووعيده الناشئ عن صلاح القلب
الذى قال فيه النبى صلى الله عليه
وسلم الاوان فى الجسد مضغة اذا
صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت
فسد الجسد كله * (ومنهم ابو عمرو
اسمعيل بن نجيد

مائة سنة ودفن بالقرافة (قوله ومن كلامه من عرف ربه) أى بسبق رحمته وكرمه لم ينقطع رجاؤه بل يقوى وقوله من عرف نفسه أى جبلها الشهوات وطبعها على الخبث والدسائس وعجزها عن فعل شئ او تركه لم يعجب بعمله لانه والحالة هذه قل أن يصفو له عمل وقوله ومن ذكر الله أى تذكر وتفكر فى أنه هو الفاعل المختار لا فاعل غيره لجأ اليه أى لم يعتمد على شئ سواه وقوله ومن نسى الله أى غفل عن كونه الفاعل المختار لجأ الى المخلوقين أى اعتقدهم بسبب جهله وغفلته وقوله والمؤمن لا يسهو الخ اى فسهوه ينشأ عن غفلته واذا تذكر حالا يرجع ويندم ويحزن ويطلب الاقالة والعفو من ربه (قوله ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد الرازى) أى المعروف بالخراز كان عن حظه حائدا ولمشهوده عابدا مشاهدا ذا رتبة فى التصوف ركنها رفيع ومنزلة عالية طودها شامخ بديع * ومن كلامه العبارة تعرفها العلماء والاشارة تعرفها الحكماء واللطائف تقف عليها السادة النبلاء وقال علامة الصبر ترك الشكوى وكتمان الضر والبلوى ومن علامات الاقبال على الله تعالى صيانة الاسرار عن الالتفات الى الاغيار واحسن العبيد حالا من رأى نعمة الله عليه بأن أهله لمعرفته وأذن له فى قربه وأباح له سبيل مناجاته وخاطبه على لسان اعز أنبيائه وعرف تقصيره عن القيام بواجب أداء شكره وقال كنت أتأدب بابى عمران الاصطخرى فاذا خطر لى خاطر أحضره فيجيبنى من غير مسئلة ثم لما شغلت عن حضوره كنت اذا خطر على سرى أجابنى من اصطخر بجواب فخاطبته وأنا بنيسابور نفعنا الله ببركة أوليائه (قوله فقال لانهم اشتغلوا بالمباهاة الخ) محصله ان دوام التلوث بالاقذار المعنوية سبب ظلمة القلوب بترك آدابها والاقتصار على اصلاح الظاهر مباهاة وتصنعا ومن العجب شدة النكير على عيب الغير والعمى عن عيب النفس مع أنه لو انصف لبدأ بنفسه فطهرها من ذلك بدوام الذكر والفكر وسؤال العافية للغير والله اعلم (قوله الاوان فى الجسد الخ) الصلاح وعدمه فى ذلك باعتبار اللطيفة الربانية المودعة فيه التى بها الادراكات والمعارف (قوله ومنهم ابو عمرو اسمعيل بن نجيد) أى السلمى شيخ عصره فى التصوف وامام وقته فى فنون التعرف كان ذا براعة وفصاحة وصيانة وسماحة وكان شافعى المذهب صحب الجنيد والحيرى وأخذ الحديث عن أحمد بن حنبل والرازى روى عنه سبطه ابو عبد الرحمن السلمى والحاكم والقشيرى وحكى هو عن نفسه قال اختلفت الى مجالس الحيرى فى بدايتى فأثر فى قلبى كلامه فتبت ثم وقعت فى فترة فكنت أهرب من الحيرى اذا رأيته فنظر الى فقال يا بنى لا تصحب من لا يحبك الا معصوما انما ينفعك ابو عثمان فى مثل هذه الحالة فتبت وعدت الى الارادة وذكر أن شيخه الحيرى من الاوتاد * ومن كلامه من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه وقال كل من لم تهذبك رؤيته فهو غير مهذب وقال لا يصفو لاحد قدم فى العبودية حتى يشهد أفعاله كلها رياء وأحواله دعاوى وقال اذا أراد الله بعبد خيرا رزقه صحبة الصالحين والعمل بما يشيرون به عليه وقال الدعاوى انما

تتولد

صحب أباعثمان ولقى الجنيد وكان كبير الشان آخر من مات من أصحاب ابى عثمان فى سنة ست وستين وثلثمائة سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت جدى أباعمرو بن نجيد يقول كل حال لا يكون عن نتيجة علم فان ضرره على صاحبه أكثر من نفعه) لان العلم بالاشياء هو الذى يفيد القلوب الاحوال كالعلم بالمخوف فانه يفيد القلب الهرب وكالعلم بالمرجو فانه يفيد القلب شدة الطلب وكالعلم بالنعم فانه يفيد القلب محبة المنعم وكل حال لا يكون عن علم فهو مذموم لان فاعله مراء متشبع بما لم ينله (قال) اى الشيخ عبد الرحمن (وسمعته) اى اباعمرو بن نجيد (يقول من ضيع فى وقت من اوقاته فريضة افترضها) وفى نسخة افترض الله عليه بان تركها ٥ بالكلية او اتى بها مخلة الشرط (حرمه الله لذة تلك الفريضة ولو) وفى نسخة الا (بعد حين) المعنى على النسخة الاولى انه يزيل لذتها من قلبه بأن يصيبه ولو بعد حين وان قضاها وعلى الثانية انه يزيل لذتها الا ان يعفو عنه فيعيد له لذتها (قال وسئل عن التصوف فقال) هو (الصبر تحت امتثال الامر والنهى) هذا تفسير باللازم فان التصوف هو التخلق باخلاق الصوفية وذلك انما يحصل بالصبر المذكور (قال وقال) وفى نسخة سمعت السلمى يقول سمعت جدى يقول (آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه) من المقامات اى مع امتناعه من طلب زيادة عليه والا فهو حسن فلم يزل العلماء الراضون بقضاء الله تعالى الواقع يسألونه الزيادة وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل رب زدنى علما وفى نسخة اخرى عقب قوله بما هو فيه سمعت محمد بن الحسين يقول ذلك * (ومنهم أبو الحسن على بن احمد بن سهل البوشنجى) بضم الموحدة وفتح المعجمة وبالجيم نسبة الى بوشنج بلدة على سبعة فراسخ من هراة (احد فتيان خراسان لقى اباعثمان وابن عطاء والجريرى واباعمرو الدمشقى مات سنة ثمان واربعين وثلثمائة) بنيسابور وكان اعلم اهل وقته بالتوحيد والطريق واحسنهم طريقة فى الفتوة والتجريد (وسئل البوشنجى عن المروءة فقال هى ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الملائكة الكرام الكاتبين ككشف العورة) فى الخلوة (والمروءة الكاملة ان يحفظ العبد فى جميع حركاته بقلبه وجوارحه حتى لا يكون منها ما يكرهه مولاه ولا غيره من خلقه وقال له انسان ادع الله لى فقال اعاذك الله من فتنتك)

تتولد من فساد الابتداء فمن صحت بدايته صحت نهايته ومن فسدت بدايته هلك فى احواله وقتاما أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير الآية وقال التصوف الصبر تحت الامر والنهى وقال الملامتى لا دعوى له لانه لا يرى لنفسه شيأ يدعى به وقال من قدر على اسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الاعراض عن الدنيا وأهلها وقال من الجهل اظهار العبد محاسنه لمن لا يملك نفعه ولا ضره وله غير ذلك من الفوائد (قوله كل حال الخ) محصله الحث على العلم والعمل به وعلى دوام اتهام النفس وحينئذ فلا يثق الانسان بالواردات الا اذا وافقت علم الظاهر والله اعلم (قوله فانه يفيد القلب محبة المنعم) أى واذا احبه شكره عليها واذا تم شكره زادت نعم الله عليه والله اعلم (قوله فهو مذموم) أى لجهل صاحبه بالقواطع والاسباب المهلكة (قوله أو اتى بها مختلة الشروط الخ) أى سواء كانت شروط صحة أو كمال وقوله حرم لذة تلك الفريضة بل ربما استحق مع ذلك العقاب الشديد (قوله فقال هو الصبر الخ) أى حبس النفس على فعل المأمورات واجتناب المنهيات فالمراد بالامر والنهى ما فيهما وعيد شديد لا يقبل التأويل والصرف اولم يكونا كذلك وبذلك يتم له معنى الاستقامة على حسب الطاقة (قوله والا فهو حسن) أى والا يكون معه الامتناع المذكور فهو حسن للامتثال بطلب الزيادة وهذا لا ينافى الوقوف مع مرادات الحق تعالى لما أشار له الشارح بقوله فلم يزل العلماء الخ فتدبر (قوله أحد فتيان خراسان) أى لزيادة سماحته بالبذل وكرم اخلاقه (قوله واحسنهم طريقة فى الفتوة والتجريد) اى التحقق بقوة البذل والتجريد أى تجريد نفسه عن الحظوظ والعادات (قوله فقال هى ترك الخ) اى فلا تتحقق المروءة للانسان الا بترك ما يلام عليه بوجه الشرع مما يحصى من حركاته وسكناته فى ديوان الكاتبين من الملائكة وذلك اقل رتبة مما ذكره الشارح بعد (قوله والمروءة الكاملة الخ) اى وهذه لا تتم الا بالخروج من جميع الشهوات البشرية ودوام المراقبة لكامل الحركات والسكنات كما افاده الشارح (قوله فقال اعاذك الله من فتنتك الخ) أقول ظاهره عموم

لان العبد قد يفتتن بالمال والولد والجاه وغيرها مما يحب ويشتغل به عن دينه قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة فدعاله بالسلامة من كل فتنة (وقال) البوشنجي (ايضا) اول الايمان منوط بآخره) لان اوله الشهادتان بالنطق مع التصديق بالقلب واذا عمل بمقتضى ذلك افرد ربه بالقصد والعمل ورسوله بالحق فيما قال وفعل فاذا كمل فى ذلك حتى لم يرغير ربه فقد وصل الى غاية الايمان وهو مقام الاحسان وهو ان يعبد العبد ربه كانه يراه فاوله نطق وتصديق وآخره شغل بربه عن غيره ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون ماسبق للعبد فى الازل هو ما يجرى عليه فى الابد من ايمان اوكفرا وطاعة او معصية ويحتمل وجها آخر نفى الاغترار عن العمال باوائل الامور حتى يتحققوا ما يختم لهم به من المقدور ومن كلام البوشنجي الناس على ثلاث منازل الاولياء وهم الذين باطنهم افضل من ظاهرهم والعلماء وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء والجهال وهم الذين علانيتهم بخلاف اسرارهم لا ينصفون من انفسهم ويطلبون الانصاف من غيرهم * (ومنهم عبد الله بن خفيف الشيرازى) بكسر الشين المعجمة نسبة الى شيراز قصبة فارس (صحب رويما والجريرى وابا العباس بن عطاء وغيرهم مات) فى رمضان (سنة احدى وسبعين وثلثمائة) بشيراز عن مائة واربع سنين (وهو شيخ الشيوخ واوحد وقته) شافعى المذهب (وقال ابن خفيف الارادة) من العبد (استدامة الكد وترك الراحة) لان الوصول الى الدرجات العلا انما يحصل بذلك

الارادة

الفتنة افتنة الوجود وفتنة الفقد وانما قصرها الشارح على فتنة الوجود للآية الكريمة وهى قوله سبحانه وتعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى (قوله فدعاله بالسلامة من كل فتنة الخ) اى باعتبار ظاهر المتن او المراد من كل فتنة تنشأ عن الوجود على ما مشى عليه الشارح (قوله اول الايمان منوط بآخره) اى لان اوله الاقرار مع الاذعان القلبى فاذا دام له ذلك اثر فى دوام العمل مع المراقبة على طريق المتابعة حتى يصل الى مقام الاحسان ومحصل ذلك ان التصديق والاذعان الواقع من المكلف اولا يتعلق بآخره تعلق تأثير فى دوام الاعمال مع المراقبات الموصل الى درجة الاحسان فاول الايمان علم وآخره قوة يقين والله اعلم (قوله الاولياء) أى وهم العلماء بعلم الشرع وعلم الذوق وقوله العلماء اى بعلم الشرع فقط وقوله والجهال اى وهم من تخلى عن العمل وان كانوا علماء (قوله ومنهم ابو عبد الله بن خفيف) هو محمد بن خفيف الضبى الشيرازى الشافعى شيخ المشايخ وذو القدم الراسخ علما ودينا وجمعا بين الحقيقة والشريعة كان له بدايات كالنهايات واحوال عاليات ورياضات ومجاهدات صحب من ارباب الاحوال احبارا واخيارا وشرب من منهل الطريق كؤسا كبارا وسافر مشرقا ومغربا وصابر النفس حتى انقادت بعد الابا فاصبح لسان الثناء عليها معربدا قد ألزم قلبه المراقبة حتى لا يدرى القرار وهيكله المجاهدة حتى لا يعرف من المأوى الا القفار وكان ذا ذكر باجتماع ووجد مع استماع وعمل على الاتباع كان من بني اكابر الامراء فتفقه ثم تصوف وتزهد حتى صار يجمع الخرق من المزابل ويستتر بها اخذ عن ابن شريح الاشعرى والواسطى والجريرى وابن عطاء والمقدسى ولقى الحلاج واخذ عنه القاضى الباقلانى وغيره قال أبو نعيم كان شيخ الوقت علما وحالا وقال النووى بلغ ما لم يبلغه احد فى العلم والجاه التام عند الخاص والعام وصنف ما لم يصنفه احد مقصودا من الآفاق مفيدا لكل فن من الفنون وبقى فى بدايته اربعين شهرا يفطر بكف باقلاء حتى جف دمه ويقرأ القرآن فى كل ركعة ويصلى كل يوم الف ركعة ودخل بغداد وبقى بها اربعين يوما لا يأكل ولا يشرب ثم خرج فوجد ظبيا على راس بئر فى البرية وهو يشرب وكان عطشانا فدنا من البئر فولى الظبى واذا بالماء اسفل البئر فقال يا سيدى مالى عندك مثل هذا الظبى فسمع قائلا يقول جربناك فلم تصبر ان الظبى جاء بلا ركوة وحبل وانت جئت بهما فرجع فاذا بالبئر ملآن فشرب وتطهر وملأ ركوته فدخل على الجنيد فلما وقع بصره عليه قال له لو صبرت ساعة لنبع الماء من تحت قدميك ومن كلامه القرب طى المسافة بلطيف المداناة وقال قربك بملازمة الموافقات وقربه منك بدوام التوفيق وقال قال لى المصطفى فى النوم من عرف طريقا الى الله فسلكه ثم رجع عذبه الله بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين وقال عليك بمن يعظك بلسان فعله لا بلسان قوله وله غير ذلك (قوله الارادة الخ) مرادهما

ويكون مع ذلك متبرئا من ارادته ولهذا قالوا المريد من لا ارادة له (وقالوا ليس شئ اضر بالمريد من مسامحة النفس في ركوبها الرخص) اى ارتكابها (وقبول التأويلات) المفضية الى الراحات والبطالات لان ذلك يضاد اجتهاده في الخيرات (وسئل عن القرب فقال قربك منه) تعالى (بملازمة الموافقات) لاوامره ونواهيه التى منها استشعار قلبك نظره اليك وقلة غفلتك عنه (وقربه منك بدوام التوفيق لك) وتوالى نعم الله عليك فليس القرب هنا بالتدانى والمسافة لان ذلك من لواحق الاجسام والله تعالى منزه عنه (سمعت ابا عبد الله الصوفى يقول سمعت ابا عبد الله بن خفيف يقول ربما كنت اقرأ فى ابتداء امرى فى ركعة واحدة عشرة آلاف مرة قل هو الله احد وربما كنت اقرأ فى ركعة واحدة القرآن كله ٧ وربما كنت اصلى من الغداة الى العصر الف ركعة) قال ذلك لمريديه ليجدوا فيما هم فيه ويعرفهم بتقصيرهم فيما يدعون سلوكه (سمعت ابا عبد الله ابن باكويه الشيرازى رحمه الله يقول سمعت ابا احمد الصغير يقول دخل يوما من الايام فقير فقال للشيخ ابى عبد الله بن خفيف بى وسوسة فقال الشيخ عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان والآن الشيطان يسخر بهم) لان النفوس انما يتكرر عليها الوساوس من الشيطان بسبب تعلقها بالمحبوبات وربما موافقتها له فى ذلك وهذا حاله مع الضعفاء اما المتقيون فلا يتأثرون بوسوسة بل يستهزؤن به لقلة رغبتهم فيما دعاهم اليه من الخسران وشدة رغبتهم فى الخيرات (وسمعته) اى ابن باكويه (يقول سمعت) ابا العباس الكرخى يقول سمعت (ابا عبد الله بن خفيف يقول ضعفت عن القيام فى النوافل فجعلت) وفى نسخة وقد جعلت (بدل كل ركعة من اورادى ركعتين قاعدا) للخبر الصحيح صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فى ذلك دلالة على كمال اجتهاده وحمل الحديث على ظاهره احتياطا ورغبة فى الاجر والافغيره من الفقهاء حملوه على القادر فالعاجز يساويه فى الاجر ومن كلامه الاكل مع الفقراء قربة الى الله تعالى ● (ومنهم ابو الحسين بندار) بضم الموحدة (ابن الحسين الشيرازى كان عالما بالاصول كبيرا فى الحال صحب الشبلى مات بارجان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة قال بندار بن الحسين لا تخاصم لنفسك فانها ليست لك دعها لمالكها يفعل بها ما يريد)

الارادة المتعبرة لنيل المشاهدات والا فهى تتحقق بالعمل على طريقة المتابعة (قوله متبرئا من ارادته) اى بشهود الفضل له تعالى (قوله قالوا المريد من لا ارادة له) اى من لا ارادة له ترجع الى الشهوة (قوله وتوالى نعم الله عليك) اى بافاضة الانوار وقوة الاسرار (قوله ربما كنت اقرأ الخ) اقول ذلك كله ميسر بالعناية والتوفيق فالفضل له سبحانه وتعالى ويشير الى ذلك خبر كل ميسر لما خلق له (قوله فقال الشيخ عهدى الخ) اى ويدل له خبر انه خبل فى العقل او نقص فى الدين (قوله للخبر الصحيح الخ) اقول بل ربما كان اجره تاما لان جلوسه لعذر الضعف والحديث فى غير صاحب العذر كما ذكره الشارح (قوله الاكل مع الفقراء قربة الخ) اى سبب فى القربة لما فيه من التواضع والجبر وادخال المسرة على الفقراء ولاسيما ان كان الآكل من المحترمين (قوله ومنهم ابو الحسين بندار الخ) هو الفقيه الشافعى عارف خبير حسن التربية والتدبير سكن ارجان وكان عالما بالاصول وله اللسان المشهور فى علم الحقائق وكان الشبلى يعظمه جدا سئل عن الفرق بين الصوفى والمتصوف فقال الصوفى من صافاه الحق واختاره من غير تكلف ولا اجتهاد والمتصوف المزاحم على المراتب مع تكلف وكون رغبة فى الدنيا وقال صحبة اهل البدع تورث الاعراض عن الحق وقال من لم يجعل قبلته ربه فسدت صلاته وقال الدنيا ما دنا من القلب وشغل عن الحق وقال من اقبل على الدنيا احرقته بنيرانها يعنى الحرص لما قاله الامام الرازى ومن اقبل على الآخرة احرقته بنورها يعنى الخوف فصار سبيكة ذهب ومن اقبل على الله احرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا يقابل بثمن وقال من مشى فى الظلم الى ذى النعم اجلسه على بساط الكرم ومن قطع لسانه بشفرة السكوت بنى له بيت فى الملكوت ومن واصل اهل الجهالة البس ثوب البطالة ومن اكثر ذكر الله شغله عن ذكر الناس ومن هرب من الذنوب هربت منه ومن رجا شيأ طلبه (قوله لا تخاصم لنفسك) اى بل خاصم

(قوله ترجع الى الشهوة) اى كان تكون مشهودة له مستندا اليها اه مؤلفه

(قوله فقال الخ) تأمل فى المثال تعلم ان القائل قد شرب من ابحر الوصال فسبحان الله المنعم على من احبه المتفضل على من ادناه وقربه اه مؤلفه

(قوله من غير تكلف الخ) يحتمل ان المراد المجذوب الى الله تعالى بالاحسان الحق قطع المقامات بعناية الوهاب ويحتمل ان المراد العامل للطاعات محبة فيه تعالى والله اعلم اه مؤلفه

فيه اشارة للامر بترك الاخلاق الذميمة اذ العبد انما يخاصم عن ملكه فاذا علم ان نفسه وما يملكه ملك لربه اعتمد عليه واكتفى بحسن نظره اليه فانه القادر على جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها عنها وحصل له التوكل والرضا بما يجريه الحق عليه في السعة وغيرها (وقال بندار صحبة اهل البدع 8 تورث الاعراض عن الحق) لان النفوس تانس بما ترى وتسمع

له تعالى في طلب رضاه لتكون ممن تخلق بالخلق المحمدي حيث كان لا يغضب لنفسه صلى الله عليه وسلم (قوله اذ العبد انما يخاصم عن ملكه) اقول وفي ذلك تسلية للانسان واطفاء لنار غضبه بالالتفات والرجوع الى مصدر الكائنات وخالق الحركات والسكنات وان ذلك منه تعالى لحكمة علية واسرار الهية مما لو اطلع عليه المرء لاختاره كما رشد اليه خبر لو اطلع احدكم على الغيب لاختار الواقع (قوله لان النفوس تأنس الخ) اي شانها سرعة التأثر ولا سيما فيما يناسب الشهوات (قوله اترك ما تهوى) اي ما تميل اليه من شهوات النفس لما تامل اي للذي ترجوه مما وعد به سيد الكائنات وذلك انما يكون بدوام المجاهدة في العبادة مع اخلاصها فيها فيترقى بقوة اليقين حتى يصير الوعد كنصب العين (قوله ليس من الادب الخ) اي ويؤيده خبر من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (قوله وقال من اقبل على الدنيا) أي بالانهماك على تحصيلها واخذ شهواته منها احرقته بنيرانها قال الرازي يعني حرص ومنع الحقوق وذلك يوصله الى نار التطهير ان لم يصادفه عفو الله وقوله ومن اقبل على الآخرة اي بتفرغه لاعمالها ودوام جده واجتهاده فيما يناسبها احرقته بنورها اي الذي هو نتيجة اعمالها حتى يفنى عن الكائنات باسرها وذلك بتاثير دوام انوار التجليات بسبب تخلصه من رق الشهوات وقوله ومن اقبل على الله اي على مراقبته في عبادته احرقه التوحيد اي نوره حتى يفنى عن فنائه بالترقي الى مقام جمع الجمع وحينئذ فيصير من الجواهر المجردة عن المألوفات لا قيمة له اي لا يعلم مقدار ما له عند ربه مما اعده له والله اعلم (قوله ومنهم أبو بكر الطمستاني الخ) قال الاستاذ المناوي هو العالم الرباني كان فصيح اللسان كثير المعروف والاحسان ماهرا في طريق القوم مهذب الكلام حافظا للعهد وافيا بالذمام تقدم على صوفية وقته ونظرائه وتعين بين اعيان العصر وكبرائه ورحل وطاف وهام وصحب الاعيان والاعلام وكان الشبلي يعظمه جدا ومن فوائده خير الناس من رأى الخير في غيره وقال اركان الطريق الاربع ترجع الى الجوع فان من جاع قل كلامه ونومه واحب العزلة وقال من صدق في اقباله على الله تعالى لم يشغله الخلق عن الله تعالى وقال النعمة العظمى الخروج من النفس اي الاخلاق الذميمة والشهوات الرديئة والنفس اعظم حجاب بينك وبين الله تعالى وقال النفس كالنار اذا طفئت في موضع تأججت في آخر وقال لا يمكن الخروج من النفس بالنفس انما الخروج منها بالله وقال من لم يكن الصدق وطنه في فضول الدنيا ساكنه وله غير ذلك من الفوائد (قوله النعمة العظمى) اي التي لا تنال الا بسابق العناية الالهية هي الخروج من النفس اي مما طبعت عليه وألفته واعتادته وذلك بدوام الرياضة بانواع العبادة حتى يتلاشى ناسوتها ويقوى لاهوتها فيخرق الحجاب ويقرب

(قوله لتكون ممن تخلق الخ) اي عملا بقوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين والله اعلم اه مؤلفه

(قوله ويؤيده خبر من حسن اسلام المرء الخ) ومن ذلك قيل ان الامام مالكا رضي الله تعالى عنه تكلم بكلمة لا تعنيه فصام عاما كفارة لها اه مؤلفه

فربما ترى افعال المبتدع واقواله طاعة فتعمل بها (وقال بندار اترك ما تهوى لما تامل) لان من لم يكن كذلك لم يعمل لآخرته ولم ينتقل عن درجته في دنياه وحالته فالعبد مأمور بأن يترك ما يهواه في دنياه ويجازى له على عمله الصالح في اخراه فان ما يناله افضل مما يتركه وانفع له في اخراه ودنياه لما يامله من خير الله كنجاته اولاه في دنياه ومن كلامه ليس من الادب ان تسأل رفيقك الى اين او في ايش وقال من اقبل على الدنيا وسكن اليها احرقته بنيرانها وصار رمادا لا قيمة له ولا قدر ومن اقبل على الآخرة وسكن اليها احرقته بنورها وصار سبيكة من ذهب ينتفع بها ومن اقبل على الله احرقته التوحيد وصار جوهرا لا قيمة له *(ومنهم ابو بكر الطمستاني) قال

جماعة ولعله الطمنسي بفتح المهملة وكسر الميم واسكان النون نسبة الى طمنس قرية من قرى ماريدان العبد فاشتبه على الكاتب (صحب ابراهيم الدباغ وغيره وكان اوحد وقته علما وحالا مات بنيسابور بعد سنة اربعين وثلثمائة قال ابو بكر الطمستاني النعمة العظمى الخروج) اي البعد (من النفس) وهي عندهم الاخلاق الذميمة والشهوات الرديئة كما مر

العبد من رحمة رب الارباب (قوله النعمة العظمى الخروج من النفس) اى من حظها وما لوفاتها التى جبلت عليها فهى الحجاب الاكبر المانع من الوصول ولذلك قيل لمن رام الوصال من الرجال فارق نفسك وتعال فافهم (قوله والنفس اعظم حجابا الخ) أى ويقال اصاحبها الكنود وهو فى الشريعة تارك الفرائض وفى الطريقة هو تارك الفضائل وفى الحقيقة هو من اراد شيأ لم يرده الله تعالى حيث ينازع الله فى مشيئته ولم يعرف حق نعمته (قوله فما دام العبد واقفا مع شهواته الخ) اى واما اذا خرق حجاب النفس رغبة فى الكنز الخفى وهو حضرة الاحدية والهوية المكنونة فى غيب الغيب فقد ينفتح له كوكب الفتح وهو اول ما يبدو من التجليات وقد يطلق على من تحقق بظهورية النفس الكلية المأخوذة من قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا (قوله اذا هم القلب الخ) أقول الذى يظهر من كلامهم وتشديداتهم حمل الهم على مجرد الخاطر القلبى وان لم يصل الى درجة العزم ويكون من قبيل حسنات الابرار سيآت المقربين غيران الشارح نفعنا الله به مشى على ما هو المنقول فى احكام الفروع وهو الاليق بالرفق (قوله اذا هم القلب الخ) اى فكيمياء السعادة فى تطهير النفس باجتناب الرذائل واكتساب الفضائل وهذا من أخلاق العامة واما كيمياء سعادة الخواص فهى بتخليص القلب عن الكون اشتغالا بالمكون (قوله الطريق واضح الخ) يفيد بذلك ان الطريق الموصل الى الحق محصور فى متابعة سيد المرسلين وامام المرشدين عليه الصلاة والسلام من رب العالمين وهو الحق الذى لا محيد عنه (قوله الطريق واضح) اى بالنسبة لمن تخلص من لبس الصور العنصرية التى تلبس الحقائق الروحانية قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (اقول) ومن ذلك لبس خواص البشرية بالصور الانسانية المشار اليه بخبر اوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى فافهم (قوله وتغرب عن نفسه) اى ارتحل عنها الى الافق المبين الذى هو نهاية مقام القلب فهذا هو السفر الاول على طريقتهم والسفر الثانى هو السير فى الله بالاتصاف بصفاته والتحقق باسمائه الى الافق الاعلى وهو نهاية مقام الروح والحضرة الواحدية والسفر الثالث هو السير مع الله بالترقى الى عين الجمع والحضرة الاحدية وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الاثنينية فاذا ارتفعت فهو مقام أو ادنى الذى هو مقام الولاية والسفر الرابع هو السير بالله عن الله للتكميل وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع فافهم (قوله وعن الخلق) اى الشاغلين له عن طريق الوصول الى الله (قوله وهاجر بقلبه الخ) أى بعد مفارقة جميع مألوفاته (قوله فهو الصادق المصيب) اى الواقف مع مراد ربه المصيب طريق السعادة الابدية وكان حينئذ من زمانه كله ليلة القدر التى يخص الله فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة الى محبوبه وهى وقت ابتداء وصول السالك الى عين الجمع ومقام البالغين فى المعرفة والله أعلم (قوله ومنهم ابو العباس احمد بن محمد الدينورى) قال الشيخ المناوى

محجوبا بحسناته فهو بقيد من الخيرات (سمعت اباعبد الله الشيرازى رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله الاصبهانى يقول سمعت ابابكر الطمستانى يقول اذا هم) اى عزم (القلب) على ما لا يرضى الله (عوقب فى الوقت) فانه اذا تفطن لذلك من علت رتبته وجد أثر ذلك فى قلبه من الوحشة وعدم الحضور وتاب منه وفيه دلالة على ان العبد يؤاخذ بعزمه على الافعال وان لم يفعلها خلافا لمن زعم أنه لا يؤاخذ به حتى يفعلها والمراد العزم المصمم (وقال) الطمستانى (الطريق واضح والكتاب والسنة) اى الدليل عليه منهما (قائم بين اظهرنا) اى بيننا (وفضل الصحابة) على غيرهم (معلوم) وان بالغ غيرهم فى الاجتهاد (لسبقهم الى الهجرة) والجهاد مع النبى صلى الله عليه وسلم (ولصحبتهم) له (فمن صحب منا الكتاب والسنة) اى عمل بما فيهما (وتغرب) اى بعد عن نفسه (و) عن (الخلق وهاجر بقلبه الى الله تعالى فهو الصادق المصيب) دون غيره ۞ ومنهم ابو العباس احمد بن محمد الدينورى صحب يوسف بن الحسين وابن عطاء والجريرى وكان عالما فاضلا ورد نيسابور وأقام بها مدة وكان يعظ الناس بها ويتكلم على لسان المعرفة ثم ذهب الى سمرقند ومات بها بعيد الاربعين وثلثمائة

قال ابو العباس الدينورى أدنى الذكر أن تنسى مادونه) أى غيره ويعبر عنه بالفناء (ونهاية الذكر
ان يغيب الذاكر فى) حالة (الذكر
عن الذكر) ويعبر عنه بفناء الفناء
فاذا لم يبق فى قلب العبد حالة
ذكره لله شئ من المخلوقات
غير ذكره له فقد فنى عن غير الله
وان كان مدركا لفنائه ونفسه
فان قوى اشتغاله بالله حتى غاب
فى ذكره عن شعوره بذكره
ونفسه فقد فنى عن فنائه ونفسه
ايضا ولم يبق عنده الا الله فجعل
رضى الله عنه اول المقامات فناء
العبد عن غيره من المخلوقات
واعلاها فناءه عن نفسه أيضا
شغلا بمذكوره وسيأتى ذلك فى محله
(وقال أبو العباس) الدينورى
(لسان الظاهر) وهو الدليل
الشرعى المثبت للاحكام الخمسة
(لايغير) أى لاينافى (حكم الباطن)
الصحيح وهو ماوقع فى القلب من
مواهب الله تعالى وخوارق
العادات بل يعضده ويشهد بصحته
وفيه رد على من يزعم ان العبد
يصل الى حالة لايمكنه مخالفة
مايقع له لكونه عن ربه صحيحا
حقا لان من لم يزن مايقع له بميزان
الشرع بل يزعم أنه تلقاه عن ربه
فقد كذب واخطأ وليس بمحفوظ
لان أحكامه تعالى انما يتلقاها
عنه الانبياء وغيرهم انما يعرف
صحة ماوقع له بشهادة الادلة
الشرعية ويكون ذلك دليلا على
حفظ الله له كما قال فى خبر كنت
سمعه الذى يسمع به

كان من أحسن المشايخ طريقة وأمتنهم سيرا فى علم الحقيقة اطاعته الصوفية وساعدته وتأخرت عنه المطلوب وباعدته اخذ عن الخراز وغيره ومن كلامه لسان الظاهر لايغير اى لاينافى حكم الباطن يعنى مايقع فى القلب من المواهب وخوارق العادات بل يعضده وقال العلماء مترتبون فى مشاهدات الاشياء وله غير ذلك من الفوائد (قوله أدنى الذكر الخ) اى بالنسبة للمقربين ممن رام حقيقة الطريقة وقوله أن تنسى مادونه اى ماسواه وذلك بدوام الاخلاص مع حضور القلب وقوله ويعبر عنه بالفناء اى فكأنه لبعده عن غير الذكر والمذكور أشبه من بعد بالفناء حقيقة ومثله يقال فى الفناء عن الفناء (قوله ويعبر عنه بالفناء الخ) اعلم ان الفناء والفناء عن الفناء يعبر عنه بالجمع وجمع الجمع كما أن الفرق وفرق الفرق يعبر عنه بالبقاء وبقاء البقاء وهذا كله لايعلمه الا ارباب الكمال والاذواق كما قيل لايعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها والله اعلم (قوله أن يغيب الذاكر الخ) اى لان ذكره قد ادخل نفسه فى حظائر صوامع الذكر التى هى الاحوال والمواطن المعنوية التى تصون الذاكر عن التفرق عن مذكوره وتجمع همه عليه بالكلية واعلم ان نهاية الذكر هو ذكر الذات بالاسماء الذاتية دون الوصفية والفعلية مع المعرفة بها وشهودها وذلك لان اصل الذات المطلقة هو اصل جميع الاسماء فأجل وجوه تعظيمها هو التعظيم المطلق المتناول لجميع أوصافه فان الذاكر اذا أثنى عليه بعلمه أو جوده أو قدرته مثلا فقد قيد تعظيمه بهذا الوصف اما اذا أثنى عليه باسمائه الذاتية كالقدوس والسلام والسبوح والحق والعلى وامثالها فقد عمم تعظيمه لجميع كمالاته فتدبر تفهم والله بالحال اعلم (قوله ان يغيب الذاكر الخ) أى ويعبر عن ذلك بالمحو وهو انواع محو أرباب الظواهر وهو رفع اوصاف العادة ويقابله الاثبات الذى هو اقامة أحكام العبادة ومحو ارباب السرائر وهو ازالة العلل والآفات ويقابله اثبات المواصلات وذلك برفع اوصاف العبد ورسوم اخلاقه المشار اليه بخبر كنت سمعه الحديث (قوله فجعل رضى الله عنه اول المقامات الخ) اى ويعبر عنه عندهم بالجمع وعن المقام الثانى بجمع الجمع بل ويعبر عنه بمقام البقاء والله اعلم (قوله لسان الظاهر الخ) محصله ان الوصول الى الحقيقة لما لم يكن له طريق غير المتابعة لزم ان لاينشأ عنه فى حقيقة الطريقة الا مايشهد له ذلك الظاهر بالموافقة والصحة والله اعلم (قوله لسان الظاهر) محصله ان الشريعة والحقيقة واحدة انما الاختلاف فى التعبير فلا شريعة الا بحقيقة ولا حقيقة الا بشريعة كما يدل على ذلك قصة موسى والخضر عليهما السلام (قوله لايغير الخ) اى لكون حكم الباطن انما حصل بنور القدس الذى هو العلم المقدس للنفس عن دنس الطباع وعن رجس الرذائل بل هو بالشهود الحقيقى بواسطة تجلى القديم الرافع لحكم الحدث كله وذلك من نتائج لسان الظاهر وثمراته والله اعلم (قوله وفيه رد على من يزعم الخ) انظر مع ماتقدم من حالات الضرب التى تفعل قصد الاجل الرجوع الى

(وقال ابو العباس الدينورى) فى حق المتشبهين بالصوفية وليسوا منهم (نقضوا اركان التصوف وهدموا سبيلها) اى طريقها (وغيروا معانيها باسامى أحدثوها) بان اخذوا الاسامى الدالة على الاخلاق الحميدة فوضعوها للاخلاق الذميمة ليظن الجاهل أنهم متصفون بمعانيها الاصلية وليس كذلك فالمراد باحداثهم الاسماء احداثهم معانيها حيث (سموا الطمع زيادة) وهى تعلق انفسهم بالمحبوبات وتشوقها لما بايدى غيرهم والزيادة المحمودة انما هى التعلق بالله وزوال الغفلة عنه وفى نسخة زيارة بالراء وهى أن يمضى احدهم لاخيه المرتفع عليه فى دنياه لينال منه ما يرجوه منها ويتعلل بالزيارة لله تعالى (و) سموا (سوء الادب اخلاصا) بان يتكلم احدهم بين يدى ذوى الفضل بما يقبح النطق به ويتعلل بأنه مخلص لا يخفى خلاف ما يظهر والاخلاص المحمود انما هو افراد الله بالقلب وعدم الرياء فى الطاعات (و) سموا (الخروج عن الحق شطحا) بان يجرى على السنتهم كلمات لا تشهد لها الشريعة بالصحة والشطح المحمود انما هو ما يجرى على السنتهم وقت غلبة الاحوال عليهم والحفظ عن ذلك اكمل (و) سموا (التلذذ بالمذموم طيبة) بان يقصد بعضهم بما يجرى له فى صبوته متلذذا بذلك مع أقرانه من أهل غفلته والطيبة المحمودة ذكر كرامات الاولياء وقد قيل للجنيد ما فائدة هذه الحكايات التى يتداولها المريدون بينهم فقال يقوى الله بها قلوبهم فقيل له فما الدليل عليه من كتاب الله قال قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك (و) سموا (اتباع الهوى) من حب الشهوة كحب امرأة ونحوها (ابتلاء) حتى اذا عوقب فيه فيقول أنا مبتلى والابتلاء المحمود انما هو ما يصيب الله به العبد مما يحصل به الثواب مع الصبر كالفقر والمرض

الاحساس وذلك وقت غلبات الحقيقة على العبد الآن يقال هى وان كانت تخريبا فى حكم الظاهر فهى موافقة فى حكم الباطن لو فرض كشف الغطاء عنها ويكفى فى الاعتبار ما ورد عن موسى والخضر والله اعلم (قوله كنت سمعه الخ) المراد بذلك حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة من الخروج عما يوافق ما جاء عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (قوله نقضوا اركان التصوف) أى التى هى التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار (قوله فى حق المتشبهين بالصوفية الخ) اى وذلك بسبب قوة جهالتهم وعدم عقلهم اذ العقل هو اللب المنور بنور القدس الصافى عن قشور الاوهام والتخيلات فيدرك به العلوم المتعالية عن ادراك القلب المتعلق بالكون المحجوب بالعلم الرسمى (قوله باسامى احدثوها) أى وذلك بسبب حياة نفسهم التى لا تميل الا الى مقتضيات الطبيعة البدنية حيث مالت الى الجهة السفلية فجذبت القلب الذى هو النفس الناطقة عن مركزه فماتوا عن الحياة الحقيقية العلمية بالجهل ولو اماتوها عن هواها لانصرف القلب بالطبع والمحبة الاصلية الى عالمه عالم القدس والنور والحياة الذاتية التى لا تقبل الموت اصلا ولهذا المعنى اشار افلاطون حيث قال مت بالارادة تحى بالطبيعة (قوله سموا الطمع زيادة) أى حيث موهوا بالاسماء فقط مع تجردها عن مسمياتها تلبيسا على الجهال وزيادة فى طرق الضلال (قوله وسموا سوء الادب) اى اساءة الادب بقولهم قبيح العبارات مما لا يصح معناه فى أحكام النبوات اخلاصا وعدم اخفاء شئ (قوله والاخلاص المحمود انما هو افراد الله بالقلب) أى بان يشهده فى كل متعين بلا تعين به فانه تعالى وان كان مشهودا فى كل متقيد باسم او صفة أو اعتبار غير أنه لا ينحصر فيه ولا يتقيد به فهو المطلق المقيد والمقيد المطلق المنزه عن التقييد واللاتقييد والاطلاق واللااطلاق فمن تحقق بالحق يرى أن كل مطلق فى الوجود له وجه الى التقييد وكل مقيد له وجه الى الاطلاق بل يرى الوجود كله حقيقة واحدة وله وجه واحد مطلق وآخر مقيد بكل قيد فافهم (قوله وسموا الخروج عن الحق) أى عما يجب فى مقام العبودية الى ما لا يليق الا بمقام الربوبية فيسمون ذلك شطحا اذا سئلوا عنه فيقولون قد أجراه الحق على ألسنتنا ولم نشعر وهو خلاف الحق والكمال بل هو من تسويل الشيطان وتصيده وربما قد يجر ذلك الى الكفر والعياذ بالله تعالى (قوله طيبة) أى شيأ يتطيب به ويتفكه به حيث هو من متعلقات الزمن الماضى فى وقت الشباب والقوة (قوله فقال يقوى الله بها قلوبهم) أى فيداومون على العبادات والمجاهدات وما ذكره من الدليل يفيد ثبوت ذلك بالقياس على مورد النص القرآنى (قوله وسموا اتباع الهوى الخ) أى فيقصدون بذلك تلبيس ما يعرض من ملاءمات النفوس بما يعرض مما لا يلائمها ككفقر

(و) سموا (الرجوع الى الدنيا وصولا) بان يوصل الناس من اشتهر بالخير والزهد بما في أيديهم من الاموال والوصول المحمود انما هو انقطاع قلب العبد عن الخلق شغلا بربه فضلا عما في ايديهم (و) سموا (سوء الخلق) بان يتنمر العبد ويتغير على من خالفه في غرضه أو عاتبه في غيبته (صولة) والصولة المحمودة انما هي تغيير المنكر والاعراض عما لا يرضي الله تعالى (و) سموا (البخل) بان يشح العبد على السائل بما طلبه منه (جلادة) من حيث لا ينخدع بسؤال سائل والجلادة المحمودة انما هي صبر العبد على مشاق الاعمال وما ينزل به من ربه فيتحمل ذلك ولا يتضجر (و) سموا (السؤال) بان يدور العبد في الاسواق بزنبيل او نحوه يسأل الناس ليكسر به نفسه (عملا) وهو مذموم اذ لا يليق بمن ترك الدنيا زهدا ان يتعاطى ما ذمته الشريعة من السؤال من غير حاجة تبيحه والاخبار الدالة على ذم السؤال كثيرة كخبر ان المسئلة في وجه صاحبها يوم القيامة كدوح أو خموش والعمل الممدوح انما هو فعل المأمورات وترك المنهيات (و) سموا (بذاءة اللسان) وهي ان يذكر العبد عيوب اخيه (ملامة) بان يتعلل بكونه يلومه ليرجع عن نقائصه والملامة المحمودة ان يذكر له ما فيه على وجه النصيحة خفية أو بحضرة من يعرف ذلك ليساعده على رجوعه عما هو عليه لانه قصد بذلك النصيحة ولم يكشف منه ما هو مستور (وما) اي وليس (هذا) أي ما ذكر من المذمومات (كان طريق القوم) فليحترز عنه العبد ويتبع ما ذكر من المحبوبات وتكلم ابو العباس يوما فصاحت عجوز في المجلس صيحة فقال لها موتي فقامت وخطت خطوات ثم التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة (ومنهم ابو عثمان سعد بن سلام المغربي) القيرواني البغدادي ثم النيسابوري (واحد عصره) في الورع والزهد والصبر على العزلة (لم يوصف) بذلك (مثله قبله) الا القليل

ذلك

ومرض والفرق واضح اذ صاحب الحال الاول مأزور وصاحب الثاني بفضل الله مأجور فشتان ما بين المنزلتين (قوله وسموا الرجوع الى الدنيا الخ) اي اظهروا ان ما يصلهم من الناس انما هو بسبب كونهم من الواصلين الى الله مع أنهم لو صدقوا لانقطعوا عن جميع الخلق باشتغالهم بالاله الحق (قوله وسموا سوء الخلق الخ) أي بالظهور بالقهر والغضب والغلبة على من خالفهم بفعل ما لا يليق بهم بداعي قوة ناموس الوجود الشهواني الحيواني (قوله بما طلبه منه) أي بما فضل عن حاجته ومن تلزمه مؤنته (قوله وسموا السؤال الخ) اي التعرض الى نوال الحادث بسبب شهوات النفس الخبيثة وقوله عملا اي اشتغالا بطريق كسر النفس وهضمها مع ان ذلك من الجهل والدناءة بشاهد خبر اليد العليا خير من اليد السفلى والله اعلم (قوله وسموا بذاءة اللسان) أي فحشه بذكر عيب الغير مع العمى والغفلة عن عيب النفس وقوله ملامة أي نصحا مع انهم بجهلهم وعماهم عن طرق النصيحة قد اخطؤا (قوله وما اي وليس الخ) أي بل كان طريقهم متابعة سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم (قوله ووقعت ميتة) اقول يدل ذلك على غاية صدقها وقيامها بالله واستقامتها عند البقاء بعد الفناء والعبور على المنازل كلها والسير من الله بالله في الله والانخلاع عن الرسوم كلها بالكلية (قوله ومنهم ابو عثمان سعيد بن سلام المغربي) قال العلامة المناوي صوفي جليل كبير عارف عرف نسيمه اطيب من العبير له الاحوال المأثورة والكرامات المذكورة صحب الزجاجي والنهرجوري والدينوري وغيرهم ولم ير مثله في علو الحال وصون الوقت وصحة الحكم بالفراسة وقال التصوف سير السر مع الله سبحانه وتعالى ومن كلامه الاعتكاف حفظ الجوارح تحت الاوامر وقال أبى الملك الجبار ان يخبر اولياءه بتسليط عدوهم عليهم وقال من اشتغل باحوال الناس ضيع حاله ومن مد يده الى طعام غني بشهوة لا يفلح ابدا وقال عاص نادم خير من طائع مدع لان العاصي يطلب طريق توبته ويعترف بنقصه والمدعي يتخبط في حال دعواه وقال من لم يسمع من نهيق الحمار ما يسمع من صوت العود ودواخل المغنين فسماعه معلول وقال التقوى الوقوف مع الحدود وقال لا تصحب الا أمينا أو معينا فان الامين يحملك على الصدق والمعين يعينك على الطاعة وقال العارف وقت تضيء له انوار العلم فتبصر به عجائب الغيب وقال اذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الادب وقال من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم انس الذكر وقال من ادعى السماع ولم يسمع من صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو مفتر مدع وله غير ذلك من الفوائد (قوله والصبر على العزلة) يفيد انها امر شاق على النفوس ولا يقدر عليها الا من منح الثبوت وهو

صحب ابن الكاتب وحبيبا المغربي واباعمرو الزجاجي والنهرجوري وابن الصائغ وغيرهم) وجاور بمكة سنين (مات بنيسابور سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة واوصى بأن يصلي عليه الامام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى ودفن بجانب ابي عثمان الحيرى (سمعت الاستاذ الامام ابا بكر بن فورك رحمه الله يقول كنت عند ابي عثمان المغربي حين قرب اجله وعلى القوال الصغير يقول) أي ينشد (شيأ) من كلام القوم (فلما تغير عليه الحال) من شدة ألمه ونزع روحه وغمض عينيه (اشرنا على على) المذكور (بالسكوت) فسكت (ففتح الشيخ ابو عثمان عينيه فقال ١٣ لم لا يقول على) المذكور (شيأ فقلت لبعض الحاضرين سلوه) وقولوا له (علام يسمع المستمع) أي على أي وجه يسمع العبد من الوجوه الفاضلة (فانى احتشمه) واستحى منه ان اساله (فى تلك الحالة) التى اشتد عليه فيها المه (فسألوه) عن ذلك (فقال) لهم (انما يسمع) المستمع (من حيث يسمع) أى من حيث يسمعه الله تعالى لاختلاف مقامات الناس ومعرفتهم بالله ومحبتهم له فقد يسمع العبد من الخوف وقد يسمع من الرجاء وقد يسمع من المحبة وكل منهم على درجات وفيما نقل عنه ما يدل على كمال شغله بحاله ومراعاته لقلبه وعدم التفاته لما هو فيه من الم موته فانه انما غمض عينيه لشدة ما هو فيه حتى توهم الحاضرون موته فامروا القوال بالسكوت (وكان) ابو عثمان (فى الرياضة كبير الشأن) وكمالها يكون بكمال التقوى فان المتقى يروض نفسه حتى تستأنس بالله تعالى (وقال أبو عثمان التقوى هو الوقوف مع الحدود) التى شرعها الله تعالى (لا يقصر فيها العبد ولا يتعداها) بل يأتى بها على وجهها (وقال من آثر صحبة الاغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب) لانه لا يؤثر صحبة الاغنياء الا لمحبته للدنيا وهى تشغل القلب عن الآخرة وتغفله عنها وعبر عن هذا بموت القلب لان حياته انما هى حركته واشتغاله بما خلق له فاذا لم يعمل به اشبه الميت وقد قال تعالى فى حق الغافلين اموات غير احياء ومن كلامه من اشتغل باحوال الناس ضيع حاله ومن مد يده الى طعام الاغنياء بشره وشهوة لا يفلح ابدا

(ومنهم ابو القاسم ابراهيم بن محمد النصراباذى) بفتح النون وبالذال المعجمة نسبة الى نصراباذ محلة من محال نيسابور

كذلك (قوله كنت عند ابى عثمان الخ) فى ايراده هذه القصة تنبيه على بلوغ هذا الاستاذ اعلى مقام فى الثبوت حيث مرض الموت الذى اصابه لم يشغل قلبه بل بقى على مراقباته ومعارفه (قوله أى على أى وجه يسمع) أى فالسماع له وجوه فاضلة يعد بها من الاشتغال بامر الدين مع أنه تقدم عن بعضهم انه من نوع البطالة ينافى الجد والاجتهاد فى العبادة فلعله بحسب اختلاف الواردات على القلوب والله اعلم (قوله أى من حيث يسمعه الله تعالى) اقول لعل قصره على الاوجه الفاضلة التى ذكرها باعتبار السؤال والا فعبارة الجواب كما تصدق بذلك تصدق أيضا بالاوجه المذمومة (قوله فقد يسمع العبد من الخوف) أى من اجل الخوف لكون الغالب عليه الرجاء وقوله من الرجاء أى من أجله اذا غلب عليه الخوف ومثله يقال فى قوله وقد يسمع من المحبة ومحصل ذلك أنه يحصل خلاف ما غلب عليه من الاحوال المذكورة ليكون عمله دائرا على جميعها او متوسطا بينها حيث الشأن لطالب الحق ان لا يقف مع حال أو مقام خشية ضرره تدبره والله أعلم (قوله وكان فى الرياضة الخ) أى فكان قائما على نفسه وحاملا لها على الجد فى العبادة بسياستها حتى تخلص من الشواغل والمألوفات (قوله هو الوقوف) ذكر الضمير باعتبار الخبر والا فكان حقه التأنيث (قوله من آثر الخ) أى من غلب على قلبه الميل للاغنياء ومجالستهم ابتلاه الله تعالى بموت قلبه لانه انما ينشأ له ذلك من اغتيال النفس بشهواتها الدنيوية وترك ما خلقت له من العبادة ومحصله ان الميل للاغنياء من حيث غناهم مذموم اما من جهة علمهم أو صلاحهم او كرمهم فلا بأس به (قوله اشبه الميت) أى بجامع عدم الانتفاع فى كل على ان الميت حقيقة انقطع عمله واستراح بخلاف هذا على ما لا يخفى (قوله ضيع حاله) أى مع ان الاولى فى حقه الاشتغال بحال نفسه وترك حال الناس (قوله لا يفلح ابدا) أى لان ذلك يدل على قوة حيوانيته (قوله ومنهم ابو القاسم ابراهيم ابن محمد النصراباذى الخ) قال المناوى هو شيخ خراسان علما وحالا كان فى علم التصوف اماما وفى فن التعريف لمن تقدم ختاما مخالفا للزهد والورع مخالفا لمن زاغ عن الطريق وابتدع كاشف الغم هاطل الغمام حسن الاخلاق لطيف الكلام فصيح

(شيخ خراسان فى وقته صحب الشبلى وابا على الروذبادى والمرتعش جاور بمكة سنة ست وستين وثلثمائة ومات بها سنة سبع وستين وثلثمائة وكان عالما بالحديث كثير الرواية) قال السلمى لماهم بالحج صحبته فكان كل منزلة او بلدة يقصد سماع الحديث فيها فلما دخل بغداد جاء الى القطيعى ١٤ فرد على قارئه مرة ثم أخرى فقال له ان كنت تحسن القراءة فتقدم واقرأ فاخذ الجزء منه وقرأ قراءة تحير منها القوم ثم قرأ فى مجلس واحد ما كان يريد ان يقرأ فى خمسة ايام (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت النصراباذى يقول اذا بدا لك شئ من بوادى الحق فلا تلتفت معها الى جنة ولا الى نار فاذا رجعت عن تلك الحال فعظم ماعظمه الله) أى ينبغى للعبد اذا فتح الله عليه بابا لاحظ فيه كالمولاه وكمال صفاته واشتغل به ان لايلتفت فى وقت شغله به الى غيره لئلا يتكدر عليه حاله فاذا رجع الى ادراك نفسه وغيره من الخلق وخف مابه فليعظم ماعظمه الله من نبى وملك وولى وغيرهم ليقوم بما وجب عليه له فانه تعالى عظم الجنة والنار وكرره مافى كتابه لتحصيل الخوف والرجاء منه فمن عرف ان غير الله لايضر ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع فلا يحمله ذلك على الاعراض عما سواه عن امر الله بتعظيمه وعما خوف منه كالنار (وسمعت محمد ابن الحسين يقول قيل للنصراباذى ان بعض الناس يجالس النسوان ويقول انا معصوم فى رؤيتهن

اللسان عذب العبارة لايلهيه عن ذكر الله بيع ولا تجارة أخذ الحديث عن ابن ابى حاتم والطحاوى وغيرهما وعنه الحاكم وغيره (قوله ثم قرأ فى مجلس واحد الخ) فيه دلالة على زيادة تمرنه ومزاولته ورغبته فى الحديث (قوله اذا بدا لك شئ الخ) يشير بذلك الى ان للمقربين تجليات وواردات ترد على قلوبهم بقوة صفائها وجلائها ومن الجملة يرد على قلوبهم الفناء عن الكائنات بشهود خالق النور بكمالاته وصفاته المقدسة فاذا تحقق له هذا الوارد لم يلتفت عنه لغيره الادنى منه فاذا نقله الحق الى الوجود والاحساس اشتغل بتعظيم ماعظمه الله ليدوم له شرف الوارد الاول وحسن الوارد الثانى والله اعلم (قوله من بوادى الحق) جمع بادية وهى ما يفجأ قلب العبد من الغيب فتوجب له بسطا او قبضا ومحل تلك البادية انما هو القلب الذى هو بيت الحكمة والبيت المحرم لكونه حرم على غير الحق فافهم (قوله فلا تلتفت معها الى جنة الخ) أى لتكون من الموفين بالعهد المشار اليه بلى حيث قال الله تعالى الست بربكم والوفاء بالعهد بالنسبة للعامة بالرغبة فى الوعد والرهبة فى الوعيد وللخاصة بالوقوف مع الامر لنفس الامر لا لرغبة ولا لرهبة ولخاصة الخاصة بالوقوف مع التبرى من الحول والقوة وللمحب بصون قلبه عن الاتساع لغير محبوبه فاختر لنفسك مايحلو لك ومن لازم الوفاء بالعهد ان ترى كل نقص يبدو منك راجعا اليك ولا ترى كمالا لغير ربك (قوله فلا تلتفت الخ) أى لتكون من الجنائب وهم السائرون الى الله المسافرون عن منازل النفس الحاملون لزاد التقوى والطاعة حتى يصلوا الى مناهل القلب ومقامات القرب فيكون سيرهم فى الله فافهم (قوله اى ينبغى للعبد اذا فتح الله الخ) أى ولذلك أشار عارف وقته قدس الله سره حيث قال فى تائيته

بدت فرأيت الحزم فى نقض توبتى * وقام بها عند النهى عذر محنتى

فراده رضى الله عنه انه لما قاسى من شدائد المجاهدة ومحن المكابدة ما أنكره عقله عليه واوقعه منه فى الندم قد جنح الى التوبة بملامة العقل فلما تجلت له المحبوبة أنسته كل هم وازاحت عنه كل غم فرأى ان الرأى المتقن المحكم فى نقض تلك التوبة الفاسدة التى لاتسوغ اصلا وهنالك قام بها أى بدوها وتجليها عند النهى وهو العقل عذر ارتكاب المحنة فافهم (قوله ويقول انا معصوم فى رؤيتهن) أى محفوظ فيها اذ العصمة لاتكون الا للنبى (قوله فقال مادامت الاشباح الخ) اى فالاوفق بحال العبد ان يدوم على الوقوف مع الامر والنهى واتهام النفس ولو ثبتت على قدم المجاهدات والرياضات اذ للصورة حكم الحقيقة وتغيير الحال ليس من المحال والبعد عن الشبهات نوع من الكرامات

فقال مادامت الاشباح) أى الاشخاص (باقية) فى الدنيا (فان الامر والنهى باق) كل منهما (والتحليل والتحريم على مخاطب به) أى بكل منهما (ولن يجترئ على الشبهات الا من تعرض للمحرمات) وفى نسخة الا من هو متعرض للمحرمات اى عرضة لها لان العبد وان كان محفوظا فى وقت فهو منهى عن التعرض للشبهات فمن استبرأ اسلم ومن تعرض لها لم يأمن

فى الخبر الصحيح الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات فمن اتقى الشبهات ١٥ فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات
فقد حام حول الحمى ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه (وسمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول قال النصراباذى اصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة) لانهما اصل فى كل طاعة (وترك الاهواء والبدع) لانه نجاة من كل سوء (وتعظيم حرمات المشايخ) الذين كمل لهم العلم والعمل واعرضوا عن المشغلات من المباحات فضلا عن غيرها لانه ينبغى تعظيم من عظمه الله تعالى كامر (ورؤية اعذار الخلق) أى قبولها منهم لدلالتها على كمال المعرفة بانفراد الحق بالافعال وعلى خروج غيره عن القدرة على احداث شئ فاذا علم العبد ذلك عذر الخلق فيما يقصرون فيه لعلمه بعجزهم عما يصلحهم ويدفع عنهم ما يؤذيهم ومع هذا يقيم عليهم الحدود وينكر عليهم ما لا ينبغى فعله امتثالا لامر الله تعالى وهذا هو الصراط المستقيم الذى هو ادق من الشعر واحد من السيف اثبات الكسب للعبد وتبريه من الافعال (والمداومة على الاوراد) التى رتبها فى عبادة ربه لانها اصل عظيم فى توالى الالطاف وحياة القلوب كما قال تعالى على لسان نبيه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته الحديث (وترك ارتكاب الرخص) من الميل الى الراحات والتنعم بانواع المذوذات

على ان الشارع بالحقائق اعلم وقد ابرم الاحكام واحكم (قوله الحلال بين والحرام بين) اى كل منهما ظاهر واضح دليله من الكتاب والسنة وغيرهما من ادلة الاحكام وقوله وبينهما مشتبهات اى لعدم دليل واضح يخصها بحكم ما قوى شبهها به وقوله فمن اتقى الشبهات اى تجنبها وقوله فقد استبرأ لدينه وعرضه اى اتخذ لدينه وعرضه براءة بذلك التجنب وقوله ومن وقع فى الشبهات اى فعلها وقوله فقد حام حول الحمى أى المحمى وقوله ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه اى يقرب ان يقع فيه واذا وقع فيه جوزى بما رتب عليه والله اعلم (قوله اصل التصوف) اى اساسه الذى ينبنى عليه امره ملازمة الكتاب والسنة اى ملازمة (العمل على ما دلا عليه اللازم له ترك الاهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ فعطف قوله وترك الاهواء والذى بعده من عطف اللازم على الملزوم لغرض الايضاح (قوله وترك الاهواء والبدع) انما نص عليهما مع دخولهما فيما قبلهما للاهتمام لكونهما اصل المفاسد الدينية (قوله وتعظيم حرمات المشايخ) اى الذين هم لسان الحق اذ بهم يقع الافصاح الالهى للآذان الواعية عما يريد أن يعلمهم به على لسان ولى او صديق فهم المتحققون بمظهرية الاسم المتكلم فهم العمد المعنوية المأخوذة من حقيقة الانسان الكامل المشار اليه بقوله لولاك لما خلقت الافلاك وقد ذكر ابو طالب المكى فى قوت القلوب ان الافلاك تدور بأنفاس بنى آدم والله بحقيقة الحال اعلم (قوله الذين كمل لهم العلم والعمل الخ) أى فوصلوا الى مقام الحرية وهى انواع حرية العامة عن رق الشهوات والخاصة عن رق المرادات وخاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار لانمحاقهم فى تجلى نور الانوار (قوله اى قبولها منهم) اى ولو تحقق كذبها عملا بسنته صلى الله عليه وسلم (قوله لدلالتها الخ) اى لدلالة رؤية اعذارهم على كمال معرفة من رأى ذلك لهم بانفراد الحق بالافعال ولذلك قيل من نظر الى الخلق بعين نفسه مقتهم ومن نظر اليهم بعين الحق عذرهم لكونهم محلا لتصريف القدرة العلية ولا يسأل تعالى عما يفعل (قوله وهذا هو الصراط المستقيم) الاشارة الى اعتقاد عجز الخلق عما يصلحهم وفيه ان ذلك انما يجرى على مذهب الاشعرية ومن تبعهم وفيه ما لا يخفى على ذى لب واذا اردت علم ذلك فارجع الى رسالتنا المسماة بالقول الفصل (قوله الذى هو ادق من الشعر واحد من السيف) يشير بذلك الى انه من خفاء الكسب باعتبار دليله شبه بدقة الشعر ولخطره بعدم القول بالكسب شبه بحد السيف بل قد أثبت له الاحدية منه وذلك لما يؤدى اليه من تعطيل الاحكام الشرعية (قوله اثبات الكسب للعبد) أى عملا بمقتضى التكليف بظاهر الشرع وقوله وتبريه من الافعال أى رجوعا الى باطن الحقيقة فسبحان من لا يسئل عما يفعل (قوله والمداومة على الاوراد) اى الواجب منها والمندوب وان أفهم الشارح تخصيصه بالمندوب لغرض ايراد الحديث القدسى الذى ذكره (قوله وترك ارتكاب الرخص) أى اخذ ذلك عادة على حسب حظ النفس والافقد ورد ان الله يحب

(و) ترك (ارتكاب التأويلات) في هذه الامور بان يتأول العبد في نفسه انه لا اثم عليه في فعلها ولا في تركها ويغفل عن كونها مرغبا فيها أو في تركها لنيل الدرجات ١٦ العلية وكمال القرب من خالق البرية ﷺ (ومنهم ابو الحسن علي بن ابراهيم الحصري) بضم الحاء واسكان الصاد المهملتين نسبة الى عمل الحصر وبيعها (البصري سكن بغداد صحب الحال واللسان شيخ وقته ينتمي) أي ينتسب صحبة (الى الشبلي مات ببغداد سنة احدى وسبعين وثلثمائة قال الحصري الناس يقولون الحصري لا يقول بالنوافل أي لا يعتني بها (وعلي اوراد) منها أي رتبتها علي (من حال الشباب لو تركت) منها (ركعة لعوتبت) فيه دلالة على كمال اجتهاده وتحسره لزيادته ونقصه اذ لا يدرك العتاب من الحق عند التقصير الا خواص الخلق كما قال بعضهم اني لاعصي الله تعالى فاعرف ذلك في خلق حماري وخادمي (وقال) الحصري (من ادعى بشيء في شيء من الحقيقة) أي بنيل شيء منها ولم يظهر عليه دلالة صدقه (كذبته شواهد كشف البراهين) فيما ادعاه فمن ادعى الزهد في الدنيا مثلا وكان ظاهره مشغولا بالتنعم والتلذذ بالمطعومات والملبوسات ودائم الكسل والراحات واستقرار الحرص على اقامة الجاه ونفوذ الكلمات كذبته شواهد حاله فيما ادعاه ﷺ (ومنهم ابو عبد الله احمد بن عطاء الروذبادي ابن اخت الشيخ ابي علي الروذبادي شيخ الشام في وقته مات بصور سنة تسع وستين وثلثمائة سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت علي ابن سعيد المصيصي يقول سمعت احمد بن عطاء الروذبادي يقول كنت راكبا جملا فغاصت رجلا الجمل في الرمل فقلت جل الله عند

أن تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه (قوله وترك ارتكاب التأويلات) اى التي هي أبواب للضلالات ولذا قيل اذا أراد الله بعبد شرا فتح له باب التأويل (قوله ومنهم أبو الحسن علي بن ابراهيم الحصري) قال المناوي هو الحصري ثم البغدادي شيخ العراق في وقته حالا وعلما وامام الصوفية في زمانه قالا وعزما صحب الشبلي ومن فوائده الفاضلة وفوائده الكاملة انه قال عرضوا الاخوان بالامور ولا تصرحوا فانه استر وقال علامة الحاسد انك انه لا يقدر يصور عليك دعوى عندها كم ولا عند الله وقال مكثت في بدايتي زمانا لا استعيذ من الشيطان عند القراءة واقول من الشيطان حتى يحضر كلام الحق حتى من الله فعلمت ان الشيطان لا يفارق مستقيما ولا اعوج وسئل عن السماع فقال ما اضعف حال من يحتاج الى مزعج يزعجه من خارج وقال الصوفي مقهور بتصرف الالهية مستور بتصرف العبودية وقال الصوفي من لا يوجد بعد عدمه ولا يفقد بعد وجوده وله غير ذلك رضي الله عنه (قوله وعلي اوراد الخ) الواو للحال والغرض له بذاكره التحدث بالنعمة وليقتدي به في ذلك وليقوى عزم المقتدي به (قوله فأعرف ذلك الخ) اى فكان يعرف ذلك في الدابة بجموحها وفي الخادم بسوء الخلق وذلك يحصل تاديبا للكمل من عباد الله تعالى لاجل ردهم الى مابه الكمال أولا كمل (قوله من ادعى بشيء الخ) اى مثل الاصول التي هي المواهب الفائضة على العبد من ربه سواء كانت واردة عليه ميراثا عن العمل الصالح المزكي للنفس المصفي للقلب أو كانت واردة من الحق امتنانا محضا وتسمى حالا لتحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات البعد الى النعوت الحقية ودرجات القرب وذلك هو معنى الترقي او مقاما كالاحسان في العبادة الذي هو التحقق بوصف العبودية ليشاهد حضرة الربوبية بواسطة زيادة نور البصيرة اى يرى الحق موصوفا بصفاته بعين صفته فهو يراه يقينا ولا ولا يراه حقيقة ولهذا قال في الخبر كانك تراه لانه يراه من وراء حجب صفاته بعين صفاته فلا يرى الحقيقة بالحقيقة وذلك دون مقام المشاهدة في مقام الروح هذا تحقيق المقام ومني عليك السلام فعض عليه بالنواجذ (قوله كذبته الخ) اقول ولذا قيل من ادعى بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان وقوله كشف البراهين اى باعتبار ما يظهر من باطن امره في نفس الامر فان الظاهر عنوان الباطن في غالب الاحوال والله اعلم (قوله ومنهم ابو عبد الله احمد بن عطاء الروذبادي) أي ثم الصوري كان شيخ الشام في وقته مفتيا في علوم الشريعة والحقيقة وهو ممن علا في طريق القوم قدره واشتهر ذكره وتميز فضله حتى عز في عصره ان يوجد مثله ومن كلامه الذوق اول المواجيد وقال اقبح كل قبيح صوفي شحيح وقال ليس كل من صلح للمجالسة صلح للمؤانسة ولا كل من صلح للمؤانسة يؤتمن على الاسرار وقال من الزم نفسه السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة وقال ذكر الثواب

فقال الجمل جل الله) هذا أمر خارق للعادة وهو كلام الجمل بلسان عربى اوفهم الشيخ لكلام الجمل بلغته فأخبرها فهمه قال تعالى
وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال فى قصة السيد سليمان عليه السلام مع النملة قالت نملة يا أيها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده ففهم سليمان كلامها وسأل الله ان يرزقه شكر ما انعم به عليه (وكان ابو عبدالله
الروذبادى اذا دعا اصحابه) بأن دعى هو ليدعوهم (معه الى دعوة) بتثليث الدال اى طعام (فى دور السوقة) بضم السين خلاف
الملك قاله الجوهرى (ومن ليس من اهل التصوف) هو من عطف الخاص على العام (لا يخبر الفقراء بذلك وكان يطعمهم شيأ فاذا
فرغوا) من اكلهم (اخبرهم) بذلك (ومضى بهم فكانوا قدا كلوا فى الوقت) الذى دعوا فيه (ولا يمكنهم ان يمدوا ايديهم الى طعام
الدعوة الا بالتعزز) اى التقلل يقال عز الشئ اى قل (وانما كان يفعل ذلك بهم لئلا يسوء ظنون عوام الناس) الذين لا يعرفون
من العبادة الا الاعراض عن الطعام وقلة المنام (بهذه الطائفة) الصوفية من حيث انهم يستنقصونهم
بسبب رغبتهم فى الاكل اذا كانوا
على جوع (فيأثمون بسببهم)
وحكى مثل ذلك عن أبي مدين
شعيب اما غير عوامهم فلا يستنقص
هؤلاء بكثرة أكلهم بل ينشرح
و يسر بها لعلمه بما أدخله عليهم من
الراحات وبكونهم استصلحوا
طعامه (وقيل كان ابو عبدالله
الروذبادى يمشى على اثر الفقراء
يوما وكذا كانت عادته ان يمشى على
أثرهم) اى يتأخرهم فلا يكون
مقدما متبوعا تواضعا ولانه اذا
تأخرهم لاحظهم بنظره واستشعروا
منه ذلك فيلزمون الادب بين يديه
(وكانوا يمضون) اى مضوا معه
مرة (الى دعوة فقال انسان بقال)
يبيع البقل فى حانوته (هؤلاء هم
المستحلون) لاموال الناس (و بسط
لسانه) بالحط عليهم (وقال فى أثناء
كلامه ان واحدا منهم استقرض
مائة درهم ولم يردها على ولست
ادرى اين اطلبه فلما دخلوا دار الدعوة قال ابو عبدالله الروذبادى

٣ يج نى

لصاحب الدار وكان من محبى هذه الطائفة ائتنى بمائة درهم ان أردت سكون قلبى) وكان يعلم منه سروره بذلك (فأتاه بها فى الوقت فقال
لبعض اصحابه احمل هذه المائة الى البقال الفلانى وقل هذه المائة التى استقرضها منك بعض أصحابنا وقد وقع له فى التأخير اعذر
وقد بعثها الآن فاقبل عذره فمضى الرجل وفعل) ما امره به (فلما رجعوا من الدعوة اجتازوا بحانوت البقال فأخذ البقال فى مدحهم
ويقول) وفى نسخة وقال (هؤلاء هم) السادة (الثقات الامناء الصلحاء) وما أشبه ذلك من اوصافهم الحميدة قصد الشيخ بذلك
لما لم يحمل سماع ذم البقال لهذه الطائفة ان يحفظ قلب البقال ويصون عرض هذه الطائفة

عند ذكر الله غفلة عن الله وقال العبودية ترك الاختيار ولزوم الافتقار واياك ان تلاحظ
مخلوقا وانت تجد للحق سبيلا وقال لا تجد السلامة حتى تكون فى التدبير كأهل
القبور وقال الرضا ترك الخلاف على الله تعالى فيما يجريه على العبد وقال الصبر الوقوف
مع البلاء بحسن الادب وقال للتقوى ظاهر وباطن فظاهرها محافظة الحدود وباطنها
النية والاخلاص قال أبو نعيم كان ابن عطاء كثير الحديث رضى الله عنه (قوله فقال الجمل
الخ) أفاد الشارح جواز وقوع ذلك على الحقيقة أو بلسان الحال أقول والاول اقرب
لثبوته بالدليل النقلى على ان الشارح درج على انه بلسان القال الذى فهمه الشيخ من
لغة الجمل وذلك غير بعيد (قوله هذا أمر خارق الخ) اى وقع تأسيا للشيخ ليدوم على ما به
الترقى من جده واجتهاده فهو من عناية ربه به (قوله وكان أبو عبدالله الخ) اقول فى ذلك
تنبيه على حرصه على دفع ما به يكون تنقيص هذه الطائفة بسبب قصور النظر عما به الكمال
(قوله وكان يطعمهم شيأ الخ) أقول وسمعت عن شيخنا العلامة الشرقاوى مثل ذلك مع
طائفة لعلماء فالله تعالى ينفعنا بمقاصد احبابه (قوله فيأثمون بسببهم) اقول يؤخذ
منه وجوب التحرز عن التعرض الى موجبات الوقيعة فى الاعراض وهو كذلك والله اعلم
(قوله يمشى على اثر الفقراء الخ) أقول وهو خلق محمدى وذلك لما ثبت من أنه صلى الله
عليه وسلم كان يمشى خلف أصحابه و يقول خلوا ظهرى للملائكة (قوله تواضعا) اى
هضما للنفس اى واقتداء بسيد الكائنات صلى الله عليه وسلم (قوله فقال انسان بقال
الخ) اى قال ذلك بمقتضى مرآة نفسه وطبيعته لعدم انتقاله عن ذلك كما أشير اليه بقوله
سبحانه وتعالى ان الانسان خلق هلوعا الآية لانه لو سافر عن منازل نفسه لرأى العذر فى
التأخير ولم ينل من الذى ظن تقصيره والله اعلم (قوله وكان يعلم منه سروره الخ) احترز

وفيه طلب حفظ قلوب المسلمين من اساءة الظن (وقال ابو عبد الله الروذبادى اقبح من كل قبيح صوفى شحيح) اذ اول درجات التصوف الاعراض عن الدنيا حلالها وحرامها لينـدفع عنه بذلك سائر الاخلاق الذميمة التى من جملتها الشح ويتفرغ للتخلق بالاخلاق الحميدة من التوكل والرضا والتسليم والمراقبة والمحبة والانس ونحوها فمن تخلى عن الصفات الذميمة بالصفات الحميدة سمى صوفيا فاذا أخل بأول الدرجات كان اقبح القبيح من الصفات لانه شح على نفسه وعلى غيره بالمال لكمال محبته له وحرصه عليه (قال ابو القاسم الاستاذ الامام رضى الله عنه) وفى نسخة قال الاستاذ الامام ابو القاسم عبد الكريم القشيرى رحمة الله عليه (هذا) اى ما مر فى هذا الباب (هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة) وعدتهم ثلاثة وثمانون (وكان الغرض من) وفى نسخة فى (ذكرهم

فى هذا الموضع التنبيه على انهم مجمعون على تعظيم الشريعة متصفون بسلوك طرق الرياضة مقيمون على متابعة السنة غير مخلين بشئ من آداب الديانة متفقون على ان من خلا من المعاملات والمجاهدات) مع الله تعالى (ولم يبن امره على اساس الورع والتقوى كان مفتريا) اى مختلقا (على الله سبحانه فيما يدعيه مفتونا) اى مصابا بالذنب من ذهاب عقل ومال وغيرهما (هالكا فى نفسه واهلك من اغتر به ممن ركن الى اباطيله ولو تقصينا وتتبعنا ما ورد عنهم من الفاظهم وحكاياتهم ووصف سيرهم مما يدل على احوالهم لطال به الكتاب وحصل منه الملال وفى هذا القدر الذى لوحناه فى تحصيل المقصود غنية) عما عداه (وبالله التوفيق) وهو خلق قدرة الطاعة فى العبد عكس الخذلان (فاما المشايخ الذين ادركناهم) اى لقيناهم (والذين عاصرناهم وان لم يتفق لنا لقياهم مثل الاستاذ الشهيد لسان وقته واوحد عصره ابى على الحسن بن على الدقاق والشيخ نسيج وحده) اى الذى لا نظير له فى علم ولا فى غيره (فى وقته ابى عبد الرحمن السلمى وابى الحسن على بن جهضم مجاور الحرم) الشريف المكى (والشيخ ابى العباس القصاب بطبرستان واحمد الاسود بالدينور وابى القاسم الصيرفى بنيسابور وابى سهل الخشاب الكبير بها) اى نيسابور (ومنصور بن خلف المغربى وابى سعيد المالينى وابى طاهر الخوزندى) وفى نسخة الخرزندى (قدس) اى طهر (الله ارواحهم) لو آخر هذا عن قوله (وغيرهم) كان أولى (فلو اشتغلنا بذكرهم وتفصيل احوالهم لخرجنا عن المقصود فى الايجاز) ولحصلت السآمة (و) مع ذلك (غير ملتبس) على احد (من احوالهم حسن سيرهم فى معاملاتهم) مع الله تعالى بل هو ظاهر لكل احد (وسنورد من حكاياتهم طرفا فى مواضع من هذه الرسالة ان شاء الله تعالى كا

بذلك عما اذا كان الامر بخلاف ذلك والحكم حينئذ حرمة الاخذ منه مثل ما اذا كان طريق الدفع مجرد الحياء فيكون حينئذ من قبيل اكل أموال الناس بالباطل (قوله وفيه طلب حفظ الخ) اى فيه دلالة على ذلك لانه يجب لاجل عدم التعرض للوقيعة فى العرض والدين (قوله اذ أول درجات الخ) اقول انما جعل الاعراض عن الدنيا أول درجات التصوف لصعوبته على النفوس البشرية لانه بذلك الاعراض ينعدم غالب حظوظ النفس والله اعلم (قوله لينـدفع عنه بذلك الخ) أى وذلك لان الدنيا منشأ غالب الاخلاق الذميمة على ما لا يخفى على ذى بصيرة (قوله لانه شح على نفسه) اى منعها ثمرة الانفاق الذى يترتب عليه مع الاخلاص فيه نيل السعادات الدينية والدنيوية (قوله قال ابو القاسم الخ) لما انهى الكلام على ذكر من تيسر له من المشايخ للغرض الذى افصح عنه اراد ايضا الاعتذار عن عدم استيعابهم بخوف الخروج عن المقصود من الايجاز وخوف الملال من الغير مع ان من تركه اشهر من ان يذكروا بعد من أن ينكر على انه سيأتى له النقل من حكاياتهم ما يغنى عن ذكرهم كغيرهم (قوله على تعظيم الشريعة) اى وذلك بدوام متابعتهم لها فى جميع الحركات والسكنات (قوله متصفون بسلوك طرق الرياضة) أى طرق تهذيب النفس لاجل نقلها تدريجا عن حظوظها ومألوفاتها وتخليتها عنها والتحلى بالصفات الحميدة الموصلة الى المراتب العلية وحيث كان لا سبيل لذلك غير متابعة سيد الكائنات والعمل على سنته كانوا رضى الله عنهم مقيمين عليها غير مخلين بشئ من آدابها كما ذكره المؤلف (قوله ولم يبن امره) اى فى طلب الحق على اساس الورع والتقوى الاضافة بيانية (قوله كان مفتريا على الله) اى وعلى خلقه بالاولى (قوله مفتونا) أى سبقت الارادة بافتتانه فى الدين بدليل ما ظهر من حاله الشنيع (قوله وبالله التوفيق) أى لا بغيره

•(باب)•
(في) تفسير الفاظ

كما يفيده تقديم الجار والمجرور (قوله باب في ألفاظ الخ) أى في ذكرها وبيان مرادهم منها (أقول) ومن ذلك قولهم المفاتحة وهي مباداة العبد بما هو فيه على بساط الضراعة وبث الشكوى والمناجاة في مبادية مولاه بمعاني أسمائه وصفاته ليرتاح لذلك وينسى كل شئ والمواجهة وهي مقابلة القلب بملاحظة الرب دون التفات الى غيره فيواجهه مولاه بأنواره ويقابله بأسراره حتى لا يمكنه أن ينظر ما سواه والمجالسة وهي ملازمة الذكر بلا غفلة والخضوع بلا وصلة والادب بلا مهلة فيكرم اكرام الجليس واليه الاشارة بخبر أنا جليس من ذكرني والمحادثة وهي منازلة الاسرار بذكر المولى والاقبال عليه فيما يلقيه بيد به من سرور وغيره واليه الاشارة بحديث كان في الامم السالفة محدثون فان يكن في أمتي فعمر منهم والمشاهدة وهي صيرورة الحقيقة لمعدن البيان لا تحتاج لى دليل ولا برهان والمطالعة وهي مراقبة التوحيد في كل ورد وصدر والرجوع الى الحقيقة المرة بعد المرة بلا تأمل ولا نظر فلا يبدو شئ الا طواح به سره هذا ما فهمته من معاني هذه الالفاظ والدر من وراء الصدف فليس التصوف بحديث يكتفى فيه بالاخبار ولا يقتفى بالعلم والعمل فيه عن حصول الانوار غير انه لا بد من مثل هذا للمنتسبين والمحبين واهل البدايات والله ولى التوفيق ومنه قولهم الدبور وهي صولة داعية النفس واستيلائها شبهت بريح الدبور التى تأتى من جهة المغرب لانتهائها الى الجهة الجسمانية التى هي مغرب النور ويقابلها القبول وهي ريح الصبا التى تأتى من جهة المشرق وهي صولة داعية الروح واستيلائها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ومن كلامهم الانانية وهي الحقيقة التى يضاف اليها كل شئ من العبد كقوله روحي ونفسي وقلبي وانانية الحق تعالى وجودية وأنانيتنا عدمية ومن كلامهم الآنية وهي تحقق الوجود العيني من حيث رتبته الذاتية ومنه الوتر وهو الذات باعتبار سقوط جميع الاعتبارات فان الاحدية لا نسبة بينها وبين شئ بخلاف الشفع الذى باعتباره تعينت الاعيان وحقائق الاسماء ومن كلامهم الوجود وهو وجدان الحق ذاته بذاته ومن كلامهم وجه العناية وهو الجذبة والسلوك الذى به تحقق جهة الهداية ولهم غير ذلك مما يطول الكلام عليه • (تنبيه) • يدور على لسان الصوفية أيضا لفظ الفناء وسيأتي بذكره المصنف فأقول لك تقديما للفائدة لا تتوهم ان ذلك هو الفناء العلى الحاصل للعارفين الذين ليسوا من أرباب الشهود الحالى مع بقائهم عينا وصفة فان بين من يتصور المحبة وبين من هي حاله بونا بعيدا وفرقا عظيما قال الشاعر

لا يعرف الشوق الا من يكابده • ولا الصبابة الا من يعانيها

والحق ان الاعراب عنه لغير ذائقه ستر والاظهار لغير واجده اختفاء والعلم بكيفيته مختص بالله تعالى لا يمكن أن يطلع عليه الا من يشاء من عباده الكمل الذين حصل لهم هذا المشهد الشريف والتجلى الذاتى المفنى للاعيان بالاصالة كما قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل

جعله دكا وخر موسى صعقا فاذا علمت ما قدمته لك علمت معنى الاتحاد الذى اشتهر وعلمت اتحاد كل اسم من الاسماء مع مظهره وصورته أو اسم مع اسم آخر او مظهر مع مظهر آخر وشهودك اتحاد قطرات الامطار بعد تعددها واتحاد الانوار مع تكثرها كالنور الحاصل من الشمس والكواكب على وجه الارض او من السرج المتعددة فى بيت واحد وتبدل صور عالم الكون والفساد على هيولى واحدة دليل واضح على حقيقة ما قلناه هذا مع ان الجسم كثيف فما ظنك بالخبير اللطيف الظاهر فى كل المراتب الخسيس منها والشريف والحاصل ان الاتحاد والحلول بين الشيئين المتغايرين من كل الوجوه شرك عند اهل الله وذلك لفناء الاغيار عندهم بسطوع نور الواحد القهار بل المراد ان الحق تعالى باعتبار أنه مصدر الكائنات جميعها علويها وسفليها امركبات أو بسائط او مجردات جواهرا واعراضا كليات أم جزئيات واعتبارا انفراده بالوجود الذاتى وان جميع الوجودات مستمدة من وجوده فهو هى وهى هو على معنى لا هو الا هو كان الله ولا شئ معه ويبقى الله ولا شئ معه وانما الكائنات تعينات له مخصوصة فى أزمنة مخصوصة محكوم عليها باحكام مخصوصة ثم اليه يرجع الامر كما بدا الحكم عليه واسرار الهية علمها من علمها وجهلها من جهلها بتدبيره تعالى وتقديره لا يسئل عما يفعل فافهم ولا تلك اسير النقل والتقليد ثم ومما يدور على لسانهم رضى الله عنهم قولهم انطوى بساط السوى ويقال عليه كيف والجنة باقية وكذا النار والعرش والكرسى الى غير ذلك مما جاء الشرع بالحكم عليه بالبقاء المقتضى للوجود فيقال انما جاء هذا من النظر القاصر فاضطروا بسببه الى استثناء مثل هذه الاشياء فى نحو قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه أو الى جعله عاما مخصوصا وكذا كل من عليها فان فلا تعجب بانطواء بساط السوى واضمحلال الاكوان فى نظر العارف فانه ينظر بعين الازل فيفنى ويفنى وينظر بنعت الابد فيبقى ويبقى والى النظر الاول أشار صلى الله عليه وسلم بقوله اصدق كلمة قالها الشاعر لبيد * الا كل شئ ما خلا الله باطل * أى فان وزائل لا حقيقة له وعند المحققين فى كل نفس وأقل منه مما يجرى من الازمنة على الخلق كل شئ هالك الا وجهه الملك الحق ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فاياك ثم اياك أن تشنع على اهل الحق مقلدا فى ذلك من سلف من ابناء جنسك وأرباب فنك ولو اشتهروا بالعلم واتصفوا بالفهم فتخوض مع الخائضين فان المقام الذى استوطنته من التقليد فى التوحيد والمتنسم الذى ارتقيته من منازل الدليل والبرهان من الاستدلال على الصانع بالمصنوع لم يتخذوه وطنا ولم يألفوه متنسما ومسكنا بل أطلق الحق عقال عقولهم التى عقلت بها فصارت عقولهم مطلقة وأرواحهم بعروة اطلاق التوحيد المستفاد من عين اليقين وحقه مستمسكة بها متوثقة ولعمرى لقد صدق القائل

والجاهلون لاهل العلم اعداء * تأمل فى المقام ومنى عليك السلام (قوله تدور بين هذه الطائفة) أى الفاظ يكثرون استعمالها بعضهم مع بعض مما يشكل ظاهره فى حكم الظاهر

تدور بين هذه الطائفة

٤ ٥

وبيان مايشكل منها) على غيرهم (اعلم ان من المعلوم ان كل طائفة من العلماء لهم الفاظ يستعملونها فيما بينهم انفردوا بها عمن سواهم) حيث (تواطؤا) اى توافقوا (عليها لاغراض لهم فيها من تقريب للفهم على المخاطبين بها او تسهيل) الاولى وتسهيل ليكون عطف تفسير (على اهل تلك الصنعة فى الوقوف على معانيهم) اى مقاصدهم (باطلاقها) كاهل اصول الدين حيث اصطلحوا على اطلاق العالم والحيز والوقت والجوهر والكون والحال وغيرها لمعان ارادوها وربما وافق بعضها مقتضى اللغة على وضعها الحقيقى (وهذه الطائفة) التى هى من جملة طوائف العلماء (يستعملون الفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لانفسهم) اى بعضهم مع بعض (والاجمال والستر على من باينهم) اى خالفهم (فى طريقتهم لتكون معانى الفاظهم مستبهمة على الاجانب) منهم (غيرة منهم على اسرارهم ان تشيع فى غير اهلها) فلا يعرف مرادهم فيقع فيهم بجهله بما ارادوه فيهلك (اذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف او مجلوبة بضرب تصرف بل هى معان اودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها اسرار قوم) آخرين من فرق اولئك لان هذه الطائفة يتفاوتون فى السلوك وفى

•(مطلب الوقت)•

المواهب (ونحن نريد نشرح) ظواهر (هذه الالفاظ) عندهم دون التوغل فى كشف حقائقها لقصور العبارة عن ذلك (تسهيلا للفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكى طرقهم ومتبعى سنتهم) اى طريقهم •(فمن ذلك الوقت • حقيقة الوقت عند أهل التحقيق) منهم ومن المتكلمين وغيرهم (حادث متوهم) وقوعه فى المستقبل (علق حصوله على حادث متحقق) وقوعه فيه

بالنسبة لمن لم يحظ بدخول هاتيك الحظائر مع انها فى نفس الامر من واردات الضمائر قد وردت بمنشور رب المظاهر فالعارف اذا سمعها أحسن لها التأويل واذا لم يحسنه سلم الامر للحكيم العليم (قوله وبيان مايشكل منها) أى واشكالها انما هو بالنسبة لخفاء معناها المراد على غيرهم ممن لم يشرب من شرابهم ولم يسلك طرق اقترابهم مع انها منتلقات فى منصات مجالس الصفاء مهداة للمعين من أهل الوفاء (قوله اعلم الخ) الغرض افادة ان هذا المذهب غير خاص بهم نفعنا الله بعلومهم بل غيرهم من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها فيما بينهم تسمى اصطلاحاتهم لاغراض لهم فيها كما ذكره المؤلف وحينئذ فلا يقال لم اتصلوا هذا السبيل الخطر والطريق الوعر لانهم لم يشتغلوا بالغير ولم يعولوا الا على الله فى السير هذا شرح الحال والله ولى الافضال (قوله تواطؤا الخ) أى على حسب اصطلاحهم (قوله على اطلاق العالم) بفتح اللام أى على ماسواه تعالى وقوله والحيز أى على المكان وقوله والوقت اى على حركة الفلك وقوله والجوهر اى على ماقابل العرض وقوله والكون اى على الوجود والحصول وقوله والحال اى الصفة القائمة بالشخص (قوله قصدوا بها الكشف عن معانيهم) اى مايعنى لهم فيما بينهم من الاسرار (قوله والاجمال والستر) اى عدم الايضاح للمعانى واخفائها بالنسبة للغير ممن خالف طريقتهم ولم يسلك مسالكها (قوله لتكون معانى الفاظهم الخ) لا يقال ذلك نوع من أنواع كتم العلوم وعدم ايضاحها لمحتاجها لان الغرض الستر عن غير الاهل ممن لا انتفاع لهم بها بل ربما اضرت بهم (قوله لتكون الخ) علة لقوله يستعملون الفاظا الخ (قوله غيرة) علة للعلة التى هى قوله لتكون الخ (قوله اذ ليست حقائقهم الخ) بيان لوجه خفائها على غيرهم ممن لم يذق من شرابهم محصله انهم لم يقصدوا حرمان غيرهم من شريف هذه المعانى حتى يكون ذلك من قبيل كتمان العلم بل لكونها من الاسرار الواردة على القلوب المقدسة بدون تعمل واختيار مثل هذه الجواهر اللطيفة ودرر الفوائد الشريفة لا تصلح الا لاربابها ممن ذاق من شرابها (قوله قلوب قوم) أى اصفائها من كدورات البشرية وقوله واستخلص لحقائقها الخ اى خص طائفة منهم بزيادة التنوير القلبى الذى به يقفون على معانى تلك الاسرار بواسطة مامنحوا من قوة سطوع الانوار (قوله ونحن نريد نشرح ظواهر الخ) يشير بذلك الى ان العبارة تقصر عن استيعاب مايراد منها حيث ان المشاهدات الهية ومواهب رحمانية ومن المعلوم بالضرورة ان مثل ذلك لا يستوعب (قوله فمن ذلك الوقت الخ) اى ومنه ايضا واسطة الفيض والمدد اى وهو الانسان الكامل الذى هو الرابطة بين الحق والخلق بمناسبة للطرفين المشار اليه بخبر لولاك لما خلقت الافلاك ومن كلامهم الواحدية وهى الذات من حيث انتشار الكائنات منها وواحديتها باعتبار تكثرها بالصفات ومن كلامهم

الاتصال وهو ملاحظة العبد عينه متصلا بالوجود الاحدى بقطع النظر عن تقييد وجوده بالتعينات واسقاط اضافتها اليها فيرى اتصال مدد الوجود ونفس الرحمن اليه على الدوام بلا انقطاع حتى يبقى موجودا بالحق معدوما بنفسه ومن كلامهم الهواء واعتباره بحسب الغيبة والحضور ومن كلامهم الهباء وهى المادة التى فتح الله منها صور العالم وذلك العنقاء المسمى بالهيولى ومن كلامهم همة الافاقة وهى اول درجات الهمة وهى الباعثة على طلب الباقى وترك الفانى وهمة الانفة وهى الدرجة الثانية وهى التى تورث من قامت به الانفة من طلب الاجر على العمل بل يعبد صاحبها على الاحسان وهمة ارباب الهمم العالية وهى الدرجة الثالثة وهى لا تتعلق الا بالحق فلا يرضى صاحبها بالاحوال ولا بالمقامات ولا بالوقوف مع الاسماء والصفات فلا يقصد الا عين الذات ومن كلامهم الدرة البيضاء وهى العقل الاول لقوله عليه الصلاة والسلام اول ما خلق الله العقل ومن كلامهم جواهر العلوم وهى الحقائق التى لا تتغير ولا تتبدل باختلاف الشرائع والامم والازمنة كما قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومن كلامهم احدية الجمع وهى اعتبار الذات من حيث هى بلا اسقاط شئ ولا اثباته بحيث يندرج فيها الحضرة الواحدية ومن كلامهم الاحد وهو اسم للذات باعتبار انتفاء تعدد الاسماء والصفات والنسب والتعينات عنها والاحدية اعتبار الذات مع اسقاط الجميع الى غير ذلك مما يدور على السنتهم رضى الله عنهم (قوله صوابه الخ) محصله انه لما كان المعلق عليه هو المحقق من الوقت والمعلق هو المتوهم من غيره لزم ان الصواب ما ذكره الشارح نفعنا الله به وما فى الاصل من سبق القلم (قوله فالحادث المحقق) اى وهو الزمان المعين المعلق عليه وقوله وقت للحادث المتوهم أى وهو المعلق وجوده على هذا الزمان المعين وانما كان الزمان من المحقق وغيره من المتوهم باعتبار عادة الله فيما فناً اته (قوله وان لم تناف ما ذكر) اى لان نهاية الامر على مذهبهم انهم اعتبروا الوقت بما وقع فيه ولازمه من أحوال الانسان (قوله الوقت ما انت فيه) اى ما اظهره الله فيه بحكم التصريف على مقتضى الحكمة الباهرة وما سبق فى العلم الازلى وحينئذ فيلزم العبد الرضا به حيث كان يشاهد العلم لان عدم الرضا به جهل بالعقليات والشرعيات والعاديات وذلك لان ارادة رفع الواقع وايقاع الممتنع جهل بالمعقولات وما تضمن عدم الرضا بالواقع يلزمه الاعتراض على المولى واساءة الادب معه فيما قضاه وهو جهل بالشرعيات وعدم المراعاة لحكمة الله تعالى فى خلقه وسنته فى عباده جهل بالعاديات على ان من أراد موافقة اغراضه أبدا أتعب نفسه بغير فائدة وقد قيل من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فافهم (قوله الوقت ما أنت فيه الخ) فيه اعتبار الوقت بما قارنه من أحوال الانسان وهو صحيح باعتبار ان الثمرة وضدها للعبد تكون بذلك لا بالوقت بمجرد اعنه والله أعلم (قوله وقد يعنون بالوقت الخ)

صوابه حادث متحقق علق عليه حصول حادث متوهم بدليل قوله (فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم تقول آتيك رأس الشهر فالاتيان) حادث (متوهم) وقوعه فى المستقبل (ورأس الشهر) حادث متحقق) وقوعه فيه (فرأس الشهر وقت الاتيان) ثم بين ان هذه الطائفة اطلقوا الوقت على معان وان لم تناف ما ذكر فقال (سمعت الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله يقول الوقت ما انت فيه) وفى نسخة به (ان كنت بالدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعقبى فوقتك العقبى وان كنت بالسرور فوقتك السرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن يريد) رحمه الله (بهذا ان الوقت ما كان هو الغالب) اى يغلب (على الانسان) فى حاله الذى هو فيه مما نزل به من قبض وبسط وسرور وحزن ونحوها فسمى الوقت باسم ما يلازمه غالبا (وقد يعنون بالوقت ما هو) اى ما العبد (فيه من الزمان) الحال (فان قوما قالوا الوقت ما بين الزمانين يعنى الماضى والمستقبل

أي يقصدون به الزمان نفسه وحقيقته غير انهم يخصونه بالحال دون الماضي والاستقبال
(قوله ويقولون الصوفي ابن وقته) أقول ويرحم الله ابن الفارض حيث قال في تائيته

وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى * وإياك علي فهي اخطر علة

الى آخر ما قال نفعنا الله ببركات علومه ومعارفه ومراد العارف بالصارم السيف يشير
به الى قولهم الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك قيل سمي به لقطعه حكم الوصف الغالب
حالتئذ باظهار سلطنة مضيه [illegible] السيف وأصل الوقت الزمن عدل به الى ما يصادفه
السالك في المواجهات فيقال فلان وقته القبض أو البسط قال في عوارف المعارف
والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد واغلب ما على العبد وقته فانه كالسيف يمضي بحكمه
وقد يراد بالوقت ما يهجم على العبد لا بكسبه فيتصرف فيه فيكون بحكمه فيقال فلان
بحكم الوقت يعني مأخوذ عما منه بما للحق اهـ وقال السيد الشريف قدس الله سره
الفقير ابن وقته يعني لا ماضي له ولا مستقبل يعني ان كان في نعمة شكراً وبلاء صبرا وطاعة
دام واستقر أو في ذنب أناب واستغفر وقال الصفدي في تائيته

كالوقت من كان معه حيث حل ومن * أضحى مع الله لا يلهو بأوقات

يعني انه مشغول بالموقت لا بالوقت وحاصل مراد سلطان العشاق تحريض السالك على
انفاذ النهضة بصدق العزيمة القاطعة التي هي كالسيف وتحذيره من عسى ولعل حيث
أفادان المقت فيهما فانه اذا قال المذنب أؤخر التوبة الى زمن كذا عسى أن اتفرغ
أو اتجرد أو نحو ذلك أدركه المقت في ذلك الوقت لان ارجاء التوبة ظلم واصرار وقد قال
تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون والظالم ممقوت لقوله والله لا يحب الظالمين ومعنى
المقت البغض الشديد وقوله وإياك علي اضاف عل التي هي لغة في لعل الى ضمير المتكلم
يشير به الى ان توقع التوبة وترجيها مع القدرة عليها عين العلة بل أخطر علة والله أعلم
بمراد أحبائه (قوله يريدون بذلك انه الخ) أي وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني
الحديث فالناس ثلاثة رجل ساعده القدر فعجل في فرغه وشغله ورجل وجد الفراغ
ولم يعمل ورجل لم يجد الفراغ وجعله علة في التسويف الاول من المغبوطين والثاني من
المغبونين والثالث من المغرورين والله اعلم (قوله لا التفات له الى ماض) أي لان في
تداركه تضييع الحاضر وقوله ولا مستقبل أي لان امره ليس له فلا يدري ما هو كائن
فيه (قوله مشتغل بعمارة وقته بما الخ) ما في عبارته واقعة على العبادة ولهذا بينها بقوله
من العبادة وقوله قائم الخ أي فاعل ما هو مطالب به في الحين فالجملة الاولى افادت العزم
على العبادة والثانية الفعل وكل في الحال من الزمان (قوله وقيل الفقير لا يهمه الخ)
بالتأمل ترجع هذه العبارة لما قبلها في المعنى بل ما قبلها أكثر فائدة منها عند من تأمل
(قوله وقد يريدون بالوقت الخ) اي غير ما تقدم في اطلاقهم المراد به ما يخص العبد من

ويقولون الصوفي ابن وقته
يريدون بذلك انه) لا التفات له
الى ماض ولا مستقبل بل هو
(مشتغل) بعمارة وقته (بما هو
اولى به من العبادات في الحال
قائم بما هو مطالب به) من الله (في
الحين وقيل الفقير لا يهمه) بضم
الياء اي يقلقه ويقصها اي يدينه
(ماضي وقته وآتيه بل يهمه وقته
الذي هو فيه ولهذا قيل الاشتغال
بفوات وقت ماض تضييع وقت
ثان) ومثله الاشتغال بمجيء وقت
مستقبل (وقد يريدون بالوقت
ما يصادفهم من تصريف الحق
لهم) اي ما يصرفهم الحق فيه مما
سبقت به المقادير (دون ما يختارونه
لانفسهم ويقولون فلان) متصف
(بحكم الوقت

أى انه مستسلم ومنقاد لما يبدو له من الغيب من غير اختيار له) فأى حال أقامهم الحق فيه من قبض أو بسط أو خير او شر نحوه وقتا باسم ما يصادفه من التصريف (وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه أمر او اقتضاء المطلوب) فعله وتركه (بحق شرع) أى بحق شرعى اما ما لله عليهم فيه ذلك فلا يقولون انه وقت بالمعنى المذكور لان العبد مأمور بالتألم له والندم عليه والبعد عنه (اذ التضييع لما أمرت به) من الله تعالى (واحالة الامر فيه على التقدير) الازلى (وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين) فاذا قال العبد أنا راض بما أقامنى الحق فيه من الوقت على الاطلاق لزم أن يرضى فى وقت باخلاله بالواجبات وفى وقت بارتكاب المحرمات وفى وقت بارتكاب المكروهات فان ذلك من تصريف الحق فى الخلق ومن استرسل فى ذلك خرج عن الدين (ومن كلامهم الوقت سيف) أى كما ان السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق) أى يقدره (ويجريه) على العبد (غالب) اى واقع عليه جزما فوظيفة العبد الصبر تحت جريان المقدور حتى يتقبله بالرضا حيث يصح الرضا به فان التسخط لا يزيل شيأ من المقدور (وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه) كان وضع يديه على عرضه واعتدل معه (سلم ومن خاشنه) كان وضع يديه على حديه وحزهما (اصطلم) اى استؤصل (كذلك الوقت من استسلم) وانقاد (لحكمه) فيما يصح الرضا به من البلايا والعوارف والقبض والبسط ونحوها (نجا ومن عارضه) أى حكمه (انتكس وتردى) أى انقلب على رأسه يعنى خرج عن الدين او كماله لحق العبد الصبر على ما ذكر ولزوم الادب اذ القلق فى مثل ذلك يمنعه الراحة وربما يمنعه من نيل مراده الا (وأنشدوا فى ذلك) قول القائل (وكالسيف ان لاينته) أنت (لان) لك (متنه) أى وسطه والمراد عرضه وفى نسخة مسه (وحداه ان خاشنته) اى السيف (خشنان) يخشى منهما الاصطلام (ومن ساعده الوقت) فى الخيرات الدينية (فالوقت له وقت) محمود

وظائف العبادة التى شأنها أن تكون من كسبه وله فيها اختيار وما هنا قد أطلقوه على ما ينال العبد من الحق مما ليس له فيه كسب ولا اختيار وليس له فيه الا الرضا والتسليم لفعل العليم الحكيم على انه قد يقال ان ما ذكر فى معنى الوقت هنا اخص مما قبله فتأمله (قوله من غير اختيار له الخ) اى وذلك هو القيام بحق العبودية قال فى التنوير فتأدب بها يا أيها المؤمن ولا تطلب منه أن يخرجك من أمر ويستعملك فيما سواه اذا كان ما أقت فيه موافقا للسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله تعالى فاصبر ولا تطلب الخروج لنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيأ وداخل فى غيره فيتعب ويقابل بوجود التعسر عقوبة لوجود الاختيار (قوله وهذا فيما ليس لله الخ) اى ما تقدم من استسلامهم وانقيادهم لحكم الوقت فيما أى فى مقتضى ليس لله عليهم فيه امر اى استيفاء المطلوب فعلا أو تركا أما ما لله عليهم فيه ذلك فلا يقولون انه وقت بالمعنى المذكور لانهم مامورون بالتألم والندم على اكتسابه والبعد عنه بالاقلاع والتوبة والله اعلم (قوله اذ التضييع) اى بترك المأمورات التى أمرت بها من الله تعالى وقوله واحالة الامر فيه اى فى تضييعه على التقدير اى الذى هو قضاء الله الازلى وقوله خروج عن الدين أى لان معناه الانقياد لاحكام الشريعة ولا انقياد مع ما ذكر (قوله الوقت سيف) أى مثل السيف فى المضى وسرعة القطع حيث يمر سريعا ولا يدرك عوده كما ان السيف يمضيه يسرع قطعه ولا يمكن تلافيه (قوله بما يمضيه الحق الخ) اى فينبغى للكيس الحاذق ان يبادر وقته بما امر به فيه خشية الفوات وتضييع الوظائف (قوله حتى يتقبله بالرضا) اى بموافقة ما جاءت به الشريعة (قوله حيث يصح الرضا به) اى والجهة المصححة لذلك شهود الفعل منه سبحانه وتعالى او كونه خيرا فى ذاته (قوله وقيل السيف لين مسه الخ) غرضه بذلك زيادة التوضيح بتشبيه الوقت بالسيف فى الليونة وشدة القطع فمن لاين وقته وسلم وانقاد لاحكام ربه الواقعة فيه سلم وفاز بالاجر الجسيم وعلمه اذا كان الجارى فيه من الاحكام بشاهد علم الشرع ومن خاشنه بالمعارضة وعدم الرضا بما حكم الله به فيه قطعه عن رحمة ربه أو عن كمال اقرب مثل السيف بالنسبة لمن خاشنه فانه يسرع له الضرر بقطعه (قوله يعنى خرج عن الدين او كماله) أى فان لزم من المعارضة اعتراض على الفاعل المختار خرج عن أصل الدين والا فعن كماله (قوله يمنعه الراحة) اى مع عدم الفائدة اذ المقدر كائن لا محالة (قوله ومن ساعده الوقت الخ) اى على معنى ساعده الحق فيه بالتوفيق وسهل ذلك التجوز انه ظرف للاحكام مع انهم فى غالب عباراتهم يريدون منه تصاريف الحق الواقعة فيه (قوله ومن ساعده الوقت الخ) اى ومع ذلك فصاحب الهمة العالية لا يقف بهمته على شئ دون الحق لان ما سواه حجاب عنه وقاطع دونه (أقول) ويشهد لذلك قول بعضهم ما أرادت همة سالك ان تقف عند ما كشف لها

(ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت) اى بغض من الله (وسمعت الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول الوقت مبرد) بكسر الميم (يسحقك ولا يمحقك يعنى لو محالك وأفناك لتخلصت حين فنيت لكنه يأخذ منك ولا يمحوك بالكلية) يعنى أن فى ارباب الاوقات المحمودة بقايا يعرفون بها احوالهم التى اقيموا فيها و يشغلهم ذلك عن ادراك غيرهم من المخلوقات فباعتبار عدم ادراكهم لغيرهم محقوا و باعتبار ادراكهم لانفسهم لم يمحقوا ولو قويت عليهم أحوالهم وغابوا عن أنفسهم لمحقوا (و) لهذا (كان ينشد فى هذا المعنى كل يوم يمر) بى (يأخذ منى) بعضى ويورث القلب حسرة ثم يمضى) لانه يشتغل بما هو فيه عن احكام نفسه وعن ادراك غيره من المخلوقات ويغيب عن ذلك بما بداله فى وقته فاذا زال عنه اورثه حسرة على عدم دوام غيبته واستغراقه (وكان) هو (ينشد ايضا) فى هذا المعنى (كاهل) أى انا فى ذلك كاهل (النار ان نضجت جلودهم اعيدت للشقاء لهم جلود) اى ان راحتهم وعذابهم لا يدومان لتغير احوالهم (وفى معناه) قول القائل (ليس من مات فاستراح) بعد موته (بميت انما الميت ميت الاحياء) نبه بشطره الاول على كمال فنائه و بالثانى على تبدل احواله وسحقه بالحال دون محقه (والكيس) بتشديد الياء (من كان) متصفا (بحكم وقته ان كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة) لانه مطالب بما يجريه الحق عليه من أحكامها (وان كان وقته المحو فالغالب عليه

٤ ج ل

احكام الحقيقة) لان من غاب عن ادراك نفسه وغيره فهو مشغول بالحق عن الخلق ومع ذلك لا يجرى عليه حينئذ ما يخالف الشريعة فحصل من مجموع ما ذكر انهم يطلقون الوقت على ما غلب من الحال وعلى ما كان عبارة الزمان وعلى ما يصرف الله العبد فيه من المقدورات بغير اختيار وانهم اقبوا الوقت بانه سيف

الاولانه هو اتف الحق الذى تطلب امامك فتحصل ان المساعدة بالتوفيق الالهى والمناكدة باتباع الهوى الذى هو ميل النفس الى مقتضيات الطبع والاعراض عن الجهة العلوية بالانحطاط الى الجهة السفلية (قوله ومن ناكده الوقت) اى قدر الله تعالى عليه فيه اسباب النكد والحزن والخسران فالوقت عليه مقت اى لكون سبب الغضب وقع وتحقق فيه (قوله الوقت مبرد) أقول هو كذلك باعتبار ما يتحقق فيه من أثر العبادة والمجاهدة (قوله يسحقك ولا يمحقك) المحق فناء وجود العبد فى ذات الحق كما ان المحو فناء افعاله فى فعل الحق كما ان الطمس فناء الصفات فى صفاته فالاول لا يرى فعلا الا للحق والثانى لا يرى حقيقة الا له والثالث لا يرى وجودا الا له هذا والمحق أبلغ من السحق (قوله يسحقك) اى يخرجك عن حظوظ النفس لان الحظوظ القلبية والروحية لا يسعى اليها على قدم الحظوظ النفسية الوهمية ويفهم من ذلك انه لا بد لك من الفناء عن حظوظه وعلله واغراضه بالكلية (قوله لتخلصت) اى من خطر بقايا الاحساس بالنفس فتبقى فى دوام سرور أنس الغيبة (قوله ولو قويت عليهم احوالهم) اى ويعبر عن هذا بالفناء عن الفناء وبجمع الجمع وسيأتى فى كلامه (قوله لانه يشتغل الخ) انظره مع قول الاصل بعضى الذى يظهر منه بقاء نوع من الاحساس الا ان يقال مراده احكام نفسه المالوفة بالطبع والله اعلم (قوله كاهل النار الخ) فيكون قد شبه حاله فى فنائه عن الكائنات ونهاية نفسه وفى عوده بالالتفات الى شئ منها باهل النار اذا ذابت جلودهم بالنضج ثم أعيدت للشقاء المقضى عليهم فهو لا يستقر على حالة يجد راحته فيها وهى لا تكون الا بدوام غيبته وانى له بذلك وفى ذلك (تنبيه) على ثبوت كماله ومحبته (قوله ليس من مات) اى بواسطة فنائه عما سواه تعالى وقوله فاستراح اى حصل راحته بدوام المشاهدات والمراقبات والغيبة عن الغير وقوله بميت أى بل هو فى حياة ابدية لثبوت قدمه فى رياض النعيم ودوام شهوده المولى الكريم وقوله انما الميت اى من فى حكمه ميت الاحياء اى لكونه قد يرجع له نوع احساس والتفات لغيره تعالى (قوله والكيس من كان بحكم وقته) اى بدون وقوف واستحسان لما هو فيه ولذا قال صاحب الحكم ولا تبرجت ظواهر المكونات الا نادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر (قوله والكيس) اى الحاذق من كان بحكم وقته أى فهو الذى يتخلق فى كل وقت بما يناسبه وذلك باتصافه بحكم الظاهر فى حال الصحو وبحكم الحقيقة فى حال المحو مع مراعاة الخواطر على قانون المتابعة (قوله ومع ذلك) أى مع غلبة الحقيقة عليه وشغله بالحق لا يجرى عليه الخ وهذا كما ترى حال الكمل من عباد الله المقربين كيف وهو خلق محمدى

وحال أحدى (قوله لانه يقطع العمر) أى ويصرح بذلك قول الشاعر

يسر المرء ما ذهب الليالى * وكان ذهابهن له ذهابا

(قوله بل لا بد أن يدرك الخ) يشير بذلك الى ان المراد بالفناء عن الاحساس انما هو بالنسبة للحظوظ لا عما به يتحقق اسم الوقت (قوله ومن ذلك المقام) أقول لا تفهم من ذلك السكون الى ما ازالته منه بل علق همتك بالرحلة عنه الى موليه وتدبر قول بعضهم

فلا تلتفت فى السير غيرا فكل ما * سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا

وكل مقام لا تقم فيه انه * حجاب فجد السير واستنجد العونا

ومهما ترى كل المراتب تجتلى * عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا

وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب * فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وسر نحو اعلام اليمين فانها * سبيل بها يمن فلا تترك اليمنا

(قوله والمقام الخ) يريد تعريفه بانه المنزلة التى يترقى اليها العبد ثم ينتقل الى أعلى من ذلك باشارات الهية وذلك بعد ثبوت القدم فى ما تم أولا هذا وقال بعضهم المقام هو استيفاء حقوق المراسم فمن لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل لم يصح له الترقى الى ما فوقه كما ان من لم يتحقق بالقناعة لم يصح له التوكل ومن لم يتحقق بحقوق التوكل لم يصح له التسليم وهلم جرا فى جميعها لانه انما سمى مقاما لاقامة السالك فيه واعلم ان من جملة المقامات مقام التنزل الربانى وهو للنفس الرحمانى أعنى ظهور الوجود الحقانى فى مراتب التعينات ومن المقام المكانة وهى المنزلة التى هى أرفع المنازل عند الله تعالى وقد يطلق عليها المكان وهو المشار اليه بقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ولا يصل أحد الى هذه المنزلة الا بواسطة محمد الهمم وهو النبى صلى الله عليه وسلم لانه الواسطة فى افاضة الحق الهداية على من يشاء من عباده وامتدادهم بالنور والتأييد ونهاية هذا المدد الى نهاية المعرفة وهى الحضرة الواحدية وتسمى منشأ السوى باعتبار النفس الرحمانى الذى منه تظهر صور المعانى فانها تظهر بالوجود ومن المنازل منزل التدلى سمى به لتنزل الحق فيه الى صور الخلق ومنزل التدانى لدنو الخلق فيه من الحق وفوق هذا المشهد المنقطع الوحدانى وهو حضرة الجمع التى ليس للغير فيها عين ولا أثر فهى محل انقطاع الاغيار وعين الجمع الاحدية ويسمى منقطع الاشارة هذا ولا يتم ذوق هذه المشاهد الا بعد موت النفس عن هواها حتى يحيا القلب وينصرف بالطبع والمحبة الاصلية الى عالمه عالم القدس والنور والحياة الاصلية الذاتية التى لا تقبل الموت أصلا قال تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم فقد أشار الى ان من تاب فقد أمات نفسه وللاشارة بخبر رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وخبر المجاهد من جاهد نفسه *(تنبيه)* اعلم ان المضاهاة بين الحضرات والاكوان تتحقق بوجه انتساب الاكوان الى الحضرات الثلاثة أعنى حضرة الوجوب وحضرة الامكان وحضرة

(مطلب المقام)

لانه يقطع عمر العبد فاذا لم يقطعه بخير انقطع عمره بغفلة وانهم لقبوه أيضا بانه سيف ومعنى انه لا يستغرق العبد حتى يغيب عن احساسه بل لا بد أن يدرك ما هو فيه من غلبة حال أو عمارة أو تصريف من الحق ولو استغرق لم يسم وقتا *(ومن ذلك المقام)* هو بفتح الميم موضع القيام وبضمها موضع الاقامة وقد قرئ بهما قوله تعالى لا مقام لكم فارجعوا قال الجوهرى وقد يكون كل منهما بمعنى الاقامة وبمعنى موضع القيام

الجمع بينهما فكل ما كان من الاكوان نسبته الى الوجوب أقوى كان أشرف وأعلى فيكون حقيقة علوية روحية أو ملكية أو بسيطة فلكية وكل ما كان نسبته الى الامكان أقوى كان أخس وأدنى فكان حقيقة انسانية وكل انسان كان الى الامكان أميل وكانت أحكام الكثرة الامكانية فيه أغلب كان من الكفار وكل ما كان الى الوجوب أميل واحكام الوجوب فيه أغلب كان من السابقين الانبياء والاولياء وكل من تساوى فيه الجهتان كان مقتصدا من المؤمنين فبحسب اختلاف الميل الى احدى الجهتين اختلف المؤمنون فى قوة الايمان وضعفه فتدبره وعض عليه بالنواجذ فانه من الاسرار التى لا يعلمها خلاف الابرار (قوله والمقام ما يتحقق به العبد) أى ما يصير بالتعمل والتكلف وصفا للعبد باعتبار انتقاله اليه ومنه الى الاعلى باشارات والهامات الهية وتحققه له انما يكون بالجد مع التفرغ واخلاص المقاصد فى الآداب المحمدية والاخلاق الاحمدية ومثل هذا لا يتم ابدما بقيت لنفسه بقية والحاصل ان المقام نعت للعبد يجده من العمل بالآداب الشرعية التى لا تتم الا بالتطلب والتصرف والتكلف مع مساعدة الهداية بالهبات الالهية (قوله من الآداب) أى انما يكون اكتساب العبد للمقام بعمله بالآداب المحمدية والطريقة الاحمدية وقوله عما يتوصل اليه الخ بيان وايضاح لقوله من الآداب (قوله ما ينال بتكسب الخ) أى فالمقام منزلة ودرجة لا يصلها العبد الا بدوام العبادة مع الاخلاص وحسن المراقبة (قوله فقام كل أحد موضع اقامته) قال أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى لا بد لكل مقام من علم وعمل وحال فالمقام يثمر علما والعمل يثمر حالا لان حركات الاجسام تابعة لحركات القلوب وحركات القلوب جارية بحركات الاجسام (أقول) ثم مدار الاعمال على الذكر وحسنه بالحضور وفيه ومع ذلك فر بما وجد ورعا فقد فلا يترك الذكر فى حالة الغفلة بل يدوم على الذكر مطلقا فعسى أن تسعه العناية قال صلى الله عليه وسلم للذى استوصاه لا يزال لسانك رطبا بذكر الله فلم يدله الا على ذكر اللسان وذلك لانه مقدور الانسان (قوله فقام كل أحد الخ) أقول اعلى أول المقامات الكاملة الانخلاع عن العادات والمألوفات وذلك هو التحقق بالعبودية موافقة لامر الحق بحيث لا تدعوه داعية الى مقتضى طبعه وعادته والله أعلم (قوله فقام كل أحد الخ) أقول فلا ينبغى لذى المقام أن يفتر عند عروض الغفلة فى حالة ذكره مثلا لان الذكر لا يتقيد بحالة حضور ولا غفلة على أن فى وجود الذكر مع الغفلة اقبالا بوجه ما والغفلة عنه اعراض بالكلية وفيه تزيين جارحة اللسان بالعبادة وفيه تعرض لنفحات رحمة الله فعسى أن يرفعه الى ماهو أعلى من ذكره (قوله موضع اقامته) محصله أن مقام العبد ما وفقه الله له من أنواع الطاعة وشغل قلبه به فى الوقت والساعة (قوله أن لا يتشوف) أى لا يتطلع الى غير ماهو فيه الى أن يرتقى الخ (قوله ما لم يستوف الخ) أى مدة عدم استيفائه أحكام ذلك المقام أى بل

(والمقام) بالفتح عند القوم (ما يتحقق) أى يتصف (به العبد بمنازلته) أى بنزوله فيه وانتقاله اليه باكتسابه له (من الآداب) بيان (عما يتوصل اليه بنوع تصرف ويتحقق) أى يتصف (به بضرب تطلب ومقاساة تكلف) فالمقام ما ينال بتكسب وتطلب أى مع الموهبة الى ان يكمل العبد فيه بخلاف الحال كما سيأتى وقوله عما الخ بيان للآداب (فقام كل أحد) بالضم وبالفتح (موضع اقامته) وقيامه (عند ذلك) أى عند اكتسابه ما يوصله اليه (وما هو مشتغل بالرياضة له) عطف تفسير على موضع اقامته عند ذلك (وشرطه) أى المشتغل بمقامه (أن لا يتشوف الى أن) (يرتقى من مقام الى مقام آخر) أرفع منه (ما لم يستوف أحكام ذلك المقام)

لان اشتغاله بالارفع يشغله عما هو فيه (فان من لاقناعة له لايصح له التوكل) أى من اشتغل بمقام القناعة ولم يحكمه لايصح منه أن يرتقى الى مقام التوكل ولكل مقام بدء ونهاية و بينهما احوال متفاوتة مثاله فى مقام الخوف من الله مثلا أن يبدأ بترك الكبائر خوفا من الله فاذا ارتقى عن ذلك ترك الصغائر أيضا ثم المكروهات ثم الشبه ثم التوسع فى الحلال الى أن ينتهى الى ترك كل ما يشغله عن الله (ومن لاتوكل له لايصح له التسليم وكذلك من لاتوبة له لاتصح له الانابة ومن لاورع له لايصح له الزهد) وسيأتى بيان هذه الالفاظ (والمقام) بضم الميم (هو الاقامة) كما مر (كالمدخل بمعنى الادخال والمخرج بمعنى الاخراج) قال تعالى وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق أى أدخلنى المدينة ادخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكرهه وأخرجنى من مكة اخراجا لا ألتفت بقلبى اليها (ولا يصح لاحد منازلة مقام) أى نزوله فيه بان يشتغل بما يتوصل به اليه (الابشهود) أى رؤية (اقامة الله اياه بذلك المقام) أى فيه (ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة) وهى رؤية فضل الله عليه فى اقامته فى ذلك المقام (سمعت الاستاذ أبا على) الدقاق (رحمه الله تعالى يقول لما دخل الواسطى نيسابور سأل أصحاب أبى عثمان) سعيد بن سلام المغربى بـ(ماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة) من حيث ان المجوس عبدوا النور والظلمة وجعلوا الخير من النور والشر من الظلمة فذكروا فاعلين مع الله فنبه الواسطى هؤلاء على أن شيخهم جعلهم فاعلين مع الله بقوله أمركم بالمجوسية المحضة

ووسعنى

يثبت فيما أقامه الله فيه حتى يتم له التحقق بكامل ما فيه من الاحكام (قوله لان اشتغاله بالارفع يشغله عما هو فيه) أى وذلك يؤدى الى فوات المقامين الرفيع والارفع حيث الاول سلم للثانى ودرجة توصل اليه وقوله فان من لاقناعة له لايصح له التوكل يوضح ما ذكرناه لان تفويض الامر الى من له الامر لايكون الابعد الرضا بما قسمه للعبد وعدم تشوقه الى زائد عنه (قوله ولكل مقام بدء) أى ابتداء وله غاية ايضا توصل الى أعلى منه فاول مقام فى الخوف ترك الكبائر ثم الصغائر ثم المكروهات ثم ما فيه شبهة وذلك أول مقام فى الورع ثم ترك التوسع فى الحلال وهو أول مقام الزهد وينتهى الى ترك كل ما يشغل عن الحق تعالى ثم بعد ذلك مقام التوكل ثم الرضا بما يجرى به القضاء لايم النفس أم لم يلايمها والله أعلم (قوله مثاله فى مقام الخوف) أى لامطلق نوع منه اذ هو مختلف باختلاف حال الخائف قربا وبعدا منه تعالى (قوله لايصح له التسليم) أى لانه سكون القلب وطمأنينته لما يجرى به القضاء ولا يتم الابعد التفويض لمن له الامر كله (قوله لاتصح له الانابة) أى لانها انما تنشأ عن التوبة (قوله لايصح له الزهد) أى لانه لا يتم معناه الا بالاعراض عن جميع الحظوظ وذلك لا يتحقق الا بالبعد عما فيه شبهة (قوله ولايصح لاحد منازلة مقام الخ) أى فلا بد للعامل أولا من عرض أعماله على أحكام الشريعة فما وافق دام عليه والا رجع عنه فتلزم المتابعة لسيد الكائنات فى كل ما يتوصل به من الاعمال الى نيل هذا المقام ثم بعد ذلك لا بد له من شهود رضاه تعالى بانه سبحانه وتعالى المتفضل عليه بالتوفيق فيما صار اليه وما سيصير له (قوله بالتزام الطاعات الخ) أقول انما كان أمره نفعنا الله به بالتزام الطاعات لان مبادى النهايات هى فروض العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج وذلك لان نهاية الصلاة كمال القرب ونهاية الصوم الامساك عن الرسوم الخلقية ونهاية الزكاة بذل ما سوى الله لخلوص محبة الله ونهاية الحج الوصول الى المعرفة والتحقق بالبقاء بعد الفناء لان المنازل كلها وضعت بازاء منازل السالك الى النهاية ومقام احدية الجمع والفرق (قوله فقال أمركم بالمجوسية المحضة) أقول ليس المراد له رضى الله عنه الحقيقة فيما ذكره ولا ذم الآمر لهم ولا ذمهم أنفسهم بل انما مراده حملهم بذلك القول حملا مبالغة على طلبهم الاشرف مما أمرهم شيخهم به وهو الفناء عن شهود العبادة والتبرى من الحول والقوة والرجوع الى انه تعالى هو المنعم والمتفضل فافهم (قوله أمركم بالمجوسية الخ) أقول لعل ذلك لان شأن الكامل حقه سعة قلبه وتحققه بحقيقة البرزخية الجامعة بين الامكان والوجوب فان قلبه أى الكامل من العبيد هو البرزخ كما يشير اليه خبر ما وسعنى ارضى ولا سمائى

(هلاأمركم بالغيبة عنها) بأن تتبرؤا من أفعالكم (برؤيته منشئها ومجريها) سبحانه وتعالى بان تروا انها من الله فضلا ورحمة عليكم فعلى العبد أن يرى فى كل مقام يتطلبه ان لهمعينا عليه فيبرا من المجوسية ومن رأى القدرية الذين أثبتوا لانفسهم أفعالا فانهم يضيفون الشر لانفسهم والخير الى الله تعالى وهو الله تعالى خالق كل شئ من خير وشر (وانما أراد الواسطى بهذا) الذى قاله لاصحاب ابى عثمان (صيانتهم عن محل الاعجاب) بانفسهم فيما التزموه من الطاعات (لاتعريجا) منه (فى أوطان التقصير) بان أمرهم بالتقصير فى الطاعات (او تجويزا) منه (للاخلال بادب من الآداب) بأن أمرهم أن يتركوا ايقاعها مطلقا وعلى أكمل وجوهها أى لم يأمرهم بشئ من ذلك *(ومن ذلك الحال* والحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب) وعطف على ذلك عطف تفسير قوله (ولا اكتسابلهم من طرب أو حزن) بكسر الحاء واسكان الزاى أى ورد وفى نسخة أو حزن (أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج او هيبة واهتياج) أى ثوران ولو بلا طرب (فالاحوال مواهب) ترق الى المقامات (والمقامات مكاسب) بمواهب لانها انما تنال بالكسب مع الموهبة كما مر

(مطلب الحال)

ووسعنى قلب عبدى المؤمن فافهم (قوله هلا أمركم بالغيبة عنها) أقول وهذا انما يتحقق باحصاء الاسماء الالهية فمن تحقق بذلك فى الحضرة الواحدية بالفناء عن الرسوم الخلقية والتحقق بالبقاء فى الحضرة الاحدية وصل الى هذا المشهد الاجل وصار من عباد الله الكمل (قوله وانما أراد الواسطى بهذا) أى وحاصله حب صيانتهم عن الاعجاب على ماشنع به فى قوله أمركم بالمجوسية المحضة والافكان يمكن افادة الغرض بعبارة غير شنيعة فكأنه جعل من أعجب بطاعته مجوسيا حيث نظر الى فعل نفسه مع غفلته عن مجريه المنعم به (قوله أى لم يأمرهم بشئ من ذلك) أقول بل قد أمرهم فى الضمن والاشارة بايقاع الطاعة على أكمل وجوهها على مالا يخفى على ذائق (قوله الحال الخ) أى فهى ماير دعلى القلب بمحض الموهبة من غير تعمد ولا اجتلاب من حزن أو خوف أو بسط أو قبض أو شوق أو ذوق ثم يزول بصفات النفس سواء يعقبه المثل أولا فاذا توالت ودامت الامثال فصارت ملكة كان ذلك مقاما واعلم ان الحال بداية والمقام نهاية والحال ما يتحول والمقام مالا يتبدل والحال له انصرام والمقام له الدوام وقد يطلق المقام على ماليس بمحمود كما تطلق الدركة على الدرجة ومثله يقال فى الحال فقس على هذا المنوال (قوله معنى يرد على القلب الخ) محصله انها واردات الهية ترد على قلوب العارفين بواسطة تنوير قلوبهم الناشئ عن دوام الجد والاجتهاد فى العبادة مع الاخلاص والمراقبة ولكن لا كسب للعبد فيها وانما هى مدارج للمطالب من رفيع المقامات مع ان مبنى الامر على الحال لا القال فارحل من أوحال القال الى أوطان الحال وقدم بين يدى نجواك صدقة صدق عزم ونية لا زخرف قول ودعوى (قوله من غير تعمد منهم) أى ولذا قال أبو محمد عبد القادر الكيلانى رحمه الله الوارد الالهى لا يرد باستدعاء ولا يذهب بسبب ولا يأتى على نمط واحد ولا فى وقت واحد والطارق الشيطانى بخلاف ذلك فتدبر (قوله ولا اجتلاب) أى وانما هى المواهب الفائضة على العبد من ربه اما ميراثا للعمل الصالح أو امتنانا محضا (قوله ولا اكتساب لهم الخ) أى لان التنزلات العرفانية على القلوب القدسية لا ترد الا فجأة دون روية واستعداد وتوقيت وقد ترد عن استعداد وذلك أقل القليل بل يكاد أن يكون معدوما (قوله من طرب الخ) بيان للحال (قوله وفى نسخة أو حزن) أى وعلى هذه النسخة يكون قوله بعد ذلك أو قبض من ذكر الاعم بعد الاخص واعلم انه سيأتى له نفعنا الله به بيان حقيقة كل لفظ من المذكورهنا (قوله فالاحوال مواهب) أى تنشأ عن الهبات الالهية لا مدخل للكسب فيها وقوله والمقامات مكاسب أى تنال بكسب العبد وطلبه بمساعدة الهبات واعلم ان المقامات قد تكون ذميمة فانظر الى مانسب اليه الانسان الحامل للامانة من الظلم والجهل وذلك لان الحمل يستدعى قوة وقدرة وليس للعبد ذلك وعوفيت السموات والارض والجبال من ذلك لوقوفها على حد العجز وفى ذلك معرفة بالنفس اللازم منه

فالعبد بالاحوال يترقى الى المقامات الممتزج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح له حال من مقام أعلى من مقامه الاوقد قرب ترقيه اليه فلا يزال العبد يترقى الى المقامات بزيادة الاحوال (و) يقال أيضا (الاحوال تأتى من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود وصاحب المقام متمكن) وفى نسخة ممكن (فى مقامه وصاحب الحال مترق) وفى نسخة مرق (عن حاله) فالمقامات مستقرة والاحوال متغيرة قال العلامة القونوى والتحقيق ان الجميع مواهب الا ان المقامات يظهر فيها الكسب ويبطن فيها الموهبة والاحوال بالعكس وقد تصير الاحوال مقامات وذلك عند استقرارها وأسبابها وهى الطاعة قد يعرفها العبد وقد لا يعرفها أصلا وقد لا يعرفها فى الحال كأن يجد من نفسه القبض والبسط ولا يعرف سببه لغفلة أو نسيان (وسئل ذو النون المصرى عن) حال (العارف) بالله (فقال كان ههنا) أى فى العارف (فذهب) عنه لاشتغاله عنه بمن خصه به وتولاه (وقال بعض المشايخ) من الصوفية (الاحوال كالبروق) فى سرعة زوالها

معرفة الرب والعارف لا يلام وانما يلام الجاهل فتأمل ماوقفت له الجادات وحجبت عنه أصحاب الادراكات حيث كان عين علمه عين جهله وعين عدله عين ظلمه فظهر الجهل الباطن وبطن العلم الظاهر وكذلك العدل والظلم فان الانسان انما حمل الامانة تعظيما لمقام الربوبية وخوفا من السقوط عن وظائف العبودية فخاف من شئ فوقع فيه وهذا سر الله فى خليقته فخاف يعقوب على يوسف فوقع فيما فيه خاف وكذا آدم عليه السلام خاف من مفارقة الجنة فوقع فيها ولذا قيل انما حرموا الوصول من تضييع الاصول فافهم (قوله فالعبد بالاحوال يترقى الخ) أى لان الاحوال مبادى للمقامات ولذلك قيل اذا دامت الحال صارت مقاما لصاحبها (قوله الممتزج فيها الكسب بالموهبة) أى حيث التوفيق لا يكون الا منه تعالى وحينئذ فقوله والمقامات مكاسب أى تحقق بالكسب من العبد هو باعتبار ظاهر الحال وفى الحقيقة لولا التوفيق والهداية لما تحقق للعبد بنفسه شئ من حال أو مقام (قوله ولا يلوح له حال الخ) أى لان الاحوال مدارج للمقامات كما قدمناه (قوله فلا يزال العبد يترقى الخ) أقول والغاية فى الترقى بحسب سابق القسمة الازلية بموافقة الحكمة العلية (قوله من عين الجود) اى الفضل والكرم وقوله والمقامات تحصل ببذل المجهود أى الجهد والطاقة هذا ومن أمعن النظر علم أن كلا من الحال والمقام يحصل من عين الجود فما ذكره المؤلف باعتبار ظاهر الحال باثبات الكسب فى المقام وسيأتى للشارح التصريح بذلك (قوله متمكن) أى بثبوته فى مقامه حتى ينقله الحق تعالى الى غيره مما هو أكمل منه بواسطة جده فى الطلب (قوله وفى نسخة ممكن) أى لكونه مكنه الله فيه وثبت له القدم عليه فممكن يقرأ على صيغة المفعول ومثله قوله بعد مرق (قوله والتحقيق الخ) أى فما ذكر أولا من أن الاحوال مواهب والمقامات مكاسب انما هو باعتبار الظاهر وشاهد العلم اما بالنسبة للتحقيق فالجميع مواهب حيث العبد محل لتصريف الحق تعالى (قوله وأسبابها الخ) هو من جملة ما للقونوى من التحقيق وحاصل تحقيقه أن الجميع مواهب أى حاصلة بطريق الهبة والمنة والفرق بين المقام والحال انما هو بالنظر الى خفاء السبب وظهوره فى كل منهما هذا محصله وهو الحق والله أعلم (قوله كان ههنا) أى فى ذاته وقوله فذهب أى باعتبار حاله أى فذهب عنه ذلك الحال لاشتغاله عنه بمن خصه به وتولاه وهو الله تعالى ويحتمل أنه يشير الى مقام محو العبادة وعين العابد فافهم (قوله الاحوال كالبروق الخ) أى وانما كانت كذلك لاجل صيانتها عن أن يدعيها العباد بواسطة وجود الاستعداد فتكون مبتذلة فيبطل سر التخصيص ولانها من بساط عزيز وما كان من عزيز لا ينبغى أن يكون الا عزيزا ولتعظيم المنة بها وتحقيق الشكر على المواجهة بها على قدرها فقد قيل اذا عمت النعم صغرت وكفرت واذا خصت عظمت وشكرت والله أعلم (قوله كالبروق) أى ومنها اللوائح واللوامع والطوالع على قول وهى مختلفة فى القوة على

(فان بقى) شئ منها مع العبد (فحديث نفس) أى فالباقى حديث نفسه بالحال لانفس الحال (وقالوا) أيضا (الاحوال كاسمها يعنى) كل منهم (أنها كما تحصل بالقلب تزول فى الوقت) أى فى الحال وهذه الكاف تسمى كاف المبالغة والمبادرة ولا حاجة لقوله فى الوقت (وأنشدوا * لو لم تحل) أى الحال (ما سميت حالا * وكل ما حال فقد زالا * انظر الى الفئ اذا ما انتهى * يأخذ فى النقص اذا طالا *) أى اذا انتهى طوله فهو تأكيد للشرط قبله أى عند انتهائه يأخذ فى الزوال بسرعة فكذا الحال فالاحوال لا تبقى (وأشار قوم الى بقاء الاحوال ودوامها وقالوا انها اذا لم تدم ولم تتوال فهى لوائح وبواده) من لاح له المعنى وبدهه فلم يثبت له (ولم يصل صاحبها بعد الى الاحوال) لعدم بقائها لكنه يصل اليها فهى باقية (فاذا دامت تلك الصفة) وتوالت (فعند ذلك تسمى حالا وهذا أبو عثمان الحيرى يقول) لى (منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته أشار) بذلك (الى دوام الرضا والرضا من جملة الاحوال) حيث توالى وأنت خبير بان ذلك كله انما يدل على بقائها ان توالت أمثالها فاذا توالت أمثالها سميت أحوالا والا فلوائح وبواده ومن ثم اختار ماذكره بقوله (فالواجب فى هذا) البحث (ان يقال ان من أشار الى بقاء الاحوال فصحيح ما قال فقد يصير المعنى) أى الحال بتواليه (شربا) بكسر أوله أى حظا يعنى مقاما (لاحد فيربى) أى الاحد (فيه ولكن لصاحب هذه الحال) أى الشرب وهو المقام (أحوال هى طوارق لا تدوم) يكون أول مقام آخر (وأحواله هذه (فوق أحواله التى صارت شربا له فاذا دامت هذه الطوارق) أى الاحوال بتواليها (له كما دامت الاحوال المتقدمة ارتقى الى أحوال أخر فوق هذه) الاحوال (والطف من هذه) أى منها فاقام الظاهر مقام المضمر (فابدا يكون) هو (فى الترقى) فى الدرجات العلية *(سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم

حسب هذا الترتيب أى فالثانية أقوى من الاولى والثالثة أقوى منها ومن الثانية (قوله فان بقى شئ منها الخ) أى والكلام فيمن لم تتوال عليه الاحوال أما هو فقد تصير له مقاما (قوله وقالوا الاحوال كاسمها) أى فالمسمى قد أخذ حظا من الاسم فكما لا يبقى حال الاوقات لا يبقى مسمى الواردات (قوله ولا حاجة لقوله فى الوقت) فيه أنه يحقق معنى قوله قبل كاسمها (قوله وأنشدوا الخ) أورده استشهادا على ما قبله من أن الحال كاسمها فقوله لو لم تحل ما سميت حالا أى فالتسمية لمناسبة فى المعنى والحقيقة وقوله انظر الى الفئ الخ الغرض التشبيه فى سرعة الزوال فى كل كما نص عليه الشارح (قوله وأشار قوم الخ) الذى يظهر ان مرادهم بذلك توالى الامثال وتكررها فكأنها بذلك تشبه الباقية (قوله من لاح له المعنى) أى بدا له وظهر (قوله وبدهه) أى فجأه وبغته (قوله ولم يصل صاحبها الخ) أى فهى انما تسمى لوائح وبواده مدة عدم تواليها على صاحبها ثم هى اذا توالت عليه تسمى حينئذ حالا لا لائحة ولا بادهة (قوله ما أقامنى الله فى حال فكرهته) أقول وذلك دليل كماله رضى الله عنه حيث قنع بما أراده مولاه وقضاه علما منه بان مختار الله خير مما يختاره هو باشارة خبر لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع ولذلك قيل لا تكونوا بالرزق مهتمين فتكونوا للرازق متهمين فافهم (قوله ما أقامنى الله الخ) أى اكتفاء بالمدد الوجودى وهو وصول كل ممكن الى ما يحتاج اليه فى وجوده على الولاء حتى يبقى فان الحق يمده من النفس الرحمانى بالوجود حتى يترجح وجوده على عدمه الذى هو مقتضى ذاته وكل ذلك على وجه الحكمة العلية وحينئذ فلا فائدة لتشوف غير ما فى علم الله الذى هو على وجه الحكمة (قوله أشار بذلك الى دوام الرضا) أى بسبب عدم طلب التغيير حيث فهم ان الطلب كله معلوم الا ما كان من وجه العبودية والقيام بحق الربوبية فافهم (قوله وأنت خبير الخ) محصله ان الطوارق للقلوب من باب فتح علام الغيوب ان توالت أمثالها تسمى حالا وتبقى باعتبار ذلك التوالى وان توالت وكانت غير أمثال يقال لذلك لوائح وبواده وهى غير باقية ولا تسمى حالا بسبب ذلك الاختلاف (قوله فالواجب الخ) مراده تحقيق ذلك البحث وحاصله ان الحال ان توالت على معنى واحد وأمثال متحدة تصير لمن توالت على قلبه مقاما يربى فيه ومع ذلك ترد له أحوال أخر لا تدوم شرفها أعلى مما صارت له مقاما فان دامت كذلك صارت مقاما آخر أيضا وهكذا

يقال في غير ذلك مما يرد على قلب الانسان والله أعلم (قوله انه ليغان على قلبي الخ) أقول والله أعلم بأسرار كلام رسوله ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم في بعض أوقاته الشريفة تغلب عليه سطوات سواطع أنوار الحقيقة حتى يفنى عن نفسه بل وعن فنائه ثم يعيده الحق تعالى الى مقام الصحو والاحساس لاداء أحكام الشريعة وابلاغها فيستغفر الله تعالى كثيرا على معنى طلب الستر عن تلك السطوات ليدوم على مقتضى حكمة الارسال من التبليغ وأداء الاحكام هذا وقال بعضهم في معنى ذلك انه للاشارة الى ما عساه يعتور بعض قلوب السائرين من أولى النهى المقربين باستحسان الحال والغفلة عن شهود الافضال اذ الافعال وان انتسب حكمها الى العبد شرعا فهي ليست له بالحقيقة علما وا الحقائق ثلاثة التجلي الفعلي وبابه الفناء عن شهود فعل العبد والتجلي الاسمائي والصفاتي وبابه الفناء عن أسماء وصفات العبيد والتجلي الذاتي الجمعي وبابه الفناء عن عينه وانيته قيل والدليل على هذه الحقائق قوله في الخبر حتى أحببه الحديث هذا ولا يخفى عليك انه لا تنال هذه الحقائق الا بان أحكم الشريعة اذ من رام الطريقة أحكم الشريعة ومن رام الحقيقة أحكم الطريقة هذا والاحتمال الاول الذي ابديته في معنى الحديث الشريف ربما كان لائقا بمقامه صلى الله عليه وسلم والاحتمال الثاني غير لائق بشريف مقامه عليه الصلاة والسلام اذ استحسان الحال والغفلة عن شهود الافضال غير لائق بكمل أتباعه صلى الله عليه وسلم فضلا عنه ثم ان قيل انه باعتبارهم صح على ان الاخف في سلوك طريق الادب معه عليه الصلاة والسلام حمل الاغيان في الحديث الشريف على الانوار المتفاضلة التي تحصل له في ترقيه فيعد المفضول غينا بالنسبة للفاضل والفاضل غينا بالنسبة للافضل ولهذا المعنى أشار بعض المحبين حيث قال هي أغيان أنوار لا أغيان أغيار ويصرح بهذا الاحتمال كلام أبي على الدقاق الذي ذكره المؤلف فتمسك به ولا تعدل عنه (قوله انه ليغان على قلبي الخ) قال بعضهم هي أغيان أنوار لا أغيان أغيار على معنى انها بالنسبة لما ينتقل اليه صلى الله عليه وسلم من الرتب والدرجات بواسطة ترقيه يعد ما قبلها أغيانا وان كانت في نفس الامر أنوارا (قوله انه كان عليه السلام أبدا في الترقي الخ) اعلم ان النبوة على قسمين نبوة تعريف ونبوة تشريف فالاولى هي الانباء عن معرفة الذات والاسماء والصفات والثانية بجميع ذلك مع تبليغ الاحكام والتأديب بالاخلاق والتعليم بالحكمة والقيام بالسياسة فما ذكر هنا من الغين في مجالي الثانية (قوله أبدا في الترقي) أي ويؤيده ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى من ان المعنى وللحظة المتأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة أي من حيث ما يحصل لك فيها من الترقي فهو صلى الله عليه وسلم وان كان كاملا في ذاته غير ان الكامل يقبل الكمال كما هو غني عن البيان (قوله فكان يعدها غينا) أقول لما كان صلى الله عليه وسلم مظهر أسمائه تعالى

انه ليغان) أي يغطى (على قلبي حتى استغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة) وفي رواية أكثر من سبعين مرة وفي رواية أكثر من مائة مرة (انه كان عليه السلام أبدا في الترقي من أحواله) الى أحوال اخر (فاذا ارتقى من حالة الى حالة أعلى مما كان فيه فربما حصل له ملاحظة) وهو في حالته التي ارتقى اليها (الى ما ارتقى) أي حالته التي ارتقى (عنها فكان يعدها غينا) أي سترا رقيقا يعني تغطية القلب

(بالاضافة الى ما) أى حالته التى (حصل فيها) فاستغفر الله سبعين مرة فقال أستغفر الله وأتوب اليه وقيل قال ذلك على جهة التعليم لامته لغلبة الخطا عليهم وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان كلما ذكر أمته ومايكون منهم بعده استغفر الله لهم وقيل ان الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة للعبودية كما قال فى ملازمة العبادة أفلا أكون عبدا شكورا (وأبدا كانت أحواله) صلى الله عليه وسلم (فى التزايد) والترقى (ومقدورات الحق سبحانه) وتعالى (من الالطاف لانهاية لها فاذا كان حق الحق تعالى العز) أى الرفعة (وكان الوصول اليه بالتحقيق محالا فالعبد أبدا فى ارتقاء أحواله فلا معنى) أى حالا (يوصل اليه الا وفى مقدوره سبحانه) وتعالى (ماهو فوقه يقدر أن يوصله اليه وعلى هذا يحمل قولهم حسنات الابرار) أى أوائل الدرجات التى نالوها (سيآت المقربين) لنزولها عن درجتهم * (وسئل الجنيد عن هذا) أعنى عن قولهم حسنات الابرار سيآت المقربين (فانشد) جوابا للسائل

(طوارق أنوار تلوح اذا بدت ... فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع)

أى المقامات أولها طوارق تلوح اذا ظهرت ونهايتها انها اذا قويت بعد ظهورها أظهرت الجمع وكمال الحال وكتمان السر فاول المقام طوارق ونهايته جمع وكمال حال وكتمان سر فأشار بالاول الى مقام الابرار وبالثانى الى مقام المقربين * (ومن ذلك القبض والبسط

وبجلالها ومن جملتها جبار وقهار ومنتقم وأمثالها فيحتمل أنه غلب عليه صلى الله عليه وسلم تجليها فى مشهد العبودية فاثبت لذاته الشريفة غينا واستغفر منه وهو لايقتضى نقصا بل ذلك من الكمال الانفس والله أعلم (قوله بالاضافة) أى بالنسبة الى حالته التى حصل فيها أى التى تحققه ولابسها وهذا كما ترى لاينافى ان الحالة الاولى من درجات الكمال العلية (قوله وقيل قال ذلك على جهة التعليم لامته) أى ولو الكاملين منهم اذ لايخلو الانسان عن تقصير فى حقه سبحانه وتعالى كما يشير اليه خبر سبحانك ماعبدناك حق عبادتك (قوله وقيل انه كان كلما ذكر أمته الخ) أقول هو فى غاية الوجاهة وصحة المعنى فى طريق الادب معه صلى الله عليه وسلم (قوله وقيل ان الاغانة حالة خشية واعظام الخ) أى ومنشأ ذلك نوع من تجلى الجلال المناسب لعبوديته صلى الله عليه وسلم (قوله ومقدورات الحق الخ) كالدليل لما قبله من دوام التزايد له وكذا يكون الحال لغيره من خواص أمته والله أعلم (قوله محالا) أى لان رفعته تعالى من غير نهاية ومن ذلك استحال الوصول اليها (قوله وعلى هذا يحمل قولهم الخ) أى على ماتقدم من ثبوت العز أى الرفعة له تعالى واستحالة الوصول الى ذلك يحمل قولهم حسنات الابرار الخ أى فان العبد كلما وصل الى حال ومقام أرقى مما كان له ولا يرى ان ما كان له فى الانحطاط كالسيئة بالاضافة الى ماوصل اليه والله أعلم (قوله طوارق أنوار الخ) أقول حاصل المقامين منه ان يقال من سبق له الاصطفاء والاختيار وقدر له أن يكون من الابرار يوفق الى المتابعات فيحلى بحلية أهل العنايات وتفاض الانوار على سره وتتوالى طوارق الواردات على قلبه فيندرج بذلك فى على المقام ويحضر بنعت ذوى الكمال فيدوم مشاهدا للحق بالايجاد ويستقر على نيل معالى الامداد فيستوى منه الباطن والظاهر لما يجريه فيه رب تلك المظاهر ثم اذا ترقى بتوالى الواردات وتحقق فى رتب أهل السيادات تزايدت على سره الانوار فيخفى عما منح من الاسرار حتى عن نفسه مع العالمين بالثبوت فى مقامات المقربين فيكون دائما على شهود الحق قبل الخلق ويثبت على هذا الطريق الاحق هذا معنى تلك الاشارات وحل رموز هاتيك العبارات تدبر تفهم وربنا بالحال أعلم (قوله القبض والبسط) قال السهروردى فى عوارف المعارف اعلم أن القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لايكونان قبله ولا بعده ووقتهما وموسمهما فى أوائل حال المحبة الخاصة لا فى نهايتها ولا قبل حالة المحبة الخاصة فمن هو فى مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الايمان لايكون له قبض ولا بسط وانما يكون له خوف ورجاء وقد يجد شبه حال القبض والبسط ويظن العبد ذلك قبضا وبسطا وليس هو ذلك وانما هو غم يعتريه فيظنه قبضا واهتزاز نفسانى ونشاط طبيعى فيظنه بسطا والهم والنشاط يحدثان ويصدران من محل النفس ومن جوهرها البقاء

صفاتهم اذا دامت فى صفة الامارة بقية على النفس يكون فيها الاهتزاز والنشاط فالهم هو وهج ساجور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى من حال المحبة العامة الى أوائل المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوّامة ويتناوب القبض والبسط منه عن ذلك لانه ارتقى من رتبة الايمان الى رتبة الايقان فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى اه فتحصل ان البسط فى مقام القلب بمثابة الرجاء فى مقام النفس فهو وارد تقتضيه اشارة الى قبول والطف ورحمة وأنس ويقابله القبض فهو كالخوف فى مقام النفس ثم البسط الاشارة بقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا اذ معناه على طريق القوم وعد الله الذين آمنوا يعنى أنفسهم بمعنى صيروها آمنة من الغضب والحسد والاعراض والبعد فالمؤمن الذى هذا حاله هو صاحب القلب المطمئن بقهر جند الامارة واللوّامة بالعقل واليه الاشارة بقوله منكم فان القلب من جملة المعانى التى مدت منها النفس وانما أمنت النفس من الحجاب بواسطة القلب وبواسطة العقل القاهر لها بالاعمال الصالحة واصلح الاعمال معرفة الله تعالى ومحبته المثمرة للاحوال السنية التى من جملتها السكر بخمر مشاهدة جمال أوصاف محبوبها والشكر له وخلقه والاستخلاف جعلها اى القلوب خليفة فى أرض الوجد والذوق والقرب والانس التى حلها من قبلها رجال الهيبة وأقاموا فيها وترقوا عنها الى ما فوقها من سموات الرفعة والمجد بعلو الهمة وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم اعلم أن ظاهر الدين هو الاسلام وباطنه جزاؤه فالمراد الجزاء ومنه وما أدراك ما يوم الدين اى كتبه وقسمه وارتضاه وقدره وامضاه فى سابق علمه وهو أنواع أعلاها رضوانه ولذة النظر الى وجهه تعالى وليبدلنهم من بعد خوفهم من تجليات جلاله امنا بذوق سعة كرمه وفضله ورحمته ثم اعلم أن القبض يلزمه خشية ولهذا قال بعضهم ان هذه الحالة تستلزم الفنا فكانت موتا ومع ذلك يصح فيها للعبد المقرب ان يتقاضى مقاما اوحالا على جهة فصمت سكوت والهوى يتكلم وكقوله

فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها ◦ ولم تر قبلى ميتا يتكلم

(قوله وهما حالتان الخ) محصله ان القبض والبسط بمنزلة الخوف والرجاء الثابت كل منهما للمبتدى الزاجران له عن المخالفات والقائدان لفعل المأمورات والقبض والبسط مثلهما بالنسبة لمن ترقى عن درجتهما والفرق اعتبار الحال فى القبض والبسط والاستقبال فى الرجاء والخوف اه واعلم أن القبض والبسط مظهران من مظاهر اسمه تعالى القابض والباسط فهو تعالى يقبض ويبسط فى الاموال والارواح والاشباح والاسرار والاخلاق والارزاق والعارف اذا بسط أخوف منه اذا قبض لان النفس جموح لها بطر اذا نشقت روائح الراحة بدليل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه

وهما حالتان) تحصلان للعبد (بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف) اى للمبتدى خوفه وهو المريد (والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف) ايضا

(ومن الفصل) اى الفرق (بين القبض و الخوف) الذى هو بمنزلته (و) بين (البسط والرجاء) الذى هو بمنزلته (ان الخوف انما يكون من شئ) يحصل (فى المستقبل اما) لكونه (أن يخاف) منه (فوت) أمر (محبوب اوهجوم) أمر (محذور وكذا الرجاء انما يكون بتأميل) اى برجاء حصول امر (محبوب فى المستقبل ٣٥ او بتطلع زوال محذور وكفاية مكروه فى المستأنف) اى المستقبل (وأما القبض فلمعنى حاصل فى الوقت وكذلك البسط) معنى ذلك ان العبد قد يتقدم له الخوف من ضرر يخشاه فى المستقبل فاذا حل به انقبض والرجاء تأميل حصول محبوب فى المستقبل فاذا حصل انبسط فمتعلق الخوف والرجاء أمر يحصل فى الآجل ومتعلق القبض و البسط أمر يحصل فى الوقت العاجل كما أشار الى ذلك بقوله (فصاحب الخوف والرجاء تعلق قلبه فى حالتيه) اى خوفه ورجائه (بآجله وصاحب القبض والبسط أخيذ) اى أسير (وقته بوارد غلب عليه فى عاجله) وكل منهما قد يعرف المتصف به سببه وقد لايعرفه وقد يكون عرفه ونسيه كما مر (ثم تتفاوت نعوتهم) اى أوصافهم (فى القبض والبسط على حسب تفاوتهم فى أحوالهم فمن وارد يوجب قبضا) فيحصل (ولكن يبقى) فى صاحبه (مساغ للاشياء الاخر) المغايرة لاحواله المشتغل هو بها من المحادثات والمكالمات وقضاء الحاجات (لانه غير مستوفى) بل بقى فيه بقية كما مر (ومن مقبوض) يعنى ومن وارد يوجب لصاحبه قبضا (لامساغ لغير وارده فيه لانه مأخوذ عنه بالكلية بوارده كما قال بعضهم) جوابا لمن طلب منه كلامه (أنا ردم) اى لامساغ فى (وكذلك المبسوط قد يكون فيه بسط يسع الخلق فلا يستوحش من أكثر الاشياء ويكون مبسوطا) منشرح الصدر

استغنى (قوله ومن الفصل اى الفرق الخ) محصله ان الخوف والرجاء انما يكونان باعتبار متعلقهما مما يحذر أو يؤمل فى المستقبل وأما القبض والبسط اللذان يكونان بدلهما للعارف فانما يكونان باعتبار متعلقهما كذلك فى الحال وتوضيح الكلام يعلم من المقام ومن عليك السلام (قوله معنى ذلك) اى معنى ماذكره من الفرق بين الخوف والرجاء وبين القبض والبسط الذى محصله اعتبار الاستقبال فى الخوف والرجاء والحال فى القبض والبسط (قوله فصاحب الخوف والرجاء الخ) تفريع على ما قدمه من الفرق على مالايخفى (قوله وصاحب القبض والبسط الخ) اى فهو حينئذ لاينظر الا بمظهر ماتجلى عليه فيه ربه ولذا قيل من المقت احداث ما ليس فى الوقت (قوله وكل منهما) اى من القبض والبسط قد يعرف المتصف به سببه أى قد يعرف السبب المترتب عليه ذلك القبض والبسط وقد لايعرفه او ينساه (قوله ثم تتفاوت نعوتهم) يريد انه باعتبار القبض والبسط شدة وضعفا تختلف أحوال من اتصف بهما كذلك واعلم انه يقال لمثل أحوالهم نفعنا الله ببركاتهم الاعراف وهو مقام الاشراف اى ويشهد له قوله سبحانه وتعالى وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم فافهم (قوله انا ردم) اى مردوم بمعنى مستوفى فى حال القبض (قوله وكذلك المبسوط الخ) اى و يقال له البسط فى مقام الخفاء وهو أن يبسط الله العبد مع الخلق ظاهرا و يقبضه اليه باطنا غيرة منه عليه فهو حينئذ يسع الاشياء ولايسعه شئ ويؤثر فى كل شئ ولا يؤثر فيه شئ فافهم (قوله ويكون مبسوطا منشرح الصدر لايؤثر الخ) اى وذلك لان الخوف غالبا بل مطلقا انما يكون فى الطريق وأما من دخل مصر الامن وحصل فى قصر القرب وجلس فى حضرة بسط الوصل فلا خوف عليه ولا حزن كيف وقد نادى الشاويش اليوسفى الجمالى فى حق المتيمين ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وأنشد مطرب العيش الرغد مشيرا عن موائد الفرد الصمد

سكن الفؤاد فعش هنيأ يا جسد ◦ هذا النعيم هو المقيم الى الابد
عش فى أمان الله تحت ظلاله ◦ لا خوف فى هذا الجناب ولا نكد

الى آخر ما قال فتدبره قال الواسطى يقبضك عمالك ويبسطك فيماله أقول وجود القبض انما هو لظهور صفة النفس اللوامة وغلبتها والبسط لظهور صفة القلب وغلبتها لان النفس اللوامة تارة تكون غالبة وتارة تكون مغلوبة والقبض والبسط باعتبار ذلك فصاحب القلب تحت حجاب نورانى بوجود قلبه كما ان صاحب النفس تحت حجاب ظلمانى

(لايؤثر فيه) اى لايكدره (شئ بحال من الاحوال سمعت الاستاذ أباعلى الدقاق رحمه الله يقول دخل بعضهم على ابى بكر القحطى وكان له ابن يتعاطى مايتعاطاه الشبان) من اللهو واللعب (وكان ممر هذا الداخل على هذا الابن واذا هو مع أقرانه فى اشتغاله بطالته) ولهوه (فرق قلبه) اى خاف (وتألم للقحطى وقال مسكين هذا الشيخ كيف ابتلى بمقاساة هذا الابن) قاله ظنا منه انه عارف بحاله (فلما دخل على القحطى وجده كانه لاخبر له عما) وفى نسخة بما (يجرى من ابنه من الملاهى) واللعب (فتعجب منه وقال فديت) بالبناء للمفعول (ممن لاتؤثر فيه الجبال الرواسى فقال القحطى) لفهمه انه عناه بمقاله (انا قد حررنا) بضم الحاء (عن رق الاشياء فى الازل) هذا يحتمل انه علم بحال ابنه لكنه لم يشتغل به لما خصه به مولاه من كمال اشتغاله به وبمناجاته ويحتمل انه لم يعلم به وقال له ذلك جوابا للتعجب من حاله وفيه أيضا دليل على كمال اشتغاله بمولاه وعلى كمال بسطه بما هو فيه من فضل ربه (ومن أدنى موجبات القبض) الحاصل للعبد (أن يرد على قلبه وارد موجبه) بكسر الجيم (اشارة الى) استحقاق (عتاب او رمز) باستحقاق تأديب) على تقصير (فيحصل فى القلب لامحالة قبض وقد يكون موجب بعض الواردات) على قلبه (اشارة الى تقريب) من الله اليه (او اقبال) منه عليه (بنوع لطف وترحيب) من قولك رحبت به اذا قلت له مرحبا اى سعة (فيحصل للقلب بسط) واتساع

بوجود نفسه فاذا ترقى من القلب وخرج من حجابه لايقيده الحال ولا يتصرف فيه فلا يعتريه قبض ولا بسط فاذا عاد الى الوجود من الفناء يعود الى الوجود النورانى الذى هو القلب فيعود القبض والبسط اليه عند ذلك بحسب غلبة صفات النفس اللوامة والقلب فبغلبة صفات النفس اللوامة يكون القبض وبغلبة صفات القلب يكون البسط والله أعلم (قوله لايؤثر فيه شئ) اى ويقال لذلك الاصطلام وهو الوله الغالب على القلب الذى هو قريب من الهيمان واعلم ان كلا من القبض والبسط قد يكون محمودا ومذموما فاذا قبضك اليه حمد واذا قبضك عنه ذم واذا بسطك به أوله اوفيه حسن او بك اولك اوفيك قبح فالحسن وصف أسمائه والقبح نعت أوصافك ثم قد يقبض الله العبد عن معرفة الخلق به اليه صونا له وحفظا فيكون من افراد مدده الذين صانهم فى حجاب عزه وسرادقات حفظه وقد يقبض عنه بعض الخلق دون بعض عناية به وبذلك البعض الذين عرفهم به وابعادا للبعض الآخر صونا له عنهم وقد يقبضه حتى عن نفسه فلا يحس بوجوده لاصطلام شهوده ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وقد يبسط همة العارف بحيث انها لاتسمو الى مؤانسة غيره وقد تلطف فيبسطه لمباسطتهم مع صونه عنهم فيعرفهم ولا يعرفونه ولذا قيل الرجل من عرفهم وهو مجهول وقد يبسطه لهم ويبسط لهم مامنحه من معارفه فينصبه هاديا مرشدا لهم والله اعلم (قوله فتعجب منه) اى فكان الشيخ من الذخائر وهم قوم من أولياء الله تعالى يدفع بهم البلاء عن عباد الله تعالى كما يدفع بالذخيرة وفيهم سعة لكل شئ (قوله هذا يحتمل أنه علم بحال ابنه الخ) أقول الاولى اسقاط هذا الاحتمال اذ هو الظاهر من المقام ويدل لذلك قوله كانه لاخبر له عما يجرى من ابنه الخ (قوله ويحتمل انه لم يعلم به) فيه انه بعيد من المقام والله أعلم (قوله ومن أدنى موجبات القبض) اى أقل شئ يوجب غلبة القبض على قلب العبد اشارة الخ وذلك منه تعالى لطف بعبده كما لايخفى (قوله ومن أدنى موجبات القبض الخ) هذا شروع فى بيان بعض الاسباب التى يترتب عليها كل من القبض والبسط (قوله فيحصل للقلب بسط الخ) قال فى لطائف المنن البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب وارجى لوجود السلامة لانه موطن العبد اذ هو فى سر قبضة الله على ان القبض هو اللائق بهذه الدار اذ هى محل التكليف وخوف الخاتمة بسبب عدم علم السابقة وقد قالوا ان القبض للارواح والبسط للارتياح والقبض حق الحق منك والبسط حظك منه ولان تكون بحق ربك أولى من أن تكون بحظ نفسك قال صاحب الحكم ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك فالعارف من قصر نظره على الله واعتبر بما وصاه مما به يتولاه فاذا واجهه بجمال ذكر جلاله واذا واجهه بجلال ذكر جماله فهو لاييأس من الله فى شئ ولا يأمن منه فى شئ لان ظواهر الاخبار لاتقضى على باطن

(وفى الجملة قبض كل أحد على حسب بسطه) اى على قدره قوة وضعفا (وبسطه على حسب قبضه وقديكون) اى يوجد (قبض) ينشئه الله بغتة (يشكل على صاحبه سببه) كان (يجد فى قلبه قبضا لايدرى موجبه ولاسببه) هو عطف تفسير (فسبيل صاحب هذا القبض التسليم) و الصبر (حتى يمضى) عليه (ذلك الوقت) الذى فيه القبض و يفرج عنه (لانه لوتكلف نفيه) اى القبض (او استقبل الوقت) اى وقت القبض (قبل هجومه عليه) بأن رفعه عنه (باختياره زاد) ذلك (فى قبضه ولعله يعتد) بمعنى يعد (ذلك منه سوء أدب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض) ببركة التسليم (فان الحق سبحانه) وتعالى (قال والله يقبض و يبسط وقد يكون) اى يوجد (بسط يرد) على العبد (بغتة و يصادف صاحبه فلتة لايعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه) اى يستخفه (فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الادب فان فى هذا الوقت) اى فان (له) فى هذا الوقت (خطرا عظيما فليحذر صاحبه مكرا خفيا كذا قال) لوقال كما قال كان أولى وفى نسخة قال (بعضهم) بدون كذا (فتح على باب من البسط فزلت زلة فحجبت عن مقامى ولهذا قالوا قف على البساط واياك والانبساط) البساط ما جعل للعبد والانبساط ما فعله بنفسه واختاره

الصفات فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون فهو اذا عاين صورة خوف رجا الفضل واذا عاين صورة أمن خاف العدل وربما يفهم ذلك من حديث الغار وحديث بدر اذ قال أبو بكر رضى الله عنه فى الاول يارسول الله لونظروا الى أقدامهم لرأونا فقال عليه الصلاة والسلام لاتحزن ان الله معنا وكان يقول يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لم تعبد فيقول أبو بكر دع مناشدتك ربك فانه وعدك بالنصر فكان أبو بكر فى مقام الثقة بالله ورسول الله فى موقف النظر لاتساع علم الله وهو أتم تامل تفهم والله أعلم (قوله وفى الجملة الخ) محصله ان وارد القبض تابع لوارد البسط قوة وضعفا وكذا العكس باعتبار قابلية الشخص (قوله فسبيل صاحب الخ) اى فطريقته اللازمة فى حقه التسليم والصبر بسكون القلب عن القلق والشكوى حتى يمضى وقته كما هو شأن العارف فانه لا ييأس من الله فى شئ يكون ولا يأمن منه كذلك لان ظواهر الكائنات لاتقضى على باطن الصفات فهو اذا عاين صورة خوف ترجى الفضل اوصورة أمن خاف العدل فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون كما قدمناه (قوله او استقبل الوقت) اى بالمدافعة لذلك القبض (قوله سوء أدب) اى حيث لم يستسلم و ينقاد (قوله فان الحق سبحانه وتعالى قال والله يقبض ويبسط) اى وحيث علم انه الموجد لذلك فالاسلم التسليم اذ فى المدافعة معارضة العزيز الحكيم (قوله يرد على العبد بغتة) اى على حين غفلة وقوله ويصادف صاحبه فلتة عطفه للتفسير وقوله فسبيل صاحبه السكون اى فطريق النجاة من المكر الخفى الكامن له فيه الصبر بطمأنينة القلب مع الحق مع مراعاة الادب المحمدى فبذلك يسلم من خطره وضرره والله أعلم (قوله ومراعاة الادب) اى المحمدى بداعى ان البسط يوجب انتشار الحرارة فى العبد وذلك ربما يستدعى الاسترسال فى الملائم للنفس وهو سوء أدب فى الحركات والتصرفات وحينئذ فلا يقف على الادب مع ذلك الامن كان متمكنا من نفسه وأدبه متحققا بحقائق حفظ الحرمة قد غمر قلبه فى بحر الهيبة والله أعلم (قوله فان له فى هذا الوقت خطرا عظيما) اى ولذلك قالوا ان البسط مزلة قدم للعبد بواسطة شدة اهتزاز النفس وطربها فيه فربما غفلت ورجعت الى بعض ما يلائمها مما كانت قد انخلعت عنه وفى ذلك هلاكها (قوله لوقال كما قال كان اولى) اى لان الغرض تشبيه ما تقدم بالذى قاله بعضهم (قوله فتح على باب من البسط الخ) أقول القبض والبسط وصفان يتعاقبان على القلب وهما أمران وجوديان فيكون العبد تارة بهذا وأخرى بالآخر وتارة فى موقف الاعتدال وما جعل الحق تعالى ذلك الا ليعرف العبد انه فى قبضة مولاه ليس له من الامر شئ فينقطع عن نفسه وعن كل شئ سوى ربه اذ ليس من مراد العبد دخول القبض عليه ولا مفارقة البسط له فاذا تحقق عدم دوام ما يحبه وثبوت ما لا يريده لم يتعد عن موجبه الحق فافهم (قوله قف على البساط الخ) اى فاللازم ملازمة ما هى للعبد من ربه فى حالة

انبساطه وعدم الخروج عنه ذرة باختياره خشية العطب من اختياره شيأ لنفسه (قوله من جملة ما استعاذوا منه) اى وذلك لخطرهما (قوله الى ما فوقهما) اى كمقام الحرية الخاصة وخاصة الخاصة التي هي عن رق الرسوم والآثار بسبب انمحاقهم في تجلي نور الانوار (قوله من استهلاك العبد الخ) اى وذلك مثل مقام الجذبة التي هي تقريب العبد بمقتضى العناية الالهية المهيئة له كل ما يحتاج اليه في طي المنازل بلا كلفة وسعي منه (قوله الخوف من الله الخ) اى فالقبض في مقام القلب بمثابة الخوف في مقام النفس ويقابله الرجاء فيقال فيه انه في مقام النفس مثل البسط في مقام القلب واعلم أن البسط في مقام الخفاء صاحبه يسع الخلق ولا يسعه هو شيء وذلك لانه ظاهر الباطن والظاهر قد قام بحق الحق وحق الخلق (قوله الخوف من الله الخ) توضيحه ان خوفه من أن يحجب عن مراقبة الحق تعالى يقبضه عن الالتفات الى ما سواه تعالى بسبب غيبته عنه ورجاؤه فيما يؤمله منه تعالى من دوام شهوده يجعله قائما في مقام البسط بشاهده مظاهر الكرم والجود (قوله والحقيقة تجمعني) اعلم أن الكلام في الحقيقة لا ينبغي مع كل أحد ولذا قال علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه حدثوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله وقال الامام أبو حامد الغزالي قدس الله سره وقد تضر الحقائق بأقوام كما تضر الجعل بالورد والمسك وقيل للجنيد رضي الله عنه يسألك الرجلان عن المسئلة الواحدة فتجيب هذا بخلاف ما تجيب الآخر فقال الجواب على قدر السائل لا على قدر المسائل وقال بعض الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وأيضا تتعذر الاحاطة في الجواب عن الحقيقة وتقصر العبارة عن مدارك شهودها حتى ربما أدت العبارة خلاف المقصود ومن ثم كفر جماعة من المحققين وبدعوا وفسقوا ولا كفر ولا ابتداع ولا فسوق ولا عصيان فافهم هذا وقيل ان الحقيقة هي حضرة الاحدية الجامعة لجميع الحقائق وتسمى حضرة الجمع والوجود ويقال حضرة الاسماء والصفات وتعينات الذات ويقال هي حق اليقين وهو شهود الحق في مقام عين الجمع الاحدية (قوله تجمعني) اى تجعلني مستغرقا في مقام الجمع والحق يفرقني اى يردني الى احساسي فأشهد الخلق بالحق وقد أشار رضي الله تعالى عنه الى بيان ذلك حيث قال اذا قبضني اى جمعني عليه بالخوف من حجبي عن مشاهدتي افناني عني اى صيرني غافلا عن الذي يلائم نفسي ومن غيري من باب اولى وذلك بالغيبة عن سائر الكائنات والصرف عنها الى حظائر الحضرات وقوله واذا بسطني اى أقامني في مقام البسط بواسطة لطف وبشارة وقوله ردني علي اى أعادني الى احساسي وقوله واذا جمعني اى اذا جمع حواسي عليه بغلبة أنوار الحقيقة علي أحضرني اى منحني الحضور في مقامات المشاهدات بل والمكاشفات فأكون بقلبي غائبا عما سواه وقوله واذا فرقني بالحق اى اذا أراد تفريقي برده الى

(وقد عد أهل التحقيق حالتي القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه لانهما بالاضافة الى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه في الحقيقة فقر وضر) ثم بين أسبابهما مع زيادة فقال (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول الخوف من الله) لافضائه الى استغراق قلب الخائف والغيبة عن غير مولاه (يقبضني والرجاء منه) لما يؤمله الراجي من فضله (يبسطني والحقيقة) وهي غلبة ذكر الحق على القلب وكمال شغله به حتى لا يشعر بغيره (تجمعني) عليه تعالى (والحق يفرقني) وذلك لانه (اذا قبضني) الله تعالى (بالخوف) منه (افناني عني) لاشتغالي به (واذا بسطني بالرجاء ردني علي) فانظر فيما علي من الحق (واذا جمعني بالحقيقة أحضرني) عنده (واذا فرقني بالحق أشهدني غيري) من الخلق (فغطاني عنه) اى عن الحق

(فهو تعالى فى ذلك كله محركى غير محكى) وفى نسخة مسكنى (وموحشى غير مؤنسى) اى ينقلنى من حال الى حال (فانا بحضورى) عنده (أذوق طعم وجودى) اى أتلذذ به (فليته أفنانى عنى فمتعنى) بأنسه ومناجاته (اوغيبنى عنى) بالكلية (فروحنى) عنى أحد الحالين والله تعالى يربيه بنقله من حال الى آخر لمصلحته وهو أعلم منه بها

(ومن ذلك الهيبة والانس وهما فوق القبض والبسط) رتبة (فكما ان القبض فوق رتبة) اى منزلة (الخوف والبسط فوق منزلة الرجاء فالهيبة أعلى من القبض) اى فوقه (والانس أتم من البسط) اى فوقه فالهيبة ناشئة من القبض الناشئ من الخوف والانس ناشئ من البسط الناشئ من الرجاء لان من خاف من الله وعرف تقصيره فى حقه تعالى انقبض قلبه وبقى مشغولا بالله فيحصل له الهيبة منه ومن أمل وصوله الى خير انبسط قلبه وبقى مشغولا بالله فيحصل له الانس به (وحق الهيبة الغيبة) للهائب (فكل هائب) من شئ (غائب) عن غيره (ثم الهائبون يتفاوتون فى الهيبة على حسب تباينهم فى الغيبة فمنهم) من تطول غيبته (ومنهم) من تقصر غيبته على حسب هيبته ممن اشتغل به واجلاله له

احساسى وعالى ووجودى أشهدنى نفسى وغيرى قائما بالحق تعالى (قوله فهو تعالى فى ذلك كله الخ) اى فهو تعالى المتصرف فى نفسى بما تعلقت به ارادته على حسب حكمته الباهرة بالنقل من مقام الى مقام ومن حال الى حال لا اختيار لى فى شئ من سائر حركاتى وسكناتى (قوله فليته أفنانى الخ) أقول ولا يخفى ما فى الامانى والتمنى غير انه لا لوم على من أسكره الحب وأدهشه جمال محيا القرب حيث هو كما لا يخفى صعب المذاق ولا سيما لمن ذاق من شراب التلاق ولذا قال سلطان العاشقين وامام أئمة المحبين المحبوبين

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل * فما اختاره مضنى به وله عقل

وعش خاليا فالحب راحته عنا * فأوله سقم وآخره قتل

(قوله الهيبة والانس) اعلم أن الهيبة هى الخشية والاجلال للحق تعالى ومنشؤها كمال العلم والمعرفة بالله والانس لغة مصدر أنس يأنس أنسا من الاستئناس بالغير وهو ثلاثى بخلاف آنس فانه رباعى ومنه قوله تعالى آنس من جانب الطور نارا أى أبصرها وادركها والدليل عليه قوله جل شأنه الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال قتادة هشت قلوبهم الى ذكر الله واستأنست به وقوله حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وقوله ولا مستأنسين لحديث اى متحدثين بعد فراغ الطعام ايناسا من بعضكم لبعض (قوله فكما ان القبض الخ) أقول ولا تغفل عما تقدم من اختلاف منازل الخوف والرجاء والقبض والبسط باختلاف درجات الخائفين والراجين وباختلاف المخوف منه والمرجو والمقبوض منه والمبسوط به فعلى حسب ذلك قوة وضعفا وقربا وبعدا تختلف الهيبة والانس (قوله والانس أتم من البسط الخ) اعلم أن الانس له أقسام فأنس بالخلوة وأنس بالعبادة وأنس به تعالى أما الانس بالخلوة فصاحبه ينقص بالانفصال عنها والانس بالعبادة يتم بحسب اعتيادها مع النظر الى وعد جزائها والانس به تعالى ينشأ عن كمال المعرفة بعظمته تعالى وجلاله وجماله وباقى كمالاته من الانعام وانفراده بالاحكام وصاحبه يستوى عنده الاجتماع بالخلق والانفراد عنهم وهو خلق الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فسبب الانس معرفة العبد كمالات الرب ورغبته ورهبته بتجليات الوعد والوعيد وثمرته بحر لا يمكن حصره وفضل لا يمكن عده فان قلت قد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التبتل للعبادة قلت ذلك من باب النهى عن التكلف لما يشق من الاعمال خوف الانقطاع قبل بلوغ الآمال فيكون كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وما نحن فيه من باب الرفق بالنفس والتدريج فى المقامات حتى تصير قرة عينه العبادة (قوله وحق الهيبة الغيبة) اى عما سواه تعالى فالغيبة عن الاكوان شغلا بالمكون امارة على تحقق العبد فى مقام الهيبة فكل هائب غائب (قوله ثم الهائبون يتفاوتون) يظهر لى ان الاولى أن يقال ثم يتفاوتون فى الغيبة على حسب تفاوتهم فى الهيبة عكس ما ذكر وقد أشرنا الى ذلك قبل هذا والله أعلم

(وحق الانس صحو بحق فكل
مستأنس) لشيء من مقام
شريف ونحوه (صاح) لانشراح
صدره (ثم) المستأنسون
(يتباينون) اى يتفاوتون
(حسب) اى على حسب (تباينهم
فى الشرب) بكسر الشين اى الحظ
(ولهذا قالوا أدنى محل) اى
مقام (الانس) بالله (انه لوطرح
فى لظى) اى جهنم اى فى نار
(لم يتكدر عليه أنسه) وشاهده
مافعل بأبى مسلم الخولانى
لما أحرقه العنسى المتنبى بالنار
لم تؤثر فيه ولم يرجع عن دينه
ومن كماله ما فعل بالخليل عليه
السلام لما أوقدله نار لا يمكن أحد
أن يقرب منها وجعل فى منجنيق
ورمى به فى الهواء ليقع فى النار
فلقيه جبريل فى الهواء منصبا
الى الارض فى النار فقال ألك
حاجة فقال أما اليك فلا فلم يتحرك
عما هو عليه من الانس ولم يركن
اليه مع قدرته باذن ربه على طفئها
فتداركه الله تعالى بقوله يانار كونى
بردا وسلاما على ابراهيم (قال
الجنيد رحمه الله كنت أسمع
السرى) السقطى (يقول يبلغ
العبد) فى الانس بالله (الى حد
لوضرب وجهه بالسيف لم يشعر به
وكان فى قلبى منه شيء حتى بان لى
ان الامر كذلك) حيث ذاق ذلك
وعلم ان كمال الاستغراق يزيل
الاحساس بالنفس بالكلية

(قوله وحق الانس صحو بحق) اى يقظة وافاقة بمقام شريف يشرف عليه صاحب هذا المقام وعلى ذلك فكل مستأنس صاح كما قال فكل مستأنس صاح اى لادراكه لذة مناجاته وطاعاته ولذاذة المصافاة وسنى الخلات قال بعضهم فى الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى جنة الآخرة ولا الى شيء سواها وهى طاعة الله سبحانه وتعالى (قوله أدنى محل الخ) اى أقل مقام للانس الخ اى والكامل فيه ما يأتى فى الخليل من باهر آيات المولى الجليل اه سئل ذو النون ما علامة الانس بالله تعالى فقال اذا رأيته يؤنسك بخلقه فانه يوحشك من نفسه وقال أوحى الله الى موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كن كالطير الوحدانى يأكل من رؤس الاشجار ويشرب من الماء القراح اذا جنه الليل أوى الى كهف من الكهوف استئناسا بى واستيحاشا ممن عصانى ياموسى انى آليت على نفسى انى لا أتمم لمدبر عنى عملا ولاقطعن كل آمل يأمل غيرى ولاقصمن ظهر من استند الى سواى ولاطيلن وحشة من استأنس بغيرى ولاعرضن عمن أحب سواى (قوله انه لوطرح فى لظى لم يتكدر عليه أنسه) اى ولهذا قيل المراد بالجنة جنة القرب والمشاهدة والمراد بالنار نار الحجاب والمباعدة فغاية مقاصد المحب استهلاكه فى مرادات من أحبه سواء لايم مألوف النفس أم لم تلايمه ولهذا المعنى أشار سلطان العشاق حيث قال

وما حل بى من محنة فهى منحة * اذا سلمت من حل عقد عزيمتى
فكل أذى فى الحب منك اذا بدى * جعلت له شكرى مكان شكيتى

يعنى رضى الله عنه مادمت موفيا بعهدى مصمما على ابرام عقد عهدى فكل ما أتانى من جنابك فهو عين المنح والمنن وان ظهر فى صور البلايا والمحن فاجعل له شكرى مكان شكيتى وذلك شأن الصديقين أما ضعفاء المؤمنين فمقامهم الحمد على الضراء والشكر على السراء والجهاد على عدم بث الشكوى (قوله كنت أسمع السرى الخ) محصله ان الانس استغراق يخرج عن الاحساس (قوله يبلغ العبد الخ) أقول وفى الحديث ان الرجلين من الصحابة كانا فى حرس المسلمين من الكفار فقام أحدهما يصلى ونام الآخر فكمن كافر قوسه وضرب المصلى فأصابه السهم فلم يحفل به ومضى فى صلاته وعاوده ثانيا كذلك وثالث فلما رأى ذلك أيقظ صاحبه وقال لولا انى خفت على المسلمين ما أيقظتك ولكن ما أنا فيه شاغل لى عما أصابنى (قوله لم يشعر به) اى لوصوله الى درجة الاصطلام بسبب الوله الغالب على القلب (قوله وكان فى قلبى منه شيء) أقول ويدل له ما جاء فى الخبر ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا ذكروه أنكره أهل العزة بالله وأنشدوا فى ذلك شعرا

يارب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

اذا علمت ذلك فالذى ينبغى للكامل أن يذكر الوعظ والتذكير لعموم المسلمين وما كان من

وشاهده خبران الشهيد انما يجد من الموت كما يجد من القرصة فلشدة ذلك عليه بكمال شغله بمراده فيأتيه الموت بالسيف ولا يحس به الا كما يحس بالقرصة (وحكى عن ابى مقاتل العكى أنه قال دخلت على الشبلى وهو ٤١ ينتف الشعر من حاجبه بمنقاش فقلت) له (ياسيدى أنت تفعل هذا بنفسك ويعود ألمه الى قلبى فقال ويلك الحقيقة ظاهرة لى ولست أطيقها) وفى نسخة أطيقه اى الحال الذى ورد على (فهوذا) اى فالسبب هذا (فأنا أدخل الالم على نفسى لعلى أحس به فيستترعنى) ألم مالا أطيقه (فلست أجد الالم) من نتف الشعر المذكور (وليس يستتر عنى) ألم الحقيقة (وليس لى به طاقة) فيه دلالة على ان مبادى أوائل استغراقه كان فى أمر لا يطيق حمله فكان يجذب شعر حاجبه ليحس بالالم فيتفرق عنه ما أدركه أوائله وأحس من نفسه العجز عنه ففيه دلالة على عظم مايدخل الله العبد فيه من الاحوال العالية التى لا قدرة له على حملها كما مرت الاشارة اليه (وحال الهيبة والانس وان جلتا) بتشديد اللام اى عظمتا (فأهل الحقيقة يعدونهما نقصا لتضمنهما تغير العبد) من حال الى حال (فان أهل التمكين) وهم المتمكنون فى مقاماتهم (سمت) اى ارتفعت (أحوالهم عن التغير وهم محو فى وجود العين) اى الحق (فلا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس) بخلاف صاحبى الهيبة والانس فانهما مفرقتان

 لادراك الاول كونها ثباو الثانى كونه مستانسا ولانهما مع الوجد وهو هيبة واجلال وطرب وأنس لامع الوجود فلم يكمل استغراقهما (والحكاية) الدالة على هذا (معروفة عن ابى سعيد الخراز) رحمه الله (انه قال تهت فى البادية مرة)

البيان والتقرير فالخاصة من الحين وما كان من الاحوال والمقامات فللمريدين والسالكين وما كان من الحقائق والمعارف فلاهل المعرفة والواصلين فلكل مقام مقال ولكل علم رجال وبالله التوفيق (قوله انما يجد من الموت الخ) أقول ولا مانع من الحمل على الحقيقة وان احتمل ان الخفة بشاهد عظم ما أعده الله تعالى لعباده الشهداء (قوله دخلت على الشبلى الخ) منه يعلم انه يصدر عنهم أشياء ظاهرها المخالفة بسبب غلبة الحقيقة عليهم فيتداوون بها وربك أعلم بأسرار خلقه (قوله الحقيقة ظاهرة) اى أحوالها منكشفة وذلك بحسب تأنيسهم من مولاهم وبما منه واليه من الامداد العرفانية والزوائد العلية الايمانية قال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فافهم (قوله فيه دلالة على ان مبادى الخ) اى لانه كان متحققا بمقام الارادة التى هى جمرة من نار الحب ملقاة فى القلب مقتضية لاجابة دعوة الحقيقة وصورة الارادة انقطاع النفس عن رؤية شئ يقع بارادة غير الله وشهود وقوع جميع الاشياء بارادته تعالى (قوله ففيه دلالة على عظم مايدخل الله العبد فيه الخ) اى بواسطة ما لابسه مما شاهده بحسب ظهور الحقيقة فى جميع مراتب الاسماء والصفات المقتضية للمظاهر الغير متناهية كما يشير اليه قول بعضهم

لا تقل دارها بشرقى نجد • كل نجد للعامرية دار

(قوله وحال الهيبة والانس الخ) اى وأما التأنيس فهو التجلى فى المظاهر الحسية تأنيسا للمريد المبتدئ بالتزكية والتصفية ويسمى التجلى الفعلى لظهوره فى صور الاشياء (قوله فأهل الحقيقة) اى من غلب نور الحقيقة على قلوبهم فتلاشت منها جميع الاباطيل قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه اى فاذا جاء الحق بجولته ذهب الباطل بصولته وذلك لان الحق من بساط القوة والظهور وهما وصفان لا يقوم لهما شئ مع ان الحق مؤيد بالحقيقة الايمانية معضد بالحجج البرهانية على ان الحق هو البرهان فى نفسه والسلطان فى ذاته (قوله وهم محو فى وجود العين) اى محيت منهم الذوات والصفات فى ذات الحق تعالى فلا يشهدون غيرها من مظاهر أسمائه وصفاته فتحصل ان الفانى فى العين بمعنى الذات باق بها لا يشهد غيرها من صفات وآثار فهو أمكن ممن فنى فى الصفة لتفرقه مع آثارها فهم فى مشهد الشؤن الذاتية الكامنة فى غيب الغيب كالشجرة فى النواة المشار اليه بقوله

كنا حروفا عاليات لم نقل • متعلقات فى ذرى أعلى القلل

أنا انت فيه ونحن أنت وأنت هو • والكل فى هو فسل عمن وصل

(قوله وهو هيبة واجلال وطرب وأنس) أشار بذلك الى ان الوجد قد يتحقق من مجالى

وأناسائح طيب العيش مستأنس بالله فرحا بكمال أنسى كما قال تعالى فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (فكنت أقول) ١
اشعارا عن حالى بما اجراه الحق على لسانى ٤٢ (أتيه فلا أدرى من التيه) اى من أجله المقتضى لكمال شغلى بحالى (من انا)
اى فلا أدرى نفسى وما يتعلق
بها (سوى مايقول الناس فىّ
وفى جنسى) مما من الله به علىّ
فأدركه (أتيه على جن البلاد
وانسها) اى لم ألتفت الى جن ولا
انس (فان لم أجد شخصا) منهما
(أتيه على نفسى) اى لم ألتفت
اليها (قال فسمعت) لما أعجبنى حالى
وما أنا فيه من حسن ... (هاتفا)
من ملك او ولى او جنى من قبل
الله (يهتف) اى يصيح (بى ويقول
أيا من يرى الاسباب) اى أسباب
الوصول الى الحقيقة من الهيبة
والانس ونحوهما (أعلى وجوده
ويفرح بالتيه الدنىّ وبالانس
فلو كنت من أهل الوجود) اى
وجود الحق (حقيقة) بأن غاب
وجوده على قلبك (لغبت عن
الاكوان والعرش والكرسى)
الشامل لهما الاكوان وانما
أفردهما بالذكر لعظم أمرهما
والمراد لغبت عن سائر المخلوقات
من مقام وحال ووجد وغيرهما
كما ذكر بعضها بقوله (وكنت بلا
حال) بل كنت (مع الله واقفا
نصان عن التذكار للجن والانس
وانما رتق العبد عن هذه الحالة)
لى أخرى أرفع منها (بالوجود) له
لحق تعالى بما سمعه من الهاتف على
مقام أرفع من مقامه لئلا يعجب
بنفسه ولتتعلق همته بما هو أرفع
منه فعلم ان الوجود أرفع من الوجد وسيأتى بيانهما على الاثر (ومن ذلك التواجد والوجد والوجود

الجلال والعظمة وقد يتحقق من مجالى الجمال واللطف فيثمر الحال الاول هيبة والثانى أنسا وعلى كل فهو يعقب التيه واستشعاره بهما لم يكمل استغراقه كما ذكره الشارح (قوله وانا سائح طيب العيش الخ) أخذه الشارح من قوله فى شعره أتيه فلا أدرى الخ حيث لا يكون ذلك الا من مجالى الفرح والسرور والانس (قوله أتيه) اى عجبا بما منحنى ربى وغرقا فى بحر رسوم العلوم التى هى مشاعر الانسان لانها رسوم الهية كالعلم والسميع والبصير ظهرت على ستور الهيا كل البدنية المرخاة على باب دار القرار بين الحق والخلق فمن عرف نفسه وصفاتها كلها بانها آثار الحق وصفاته ورسوم أسمائه وصورها فقد عرف الحق وحل فى مقام الانس (قوله فلا أدرى) يحتمل ان عدم درايته لكونه قد وصل الى مقام شعب الصدع الذى هو جمع الفرق وذلك بالترقى عن حضرة الواحدية الى حضرة الاحدية ويقابله صدع الشعب الذى هو النزول عن حضرة الاحدية الى حضرة الواحدية حال البقاء بعد الفناء للدعوة والتكميل (قوله سوى مايقول الناس الخ) اى فى وصف العبودية والفقر والافتقار (قوله فسمعت هاتفا الخ) أقول وذلك من باب اشارة اللطف به من ربه حيث حمله هذا الهاتف على ماهو الاكمل والافضل مما ذاقه وحثه على الجد فى طلبه (قوله أيا من يرى الاسباب الخ) مراده بها والله أعلم كل سبب حق مابه الترقى الى الدرجات كالمقامات والاحوال (قوله فلو كنت من أهل الوجود) اى وهم من فنى فى ذات ربه فتحقق وجوده بوجوده بل الكمال فى عدم شعوره بوجود نفسه كما يشير اليه قول بعضهم ۞ وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ۞ (قوله عن الاكوان الخ) اى حتى عن الشريف منها والاشرف كالعرش والكرسى وغيرهما (قوله وكنت بلا حال الخ) اى فنهاية الكمال تعين أن الوجود له سبحانه وتعالى ولا شرب لغيره منه الا ماتفضل عليه به مولاه سبحانه وتعالى (قوله التواجد والوجد الخ) اعلم وفقنى الله واياك ان الوجد له أسباب واليه أبواب وعليه حدود وله شروط وزمان ومكان واخوان أما أسبابه فالعلم بلا غفلة والعمل بلا فترة وأما أبوابه فالصفاء والوفاء الاول بلا جفوة والثانى بلا هفوة واما حدوده فصحو بلا سكر وحضور بلا غيبة ومعرفة بلا نكرة واما شروطه فقيام بلا سهو وحركة بلا كسل وأدب بلا لهو وانصات بلا لغو واما زمانه فوقت بلا مقت وساعة بلا اضاعة واما مكانه فخلوص خال عن الاهواء وعار عن الدعوى وعامر بالتقوى واما اخوانه فاخوان ليس فيهم خوان وندمان ليس فيهم ندمان فاذا قمت بأسبابه ودخلت اليه من بابه وأتيت بشروطه ووقفت عند حدوده وحصلت فى زمانه ومكانه مع اخوانه فلا جناح عليك هنالك اذا طربت سماعا وتواجدت استماعا وتمايلت انخلاعا وكشفت بين ندمائك قناعا واما اذا تواجدت قبل أن تطرب وتساكرت قبل أن تشرب فوجدانك على الحقيقة فقدان وتساكرك

عند

فالتواجد استدعاء الوجد) اى طلبه واكتسابه (بضرب اختيار) وقريب منه قول الغزالي التواجد استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد فالتواجد تفاعل في اكتساب الوجد وان كان أصل باب التفاعل انما يصح من اثنين لكنه لما استدعى الوجد وعسر عليه ثم استدعاه أشبه التفاعل والوجد غلبة ما كان يعثه ويتواجده على قلبه كما يعلم مما يأتي والوجود حصول ذلك في القلب وتواليه عليه من غير تكلف وفسر أبو بكر الكلاباذي التواجد بظهور اثر الوجد الباطن على الظاهر للمبتدئين فالتواجد شأن المبتدئين فانهم لضعفهم لا يقدرون على حمل ما يرد على بواطنهم من الاحوال فيظهر اثره على ظواهرهم نحو البكاء والشهيق بخلاف الاقوياء فانهم كالجبال فلا انزعاج لهم في الظاهر ولا اضطراب لتمكنهم وان اتفق لهم مبادي تغير في بعض الاحوال سكنوا عقب ذلك لقوتهم على حمل الواردات وقد روى انه قرئ شئ من القرآن بحضرة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فتواجد بعض الحاضرين وبكى فقال ابو بكر هكذا كنا حتى قست قلوبنا اى قويت وصلبت في دين الله تعالى وزال عنها الضعف الذى كان بها في ابتداء الامر كما لهذا الذى بكى وذلك لالفها وأنسها بمعاني القرآن فصارت لا تستغرب شيأ منها اذا ورد عليها بخلاف المبتدي

عند أهل الشريعة زور وبهتان اذ ذوق السماع ممن هو كثيف الطباع محجوب الاطماع ينافي حقيقة الاستماع واجتماعه يخالف الاجماع اماعلمت ان ذا الوجد الصحيح اذا افاضت عليه المواجيد الربانية ووردت عليه الموارد الرحمانية يسري استماعه الى سمع سره سرا فيلمع في صفحات السر لموع البرق في ظلمة الليل فينتبه السر ويستيقظ القلب ثم يقوى ذلك اللموع فيصير سطوعا ثم يقوى ذلك السطوع فيصير طلوعا فالاول لموع برق القلب والثاني سطوع نور الانس والثالث طلوع قمر التجلي وبالاخير يمتع الفؤاد بالوجد ما كذب الفؤاد ما رأى اه واعلم أن علامة السر الصحيح سريانه في قلوب حاضريه وصفاؤه في عيون ناظريه فيجد جليسه حلاوة وجده ويصل الى مسام نديمه طيب حركته فيطيب من حضر ويتواجد بوجده من نظر قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح كمثل العطار ان لم يصبك من عطره اصابك من طيبه هذا وكل من التواجد والوجد تفرق وشتات حال بخلاف الجمع والاستغراق في الحقيقة تمنع الاحساس بشئ من ذلك كما لا يخفى على من قد ذاق وحقق حال التلاق ولا يخفى ان الذوق هو أول شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي فاذا ازداد وبلغ أوسط مقام الشهود يسمى شربا فاذا بلغ النهاية يسمى ريا وذلك بحسب صفاء السر عن لحظ الغير (قوله فالتواجد استدعاء الخ) اى فهو تكلف الوجد بتكرر استدعائه والوجد غلبة الباعث على القلب والوجود حصول الوجد بالفعل في القلب (قوله أشبه التفاعل) اى بواسطة تكرر الاستدعاء (قوله والوجد غلبة ما كان يعثه) اى غلبة المطلوب والغرض للسالك فتتوالى بواعثه على القلب باشراف وارداته وأماراته عليه بدون تكلف منه لشئ من ذلك (قوله والوجود حصول ذلك في القلب) اى حصول ذلك المطلوب والغرض في القلب وتواليه عليه بدون تعمل وتكلف (قوله بظهور اثر الوجد الباطن) أقول ذلك التفسير انما هو للامارة على التواجد لا لنفس التواجد كما لا يخفى لان حقيقته استدعاء الوجد بتكلف كما هو مما ذكر قبل (قوله بخلاف الاقوياء) اى ممن تحقق وتكمل بعد التفرق ومطاقا فانهم (قوله فلا انزعاج لهم في الظاهر) اى لكونهم من الضنائن وهم الخصائص من أهل الله الذين يضن بهم لنفاستهم عند الله كما قال سيد الكمل صلى الله عليه وسلم ان لله ضنائن من خلقه ألبسهم الله تعالى النور الساطع يحييهم في عافية ويميتهم في عافية (قوله فقال أبو بكر الخ) اى يشير الى مقام تكمله رضي الله تعالى عنه هذا والعارف الكامل وان كان مسكنه عرش الحقيقة لا بد له من الهبوط الى سماء الحقوق لحق العبودية والى أرض الحظوظ للقيام بحق البشرية وان كان هبوطه الى ذلك بالاذن لانه بساط الكرامة وذلك الاذن قوة يجدها الكامل من نفسه لا يشك في حقيقتها فهذا الهبوط لا يقدح في كماله لكونه متمكنا فيه غير متلون كما قيل

(وليس لصاحبه) اى التواجد (كمال الوجد ٤٤ اذلوكان) لهذلك (لكان واجدا) اى ذا وجود لاذا وجد (وباب التفاعل أكثره على اظهار الصفة و) الحالة انها (ليست كذلك) اى مظهرة وجدت أم لا نحو تعامى وتجاهل (قال الشاعر
اذا تخازرت وما بى من خزر •)
اى صغر عين (ثم كسرت العين من غير عور فقوم قالوا التواجد غير مسلم لصاحبه لما يتضمنه) من (التكلف و) هذا (يبعد عن التحقيق وقوم قالوا انه مسلم للفقراء المجردين الذين ترصدوا لوجدان هذه المعانى) بخلاف غيرهم قيل وفى هذا نظر فان المتواجد ان كان صادقا فى تطلب وجده فلا فرق بين المتجرد وغيره فى صحة تطلبه والا فهو مراء او متشبع بما لم ينل وكل منهما محذور والمختار صحة التواجد مطلقا (واصلهم) فى صحته شيا ن أحدهما (خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكوا) اى ان طرقكم البكاء لله (فان لم تبكوا فتباكوا) اى فاستجلبوا البكاء بالتفكر فى اسبابه (و) ثانيهما (الحكاية المعروفة لابى محمد الجريرى رحمه الله انه قال كنت عند الجنيد) رحمه الله (وهناك ابن مسروق وغيره وثم قوال) ينشد لهم (فقام ابن مسروق وغيره) مستمعين (والجنيد ساكن فقلت) له (ياسيدى مالك فى السماع شئ فقال الجنيد وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) فيه دلالة على قوة حفظه لحاله مع كمال وجده (ثم قال وأنت يا ابا محمد) يعنى الجريرى (مالك فى السماع شئ

لا تهتدى نوب الزمان اليهم • ولهم على الخطب الشديد لجام

اه •(دقيقة)• المتواجد متعرض لاقتباس ما لاح ثم راح بتوقع لوعه ويرتجى رجوعه والواجد حاضر فى وجده واجد فى فقده فقد قلبه فوجد به فحركته فرح بوجوده وقيامه طرب بشهوده لا يجد فى الوجود غير موجده ولا فى الكون غير مكونه واعلم أن حال التواجد مثل حال موسى عليه السلام حين لاحت له أنوار الطور فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا وحال الوجد مثل حاله حين أتى الشجرة فوجد نارا لا تشبه النار ان بعد عنها قربت وان قرب منها بعدت فهو منها فى عجب وفى طرب بين وجد وفقد وحال صاحب الوجود كحاله عليه السلام حين سمع من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله فافهم (قوله وليس لصاحبه الخ) اى فالتواجد يدل على عدم كمال الوجد لانه لو كمل لكان المتصف به واجدا لا يتكلف شيأ فافهم (قوله اذلو كان له ذلك) اى كمال الوجد على معنى انه قد تحقق به لكان واجدا بالفعل اى صاحب وجود وهو من تحقق بمقام البقاء بعد ان تلاشى فى فنون الفناء كما يدل عليه قوله وباب التفاعل أكثره على اظهار الصفة اى التى لم تكن متحققة فى نفس الامر بالفعل بل متكلف مستدعاة (قوله اذا تخازرت الخ) يشير نفعنا الله بعلومه وأمدنا ببركاته الى انه وان تلون بحسب الظاهر فهو متمكن فى حكم الباطن فهو محفوظ بالادب فى الحقوق وبالشكر فى الحظوظ مستشعر بالقهر والبر ومعتبر بالحكمة والامر فتلونه للحقوق يزيده فائدة وللحظوظ أكبر منفعة وعائدة ولو لم يكن الا رجوع العبد الى افتقاره وشعوره باضطراره لكفى فى مقامه واعتبر بقول السيد موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام رب انى لما أنزلت الى من خير فقير حيث طلب الخير من بساط الافتقار اه •(فائدة)• من كلام بعضهم شعرا

يا واطئا أرض الغرام تعسفا • أرحن الغرام وداره فى داره
يا لابسا ثوب السقام وجافيا • طيب المنام وراضيا بصغاره
لا عار للمضطر أن يبدى الجوى • ويبث ما يلقاه من اضراره
ان الهوى مستصعب اوعاره • فاتركه فى أوعانه أوعاره

(قوله وهذا يبعد عن التحقيق) اى لعدم الرجوع فيه الى تحسين الظن بالخلق (قوله وقوم قالوا انه مسلم الخ) اى قالوا بالتفصيل بين من حالهم التجرد والصدق وغيرهم فالاولون يقبل منهم دون غيرهم (قوله واصلهم) اى دليلهم الذى بنوا عليه فى مشروعية تواجدهم خبر الخ (قوله فقلت ياسيدى مالك فى السماع الخ) اعلم أن السماع ومجالسه بحاله المطلع وهو الاستشراف والمشاهدة فهو مقام شهود المتكلم عند تلاوة آياته متجليا بالصفة التى هى مصدر تلك الآية كما قال جعفر بن محمد الصادق لقد تجلى الله تعالى لعباده فى كلامه ولكن لا يبصرون وكان ذات يوم فى الصلاة فخر مغشيا عليه فسئل عن ذلك فقال مازلت أكرر آية حتى سمعتها من قائلها قال السهروردى قدس سره روح جعفر

الصادق

صادق في ذلك الوقت كشجرة موسى عندندائهمنها بأني أنا الله وقد يقال ان المطلع أعم من ذلك (قوله فقلت ياسيدى أنا اذا حضرت الخ) اى فهو يشير الى انه بالله ومن الله والى الله فبالله استعان ومن الله كان ولله قام فقد جمع بين أدب الشريعة ونور التحقق بالحقيقة فلله دره قلت ويؤيد ذلك الذى ذكرناه قوله جل شأنه وقل رب أدخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق حيث طلب ماهو المطلوب منه كما أمره مولاه بطلبه فهو داخل فيه بالله طلب الصدق لله والادخال والاخراج من الله والتوجه فى كل ذلك الى الله قال فى التنوير فالمدخل الصدق هو أن تدخل لا بنفسك والمخرج الصدق هو أيضا أن تخرج لا بنفسك ٭ (تنبيه) ٭ اعلم أن العوالم كلها كلياتها وجزئياتها كتب الهية تسمع من يشاء الله من عباده لانها لاسمائه العالى كما لاته تعالى التامات كانت كذلك فالعقل الاول والنفس الكلية باعتبار أنهما صورتا أم الكتاب وهى الحضرة العلمية كما ان الاول أم الكتاب لاحاطته بالاشياء اجمالا والنفس الكلية الكتاب المبين لظهورها فيه تفصيلا وكتاب المحو والاثبات هو حضرة النفس المنطبعة فى الجسم الكلى من حيث تعلقها بالحوادث وهذا المحو والاثبات انما يقع للصور الشخصية التى فيها باعتبار أحوالها اللازمة لاعيانها بحسب استعداداتها الاصلية المربوط ظهورها بالاوضاع الفلكية المعدة لتلك الذوات أن تلتبس بتلك الصور مع أحوالها الفائضة عليها من الحق سبحانه بالاسم المدبر والماحى والمثبت والفعال لما يشاء وأمثالها فالانسان الكامل كتاب جامع لهذه الكتب المذكورة اذ هو نتيجة العالم الكبير قال العارف الربانى على ابن ابى طالب كرم الله وجهه

دواؤك فيك وماتشعر ٭ وداؤك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير ٭ وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذى ٭ بأحرفه يظهر المضمر

٭ (وقيل) ٭

أنا القرآن والسبع المثانى ٭ وروح الروح لاروح الاوانى
فؤادى عند مشهودى مقيم ٭ يشاهده وعندكم لسانى

فهو من حيث روحه وعقله كتاب عقلى مسمى بأم الكتاب ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ ومن حيث نفسه كتاب المحو والاثبات فهى الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التى لايمسها ولايدرك أسرارها ومعانيها الا المطهرون من الحجب الظلمانية وماذكر من الكتب هى أصول الكتب الالهية أما فروعها فكل شئ فى الوجود من العقل والنفس والقوى الروحانية والجسمانية وغيرها مما ينتقش فيها أحكام الموجودات اما كلها أو بعضها مجملا أو مفصلا وأقلها انتقاش أحكام عينها والله أعلم (قوله ولكنه لما كان صادقا الخ) أشار الى ان ماوقع له من نوع الكرامة انما هو بسبب حفظ حرمة

فقلت ياسيدى أنا اذا حضرت موضعا فيه سماع وهناك حشم) بفتح الشين اى مستحيا منه (أمسكت على نفسى وجدى) اى لكمال قوته (فاذا خلوت بنفسى (أرسلت وجدى) الذى كنت أمسكه على نفسى (فتواجدت) به (فأطلق) أبو محمد (فى هذه الحكاية التواجد ولم ينكر) ٭ (عليه الجنيد) فدل على صحته (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول لما راعى أبو محمد ادب الا كابر) وفى نسخة الادب للاكابر (فى حال السماع حفظ الله عليه وقته لبركات الادب) معهم (حتى يقول امسكت على نفسى) بحضرتهم (وجدى فاذا خلوت بنفسى ارسلت وجدى) الذى كنت امسكه على نفسى (فتواجدت) به (لانه لايمكن) لايتأتى لك (ارسال الوجد اذا شئت بعد ذهاب الوقت وغلبانه ولكنه لما كان صادقا فى مراعاة حرمة الشيوخ حفظ الله تعالى عليه وقته حتى أرسل وجده عند الخلوة فالتواجد) اى كماله

المشايخ بالصدق (قوله الذي جرى ذكره) اى من طلبه واكتسابه بالتكلف (قوله بلا تعمد وتكلف) اى فهو غير مكتسب للعبد بل موهبة له منه تعالى (قوله الوجد المصادفة الخ) يشير بذلك الى انه غير مكتسب بل هو من تفضلات الحق تعالى على العبد وقوله ثمرات الاوراد اى ويقال لها مشارق الفتح التى هى التجليات الاسمائية لانها مفاتيح أسرار الغيب ثم يكون بعدها مشارق شمس الحقيقة وهى تجلى الذات قبل الفناء التام فى عين أحدية الجمع فتحصل ان الوجد وارد حق من الله على باطن العبد يكسبه فرحا أو حزنا والفقد عدم ذلك بعد وجوده غيبة أو فناء فيصل الى الوجود الذى هو شهود الحق فى الوجد كما قيل

قد كان يطربنى وجدى فأقعدنى ٭ عن رؤية الوجد من فى الوجد موجود
والوجد يطرب من فى الوجد راحته ٭ والوجد عند حضور الحق مفقود

(قوله ثمرات الاوراد) اى نتائج الاوراد وفوائدها والمراد بالاوراد وظائف الاعمال الموافقة للعلوم الشرعية (قوله يقول الواردات الخ) محصله ان الواردات الالهية لا تتحقق الا بالجد والاجتهاد فى الاوراد التى هى الوظائف الوقتية وحينئذ فمن لا ورد له لا وارد له ومن لا وارد له لا وجد له لان الوجد ثمرة المنازلات وهى تتحقق بصدق الواردات وهى فائدة دوام المجاهدات بموافقة شريف المتابعات (قوله وكل وجد فيه من صاحبه شئ الخ) يشير بذلك الى ان مواهب الحق تعالى متى دخلها تعمل وتصنع لا تكون مواهب فى الحقيقة بل تكون معاطب ومخاطر لامتزاج حظ النفس بها فحينئذ يلزم المريد أن يكون دائما على نعت التجريد حتى يتحقق له المزيد (قوله وكما ان ما يتكلفه العبد الخ) محصله انه كما أثمر عمل الجوارح الظاهرة تنوير القلوب ولذة العبادة كذلك المقامات التى يتدرج بها الطالب الى أعلى المطالب تثمر له المواجيد الشريفة بالاشارات اللطيفة فتحصل ان الحلاوة واللذة ثمرة الاعمال والمواجيد نتائج المدارج من مقامات الكمال (قوله واما الوجود فهو انما يحصل الخ) اى فهو من شيم العارف الكامل الذى لم يخالطه شرك اثبات غير الحق من الخلق كما خالطه أهل الشريعة والطريقة فانهم يثبتون الحق والخلق بخلاف المحققين فانهم يرجعون فى الكل الى الكل ويعودون بالحق من الحق الى الحق اذ الذات المتصفة بالوحدة المطلقة لا تبقى ولا تذر كل شئ هالك الا وجهه وقولنا الذى لم يخالطه شرك الخ مرادنا به شرك الهدى لا شرك الردى والجحود فافهم اه واعلم أن صاحب الوجود فى حالة الشهود لا يرى فى الحضرة غير مشهوده ولا يجد فى الوجود غير موجوده وجد مولاه بفقد ماسواه فهو غائب فى حضرته حاضر فى غيبته صاح فى سكره سكران فى صحوه فان فى بقائه بقاء فى فنائه قد طفح عليه السكر بغاياته فتارة يرد عليه فى موارد الجمال فيدهشه وتارة يطلع له فى طوالع الجلال فيدحشه وتارة يبدوله فى رداء الكمال فيفنيه أو يتجلى له فى حلل الافضال

(ابتداء الوجد على الوصف الذى جرى ذكره وبعد) حصول (هذا) يحصل (الوجد والوجد ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد وتكلف ولهذا قال المشايخ) من الصوفية (الوجد المصادفة والمواجيد) جمع وجد على غير قياس (ثمرات الاوراد) اى مترتبة عليها بواسطة المنازلات كما سيأتى تفضلا لا بالاكتساب (فكل من ازدادت وظائفه) من الاوراد (ازدادت من الله لطائفه) الاخروية والدنيوية (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول الواردات) انما تحصل (من حيث الاورادة) عليه (من لا ورد له بظاهره لا وارد له فى سرائره وكل وجد فيه من صاحبه شئ) من صنعه (فليس بوجد حقيق (وكما ان ما يتكلفه العبد من معاملات ظاهره) الصالحة (يوجب له حلاوة الطاعات) فى قلبه (فما ينازله) اى ينتقل اليه (العبد من أحكام باطنه) من درجات المقامات كورع وزهد وتوكل ورضا وتسليم ومحبة وأنس (يوجب له المواجيد) من رجاء لحصول ما طلبه اوخوف من فواته اوشكر لاسباغه او شوق لكمال حصوله (فالحلاوات الحاصلة فى القلب (ثمرات المعاملات) المتقدمة (والمواجيد نتائج المنازلات) التى هى نتائج الاوراد والمعاملات

فيبقيه

(واما الوجود فهو) انما يحصل (بعد الارتقاء عن الوجد ولا يكون وجود الحق) عند العبد (الا بعد خمود البشرية) اى غيبته عن احساسه بها (لانه لا يكون للبشرية بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة) لان العبد مادام مدركا لنفسه متمتعا بوجده فبشريته حاصلة واذا اشتغل بالحق كمال الشغل حتى نسى كونه مشتغلا به صار الغالب عليه ادراك الحق خاصة وعبروا عن هذه الحالة بالوجود (وهذا معنى قول ابى الحسين النورى أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد اى اذا وجدت ربى فقدت قلبى واذا وجدت قلبى فقدت ربى) اى فأنا مستغرق فى وجود الحق فلا يصح وجوده عند العبد الا بعد غفلته عن قلبه (وهذا معنى قول الجنيد علم التوحيد) اى تحصيله تصورا وتصديقا (مباين لوجوده) اى التوحيد (ووجوده مباين لعلمه) يعنى ان العبد يكون عالما بالتوحيد بالاستدلال بالآثار ولا يكون واجداله لان وجوده لا يبقى للعبد معه احساس بنفسه فضلا عن علمه به واستدلاله عليه (وفى هذا المعنى أنشدوا * وجودى) وهو الحالة التى يغلب فيها على القلب ادراك الحق (أن) بالفتح (أغيب عن الوجود *) اى الخلق (بما يبدو على من الشهود *) فصاحب الشهود حاله الوجود والوجد حينئذ مفقود عنه لاشتغاله بالشهود

فيبقيه والله أعلم (قوله واما الوجود الخ) شروع فى تحقيقه ببيان حقيقته فقوله فهو الخ محصله انه لا يتم للعبد الا بعد فنائه عن سائر الحظوظ الحقة بالاستهلاك عن الاحساس بشئ سوى الحق تعالى فيفنى عن نفسه ووردها وواردها وكل كائن فحينئذ يتحقق له الوجود الواجب فافهم (قوله الا بعد خمود البشرية) اى لما يجد من لذة الاذواق الشهودية والشهادات الذاتية التى لا لذة فوق لذة منازلاتها لان لذة الاجساد من ماكل ومشرب ومنكح وغير ذلك تضمحل بالنسبة اليها اذ جميع عوالم الجبروت كالعقول والنفوس المجردة وعوالم الملكوت كالنفوس المنطبعة وقواها وعوالم الملك والشهادة كالسموات والارض ومن فيهما ممدة من ذات غيب الغيب المطلق ذى الجلال والجمال المحقق فكيف لا يتلاشى فيه الفانى اذا تحقق العبد بالقريب الدانى فافهم (قوله وهذا معنى الخ) الاشارة الى جميع ما تقدم من تطورات العبد وتقلبات أحواله المعلوم ذلك من المقام والاحالة الوجود هى حالة استغراق العبد فى الملك الحق (قوله اذا وجدت ربى فقدت قلبى) اى فهو يشاهد المنة فى الحالة الاولى والقهر فى الحالة الثانية فالحق تعالى فى كل ذلك متعرف اليه ومقبل بوجود لطفه عليه (قوله وهذا معنى قول الجنيد الخ) اى فهو يوضح ما لابى الحسن النورى نفعنا الله بالجميع (قوله علم التوحيد الخ) اى وذلك ظاهر لوجود الفرق بين من تصور شيأ وصدق به وبين من قام به ذلك الشئ وتحقق به و يدل عليه قول بعضهم

لا يعلم الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

فالاشارة الى أن مجرد علوم الظاهر لا يفيد شهود رب الظاهر بل انما يتحقق ذلك للكامل بالوجود لانه الموصل الى المقصود اذ العلم يقام مع الاحساس والوجود فناء بشهود رب الناس (قوله وفى هذا المعنى أنشدوا الخ) اى وله أشار بعضهم أيضا حيث قال شعرا

اثبات غيرك شرك فى عقيدتنا * نفى السوى مذهبى يا قرة العين

وأشار آخر حيث قال ايضا

لا كنت ان كنت أدرى كيف كنت ولا * أكون ان كنت أدرى كيف لم أكن

(قوله وجودى أن أغيب الخ) اى وذلك لان العاشق من المحبين اذا شاهد محبوبه غاب عن سائر الكائنات غيره بسبب الشهود غيبة لذة وسكر ثم اذا غاب عن نفسه كذلك فقد ازداد غيبة فيزداد طربا فيزداد سكرا فيزداد صحوا اذ قوة الصحو بقوة السكر فافهم (قوله أن أغيب عن الوجود) اى فالتحقق بمقام الوجود بشهود الحق لا غير انما ينشأ عن الغيبة الكاملة عما سواه تعالى وقوله بما يبدو على الخ اى بما يظهر لقلبى الذى هو بيت الله المقدس الطاهر من التعلق بالاغيار و يقال له البيت المحرم لكونه حرم على غير الحق تعالى وبيت الحكمة لكونه موطن الاخلاص الذى هو منشأ الاختصاص فافهم

(فالتواجد بداية والوجود نهاية والوجد واسطة بين البداية والنهاية) فعلم من جميع ما ذكر أن الوجود استغراق
في الحق والتواجد طلب الوجد
والوجد إدراك آثار الوجود
والتنعم بآثار قربه فلهذا كان
واسطة بين الطالب ووجود
الأدب وأشار إلى انتقال أحوال
الطالب بذلك فقال (سمعت
الأستاذ أبا علي الدقاق) رحمه الله
(يقول التواجد يوجب استيعاب
العبد) بالاجتهاد في طلب الوجد
(والوجد يوجب استغراق العبد)
في مطلوبه (والوجود يوجب
استهلاك العبد) بكمال اشتغاله
بالحق بحيث ينسى نفسه فضلا
عن غيره (فهو) أي العبد (كمن
شهد البحر) وأحواله (ثم ركب
البحر) لحاجة دعت إلى ركوبه
(ثم غرق في البحر) فإن إقدامه
على ركوبه إنما حصل بطلبه
واجتهاده في حصول مقصوده
فإذا ركبه واختلفت عليه
أمواجه قوي عليه حاله واشتد
قلقه فإذا غرق فيه زال عنه خوفه
وقلقه لحصول المخوف واستغراقه
فيه ولذلك قيل

إنما أجزع مما أتقي
فإذا حل فمالي والجزع

(وترتيب هذا الأمر) وهو الانتقال
من حال إلى حال (قصود ثم ورود
ثم شهود ثم وجود ثم خمود وبمقدار
الوجود يحصل الخمود وصاحب
الوجود له صحو ومحو فحال صحوه
بقاؤه بالحق وحال محوه فناؤه
بالحق

(قوله فالتواجد بداية الخ) أي من حيث أن التواجد أول شؤون المريد السالك لأنه تخلق والوجد خلق والوجود ثمرة عنهما والله أعلم (قوله فعلم من جميع ما ذكر) أي من جميع ما تقدم للمؤلف من بيان حقيقة التواجد والوجد والوجود أن الوجود استغراق في الحق أي وذلك الاستغراق بواسطة الغيبة عما سواه تعالى الناشئة عن الوجد الذي هو ثمرة التواجد كما صرح بذلك الشارح (قوله يقول التواجد يوجب الخ) أي فتكلف الوجد وقصد حصوله للطالب يثبت للعبد استفراغ جهده وبذل وسعه في حصول الوجد له والوجد إذا حصل وتم أوجب استغراقه في تلذذه وتنعمه بمطلوبه فيترقى به إلى الوجود الموجب له الانمحاق والاستهلاك عن سائر الكائنات بشهود الحق تعالى وحده لا شريك له (قوله والوجد يوجب استغراق العبد الخ) محصله أن الوجد المترتب على التواجد يحقق للعبد استغراقه وبذل وسعه في كل أوقاته في طلب مقصوده من الوجود الناشئ عن الوجد (قوله والوجود يوجب استهلاك العبد) أي يوجب تلاشيه حتى لا يشهد في الوجود غير الوجود الحق لأنه إذا صح الفناء والاضمحلال زال من فني وبقي من لا يزال لكونه يتحقق في مقام الجمعية الذي يوجب اجتماع الهمم في التوجه إليه تعالى والاشتغال به عما سواه وبإزائها التفرقة التي هي توزع الخاطر للاشتغال فيما بالخلق (قوله فهو أي العبد كمن شهد البحر الخ) أي لأن العارف يشهد أولا فيض القدرة الصفاتي ثم الفيض الذاتي المدرك في عالم الحكمة الذي لا يتوقف على استعداد ويكسب ثم يغرق في شهود ذات ذي الصفات جل اسمه (قوله فإن إقدامه على ركوبه الخ) الغرض للشارح بيان وجه تشبيه التواجد والوجد والوجود المترتبة في الحصول بشيء محسوس تقريبا للعقول القاصرة عن إدراك تشريف هذه المعاني (قوله قصود الخ) إنما جمع القصد وما بعده لتنوع مقاصد السالك وإذا تنوعت مقاصده تنوعت وارداته لكونها من ثمرات مقاصده وإذا تنوعت وارداته تنوعت مشاهداته لأنوار ذات الحق تعالى وإذا تنوعت مشاهداته لتلك الأنوار تنوع وجوده وذلك لظهور وتحقق وجه الحق في كل شيء وإذا تنوع وجوده بالوجه الذي ذكرناه تنوع خموده وذلك لتلاشي ما سوى الحق في الوجه الأحق وذلك الخمود تابع لتشريف ذلك الوجود قوة وضعفا هذا حاصل ما أشار إليه وعول في كلامه عليه تأمل في المقام ومني عليك السلام (قوله وصاحب الوجود له صحو ومحو الخ) أي إفاقة وانمحاق بمعنى الغيبة عما لا يعني واعلم أن المحو أنواع فمحو أرباب الظواهر رفع أوصاف العادة والخصال الذميمة ومحو أرباب السرائر إزالة العلل والآفات والمحو الحقيقي هو فناء الكثرة في الوحدة ومحو عين العبد هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان إذ هي شؤون ذاتية ظهرت في الحضرة الواحدية بحكم العالمية فهي معلومات معدومة العين أبدا إلا أن الوجود الحق ظهر فيها فهي مع كونها ممكنات معدومة لها آثار في الوجود الظاهر بها وبصورها المعلومة فالوجود ليس إلا من

الحق

وهاتان الحالتان أبدا متعاقبتان عليه فاذا غلب عليه الصحو بالحق فبه يصول وبه يقول قال عليه السلام فيما أخبر عن الحق) في خبر (فبي يسمع وبي يبصر) وفي خبر آخر بك أصول وبك أقول وفي آخر بك أسامت وبك ساكت (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي) رحمه الله (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول وقف رجل على حلقة الشبلي فسأله هل تظهر آثار صحة الوجود على الواجدين فقال نعم) يظهر (نور يزهر مقارنا لنيران الاشتياق) اى مترتبا عليه (فتلوح على الهياكل) اى الاشخاص (آثارها) لان العبد متى قوى اشتياقه لمطلوبه حتى شغله عن نفسه بما اطلعه الله عليه من خفى لطفه ظهر ذلك على بدنه فبكلم ولا يسمع ويمر به ولا يشعر ويظهر نور باطنه على وجهه وبدنه كما قال ابن المعتز

(وامطر الكاس ماء من أبارقها) اى الكاس التي فيها الخمرة

(فأنبت الدر في أرض من الذهب
وسبح القوم لما ان راوا عجبا
نورا من الماء في نار من العنب)

شبه الخمرة من حيث تأثيرها بالنار ومن حيث صفاؤها الحاصل من الماء اى عصيرا لعنب بالنور (سلافة) بالفاء اى خمرة

(ورثتها عاد عن ارم * كانت
ذخيرة كسرى عن اب فأب *)

الحق تعالى والاضافة نسبة ليس لها وجود في الخارج والافعال والتأثيرات ليست تابعة الالعين الحق دون المعدوم فلا فاعل في الخارج ولا موجد الا الحق تعالى وحده لا شريك له فالعبد محو والعبودية ممحوة كما أشار اليه تعالى حيث قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فافهم والله أعلم (قوله متعاقبتان عليه) اى فصاحب الوجود أبدا ما بين محو واثبات على معنى انه يمحو ماله ويثبت ما للحق تعالى (قوله فبه يصول وبه يقول) اى فيكون حاله في الاقوال والافعال بلسان الحق وبذلك قد ينسبهم أهل الغفلة الى الزندقة والكفر والابتداع وغير ذلك (قوله في خبر وقوله وفي خبر آخر الخ) اى فأشار بالخبرين الى المقامين في حال تحقق الوجود لبعض العارفين المقربين (قوله فقال نعم الخ) محصل ذلك افادة ثبوت هذا الحال ولاسيما لاهل البصائر القدسية التي تنورت بنور الحق وانكشف حجابها بواسطة هدايته فيرى صاحب هذا المقام الحقائق على ما هي عليه وقوله نم يظهر نور الخ اى لان كسوة الاسرار بالانوار قد تفيض فتظهر النور على الاشباح للابصار والله أعلم (قوله يظهر نور يزهر الخ) اى يشرق في السرائر يضيء فيها مما ينشأ مقارنا لتأجج نيران الاشتياق ويترتب عليها ترتب العلة على المعلول وقوله فتلوح على الهياكل اى جريا على عادة الله في خلقه من ان كسوة القلوب تظهر على صفحات وجه المحبوب كما أوضحه الشارح (قوله وامطر الكاس الخ) حاصله انه شبه انصباب الماء في آنية الخمرة المسماة أباريق بانصباب ماء السماء المسمى مطرا على الارض بجامع الصفاء والرقة واللطف لحصول الملاذ والمنافع بكل وشبه ماء الخمرة في تأثيره للعجيب الذي يعلو ما في الكاس وقت صب الخمرة فيه بماء المطر بجامع الانبات بكل وقوله فسبح القوم اى نزه الجماعة الاله الحق حيث هو الموجد لكل شيء وقوله لما أن رأوا عجبا اى أمرا عجيبا والعجب يكون مما خفي سببه وقوله نورا من الماء لصفائه في نار من العنب وذلك هو محل العجب حيث اجتمع نور ونار في شيء واحد فهو يريد تشبيه الصفاء الذي في الخمرة باعتبار ما فيها من الماء بالنور بجامع الاضاءة في كل وتشبيه تاثير الخمرة في الطرب بالنار بجامع مطلق التأثير وقوله سلافة اى خمرة اذ السلافة من أسماء الخمرة ورثتها عاد عن ارم اسم لقبيلتين كانت اى تلك الخمرة ذخيرة اى مدخرة ولا يخفى ان الذخيرة ما يدخر من نفيس الاشياء وقوله كسرى اى ملك الفرس عن أب فأب بيان للموروث عنهم وتحقيق ما ذكر عند من له اطلاع على فن البيان يكفي عن لقلقة اللسان هذا ولما كان المراد هنا ان اللذة الحاصلة لقلوب أرباب الهمم السائرين الى الله تعالى بما يرد على أسرارهم من واردات الحق وبروق أنوار الصدق التي هي ثمرات أورادهم المتلقاة من كابر فكابر الى أن تصل الى سيد الكمل صلى الله عليه وسلم تشبه ما حكى في هذا الشعر اللطيف بل يكون ذلك من الحاق القوى بالضعيف والشريف بالخسيس والاعلى بالادنى المحسوس فقد شبه ذلك بما تقدم على جهة التمثيل والتقريب للعقول القاصرة

قيل لاحاجة للتشبيه بما قاله من ذكر الوصف للخمر وكمال وصفها وانها مدخرة اباعن اب بل لو تركه كان اولى لكنه انما قصد به لطافة ماوجده من حاله وحسن مايشاهده وكمال نوره فى محله (وقيل لابى بكر الدقى ان جهما الدقى أخذ شجرة بيده فى حال السماع فى ثورانه فقلعها من أصلها فاجتمعا فى دعوة) أى وليمة (وكان الدقى) قد (كف بصره فقام جهم الدقى يدور فى حال هيجانه) وربما وجد فى نفسه استحسانا لكمال حاله وقوته فاوقع الله فى نفس الدقى ان يعجز جهما ليرجع عن ذلك ويتأدب فى نفسه (فقال الدقى اذا قرب منى أرونيه) أى اعلمونى به (وكان الدقى ضعيفا فمر به فلما قرب منه قالوا له هذا هو

فاخذ الدقى) مع ضعفه (ساق جهم) مع قوته (فوقفه فلم يمكنه ان يتحرك فقال جهم ايها الشيخ التوبة التوبة) عما وقع لى من استحسان حالى (فخلاه قال الاستاذ الامام القشيرى أدام الله جماله فكان ثوران جهم فى حق وامساك الدقى بساقه بحق ولما علم جهم ان حال الدقى فوق حاله رجع الى الانصاف واستسلم) أى انقاد له (وكذا) كل (من كان) حاله (بحق (لا يستعصى عليه شئ) لان الفاعل به ذلك هو الله ولا يقاوم عظمة الله شئ (وأما اذا كان الغالب عليه المحو) وهو الاستغراق بالكلية (فلا علم ولا عقل ولا فهم ولا حس) له لانه غائب عن نفسه (سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يذكر باسناده ان اباعقال المغربى أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب الى أن مات) هذا من خوارق العادات (ودخل بعض الفقراء على ابى عقال فقال) له (سلام عليكم فقال) له (ابو عقال وعليكم السلام فقال) له (الرجل انا فلان فقال أبو عقال انت فلان كيف أنت وكيف حالك وغاب عن حالته قال هذا الرجل فقلت) له (سلام عليكم فقال) لى (وعليكم السلام كانه لم يرنى قط فقلت) (انا فلان فقال) لى (انت فلان كيف انت وكيف حالك وغاب كانه لم يرنى قط ففعلت) مثل هذا (غير مرة فعلمت ان الرجل غائب فتركته وخرجت من عنده سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عمر بن محمد بن أحمد يقول سمعت امرأة ابى عبد الله التروغندى تقول لما كانت ايام المجاعة والناس يموتون من الجوع دخل عبد الله التروغندى بيته

والا فلا نسبة ولا مناسبة كما لا يخفى على ذى بصيرة منورة بنور الحق مؤيدة بمتابعة الصدق والله أعلم (قوله قيل لاحاجة للتشبيه بما قاله الخ) اى لما فى التشبيه من ايهام أرباب العقول القاصرة ان الخمرة لها نسبة فى المدح ووجه من اللذة واعتبار فى المنافع مع ان الامر ليس كذلك وانما جميع ذلك ثابت لخمرة الاذواق لا غير والله اعلم (قوله وقيل لابى بكر الخ) اقول الغرض من ذكر هذه القصة التنبيه على سلوك طريق الادب دائما مع الحق ومع الخلق حيث المنعم خزائنه ملأى واحساناته لا تستقصى اذ ما من حال ولا مقام الا وعنده تعالى أعظم منه يختص برحمته من يشاء (قوله وربما وجد فى نفسه استحسانا الخ) أى فانفعل معه الدقى يرجع الى التأديب والحمل على اكمل الاحوال فلا يقال انه لاظهار نقصه وهو لا ينبغى لمثله ويدل على ماذكرناه باقى كلام جهم (قوله فكان ثوران جهم فى حق) أى لعدم علمه بأن فى المجلس من هو أكمل منه وقوله وامساك الدقى بساقه بحق أى لقصده تأديبه وارجاعه الى ما هو الاولى فى حقه (قوله وأما اذا كان الغالب عليه المحو فلا علم الخ) اى فيكون علمه بالحق وتكلمه بالحق وفعله بالحق وهو لا شعور له بذلك وهو غير بعيد ألا ترى المصروع اذا استولى عليه جنى فهو يتكلم عنه وهو لا يشعر وقد يكون ذلك بغير لغته فالحق تعالى أولى وأحرى ان يتكلم على لسان عبده وان يتصرف فى ملكه وملكوته على يده فالطالب اذا جاهد نفسه مع الرياضة يمكن أن تتبدل بشريته فتظهر فى انسانيته النعوت الربانية من غير حلول بالكلية فيزول الفانى ويبقى الباقى ويظهر ما كان غيرا عينا والله اعلم واعلم أن المحو والرجوع الى حال الصحو من بساط الحكم فى الاول ومن بساط الحكمة فى الثانى وكلاهما من رب واحد اذ الاول من حكم الحقيقة والثانى من حكمة الشريعة فاذا نظر العبد الى ان الله واحد فى منته لا ينسب لغيره شيأ اذ هو الذى اجرى المنة على يد ذلك الغير وجعل الشكر عليها عين العبودية فيشكره بشكره كما يذكره بذكره لا من الغير ولا له فافهم (قوله فلا علم الخ) أى وحينئذ فلا لوم ولا عتاب اذا صدر منه ما ومنه ما لا يلائم حكم الظاهر (قوله ودخل بعض الفقراء الخ) فى ذلك (تنبيه) على ان

هذا الاستاذ قد تحقق بمقام الوجود بغيبته عما سوى الله سبحانه وتعالى (قوله فرأى فى بيته الخ) فيه تنبيه على انه كان حريصا على فعل ما يقربه الى ربه نفعنا الله به (قوله ثم كان سبب غيبته الخ) أى فكان خلقه محمديا كما أشار اليه قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم (قوله الجمع والفرق) اقول قد أجمع جمهور أرباب التصوف نضر الله تعالى وجوههم فى مجارى عاداتهم ومطاوى رموزهم واشاراتهم على ان المراد بلفظ الجمع المواهب و بلفظ التفرقة المكاسب ومعنى الجمع جمع الهمة على المجاهدات ولاشك ان العبد عزته فى أنه يجد أفعال نفسه مستغرقة فى افعال الحق تعالى ومجاهداته فى الهداية اليها فانية فحينئذ يكون قيامه بالحق والحق معه بلسان الغيب من غيب الغيب المشار اليه بخبر فبى يسمع و بى يبصر الخ يعنى يقول سبحانه ان عبدى اذا تقرب الى بمجاهداته فنحن ندخله فى سرادقات محبوبيتنا وغلبة الشوق الينا فنفنى وجوده فيه ونقطعه عن نسبة افعاله اليه فيفنى عنه ذكره كسبه فينوب عن ذكر سلطاننا وينقطع عنه نسبة اضافة صفات آدميته فيكون ذكره ذكرنا وتزداد عليه تلك الحالة الى أن يصير فى غلبتها بصفة قال فيها أبو يزيد سبحانى ما أعظم شانى حيث جرى ذلك على لسانه فى معرض الحكاية عن الله تعالى فى سكر وغلبة حال ونقل عن الجنيد قدس الله سره انه قال كان من حالى ان أهل السماء والارض يبكون دهرا على حيرتى فصار بعد ذلك انى بكيت دهرا على غيبتهم والآن ليس لى عنهم خبر ولا عن نفسى فقد أشار كل منهما الى حقيقة الحضور مع الله تعالى فان كل جمال وكمال منوط بالحضور مع الله وطريقه ليس الا الغيبة عن سواه و بسبب ذلك قد يجرى على ألسنة المحبين فى حالة الغلبة عليهم انهم الحق على معنى انهم متحققون به فانون فيه أو يصدر على سبيل الحكاية عن الحق غلبة عليهم كذلك كما أسلفنا غير ان مشايخ الطريق أجمعوا على انه لا يجوز الاقتداء الا بمستقيم قد تخلص من دوران الاحوال بوصوله الى درجة التمكين التى هى شرط فى صحة الارشاد لان مرتبة الارشاد آخر مراتب البقاء الحقيقى بعد تعدى جميع مراتب الفناء فمقام الارشاد أعلى مراتب القرب لان المقرب قد يكون فى مقام التلوين مع ان مرتبة القرب الخاص موقوفة على فناء سائر أوصاف البشرية الجسمانية والروحانية فى النشأة الدنيوية والاخروية وأول درجات القرب الخاص الولاية الخاصة لان الولى هو الفانى فى حاله الباقى فى مشاهدة الحق جل جلاله ويشير الى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم قال الله على لسان عبده سمع الله لمن حمده وفيه سر دقيق وهو ان الحمد هنا بمعنى الشكر والشكر درجات الاولى الشكر على المحاب والثانية الشكر على المكاره وذلك فيمن استوت عنده الحالات والثالثة ان لا يشهد غير المنعم عبودية فيستعظم منه النعم أو محبة فيستحلى منه الشدة ولا يكون ذلك الا بعد الفناء عن الوجودات السوائية المجازية لانه ما بقى له رمق من الوجود فما أدى حق الشكر لانه حينئذ ما أخرج نفسه من

(فرأى فى بيته مقدار منوين حنطة) تثنية منا بالقصر وهو افصح من منين وهو رطلان قاله الجوهرى (فقال الناس يموت من الجوع وفى بيتى حنطة فخولط فى عقله) بحيث غاب عن نفسه من شدة ما دخل عليه بسبب حرصه على الطعام فى وقت الاحتياج اليه اذ كان حقه ان يخرج الناضر عن قوته (فما كان يفيق الا فى اوقات الصلاة يصلى الفريضة ثم يعود الى حالته فلم يزل كذلك الى ان مات دلت هذه الحكاية على ان هذا الرجل كان محفوظا عليه آداب الشريعة عند غلبات احكام الحقيقة) عليه حيث حفظ فى اوقات الصلاة ليصلى فرضه (وهذا هو صفة اهل الحقيقة ثم كان سبب غيبته عن تمييزه) الحاصلة بجوعه بجوع غيره (شفقته على المسلمين وهذا) اى كون المستغرق يحفظ حتى يرد الى اقامة فرضه ثم يرد الى ما كان فيه وفى نسخة وهذه اى الحالة المذكورة (اقوى سمة) اى علامة للحقيقة (لتحققه فى حاله المتلبس به (ومن ذلك الجمع والفرق لفظ الجمع والتفرقة يجرى فى كلامهم كثيرا) والجمع

التشريك في صفة الوجود مع الحق تعالى وذلك ذنب لا يقاس به ذنب ويؤيد ذلك ماقيل في بيان الشكر من انه صرف العبد جميع ماأنعم الله عليه به فيما خلق لاجله ومن ذلك الوجود المجازي له والحاصل ان مقام حقيقة الشكر يحصل للعبد اذا تجلت عليه الذات الاحدية بصفة الفردانية باقية بالبقاء الابدي والدوام السرمدي فيصير الحق تعالى خليفة عن العبد الفاني فيه في مقام الجد الحقيق فيسمع ويبصر نيابة عنه فيكون معنى قوله سمع الله لمن حمده ان الله تعالى يقول بلسان العبد الواصل الى هذه الدرجة انه فنى العبد في وصار عدما فانا اسمع لاجله ونيابة عنه فاللام في قوله لمن حمده بمعنى لاجل وليست صلة السمع لان المسموع لايكون الذوات ثم لوابدل من بما كانت اللام صلة السمع ومن لم يفهم السر أشكل عليه الكلام ولذا قال بعضهم سمع بمعنى قبل وقال آخرمن بمعنى ماو آخر المضاف مقدر أى لقول من حمد وكل ذلك خلاف الظاهر فافهم ثم ويدل لقام الفناء في هذا المقام وقيام الحق عن الفاني بالخلافة قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى من ابتليته قبلته ومن قبلته قتلته ومن قتلته فعلي ديته ومن على ديته فانا ديته وقول الجنيد قدس الله سره من كان في الله تلفه كان الله خلفه فحصل ان مقام الجمع لا يتم الا بتمام الفناء عن الاكوان باسرها وعن الشعور بالنفس لانه مابقى رمق ماصح التوحيد على سبيل الجمع الاترى لوفرضنا ان شخصين في دار واحدة قال أحدهما للآخر مافي الدار الا أنت لكان في الحقيقة وجود القائل مكذبا لقوله لان وجوده أيضا في الدار فان قلت ان ذلك قد يؤدي الى المضي على مذهب السوفسطائية أو الوجودية القائلين بالاتحاد وكلا المذهبين ضلال وباطل قلنا لايلزم ذلك بل اللازم الاشارة الى أن الموجودات الكونية عكس من عكوسات نور وجوده تعالى تصور ذلك العكس بصور الماهيات الممكنة التي لها تعين ووجود في العلم القديم لان نور الوجود القديم انعكس أولا على الاعيان الثابتة العلمية ومنها على الماهيات الامكانية ومنها على الموجودات الكونية في عالم العين كل في وقت ومحل بحسب تعلق القدرة والارادة واقتضاء الحكمة فتكون هذه الوجودات العينية عكس عكس عكس نور الوجود القديم مستعارات من المستعار من المستعار فهي باقية مالم يتجل صاحبه والا فترجع العكوسات كلها اليه وتخلع عن صورها ويظهر سر واليه المرجع والمآب وكل الينا راجعون فتبطل جميع الوجودات الكونية حينئذ ومايبقى الا الوجود الحق منفردا بذاته قائلا لمن الملك اليوم فباثبات الوجود المستعار خرج الموحد عن مذهب السوفسطائية وبنفي الوجود الحقيق عن الممكنات خرج عن مذهب الوجودي المتزندق حيث يقول الاول ان العالم خيالات وأوهام ويقول الثاني ان وجود الممكن والواجب شئ واحد في نفس الامر وتعدده ظاهري بالنظر الى التعينات فقد خرجوا مذهبهم بالسوفسطائية حيث قالوا التعينات سراب وموهومات ليتم مقصودهم لان ذلك التعين اذا كان محققا عندهم في

الواقع

الواقع فان كان غير الوجود القديم لزم التعدد في الوجود وان كان عينه لزم أن يكون الوجود الواحد متعينا بتعينات غير متناهية في نفس الامر والوجود عندهم غير متعين في نفسه بل تعينه في الكون فقط ثم نقول ان حال هاتين الطائفتين مع ما هم عليه من الضلال ونقصان الكشف خير من الدهرية حيث نفوا الصانع بوقوفهم مع الهيا كل والصور الحادثة فهما هم اشد ثم الوجودية قد قالوا بقدم العالم كالحكيم وبنفي الصانع من وجه كالدهرية فمذهبهم فيهم انه مركب من مذاهب ثلاثة سوى بدعتهم السوفسطائية والدهرية والحكيم ثم اعلم ان معنى التفرقة على حسب معنى الجمع فادناها شهود الخلق مع الغفلة عن الملك الحق وأعلاها شهود الخلق بالحق واعلم ان صاحب هذه الرسالة قد مشى على اثبات مقام يقال له جمع الجمع وهو يرجع الى ما قلناه في الجمع فلهم طرق متعددة لا ينافي بعضها بعضا الا بالاجمال والتفصيل واعلم ان هنا حالة تسمى الفرق الثاني وهي عزيزة وحقيقتها أن يرد العبد الى الصحو وقت أداء الفرض ليجرى عليه القيام به في وقته فيكون رجوعا لله بالله لا للعبد بالعبد فالعبد في هذه الحالة يطالع في تصريف الحق والحاصل ان مقام الجمع وجمع الجمع يتحقق للعبد اذا كان مصطلما عن نفسه مأخوذا بالكلية عن الاحساس بالكل غير ما ظهر عليه من سلطان الحقيقة فان رجع الى شهود الغير قائما بالحق فقد وصل الى الجمع وان غفل عن قيامه بالحق فقد عاد الى محض التفرقة (قوله الجمع والفرق) قال في عوارف المعارف أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو فهذا جمع ثم فرق فقال والملائكة وأولو العلم وقوله تعالى آمنا جمع ثم فرق بقوله وما أنزل الينا والجمع اصل والتفرقة فرع كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل الى ان قال والمقصود انهم أشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فعلى هذا لا جمع الا بتفرقة ويقولون فلان في عين الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد الى شيء من أعماله عاد الى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع وهذا يرجع الى ان الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بامر الله فالنظر الى الكون تفرقة والى المكون جمع واعلم ان الفرق بعد جمع الجمع يقال له صحو الجمع وهو خلق محمدي وشأنه ان يدرك صاحبه بالبصر ما يدرك بالقلب والسمع والشم واللمس والذوق وأما مقام جمع الجمع فلا يدرك صاحبه كل محسوس ومعقول الا بقوة مخصوصة بذلك الادراك والله اعلم اه * فائدة * اعلم ان الجمع وجمع الجمع لا يشغل العبد الكامل عن وظائف وقته تحقيقا لمظاهر عبوديته وله الاشارة بقول العارف ابن الفارض قدس الله سره

ولم اله باللاهوت عن حكم مظهري * ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتي

هذا واللاهوت الروحانية والناسوت البشرية والله اعلم ثم ولمقام الجمع أشار بعضهم حيث يقول

ولما تجلى من أحب تكرما • وأشهدني ذاك الجمال المعظما
ترفع لي حتى تيقنت انني • أراه بعيني جهرة لا توهما
وفي كل حال اجتليه ولم يزل • على طور قلبي حيث كنت مكلما
وما هو في وصف بمتصل ولا • بمنفصل عني وحاشاه منهما
وما قدر مثلي أن يحيط بقدره • وأين الثرى من رفعة البدر أينما
أشاهده في صفو سري فاجتلي • جمالا تعالى عزه ان يقسما
كما ان بدر التم يظهر وجهه • بصفو غدير وهو في أفق السما

فعليك يا أخي أن لا تنكر على أولياء الله ولا تقف ما ليس لك به علم فاذا لم تعلم فسلم لمن يعلم لتكون على أي حالتيك سالما (قوله مأخوذ من جمع الهمة على الحق تعالى) أي بسبب استغراقه وغيبته فيه وفنائه عمن سواه ومع ذلك فجميع حواسه ثابتة متحققة له وانما لا احساس لها بغير الحق فصاحب هذا المقام دائم المراقبات مغمور بالرحمات رضيع ثدي المشاهدات باشراق أنوار التجليات والله أعلم (قوله مأخوذة من تفرقته الخ) أي بسبب شهوده للكائنات قولا وفعلا حافظا لرسوم علم الشريعة فهو يدور مع الحق كيفما دار وهذا مقام شريف قل من دام عليه على استقامته وذلك لصعوبته على كثير من الخلق اذا علمت ذلك تعلم ان المفرق ليس هو من اشغلته الكائنات عن الحق من المفرق يشاهد حكم الشريعة لانه مبعد عن الرحمات واقع في المهلكات اعاذنا الله من ذلك (قوله والجامع والمفرق في الحقيقة هو الله الخ) من ذلك تعلم ان حقيقة الجمع تحصل للعبد بشهود الحق تعالى في حضرة وحدته وان الاكوان باسرها صادرة منه واليه عائدة ولا يتم له ذلك الا اذا تخلص من الكثرة وقيد الوثاق حتى تضمحل ذاته وتفنى صفاته ويبقى في بحر وحدة الحق مستهلكا وفي تيار الصفات مضمحلا فلا تبقى منه بقية لخلق بل يبقى حقا بلا خلق فيشاهد حينئذ نفسه بالصفات التي تحجب بها عنه وانه هو المحبوب بعينه لا محالة وان الذي أماله على معرفته هو هو فهو الحبيب وهو الطالب وان هيمانه في طلبه عليه انما كان به ومنه واليه فاذا وصل المحقق الى الجمع المطلق صار غيبا في الذات الاحدية فصارت تلك العين عينه وصفاتها صفاته وبها تحجب عنه كما بها شاهد عينه وذاته وتبين ان المحب هو المحبوب ثم اذا تحقق بالفرق فيرجع الى مشاهدة الخلق الجديد بعد الاستهلاك في المبدئ المعيد والله أعلم (قوله الفرق ما نسب اليك) أي من الاقوال والافعال فضلا من الله ورحمة والا فالنسب والاضافات لا حقيقة لها في خارج الاعيان فمن شهد أفعال نفسه فقد تفرق ومن غاب عنها فقد تحقق وقد أشار اليه عارف زمانه وعاشق أوانه حيث قال

حليف غرام أنت لكن بنفسه • وابقاك وصفا منك بعض أدلتي
فلم تهونى مالم تكن فيّ فانيا • ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتي

ماخوذ من جمع الهمة على الحق تعالى والتفرقة مأخوذة من تفرقته في الكائنات مع الحق والجامع والمفرق في الحقيقة هو الله تعالى (وكان الاستاذ ابو على الدقاق رحمه الله يقول الفرق مانسب اليك

البشرية فهو فرق وما يكون من قبل الحق من ابداء معان واسداء) اى اصابة (لطف واحسان فهو جمع هذا ادنى احوالهم في الجمع والفرق لانه) أى ادنى احوالهم كائن (من شهود الافعال فمن أشهده الحق سبحانه افعاله من طاعاته ومخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة) بين العابد والمعبود (ومن اشهده الحق سبحانه ماتوليه) اى يعطيه (من افعال نفسه سبحانه فهو عبد بشاهد) اى بوصف (الجمع) بمعنى مجموع الهمة على الحق تعالى (فاثبات) احوال (الخلق) عند العبد (من باب التفرقة واثبات) احوال (الحق) عنده (من نعت الجمع ولا بد للعبد) في سلوكه لمولاه (من الجمع والفرق فان من لا تفرقة له لا عبودية له ومن لا جمع له لا معرفة له فقوله اياك نعبد اشارة الى الفرق) المقتضى للتفرقة بين العابد والمعبود (وقوله واياك نستعين اشارة الى الجمع) المقتضى للتبرى من الحول والقوة الا بالحق ويقال فلان في عين الجمع اى بعين استيلاء مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد الى شئ من اعماله عاد الى التفرقة ثم ذكر نوعا آخر من التفرقة والجمع ارفع مما مر فقال (واذا خاطب العبد الحق بلسان نجواه اما سائلا او داعيا او مثنيا او شاكرا او متنصلا) من ذنبه (او مبتهلا) اى متضرعا

فهو يريد ان الحب وان لازمه انغرام ولم يفن عن نفسه فيما أحبه من نعوت محبوبه فهو مغرم بنفسه لا بمحبوبه مع انه قد قيل اوقف لك مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر لك مطلب أنت طالبه بنفسك وأشار الى مقام الغيبة مع الحق استغراقا فيه حيث يقول

انما صلواتى بالمقام أقيمها * وأشهد فيها أنها لى صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى * حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لى صلى سواى ولم تكن * صلاتى لغيرى فى أدا كل ركعة

أقول وما يمكن يفهم هذا المشهد الا بضرب مثل وتلك الامثال نضربها للناس وهو مرآة صقيلة حاذتها صورة جميلة فظهرت فيها بنعوتها وتجلت فيها بوجهها فهل ترى المرآة حلت في الصورة أو الصورة حلت في المرآة فكانت المرآة تظهر فيها الصورة الواحدة بتجليات متنوعة مختلفة باختلاف ذات المرآة رصقالتها واستقامتها واتساعها واستطالتها واستدارتها كذلك شهود الحق في مرائى قلوب الخلق بهذا الاعتبار شعر

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

فافهم (قوله والجمع ماسلب عنك) أى باعتبار باطن الامر ونفس الحقيقة (قوله ان مايكون كسبا الخ) أى بحسب ظاهر الحال وحكم الشريعة (قوله فهو عبد الخ) أى فهو الجدير باسم العبد لله حيث هو قد تحقق بمقام العبودية وقام باعباء التكاليف الشرعية فهو بوصف شهود الحق ومله والخلق ومالهم (قوله من أفعال نفسه سبحانه) أى من الذى يحصل له بواسطة الفضل الالهى مما لا مدخل للعبد فيه بشئ من أنواع الكسب (قوله بشاهد الجمع) أى حيث شهد ان الامر من الله وبالله والى الله والله أعلم (قوله فاثبات أحوال الخلق) أى بحكم الشريعة وظاهر الحال وقوله واثبات أحوال الحق أى بحكم الحقيقة ونفس الامر (قوله ولا بد للعبد الخ) أى لا غنى له من جهة عبوديته في حال سلوكه وصفته فيه من الجمع والفرق أى لاجل تحقيق ما للعبد وما للحق كما هو المقصود من حكمة الايجاد والاختراع (قوله فان من لا تفرقة له الخ) أى لان التكليف لا يتم ولا يتحقق الا بتحقق العبودية التى بها يثبت ما للعبد ويتميز عما للرب وقوله ومن لا جمع له لا معرفة له أى لان المعرفة هى شهود الفعل له سبحانه وتعالى كما يشير اليه قوله جل جلاله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (قوله فقوله اياك نعبد الخ) وجه التفرقة والجمع فيما ذكر ان في قوله نعبد الاستقلال اعتبارا بظاهر الحال وفي قوله نستعين الرجوع الى قوة الكبير المتعال (قوله أى بعين استيلاء الخ) يشير الشارح الى أنه متحقق بمقام الاحسان اى بالدرجة الثانية منه ولو حمله على الاولى منه لكان أظهر وقوله فاذا عاد الى شئ من أعماله أى الى شهودها صادرة منه باعانة الحق تعالى لا استحسانا لها ولا وقوفا معها لان ذلك حجاب عظيم (قوله قام في محل التفرقة) أى حيث اتصف بنعت

(قام في محل التفرقة) وان رای ذلك من فضل ربه لكونه يرى نفسه سائلا او داعيا أو غيره (واذ اصغى بسره الى ما يناجيه به مولاه واستمع بقلبه ما يخاطبه به فيما ناداه او ناجاه او عرفه معناه او لوح) به (لقلبه واراه فهو بشاهد الجمع) لما غلب على قلبه من فعل ربه به وكونه محلا لجريان لطفه به (سمعت

ابى سهل الصعلوكى رحمه الله

* جعلت تنزهى نظرى اليك *

وكان ابو القاسم النصراباذى رحمه الله حاضرا فقال الاستاذ ابو سهل جعلت بنصب) وفي نسخة بفتح (التاء فقال النصراباذى بل جعلت بضم التاء فقال الاستاذ ابو سهل اليس عين الجمع اتم) لان نسبة الافعال الى الله اتم من نسبتها الى العبد (فسكت النصراباذى) تسليما للصعلوكى واعترافا بفضله ما قاله (وسمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى ايضا يحكى هذه الحكاية على هذا الوجه ومعنى هذا أن من قال جعلت بضم التاء يكون اخبارا عن حال نفسه فكان العبد يقول هذا من عنده واذا قال جعلت بالفتح فكانه يتبرا من ان يكون ذلك بتكلفه بل يخاطب مولاه فيقول انت الذى خصصتنى بهذا لا انا) الذى فعلته (بتكلفي فالاول على خطر الدعوى) لنفسه (والثانى بوصف التبرى من الحول (و) بوصف (الاقرار بالفضل والطول) اى الغنى (وفرق بين من يقول بجهدى اعبدك وبين من يقول بفضلك ولطفك اشهدك وجمع الجمع فوق هذا) (وقد

العبودية بالتذلل والخضوع لاجل التعرض الى نفحات الربوبية والله أعلم (قوله قام في محل التفرقة) اعلم ان الكمال في الكمال فانه لا يتم حال الواصل ولا يكمل أمره الا بكمال متابعته لصاحب الكمالات صلى الله عليه وسلم فانه لم يخمد نور توحيده نور ورعه و زهده ولا محبته ومحبوبيته سرادقات شريعته وطريقته عن النفوذ في عالم حقيقته بل كان يعطى كل ذى حق حقه و بذلك امر صلى الله عليه وسلم فالحقيقة بدون شريعة وطريقة باطلة والشريعة والطريقة بدون حقيقة عاطلة فمن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تفقه وتصوف فقد تحقق والله اعلم (قوله واذا أصغى الخ) أى وكل ذلك لا يتم للعبد الا بعد فنائه عن ارادته في مرادات سيده واقضيته (قوله لما غلب الخ) يشير بذلك الى أن ثبوته في تلك الاحوال بحكم الغالب من أحوال الحقيقة الذى يظهر منه ان الحكم كذلك وان بقى احساسه في التلذذ بتلك الاحوال السنية (قوله أليس عين الجمع اتم) أى أكمل من الحمل على عين الفرق اقول ولعله قد طلع على وصول المنشئ الى هذا المقام أو هو من باب تحسين الظن به حيث حمل حاله على اكمل الاحوال ومن وارد الجمع أيضا مانقل عن العارف الوفائى قدس الله سره حيث قال شعرا

كنت قبل اليوم حائر * في زوايا الكون داير
والذى يهواه قلبى * لم يزل في القلب حاضر

الى أن قال

جمع الله شتاتى * فتوات فرحاتى وغدا محبوب قلبى * عين ذاتى وصفاتى

وهذا المقام يشهد ويعقل ولا يسئل عنه لكن يتنعم فيه ويتعقل كما قيل

قد كان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فان لم يهتد عقلك الى ماذكرناه فانصف من نفسك فهل كلما صنف العلماء من صنوف العلوم وفنونها تهتدى اليه عقول العامة هيهات بل يبقى العالم مع ذوى طبقته في كل فن متنعما متفرغا بتلك المباحث الرشيقة والاشارات الدقيقة و يبقى من دونه كغريب من لغته وكجنس آخر من غير جنسه فافهم (قوله يقول هذا من عنده) أى وقوفا مع الاسباب وقوله فكانه يتبرأ أى رجوعا الى شهود الفاعل المختار (قوله فالاول على خطر الدعوى) أى المخاطرة فيها بنفسه حيث نسب لنفسه حالا أو مقاما (قوله وفرق بين من يقول الخ) اى اعتبارا بظاهر الحال والا فالكل يعلم انه بتوفيق من الكبير المتعال (قوله فمن أثبت نفسه الخ) اقول وهذه الطريقة هى الجادة في مثل هذا الحين فلا ينبغى أن ينظر العبد الى الحق و يعرض عن الخلق ولا ان ينظر الى الخلق الا و يكسوهم بالحق

اخذ في بيانه مع بيان الجمع ايضا بنوع آخر فقال (و يختلف الناس في هذه الجملة على حسب تباين احوالهم وتفاوت درجاتهم فمن اثبت نفسه واثبت الخلق) اى سائرهم وشاهد ايقاع افعاله طاعة لله تعالى فهو بعين التفرقة وان اثبت ذلك (ولكن شاهد) معه (الكل قائما بالحق) اى بسببه بأن شاهد افعاله الجارية عليه فضلا من الله

(فهذا هو جمع) اى نوع آخر من الجمع (و اذا كان مختطفا عن شهود الخلق مصطلما) اى مستأصلا يعنى غافلا (عن نفسه مأخوذا بالكلية عن الاحساس بكل غيرها) اى بسبب ما (ظهر واستولى) عليه (من سلطان الحقيقة) وهى الحالة التى يغلب فيها على القلب اذ و لذا الحق تعالى (فذا الجمع الجمع فالتفرقة شهود الاغيار) طاء ؛ (لله ٥٧ عز وجل والجمع شهود الاغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء الاحساس بما سوى الله تعالى عند غلبات الحقيقة) فالحاصل انّ من كانت أفعاله لله تعالى وشاهدها طاعة له تعالى فهو فى التفرقة ومن شاهدها جارية عليه فضلا من الله فقد شاهدها بالله فهو فى الجمع ومن غفل عنها وعن نفسه شغلا بالله فهو فى جمع الجمع (وبعد هذا) اى جمع الجمع (حالة عزيزة) شريفة (يسميها القوم الفرق الثانى) اى التفرقة الثانية بالنسبة للتفرقة الاولى (وهو أن يردّ العبد) بعد استغراقه (الى الصحو عند أوقات أداء الفرائض ليجرى عليه القيام بالفرائض فى اوقاتها فيكون رجوعا لله) اى لطاعته (بالله تعالى لا للعبد) اى لافعاله (بالعبد فالعبد يطالع نفسه فى هذه الحالة فى تصريف الحق سبحانه يشهد مبدئ ذاته وعينه بقدرته و) يشهد (مجرى أفعاله وأحواله عليه بعلمه ومشيئته) بضم ميم مبدئ ومجرى والحاصل ان التفرقة الاولى وقوف مع أحواله وأعماله وايقاعه طاعة لربه والثانية أن يردّ الى نفسه بعد استغراقه ليوقع فرض ربه عليه

بالحق لان الرب يستدعى مربوبا والخالق يستدعى مخلوقا فاذا عرّيت الحق من نسبة الخلق لزم ما لا يخفى من هدم أركان الشريعة وسد أبواب الطريقة واذا قصرت النظر على ظاهر الحال فى الخلق لزم من ذلك اثبات فاعل معه سبحانه وتعالى فطريق النصفة أن تنظر اليهم بظاهر علم الشريعة فى التكليف مع يقين أنه تعالى الفاعل لكل خسيس وشريف لانه لو نفى ذلك لزم أن لا يكون للخلق وجود فى الوجود ويلزم الرد على الكتاب والسنة اذ كل كائن له اسم يخصه وجنس يعرف به ونوع وصنف كذلك وقد أثبت تعالى الجنة والنار وغيرهما من الملكيات والملكوتيات فلو فرض ذرة خلت عن الوجود الحق لما كان لشئ وجود أصلا (قوله فهذا هو جمع) أى وهو انما يتحقق للعبد اذا فنيت صفاته فى صفات الحق سبحانه وتعالى وأفعاله فى أفعاله (قوله واذا كان مختطفا الخ) اى مع ان مثل هذا فى مثل هذا المقام الشريف محفوظ عليه وظائف عباداته وأوراده مع توالى ورود مناهل وارداته التى قد فنى فيها عن كامل مراداته واختطف لاجلها عن جميع حركاته وسكناته فهو مستهلك فى مقام الوجود متحقق بدوام الشهود (قوله مصطلما الخ) اعلم أنّ الاصطلام الوله الغالب على القلب وهو قريب من الهيمان (قوله فذا الجمع الجمع) اى وهو لا يتم التحقق به لاحد الا بعد الفناء عن الافعال والصفات والذوات فلا فاعل الا الله ولا حى الا الله ولا موجود الا الله (قوله شهود الاغيار بالله) اى فهو لا يتحقق الا لمن علم وتيقن ان جميع حركاته وسكناته انما تصدر منه باعانة الله واقداره وانه محل لجريانها لا حول له فيها ولا قوة (قوله عند غلبات الحقيقة) اقول ويعلم كونها حقيقة بثلاثة امور كونها جارية بحكم التصريف بدون اختيار وكونها مجملة مجموعة ناكتة فى القلب خارجة عنه خروج السهم من القوس من محل الرمى وظهور معناها وبيان وجهها وتفصيلها بعد وعيها فأرباب الحقائق تجرى عليهم بحكم التصريف لا علم لهم بها على التفصيل وعند فراغهم من النطق بها يظهر لهم برهان ما قالوا بشواهد العلم والله أعلم (قوله وبعد هذا حالة عزيزة) اى وعزتها لشرفها وندرتها فيكون من تحلى بنعتها فى مقام ارشاد عباد الله المؤمنين (قوله يسميها القوم الفرق الثانى) اى وهو الاعادة الى الاحساس بعد المحو بغلبات الحقيقة ويكون الصحو حينئذ بشعائر الشريعة (قوله وهو ان يرد العبد الخ) محصله انه شهود الخلق قائما بالحق (قوله فيكون رجوعا الخ) ان قلت ان غيره من أفراد الرجوع كذلك قلت نعم غير أن الفرق الشهود والذوق فى هذا وعدمه فى غيره فافهم (قوله فيكون رجوعا الخ) اعلم أن هذا

٨ يج ى في وقته ثم يرجع الى ما كان فيه من حاله وانما كانت هذه عزيزة شريفة لكمال حفظ القائمين أوصله اليه وحفظ وقته عليه ولو دام استغراقه لم يكن آثما للعذر لكن رجوعه الى القيام بوظائفه زيادة فضيلة له عند ربه

الفرق الثانى هو الخلق المحمدى الخاص دوامه به والله أعلم (قوله وبالجملة فرق بين أن يدرك الخ) اى حيث هو باق لم يفن عن أفعاله بخلاف الثانى لفنائه عن أفعال نفسه فى أفعال الحق تعالى وقوله لم يخرج من جمع الجمع اى الذى هو فناء الافعال فى الافعال والصفات فى الصفات والذوات فى الذوات وقوله لم يخرج من جمع الجمع اليها اى الحالة الاولى للتفرقة بل مرده الى الجمع اى لانه متحقق بالفناء عن الافعال لنفسه فى أفعال الرب سبحانه وتعالى وذلك من وجوه الجمع فتدبر ومحصله ان الحالة الاولى لم يفن صاحبها فيها عن صفاته والثانية قد فنى فيها عن صفات نفسه فى صفاته تعالى وتقدم ان ذلك من وجوه الجمع الثلاثة فتدبر (قوله وأشار بعضهم بلفظ الخ) محصله ان الجمع باعتبار رتبة التمكين بقدرة رب العالمين والتفريق بما قدراهم بحكمة أحكم الحاكمين وايضاحه ان الجمع على هذا الوجه معناه انه جمع جميع الخلق فى تصريف الابداع والاختراع لذواتهم وفرق بتصريف الحكمة الباهرة فى مجارى صفاتهم فصاروا مجموعين مفرقين بهذا المعنى (قوله ففريقا أسعدهم الخ) تأمل مع ان الكل عبيد ومحل مظاهر التشديد غيرات الحق بعدله من الجلال لا يسئل عن سر الافعال فالله يرزقنا السلامة بالتسليم حتى نصل الى النعيم المقيم هذا واعلم أن هذا التفريق بمقتضى مظاهر الاسماء والصفات لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (قوله وفريقا هداهم) اى دلهم دلالة موصلة وقوله وفريقا أضلهم اى حيث لم يقدر دلالتهم وارشادهم فأعماهم بجهالاتهم وقوله وفريقا حجبهم اى حيث أوقفهم مع الآثار الصور مع غفلتهم عن المؤثر والمصور وقوله وفريقا جذبهم اى حيث استولى على قلوبهم فغلب ذكره عليها فلم يشاهدوا غيرا وقوله وفريقا آنسهم بوصلته اى حيث جعل قلوبهم مطمئنة ساكنة مؤمنة راضية مرضية وقوله وفريقا آيسهم من رحمته اى حيث اوقع القنوط من رحمته تعالى فى قلوبهم بكفرهم وطغيانهم وقوله وفريقا أكرمهم بتوفيقه اى حيث قدر سعادتهم أزلا على حسب باهر حكمته العلية وعلمه القديم وقوله وفريقا اصطلمهم اى حيث جعل فى قلوبهم محبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله اى غيبهم اى جعلهم غائبين عن الخلق غير ملتفتين اليهم بسبب ما شاهدوا من انفراده تعالى فى الملك فهم قوم قد أعرضوا عن الكل بالواحد الاحد فوجههم الى أنوار الحقيقة وغيبهم فى لجج الطريقة نفعنا الله ببركاتهم وقوله عند رؤيتهم اى طلبهم وقوله وفريقا أصحاهم الصحو حالة تقتضى التصرف بالاختيار والسكر بخلافه والحضور شهود الخلق بالحق والفرق شهود الحق والخلق والفناء شهود الحق بلا خلق والغيبة عدم الشعور بالخلق فمن لم يقدر على ضبط حركاته فالسكران ومن تصرف على حسب حاله باختياره فهو الصاحى ومن توله بسبب شدة هيمانه فهو المحب المجبور ومن شهد تصرف الخلق بتصريف الحق فهو المجموع ومن شهد لهم نسبة فهو المفرق ومن لم ير لهم نسبة أصلا فهو الفانى المصطلم ومن رأى وجودهم

وبالجملة فرق بين أن يدرك طاعته بنفسه وهو مدرك لها وأن يدرك نفسه فى طاعته مصرفا فيها فهو فى التفرقة الثانية لم يخرج من جمع الجمع اليها بل برده الى الجمع بخلاف الاولى فان رجوعه فيها الى نفسه وادراكه عمله خروج عن الجمع بالكلية • ثم ذكر نوعا آخر من التفرقة والجمع وهو بالنظر الى ما سبق للخلق فى الارادة الازلية فقال (وأشار بعضهم بلفظ الفرق والجمع الى تصريف الحق جميع الخلق فجمع الكل) من الخلق (فى التقليب والتصريف من حيث انه منشئ ذواتهم ومجرى صفاتهم) فصاروا مجموعين لدخولهم فيما بقى لهم عنده (ثم فرقهم فى التنويع ففريقا أسعدهم وفريقا أبعدهم وأشقاهم وفريقا هداهم وفريقا أضلهم وأعماهم وفريقا حجبهم عنه وفريقا جذبهم اليه وفريقا آنسهم بوصلته وفريقا آيسهم من رحمته وفريقا أكرمهم بتوفيقه

رابعا

وفريقا اصطلهم) اى غيبهم (عندروبهم لحقيقته وفريقا أصحاهم وفريقا محاهم وفريقا قربهم وفريقا فيبهم) مطلقا
(وفريقا أدناهم وأحضرهم ثم سقاهم فأسكرهم وفريقا أشقاهم ٥٩ وانحرهم ثم اقصاهم وهجرهم وانواع افعاله
لا يحيط بها حصر ولا يأتى على تفصيلها الشرح ولا ذكر) فالحاصل ان الجمع باعتبار ان كل ما هم فيه مرادة تعالى سابق لا يتغير ولا يتبدل والتفرقة باعتبار ما خص كلا منهم به من قدره واجراه عليه فى أبده (وانشدوا الجنيد رحمه الله فى معنى الجمع والتفرقة وتحققتك) بأن افردتك يارب (فى سرى) هذا جمع (فناجاك لسانى) هذا تفرقة ولذلك قال (فاجتمعنا لمعان) وهى حال الحقيقة (وافترقنا لمعانى) وهى حال العبادة (ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عيانى) فى الدنيا بان لا أراك فيها ببصرى بجلالك وضعفى (فلقد صيرك الوجد من الاحشاء دانى) اى قريبا منى بتفضلك على فأراك فى الدنيا ببصيرتى (وأنشدوا) أيضا (اذا مابدا لى) الحق (تعاظمته) فغبت فيه هذا جمع (فأصدر فى حال من لم يرد) هذا تفرقة اى فأرجع اليه فى وصف من لم يرد محل الورود بل ردنى اليه بفضله فاستغرقت فيه فقد (جمعت وفرقت عنى) اى عن نفسى (به) فالجمع والتفرقة منه وهو واحد وأما المفرق المجموع فى حالين (فنفرد التواصل) اى فالفرد الذى هو محل التواصل بينه وبين مولاه (مثنى العدد)
اى اثنان من العدد باعتبار كونه مفرقا و مجموعا وهما الحالان

راجعا اليه فهو الباقى (قوله وفريقا اصطلهم الخ) اى فهم قد غرقوا فى بحار الانوار وقد انطمست عندهم الآثار قد غلب جمعهم على فرقهم وسكرهم على صحوهم وغيبتهم على حضورهم وهذه البحار هى بحار أنوار معانى الاسماء والصفات فهم لم يقفوا على ساحل الآثار الذى هو من مواقف النجاة بل كانوا على قدم من قال خضت بحرا وقف الانبياء بساحله وهو أبو يزيد (وأقول) والله الموفق ان هذا منه نفعنا الله بعلومه اعتراف بالنقص والجهل لان خوض البحر من الجهل بهوله والوقوف بالساحل من المعرفة بقدره فالخائض قد تعرض للهلاك والواقف قام مع النجاة يمكنه استخراج حليته وطعامه مالا يمكن الخائض فافهم والله أعلم (قوله وفريقا أدناهم وأحضرهم الخ) اى قربهم ووفقهم لحضور قلوبهم فى ذكره وقوله ثم سقاهم اى أذاقهم لذة مناجاته حتى أشبهوا السكارى فى غيبتهم بسبب ذوق تلك اللذة (قوله وتحققتك فى سرى الخ) اى حيث تجليت على قلبى بأنوار عظمتك فشهدتك فى أحديتك وواحديتك بعد تلاشى افعالى وصفاتى وذاتى فى أفعالك وصفاتك وذاتك ثم بعد ذلك أعدتنى وأرجعتنى الى احساسى فناجاك لسانى بالرضا والتسليم لمراداتك فاجتمعنا اى اجتمع كل من التحقق بك والمناجاة لك على معنى انهما قد وجدا لامع التصاحب بل على وجه التعاقب وقوله لمعان وهى الجمع فى حالة التحقق والتفرق فى حالة المناجاة وقوله وافترقنا لمعان وهى تحقيق رتبة العبودية حيث هى محل التصريف له تعالى على ما يوافق حكمته العلية وقوله ان يكن غيبك التعظيم معناه حجبتنى عظمتك عن مشاهدتك ببصرى فى هذه الدار فلقد صيرك الوجد بسبب ما يرد على قلبى من أنوارك البهية من الاحشاء دان باللطف والاحسان والله أعلم (قوله اى قريبا منى بتفضلك على الخ) اعلم أن معنى الدنو والقرب هو ما أشار اليه الشارح ولذا قال جعفر الصادق رضى الله عنه فى قوله تعالى ثم دنا فتدلى من ظن أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة انما التدانى أنه كلما قرب منه بعد عن أنواع المعارف اذ لا دنو ولا بعد اه والحاصل ان القرب اذا أضيف اليه تعالى فيراد منه فى حق الخاصة بالنصرة والكلاءة قال تعالى اننى معكما أسمع وأرى ومع العامة بالعلم المحيط قال تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فافهم (قوله اذا ما بدا الى الخ) اى اذا ظهر وانكشف لى نور الحق بسابق اللطف والاحسان تعاظمته بسبب شهودى لتجليات جلاله وعظمته فاتلاشى بجملتى تحققا بوجود الحق وترقيا الى مراتب جمع الجمع وقوله فاصدر فى حال من لم يرد اى فارجع فى صفة من لم يرد محل الورود وذلك لتجرد فى نفسى عن سائر مراداتى فهاتان الحالتان من الجمع تارة والتفرق أخرى منه تعالى وبه وفيه ولذا قال جمعت وفرقت عنى اى فلا تأثير لغيرك فى ذلك ولا فى غيره من الكائنات وقوله فنفرد التواصل مثنى العدد اى فهو واحد فى ذاته وانما التعدد بحسب التعينات

وبحسب الجمع والتفرقة والله أعلم (قوله الفناء والبقاء) اعلم أن بعض المحققين قد ذكر ان أقسام الفناء عشرة باعتبار رتب المقربين من عباد الله وذلك ان لكل منهم بداية وهي رتبة أولى ولا بد لها من باب يدخل منه وهي رتبة ثانية ثم اذا دخل احتاج الى معاملة لائقة به في سلوكه وهي رتبة ثالثة واذا عامل مولاه بصدق وتخلق بأخلاق محمودة فهي رتبة رابعة واذا اتصف بحسن التخلق اشتاق الى التعلق ولا بد له من اصول يبنى عليها سلوكه فتحققه فيها رتبة خامسة ولا بد له في طريقه من ملاقاة الشدائد تسمى أودية وهي رتبة سادسة ثم يعمر أحوالا وهي رتبة سابعة ثم يتصف بجميل الصفات ويجتمع همه بعد الشتات وهي رتبة ثامنة ثم يغفل عن نفسه لكمال شغله بربه وهي رتبة تاسعة ثم يبلغ الى النهايات وهي الرتبة العاشرة فمن أجل ذلك يكون الفناء عن العادات والمألوفات بامتثال المأمورات وفي الابواب عن الهيآت الطبيعية النفسانية بالهيآت النورانية القلبية في المعاملات كالفناء عن الافعال البشرية بالافعال الالهية وفي الاخلاق بالفناء عن الملكات النفسانية بالاخلاق الالهية وفي الاصول بالفناء عن ارادة الاغيار وطلبها بارادة الحق وطلبه وفي الاودية بالفناء عن العلوم الرسمية والحكم العقلية بالعلوم اللدنية والحكم الالهية وفي الاحوال بالفناء عن التعلق بالاكوان ومحبتها بمحبة الحق ذي الامتنان وفي الولاية بالفناء عن الصفات والتوجه الى الذات وفي الحقائق بالفناء عن الرسوم مع بقاء البقية الخفية وعدم الشعور بالاثنينية النورية الموجبة للتعدد وهو مقام الخلة «قال الشيخ ابو محمد روزبهان البقلي في كتاب لوامع التوحيد يكون الفناء من رؤية العز السرمدي والكبرياء الابدي واستغراق السر في بحر أنوار الهوية وسبحات الصفات الصمدية وذلك من كثرة مطالعة الروح وجود الحق سبحانه وتعالى ثم بعد هذا فأقول لك قد اختلفت عبارات المشايخ في معنى الفناء وذلك على حسب ما وجد كل منهم من شربه وحظه على طريق حكمة ربه ثم اعلم أنه لا يلزم من الفناء بأنواعه أن يغيب العبد عن احساسه بل قد يتفق ذلك في بعض الاشخاص في بعض الاحايين فليس من ضرورة الفناء على اختلاف معانيه بل قد يتسع وعاء العبد مع تحققه بالفناء روحا وقلبا فلا يغيب عن كل شئ يجري من قول أو فعل فيكون مرجعه أن يكون في كل فعل وقول مرجعه الى الله تعالى وينتظر الاذن في كليات اموره ليكون فيها بالله تعالى لا بنفسه اذ التفرقة بدون جمع زندقة واما معنى البقاء المعدود من اصطلاحات أهل التصوف فقال الشيخ العارف عبد الله الانصاري في المنازل البقاء اسم لما بقي بعد فناء الشواهد يعني الادلة والآثار فهو على ثلاثة أقسام بقاء المعلوم بعد سقوط العلم فمعناه أن يكون عينا لا علما والثاني بقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجودا لا نعتا والثالث بقاء ما لم يزل حقا باسقاط ما لم يكن محوا يعني بقاء المعلوم عينا لان بقاء المعلوم علما لا عينا بقاء العلم فاذا تجلى المعلوم له أخذه عن مطالعة علمه بالمعلوم ويعني بسقوط الشهود كونه

●(ومن ذلك الفناء والبقاء)●

وقد بينه بما فقال (أشار القوم بالفناء الى سقوط الاوصاف المذمومة) اى ذهابها عن العبد

شاهدا ويبقاء الشهود كونه وجودا لا نعتا فمعناه ان الباقى لا يصح له البقاء مالم يشاهد العبد المشهود وجود مشهود اعيانيا حاليا وصفيا فان النعت وصف صاحب الوجد والوجود عين الموجود وبقاء مالم يزل حقا معناه أنه عند ظهور سلطان الحقيقة ينمحى عنه ذكر كل شئ مما لم يكن ثم كان ويبقى فى شهوده الحق الغالب على كل شئ مشغولا به عن غيره حتى عن نفسه فالشهود فوق العلم والوجود فوق الشهود لانه بالوجود يفنى الشاهد وشهوده وقيل فى معنى البقاء غير ما ذكرناه وفيما ذكرناه كفاية وقال الشيخ عبد الله الانصارى الفناء فى هذا الباب اضمحلال ما دون الحق علما ثم جحدا ثم حقا اى لا يكون له علم بغير الله لتحققه بعلم الله ثم يرتقى حتى يصير الغير فى حقه كالمعدوم ثم يغيب عنه وجودا بالحق وذوقا فالاول فناء العلماء بالله والثانى فناء السالكين وأرباب الاحوال والثالث فناء العارفين المستغرقين فى الله المحبين له فالفناء على ثلاث درجات فناء المعرفة فى المعروف وفناء العيان فى المعاين وفناء الطلب فى الوجود (أقول) ومن الاشارة الى الفناء ما روى ان عبد الله بن عمر سلم عليه انسان وهو فى الطواف فلم يرد عليه فشكاه الى بعض أصحابه فقال له كنا نترائى الله فى ذلك المكان وقال الفناء الغيبة عن الاشياء كما كان لموسى عليه السلام حين تجلى ربه للجبل فتلخص ان الفناء والبقاء يدوران على اخلاص الوحدانية وصحة الربوبية وذل العبودية وما كان غير هذا فهو المغاليط الزندقة وفى عبارة بعضهم الفناء على ثلاث درجات فناء الظاهر وهو مغلوبية العبد عن ارادته واختياره بتجلى الحق عليه بصفة الفعالية ويسمى فناء الافعال وفناء الباطن وهو مغلوبية صفاته فى سلطنة أنوار الصفات القديمة الازلية ويسمى فناء الصفات وفناء سر الباطن الذى هو ذات العبد فان الافعال هى حجاب الصفات فالصفات باطنها والصفات هى حجاب الذات فالذات باطنها وسرها ولذا يسمى فناء الذات وهو كناية عن مغلوبية ذات العبد فى اشراق أنوار عظمة الذات وأحديتها فهناك يستولى على باطنه أمر الحق فلا يبقى له هاجس ولا وسواس هذا والتحقيق الذى لا يصح العدول عنه بحال أن تقول التفرقة بلا جمع زندقة كما وقع للدهرية والجمع بلا تفرقة الحاد لانه يؤدى الى أن يقول صاحبه باتحاد وجود الكون والمكون كما ترشح فى اناء بعضهم لضيقه فقال أنا الله وليس فى جبتى سوى الله وسبحانى ما أعظم شانى فحينئذ لا بد لصحة العبودية من التنزل عن عالم الجمع الى عالم التفرقة ويقال لهذا البقاء وفرق بين التفرقة الاولى قبل الجمع والثانية التى بعده كما لا يخفى على من له المام (قوله فقال الخ) محصله ان الفناء والبقاء باعتبار ما للعبد من الاخلاق والاوصاف الذمية والحميدة فاذا تجرد عن الذمية وتحلى بالحميدة ترقى الى الاحوال والمقامات بهذا الاعتبار وسيأتى ان الفناء كما يكون باعتبار الاوصاف قد يكون عن الاشخاص وعن العلوم وقد أشار سيد عشاق زمانه ويتيمة عقد أهل عرفانه الى نوع من الفناء حيث قال

ومنذ عفا رسمي وهمت وهمت في ● وجودي فلم تظفر بكوني فكرتي
وبعد فنائي فيك قامت بنفسها ● وبيتي فسبق روحي بغسق
ولم أحك في حبيك حالي تبرما ● بها لاضطرار بل لتنفيس كربتي
ويحسن اظهار التجلد للعدا ● ويقبح غير العجز عند الاحبة

قراده رضي الله عنه انه لما اندرس رسمه عن القياس تعجبا أو حيرة بث شكواه لاحبته والرسم ما بقي من الاثر وقوله همت أولا من الهيمان وهمت ثانيا من الوهم فهو عند الوقوع في عين القدم ومعاينة سلطان الازل وبالغرق في بحر الكشف خرج على وجهه لايدري أين يتوجه فنا لطافي وجوده فكان عنده كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء واليه أشار بقوله فلم تظفر بكوني فكرتي ويشير بقوله وبعد فنائي الخ الى أن ما ذكر لا يبعد لانه لايشترط في قيام الحال وثبوتها بقاء الجسم وشاهده أن روحي سبقت جسمي وكانت قائمة بنفسها فما كانت الروح قائمة به قامت به حالي بعد فناء جسمي وروحي ثم هو يشير الى ان ما ذكره ليس على سبيل الشكوى والتبرم واغا هو على سبيل الحكاية للاستراحة وتنفيس الكربة لانه لا يحسن من المحب اظهار القدرة على حمل أعباء المحبة ثم يحسن التجلد عند الاعداء وعلى ذلك الذي أشرنا اليه يحمل قول سيدنا يعقوب عليه السلام حين قال يا أسفا على يوسف بدليل قوله انما أشكو بثي وحزني الى الله وكذا قوله مسني الضر فتأمل (قوله عن المعلوم الخ) اى لاستحالة خلو الشيء عن الضدين معا في حال واحد (قوله بل قالوا الخ) أقول اذا لم يكن الفناء عن الاوصاف المذمومة مستلزما لما ذكر كان سببا قويا له لان التجرد عن الاوصاف المذمومة أصل قوي في حصول الدرجات الرفيعة من الاحوال والمقامات (قوله ولكن قد يتغير الخ) ان قلت يعد تغيره قلت كذلك غير انه بواسطة معالجة نفسه بالتفهم في المضرات وما به تندفع وتنال رتب السادات قد يميل طبعه عن مقتضى حقيقته الى خلافه بشاهد ما رآه والله أعلم (قوله بمعالجته) أقول وقد أشار الى ذلك ألطف المحبين وأعرف مسالك السائرين ابن الفارض حيث قال في تائيته

وكلفتها لا بل كفلت قيامها ● بتكليفها حتى كلفت بكلفتي
وأذهبت في تهذيبها كل لذة ● بابعادها عن عادها فاطمأنت

يعني قدس الله سره انى كلفتها أولا المجاهدة فتعززت واعتادت حتى صارت عندها كالحق المطلوب لها فصارت تطلبني بحقها وألحت علي فكفلت لها أن أقيمها في مقام تكليفها ولم أزل كذلك حتى كلفت اى شغفت بكلفتي وصارت الكلفة لذة مشغوفا بها فكلفت من التكليف وكفلت من الكفالة وكلفت من الكلف وهو الشغف وقوله وأذهبت في تهذيبها الخ يريد أن أفضل العبادة خرق العادة ومن ثم قيل كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد ولم يجئ الشرع الا بخرق العوائد ومن ثم ضل أهل

(واشاروا بالبقاء الى قيام الاوصاف المحمودة به واذا كان العبد لا يخلو عن احد هذين القسمين عن المعلوم) لكل عاقل (انه اذا لم يكن أحد القسمين) موجودا (كان القسم الآخر) موجودا (لاستحالة خلوه عن أوصافه المذمومة) كرغبته في الدنيا (ظهرت عليه الصفات المحمودة) كزهده في الدنيا (ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة) على ان جماعة لم يخصوا ذلك بالاوصاف المذمومة بل قالوا تارة يفنى العبد عن الاشخاص اى تذهب عنه وتارة تذهب عنه المعلوم بالمعلومات وتارة تذهب عنه الاخلاق المذمومة وتارة تذهب عنه الاحوال شغلا بمحواها (واعلم ان الذي يتصف) وفي نسخة يختص (به العبد أفعال وأخلاق وأحوال فالافعال تصرفاته باختياره) وكسبه (والاخلاق جبلة) اى طبيعة (فيه ولكن) قد (تتغير بمعالجته على مستمر العادة) اى العادة المستقرة

(والاحوال) موهبة (ترد على العبد على وجه الابتداء لكن صفاؤها بعد زكاء الاعمال) واخلاصها لله تعالى (فهى كالاخلاق من هذا الوجه) وهو تمكن العبد من تغييرهما (لان العبد اذا نازل الاخلاق) اى نازلها واشتغل فيها (بقلبه) وكسبه (فينفى) من النفى (بجهده سفسافها) اى دنيئها كالكبر والغضب والحقد ٦٣ والحسد وسوء الخلق (من الله عليه بتحسين أخلاقه) المحمودة كالتواضع والصبر وسلامة الباطن والزهد وحسن الخلق روى البيهقى خبر ان الله يحب معالى الامور ويكره سفسافها (فكذلك اذا واظب على تزكية اعماله يبذل وسعه) واجتهاده فى تزكيتها واخلاصها (من الله عليه بتصفية أحواله بل بتوفية أحواله) المحمودة فوجه الشبه بين الاخلاق والاحوال ما مر من تمكن العبد من تغييرهما الاخلاق بالرياضة والاحوال باخلاص الاعمال وتصفيتها والدوام عليها (فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال انه فنى عن شهواته فاذا فنى عن شهواته بقى بنيته واخلاصه فى عبوديته ومن زهد فى دنياه بقلبه يقال فنى عن رغبته) فيها (فاذا فنى عن رغبته) فيها (بقى بصدق انابته ومن عالج أخلاقه فنفى عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وأمثال هذا من رعونات النفس يقال فنى عن سوء الخلق فاذا فنى عن سوء الخلق بقى بالفتوة والصدق ومن شاهد جريان القدرة فى تصاريف الاحكام) من السعادة والضلالة والطاعة والعصيان (يقال فنى عن حسبان الحدثان) اى عد الحدوث (من الخلق فاذا فنى عن توهم) كون (الآثار من الاغيار) اى الاكساب من العبد لما غلب على قلبه من انفراد الحق بايجادها

الزيغ بسكونهم الى العوائد قال تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا والناظم ذكر فى هذا البيت تعديل أوصافه لروحانيته المترتبة على زكاء الاعمال وفيما قبله تعديل أوصافه الحيوانية والانسانية فتدبر (قوله بمعالجته) اى وذلك بعقل التأمل فى لذة الشهوات العاجلة بأنها قد تورث المهلكات الآجلة بالنص القاطع فبالتوفيق الالهى يرجع عما ظنه لذة بميل الطبع الى علم المضرة بدليل السمع فيترك ما كان عليه من العادات لنيل رفيع الدرجات

فالنفس كالطفل ان تهمله شب على * حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

(قوله لكن صفاؤها الخ) اى فالاحوال ولو لم تكن من كسب العبد ومقدوره باعتبار حقيقتها هى باعتبار صفائها من مقدوره فكلما قوى اخلاصه فى الاعمال والمجاهدات يزداد صفاء أحواله اى فهى كالاخلاق على ما ذكره من جهة تمكن الانسان من نقلها من صفاتها الذميمة الى الحميدة بقوة الرياضات وحسن المتابعات (قوله اذا نازل الاخلاق الخ) اى وذلك وان كان تخلقا غير انه بواسطة القيام على النفس يصير كالخلق الاصلى بعناية الحق بعبده (قوله من الله عليه الخ) اى بواسطة شاهد علم الشريعة ونور الطريقة والحقيقة (قوله ان الله يحب الخ) اى يحسن ويتفضل على من هذا خلقه احسانا وتفضلا زائدا وقوله ويكره سفسافها اى يبعد عن مراتب القرب من كانت همته فى نيل الدنى منها ولذلك أمر رسوله وحبيبه بما يجمع له محاسن الاخلاق حيث قال فى محكم كتابه المبين خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ونحن قد أمرنا بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم على انه يحصل اثبات المقصود دون ذلك لانه صلى الله عليه وسلم خلق على أشرف الاخلاق وأكملها والله أعلم (قوله بل بتوفية أحواله) اى باستيفائها وبلوغه اياها كاملة مستوفاة (قوله فمن ترك الخ) شروع فى بيان تدريج السائر فى الاحوال والمقامات بتقديم الاهم فالاهم على ما هو اللائق عن أراد الوصول ونيل المأمول (قوله يقال انه فنى عن شهواته) اى وذلك لا يكون الا بالقيام على النفس بظاهر الامر والنهى الشرعيين (قوله بقى بنيته) أى فثمرة المتابعة اكتساب اخلاص القصد بالعبادة لله تعالى (قوله بقى بصدق انابته) اى بسبب الجد فى ازالة الحجاب الذى سببه الرغبة فى الدنيا (قوله ومن عالج أخلاقه) اى بتحسينها وحملها على معالى الامور والبعد عن الدنى منها بشاهد علم الشرع (قوله بقى بالفتوة والصدق) اى بقوة البذل الذى معظم سببه التجرد عن الحظوظ وطهارة الباطن من داآته التى هى سبب فى الصدق (قوله ومن شاهد جريان القدرة الخ) اى من علم تأثيرها فى جميع الممكنات انفرادا بشاهد ما شاء الله كان

(بقي بصفات الحق) تعالى نظرا الى قدرته تعالى وارادته وعلمه (ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الاغيار لاعينا ولا أثرا ولا رسما ولا طللا) وهو ماشخص من آثار الدار (يقال انه فنى عن الخلق وبقي بالحق) هذا القسم يحتمل انه الذى قسمه الاستاذ ابو عبد الله محمد الانصارى الهروى الى ثلاثة أقسام حيث قال الفناء اضمحلال مادون الحق علما ثم جحدا ثم حقا فاذا ذهب عن قلب العبد العلم ٦٤ بالخلق شغلا بالحق فقد فنى عنه علما فاذا زادت كراهته له فنى عنه جحدا أى انكارا فاذا ذهب عن قلبه بالكلية فنى عنه حقا فبقدر شغله بالحق يكون فناؤه عن غيره ويحتمل انه القسم الثالث منها وهذه الاقسام أرفع مما مر أول المبحث لانها فى الفناء عن غير الحق والبقاء مع الحق وما مر ثم هو الفناء عن الاخلاق الذميمة والبقاء مع الاخلاق الحميدة (ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخبيثة) يكون (بعدم هذه الافعال) اى بخلوصه عنها (وفناؤه عن نفسه وعن الخلق) يكون (بزوال احساسه بنفسه وبهم) بحيث يكمل شغله بربه (فاذا فنى عن الاحوال والافعال والاخلاق) الذميمة (فلا يجوز أن يكون مافنى عنه من ذلك موجودا) عنده اذ لا يتحقق فناؤه عنه الا بانسلاخه عنه ببقائه مع الاخلاق الحميدة (واذا قيل فنى عن نفسه وعن الخلق فنفسه موجودة والخلق موجودون) وفى نسخة فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين (ولكنه لاعلم له بهم ولا به ولا احساس ولا خبر فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين غير حس بنفسه وبالخلق) لكمال اشتغاله بما هو أرفع من ذلك وبهذا اعلم ان من قال الفناء ذهاب البشرية لم يرد به ذهابها بالكلية فانها موجودة فى نفسها مع لوازمها من اللذات والآلام بل أراد انها مغمورة بما يطرأ عليها من لذات وآلام أخر أعظم من تلك الفناء

وما لم يشأ لم يكن يقال فيه انه فنى عن حسبان الحدثان اى بانقطاع التفاته اليهم فى شئ من الاشياء اذ هم من جملة الممكنات التى هى فى قبضة القدرة العلية (قوله بقي بصفات الحق) اى بسبب تجرده عن صفات الطبع (قوله ومن استولى عليه سلطان الحقيقة الخ) اعلم أن الحقيقة اذا غلبت على عبد من عباد الله وجب عليه الانصات لها على حسب ما وردت بالاجمال ولا يتلقاها بالمعتاد من التأويل والدليل والنظر فى الوجه والتفصيل ثم بعد ذلك يكون على الله بيانها لانه الذى قد تفضل عليه بها أولا فهو الذى يبينها ثانيا قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وانما كان هذا كتلقى الوحى فى آدابه لان الكل من عين المنة فى بساط الكرامة وان كان الوحى أعلى وأجل فلاقد وبالله التوفيق والحاصل ان الادب ثلاثة الانصات للقبول والتفهم بعد الحصول والامتحان بالاصول أعنى بذلك الكتاب والسنة والله أعلم (قوله وبقي بالحق) اى تحققه بمقام الوجود بسبب انمحاقه وغيبته عن السوى (قوله الى ثلاثة أقسام) اى على حسب الوارد الذى يرد على القلب وهو ما يتجلى للقلوب من المعارف التى تبرز عنها الحقائق فاذا وردت هذه الواردات على القلب لم يبق فيه متسع لغيرها فتأخذ بمجامعه وتستوى فى كلية العبد فينفث فيها طورها أو كرها نلاوة عما سواها (قوله ويحتمل انه القسم الثالث منها) أقول وهو الاظهر (قوله وما مر ثم هو الفناء عن الاخلاق الذميمة الخ) فيه تأمل اذ من جملة ما مر قوله فاذا فنى عن توهم كون الآثار الخ (قوله ففناء العبد عن أفعاله الذميمة الخ) شروع فى بيان مراتب السير الى الله تعالى فأول مقام للسائر تخلصه من ذميم الاخلاق فيكون من المحسنين ثم انه اذا تخلص أيضا من الحميدة كان من المقربين ثم اذا فنى عنها وعن نفسه وعن سائر الكائنات صار من العارفين المحققين (قوله وفناؤه عن نفسه الخ) ان قلت مذهب أهل الحق ثبوت حقائق الاشياء خلافا للسوفسطائية قلت لاشك فى ذلك فبطلانها من حيث هى وثبوتها من حيث هو فافهم (قوله فاذا فنى عن الاحوال) أقول يرشد كلامه نفعنا الله بعلومه الى الفرق بين الفناء عن النفس وبين الفناء عن النفس والخلق معا بأن الاول عدم محض ينافيه وجود شئ عن النفس من الاحوال وغيرها والثانى غفلة عن شهودها فقط مع تحقق النفس والخلق فى ذاتهما (قوله فنفسه موجودة الخ) اى فالمراد بذلك الفناء انما هو العلمى لاندراس الاعيان فيه وذلك باعتبار مشاهد بعض العارفين وأما بالنسبة للبعض الآخر فلا مانع من حمل

(و) لهذا (قد ترى الرجل يدخل على ذى سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه مما حصل عنده) من الهيبة والتعظيم والاجلال له (وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى اذا سئل بعد خروجه على من عنده من أهل مجلسه وهيئة ذلك الصدر) اى المحتشم (وهيئة نفسه) وما قاله (لم يمكنه الاخبار عن شئ) ٦٥ من ذلك لغفلته عنه (قال الله تعالى) في حق النسوة لما القين يوسف عليه السلام (فلما رأينه أكبرنه) اى أعظمنه (وقطعن أيديهن) بالسكاكين حيث (لم يجدن عند لقا يوسف عليه السلام على الوهلة) اى البغتة (ألم قطع الايدى وهن أضعف الناس) عن تحمله (وقلن ما هذا بشرا) ولقد كان بشرا (وقلن ان هذا الا ملك كريم) لما حواه من الحسن الذى لا يكون عادة في البشر (ولم يكن ملكا فهذا تغافل) اى غفلة (مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق) آخر منازعته (يسير من الكمال والجمال (فما ظنك بمن تكاشف) بفتح الشين (بشهود الحق سبحانه) المنزه عن الاشباه والامثال المنفرد بصفات الكمال والجلال (فلو تغافل) أى غفل (عن احساسه بنفسه وأبناء جنسه فأى اعجوبة فيه) اذا تقرر ذلك (فمن فنى عن جهله بقى بعلمه ومن فنى عن شهوته بقى بانابته ومن فنى عن رغبته بقى بزهادته ومن فنى عن منيته) أى طلبته (بقى بارادته تعالى وكذلك القول في جميع صفاته فاذا فنى العبد عن صفته بما جرى ذكره)

٩ بج ثى

من الصفات الجليلة (يرتقى عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه) لانه اذا فنى عن الاغيار فتارة يكون ذاكرا لفنائه وتارة يقوى شهوده وشغله عن استغرق فيه حتى لا يحس بفنائه لعدم ذكره أحوال نفسه وهذا افناء الفناء فانه فناء عن ذاته (والى هذا) مع زيادة (أشار قائلهم) بقوله

الفناء على حقيقته باعتبار الاعيان وان كان قد يعد فهمه انوع الانسان (قوله ولهذا قد ترى الرجل الخ) هذا مثال ويضرب الله الامثال للناس اى فالعبد في اول أمره يرى حقا وخلقا وشاهدا ومشهودا وعابدا ومعبودا فاذا الحق تعالى منح وفتح ولطف وعطف وكشف الغطاء وأهدى العطاء يرى العبد فردا أحدا ظاهرا بالهيبة في جميع المظاهر ويعاينه هو الاول والآخر هو الحق المعبود في مقام الفرق وهو الشاهد المشهود في مقام الجمع فاذكره المؤلف من تمثيل الغائب بالحاضر لاجل التقريب للعقول القاصرة اى فاذا جاز بل وقع مثل ذلك مع من لا يضر ولا ينفع في ذاته فوقوعه مع الحق تعالى أحرى (قوله قال الله تعالى فلما رأينه أكبرنه الخ) لما أثبت الفناء في شهود الحق أولا بالدليل العقلى حيث قال ولهذا قد ترى الخ أكد ذلك بالدليل السمعى حيث قال قال الله تعالى الخ فتحصل ان ذلك جائز بل واقع بالنسبة للحادث فيكون جوازه ووقوعه بالنسبة للقديم تعالى من باب أولى لظهور ضعف قوة الحادث ضرورة عن تحمل تجليات القديم بل لو قيل بذهاب عينه فضلا عن شعوره في مثل هذه الاحوال لم يكن بعيدا في نظر العقل (قوله أكبرنه الخ) اى وبذلك قد زال منهن الاحساس لقوة ما صادفهن من باهر جماله وكماله فضعفت قواهن عن التحمل فقطعن أيديهن ولم يشعرن بالالم لتمام الدهشة بما فجأهن وأنكرن انه بشر مع تحقق بشريته في الظاهر ونفس الامر (قوله يسير من الكمال والجمال) أى بالنسبة الى الحق بل وبالنسبة الى أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم (قوله فما ظنك الخ) أقول وأكمل من هذا من شرب بخمر الحقيقة ممزوجا بماء الشريعة فكان صحوه حافظا له عن تعدى حده كما قيل

ومن فهم الاشارة فليصنها * والا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة اذ تبدت * له شمس الحقيقة بالتدانى
فقال أنا أنا الحق الذى لا * يغير ذاته مر الزمان

وذلك لان مثل من ذكرناه يعطى كل ذى حق حقه (قوله بمن تكاشف) أى بمن أزيلت عنه الحجب بواسطة سابق عناية الحق به تعالى (قوله فمن فنى عن جهله الخ) المراد ان كل من فنى عن شئ فقد تحقق بضده (قوله فاذا فنى العبد عن صفته) أى عن كل صفة له بمقتضى الطبع فصفة مفرد مضاف يعم جميع الصفات البشرية (قوله فتارة يكون ذاكرا لفنائه) وذلك لوجود بعض احساسه كما يكون في مقام الجمع وقوله وتارة يقوى شهوده الخ أى كما في حالة مقام جمع الجمع فبغلبة أنوار مشاهد حقيقة

(وقوم تاه في ارض بقفر) لما أحبوه في الفلوات والصحارى (وقوم تاه في ميدان حبه) حتى شغلهم ذلك عن أنفسهم (فأفنوا ثم افنوا ثم افنوا وابقوا بالبقا من) أجل (قرب ربه) أفرد ضمير القوم تارة باعتبار لفظه وجمعه أخرى باعتبار معناه (فالاول فناؤه عن نفسه وصفاته بقائه بصفات الحق ثم) أى والثانى وهو أعلى من الاول كما أشار اليه بثم (فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق ثم) أى والثالث وهو أعظم من الاول والثانى كما أشار اليه بثم (فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه فى وجود الحق) جعل الفناء والبقاء على ثلاث درجات فناء العبد عن صفات نفسه من اعماله واخلاقه وأحواله بقائه مشاهد الصفات ربه فاذا اشتغل بكمال الذات المنزهة عن الجهات فنى عن ذكر الصفات وبقى ذاكر الفنائه عن الصفات فاذا اشتغل بالذات فنى عن فنائه وبقى ذاكر الذات وهذا فناء الفناء

* ومن ذلك (الغيبة والحضور) * ويعبر عنه بالشهود (فالغيبة غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه) بما هو اهم عنده مما هو فيه (ثم قد يغيب القلب عن احساسه بنفسه وغيره بوارد) ورد عليه (من تذكر ثواب أو تفكر عقاب) أو شوق لمحبوب فيستغرق قلبه فيه حتى لا يلتفت لما سواه ولا يحس بمن حضره فيكلم فلا يسمع ويمر به فلا يشعر (كما روى ان الربيع بن خيثم رحمه الله كان يذهب الى ابن مسعود رضى الله عنه فمر بحانوت حداد فرأى الحديدة المحماة فى الكير ويقال

الحقائق تحصل الغيبة الكلية عن سائر المكونات الخالقية (قوله وقوم تاه فى أرض الخ) أى هموا بحبه فى حالة التخلى عن الخلق فى الفلوات والصحارى وقوم تاه فى ميدان حبه أى باستهلاكهم وانمحاقهم فى حبه العظيم الذى لا تقاومه قدرهم وطاقاتهم فهم فى هذه الاحوال فانون عن الخلق وعن أنفسهم وان خالطوا غيرهم فى المكان بعدم الانفراد عنهم وقوله فافنوا الخ يريد الاشارة الى درجات الفناء كما أوضحه (قوله وقوم تاه الخ) أى وله الاشارة أيضا بقول بعض المحبين

و يشرب ثم يسقيها الندامى * فلا تلهيه كاس عن نديم
له مع سكرة تأييد صاح * ونشوة شارب وندى كريم

وقال آخر

و يشرب لا تلهيه سكرته * عن النديم ولا يلهو عن الكاس
أطاعه سكره حتى تحكم فى * حال الصحاة وذا من أعجب الناس

* (رقيقه) * رؤية الخلق بدون الحق نقص وحجاب ورؤية الحق بدون الخلق فليست بكل الصواب ورؤية الحق والخلق كمال الحكمة وفصل الخطاب * (الغيبة والحضور) * هما مقامان عظيمان يلزم الاول الجمع والثانى التفرق المشار اليهما بقوله جل جلاله اياك نعبد واياك نستعين الاول فرق والثانى جمع فالحضور فيه نوع من الوجود ومن لازمه التفرقة بحكم العقل والغيبة لا احساس فيها فلا حكم للعقل فى اوطانها فالجمع مشهود فى ناديها فاذا تفرق اللب من العبد تعقل الكثرة ملتزما للعبودية وشهود صفات الربوبية وذلك فى اياك نعبد واذا اجتمع اللب واصطلم واحترق فى سواطع أنوار التجلى الذاتى فنى عن الاحساس وذلك فى اياك نستعين فتأمل والله الموفق (قوله غيبة القلب عن علم الخ) أى فهى تحصل بما غلب على القلب من تجليات الحق تارة بالخوف وتارة بالجلال وتارة بالجمال الى غير ذلك من أنواع التجليات والواردات الالهية على حسب تهيئ واستعداد الانسان فيضعف قوته عن مشاهدها يستهلك فيهما عن الالتفات الى غيرها ويدل لذلك ان سيد كل المرسلين ومختار رب العالمين أصبح ليلة الاسراء يدعو قومه بدون تأثر بظاهره بما شاهده من عجائب لطف الله تعالى بخلاف سيدنا الكليم عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم فانه تبرقع شهورا لما وقع له من التأثر بالتكليم فتدبر بحكمة الحكيم العليم تفهم سر فرق المقامين ورفعة درجة أحد السيدين (قوله لاشتغال الحس بما ورد عليه) أى وذلك لان الوارد قد يأتى من رب قهار على بساط القهر فكل شئ يصادفه لا يمكنه ثبات معه فلا بقاء لرسوم الخلق مع ظهور آثار الحق لانه اذا قورن الحادث والقديم تلاشى الحادث وبقى المولى القديم (قوله ثم قد يغيب القلب الخ) أى القلب المقدس عن رجس البشرية الذى يقال له مستوى الاسم الاعظم والبيت المحرم

فغشي عليه) لتذكره خروج المذنبين من النار أو عند حالهم فيها (ولم يفق الى الغد) مع انه ينادى كل صلاة يا ربيع يا ربيع فلا يسمع ولا يعقل لغلبة حاله واستغراقه فى خوفه فهو حاضر بقلبه مع المخوف غائب عن كل مألوف (فلما أفاق سئل عن ذلك فقال تذكرت كون أهل النار فى النار فهذه غيبة زادت على حدها حتى صارت غشية وروى عن على بن الحسين) رضى الله عنه (انه كان فى سجوده فوقع حريق فى داره) ووقعت حركة وضجة عظيمة لذلك على العادة ٦٧ (فلم ينصرف عن صلاته فسئل عن حاله فقال الهتنى النار الكبرى عن هذه النار) باعتبار ما ورد عليه من الآيات التى فيها ذكر النار فغاب عما جرى من الحريق (وربما تكون الغيبة) من العبد (عن احساسه) بنفسه وغيره لاشتغاله (بمعنى) أى بوارد (مكاشف به من قبل الحق سبحانه ثم انهم) أى من يرد عليهم الوارد (مختلفون فى ذلك على حسب أحوالهم) فقد يكون الوارد وارد تعظيم واجلال وقد يكون وارد اعطاء وافضال وقد يكون وارد استصغار نفس وعمل واستقلال وقد يكون وارد بسط وادلال وقد يكون وارد عزة فيورث ذبولا واضمحلالا (ومن المشهور ان ابتداء حال أبى حفص النيسابورى الحداد) أى السبب (فى تركه الحرفة انه كان على) يعنى فى (حانوته فقرأ قارئ آية من القرآن فورد على قلب أبى حفص وارد) وجد به وجدا بحسب ما فتح الله به واستغرق فيه حتى (تغافل) أى غفل به (عن احساسه فادخل يده فى النار واخرج الحديدة المحماة بيده فرأى تلميذه ذلك فقال يا أستاذ ماهذا فنظر أبو حفص الى ما ظهر عليه) من الكرامة (فترك الحرفة وقام من حانوته) خشية الفتنة فالربيع بن خيثم كان وارده الخوف من النار وهذا كان وارده يشغله عن الخوف من النار (وكان الجنيد قاعدا وعنده امرأته فدخل عليه الشبلى فأرادت امرأته أن تستتر) من الشبلى (فقال لها الجنيد لاخبر للشبلى منك) أى لا علم له بك (فاقعدى فلم يزل يكلمه الجنيد) بالعلم ويتحدث معه فى حاله (حتى بكى الشبلى) بعد ان سرى عنه

و يقال له أيضا البرزخ لـ ... ن لا يقال ذلك الا لقلب الانسان الكامل المقول فيه ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن واعلم انه قد افصح صاحب الحكم عن هذا الرمز حيث قال ان كنت بعين القلب تنظر الى ان الله تعالى واحد فى منته فالشريعة تقتضى انه لابد من شكر خليقته وان الناس فى ذلك على ثلاثة أقسام غافل منهمك فى غفلته قويت دائرة حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا فشركه جلى واما استنادا فشركه خفى وصاحب الحقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفنى عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب فهو عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناؤها سالك للطريقة قد استولى على مداها غير انه غريق الانوار مطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره واكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه عن بقائه يعطى كل ذى قسط قسطه ويوفى كل ذى حق حقه الى آخر ما قال رضى الله عنه (قوله فغشى عليه) الذى يظهر من باقى كلامه انها غشية خوف منعت احساسه لقوتها فصارت كالعماء بسبب قوة ما صادفه من مظاهر جلال الحق تعالى والخوف منه (قوله وربما تكون الغيبة الخ) لا يغاير ما قبله بل هو أعم منه اذ ما يكاشف به العبد من الواردات كثيرة أنواعه فكل عبد يكاشف بما يليق بحاله من وارد دواء أو شفاء أو ترق الى حال أو وصول الى مقام وذلك على حسب التقدير الازلى والحكمة الباهرة فى تصاريف الحق سبحانه وتعالى (قوله ثم انهم مختلفون) أى بحسب قوة المجاهدة لان بها وعلى حسبها تكون المشاهدة وذلك بشهادة خبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ولذا نقل عن السيد الشريف أبى الحسن المغربى الحسنى انه قال كنز خفى تحت جدارك وانت تطلبه من بيت جارك فافهم (قوله فقد يكون الوارد الخ) مراده ان الوارد يتنوع فقد يكون من مجالى الجلال وقد يكون من بساط الجود والجمال (قوله خشية الفتنة) يحتمل ان المراد افتتانه بالشهرة بين الخلق بالكرامة فتفسر ستر الحاله وغيرة على أسراره ويحتمل ان المراد بها افتتان الغير به بوقوفه مع غيره ربه (قوله فالربيع الخ) أقول صاحب الذوق الاول من الكاملين والثانى فى مدارج المقربين (قوله لاخبر للشبلى منك)

(فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الجنيد لامرأته استتري فقد أفاق الشبلي من غيبته) وهذا من الواردات المشغلة عن الوقوع في المحذورات فيكون العبد في هذه الحالة غير مؤاخذ بما يجري عليه ويحفظه الحق فيها عن الوقوع في شيء من المحرمات (سمعت أبا نصر المؤذن) بنسا (وكان رجلا صالحا قال كنت بنسا أقرأ القرآن في مجلس الاستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله بنسا وقت هنالك وكان يتكلم في الحج كثيرا فاثر في قلبي كلامه وخرجت الى الحج تلك السنة وتركت الحانوت والحرفة وكان الاستاذ أبو علي رحمه الله خرج الى الحج أيضا في تلك السنة وكنت في مدة كونه بنسا أخدمه وأواظب على القراءة في مجالسه فرأيته يوما في البادية) قد مضى لقضاء حاجته فيها (ثم نسي وتطهر) بسبب وارد ورد عليه

اشغله بالله (قمقمة) فيها ماء (كانت بيده حملتها فلما عاد الى رحله وضعتها عنده فقال جزاك الله خيرا حيث جئت بهذا ثم نظر الى طويلا كأنه لم يرني قط وقال رأيتك مرة من أنت) فتأملت لذلك (فقلت المستغاث بالله قد صحبتك مدة وخرجت من مسكني ومالي بسببك وتقطعت) وفي نسخة وانقطعت (في المفازة والاسفار بك) أي بسببك و) أنت (الساعة تقول رأيتك مرة من أنت) وهذا اما لكثرة ورود الاحوال عليه حتى لا يتفرغ لملاحظة من يصحبه أو لحال عظيم ورد عليه في هذا الوقت شغله عن احساسه والنظر لما يعهده ويعرفه من جلسائه وأصحابه ومن يخدمه (وأما الحضور فقد يكون) من قام به (حاضرا بالحق لانه اذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى انه يكون كأنه حاضر وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه فهو حاضر بقلبه بين يدي ربه فعلى حسب) أي قدر (غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق فان غاب) عن الخلق لعله (بالكلية كان الحضور بالحق على حسب الغيبة) فيكون حاضرا معه بالكلية (فاذا قيل فلان حاضر) مع ربه (فمعناه انه حاضر بقلبه لربه غير غافل عنه ولا ساه) بل (مستديم لذكره ثم يكون مكاشفا) بفتح الشين (في حضوره على حسب رتبته) وفي نسخة مرتبته (بمعان يخصه الحق سبحانه بها وقد يقال الرجوع العبد) الى ما كان فيه (من احساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق انه حضر) أي رجع (عن غيبته) أي يقال الحضور للرجوع المذكور (فهذا يكون حضورا بخلق والاول حضورا بحق)

اي لما غاب على قلبه من سواطع أنوار الحقيقة وقوله بعد فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الخ أي لعوده للصحو الاكمل الذي يتظر به ان الله واحد في منته غير انه يعطي الحكمة حقها بالقيام بشكر الخليقة اذ هم مظاهر المنة فلهم مجاز الشكر وله تعالى حقيقته وحقيقة المنة وانما كان شكر الخلق مجازيا لانه رسم مامور به ولولا الامر به لما صح لاحد عمل فيه (قوله فلما أخذ) أي شرع الشبلي في البكاء أي بواسطة عوده الى الاحساس فوقع له التأثر بما ورد عليه بعد ان كان ممتلئا شبعا بغلبة أنوار الحقيقة والله أعلم (قوله وهذا من الواردات الخ) مراده بذلك دفع ما يقال كيف نظر الشبلي الى امرأة الجنيد وهي أجنبية منه (قوله وقت هنالك) لعله وقت كونه هنالك (قوله ثم نسي وتطهر) لعله [2] ثم تطهر ونسي قمقمة الخ (قوله واما الحضور الخ) المراد الاشارة الى ان الحضور قد يكون بالخلق وبالحق ويتحقق ما بالحق بالغيبة عن سائر الخلق ونهاية الغيبة الفناء عن الفناء وحينئذ فلا احساس لصاحبه الا بالحق اذ هو في هذا المقام بشرف الوجود مشتغلا بما به كان التجلي ويتحقق ما بالخلق بالرجوع الى ما كان عليه من الاحساس فالاول غائب حاضر بالنسبة الى شيئين الخلق والحق والثاني غائب حاضر بالنسبة الى شيء واحد في وقتين كالتخلق بالاخلاق الحميدة بالتوفيق والرجوع عنها الى الذميمة بالخذلان فالمتخلق غائب عن الذميمة في الحالة الاولى حاضر معها في الحالة الثانية (قوله واما الحضور الخ) نقول من هذا المقام قول الصديق الاكبر لعائشة رضي الله عنها حين نزلت براءتها من حديث الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكري رسول الله فقالت والله لا اشكر الا الله حيث دلها على الاكمل بشهود من جرت النعمة على يده وانما كان ذلك أكمل لان فيه قياما بحق الحقيقة وحكمة الشريعة للعمل بعمارة الدارين قال في التنوير بعد ذكر الاسباب والقول الفصل في ذلك انه لا بد من الاسباب وجودا ومن الغيبة عنها شهودا فاثبتها من حيث أثبتها بحكمته ولا تستند اليها لعلمك باحديته (قوله كأنه حاضر الخ)

٢ قوله ثم تطهر ونسي قمقمة هو هكذا بنسخ المتن المعتمدة ويدل عليه كلام الشارح

فالحاضر بالمعنى الاول غائب حاضر بالنسبة الى شيئين وبالمعنى الثانى غائب حاضر بالنسبة الى شئ واحد فى وقتين وذلك كان يمن الله تعالى عليه بالاشتغال بطرق محمودة كالحلم والعفو عن من يؤذيه فهو غائب عن اخلاقه المذمومة من الانتصار لنفسه والحقد على من يؤذيه حاضر مع اخلاقه المحمودة وقد يرجع الى اخلاقه المذمومة فيكون غائبا عنها وحاضرا فيها فى وقتين (وقد تختلف أحوالهم فى الغيبة فمنهم من لا تمتد غيبته) مع طولها أو قصرها (ومنهم من تدوم غيبته وقد حكى ان ذا النون المصرى بعث انسانا من اصحابه الى أبى يزيد) البسطامى (لينقل اليه صفة أبى يزيد) أى أحواله ولم يكن المبعوث يعرفه (فلما جاء الرجل) المبعوث (الى بسطام سأل عن دار أبى يزيد) فدل عليها (فدخل عليه فقال له أبو يزيد ما تريد فقال أريد أبا يزيد فقال) له (من أبو يزيد وأين أبو يزيد فانا فى طلب أبى يزيد) فيه دليل على كمال استغراقه فى أكثر أوقاته وهو يحب ان لو خفف عنه ماهو فيه ليرجع الى احساسه وينتفع بما لا بدله منه (فخرج الرجل من عنده (وقال هذا مجنون فرجع الى ذى النون وأخبره) بذلك فعرف مقام أبى يزيد وانه مشغول عن نفسه بالكلية (فبكى ذو النون وقال أخى أبو يزيد ذهب فى الذاهبين) أى المشغولين باسمه تعالى عن أنفسهم وسائر الخلق (الى الله تعالى)

• ومن ذلك (الصحو والسكر •

فالصحو رجوع الى الاحساس بعد الغيبة) بالسكر بخلاف الصحو قبلها (والسكر غيبة بوارد قوى) فالسكر أخص من الغيبة مطلقا ثم ذكر فرقا آخر بينهما فقال

لعله أشار بالكناية الى التنزه عن الحضرات الحسية واعلم أن الحضور هو الشعور بوجود الخلق مع الحق غيران صاحبه سلوكه فى كل شئ بالتوحيد والرجوع الى الصانع الحكيم (قوله من لا تمتد) أى لا تدوم وذلك صادق بالطول والقصر ولذا قال مع طولها أو قصرها (قوله فقال من أبو يزيد الخ) فيه دليل على قوة سكره بخمر وصال قربه وغاية لذاته برنيم مراقباته بعد محق ناسوته وتنوير لاهوته فهو غائب عن نفسه ذاهل عن جنسه وجودا بالمالك وغيبة عن الهالك (قوله الصحو والسكر) اعلم وفقنى الله واياك ان السائر والمسافر لا بد له من مقامات يقيم فيها ووارد يرده حتى ينتهى الى مقصده فاذا وصل المقصد فهنالك يكون له أحوال وشؤن وتقلبات فكذلك السائر الى الله تعالى مع انه لا مسافة يقطعها ولا جهة يقصدها ولا مكان يتوجه اليه لاستحالة جميع ذلك فى حقه تعالى فحينئذ تعين ان المراد قطع مسافة النفس بالخروج عن أخلاقها الذميمة الى الحميدة فاذا وصل العبد الى ذلك ظهر له شؤن وتقلبات من مبادى المقامات ولذا قيل لولا مسافة النفس ما تحقق سير السائرين فهى الحجاب الاعظم بين العبد وربه فاذا زال هذا الحجاب انكشف لمعت أنوار المحبة وبدت اشارات الوصلة فيعتوره أحوال مثل الصحو تارة والسكر أخرى وهما حالتان شريفتان ووصفان عظيمان لا يكونان الا لمن كشف عن الجمال وبشر بالوصال فهام بالمحبوب وجد فى المطلوب واعلم ان الصحو لا يقال الا لمن سبق له سكر فغاب فى ميدان الذكر فاذ بقى له بعض احساس يقال له المتساكر والا بان غاب عليه الحال حتى غاب عن فكره يقال قد بلغ حد السكر واعلم ان الصحو الذى هو فى مقابلة السكر حال من أحوال المحبين أو مقام من مقاماتهم بحسب اختلاف الاصطلاح فى التعبير عنه بالحال أو المقام ومأخذه من قوله جل شأنه فلما أفاق قال سبحانك ومن قوله جل وعلا حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وقال الهروى الصحو فوق السكر وهو يناسب مقام البسط ولهذا قال العارف الكبير قدس الله سره

ولما انقضى صحوى تقاضيت وصلها • ولم يغشنى فى بسطها قبض خشية

فيكون تقدير كلامه ولما انقضى سكرى الذى تقدم لذكره بصحوى حذفت الباء لضرورة الشعر ولا يسوغ على هذا ان يكون صحوى فاعل انقضى بل فاعله ضمير مستتر يعود على السكر المتقدم وانما قلنا ذلك لان الشيخ كان فى مقام الترقى وقد أسلفنا ان الصحو فوق السكر وهذا معلوم مشهور عند العارفين اذ هو مقام الانبياء والمرسلين وأكابر الاولياء والسكر مقام من دونهم (قوله فالسكر أخص) أى لانه لا يكون الا عن

والسكر زيادة على الغيبة من وجه وذلك ان صاحب السكر قد يكون مبسوطا) وذلك (اذا لم يكن مستوفى فى حال سكره) بان بقى فيه بقايا الادراك الاشياء (وقد يسقط اخطار الاشياء عن قلبه فى حال سكره) فيكون مستوفى فيه (وتلك) أى الحالة الاولى (حال المتساكر الذى لم يستوفه الوارد) فيها (فيكون للاحساس فيه مساغ وقد يقوى سكره) وهى الحالة الثانية التى استوفاها الوارد فيها (حتى يزيد على الغيبة فربما ٧٠ يكون صاحب السكر اشد) أى أقوى (غيبة من صاحب الغيبة) وذلك (اذا قوى سكره وربما يكون صاحب الغيبة اتم فى الغيبة من صاحب السكر (وذلك) اذا كان متساكرا غير مستوفى) فى سكره فالسكر فوق الغيبة من وجه والغيبة فوق السكر من وجه وقيل السكر يلزمه الطرب بخلاف الغيبة ولو حذف ربما فى الموضعين كان أحسن وأخصر ثم أشار الى فرق آخر بينهما فقال (والغيبة قد تكون للعباد) والمبتدئين (بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة) بفتح الجيم (ومقتضيات الخوف والرجاء) بفتح الضاد (والسكر لا يكون الا لاصحاب المواجيد) وأهل المحبة (فاذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر وطرب الروح وهام القلب) وسقط التمييز بين ما يؤلمه وما يلذه لان التجليات الجمالية وشهود الصفات الكمالية اذا استولت على العبد بحيث لا يشهد سوى الحق فتصير الاشياء بالنسبة اليه شيأ واحدا فحينئذ لا يميز بين الاشياء لغلبة رؤية ما اللحق عليه (وفى معناه) أى السكر الناشئ عن كشف الجمال (انشدوا فصحوك من لفظى) أى قولى (هو الوصل كله * وسكرك من لحظى) أى ملاحظتك لجمالى (يبيح لك الشربا فما مل ساقيها) أى المتفضل بالالهام والكشف (وما مل شارب * عقار لحاظ) أى خمر ملاحظة الجمال (كأسه بشائر يسكر اللبا) أى العقل فبين بذلك ان صحوه بما يفهمه من صريح المقال وان سكره بملاحظة الجلال والكمال وان ما سكر به هو ما لحظه وشاهده من صفات الجلال والكمال وشبهه بالعقار أى الخمر لكونها مسكرة فالمراد بالشارب المتنعم باللطف (وانشدوا)

وارد بخلاف الغيبة فانها تكون به وبدونه (قوله والسكر زيادة الخ) محصله الفرق بين السكر والغيبة بان السكر قد لا يقوى فيبقى مع نوع احساس للبسط ويسمى صاحبه المتساكر وقد يقوى حتى يزول معه الاحساس أصلا فيكون صاحبه مستوفى وهذه الحالة أشد من الغيبة وهى أشد منه فى الحالة الاولى أى وهى ما يقال فيها لصاحبها المتساكر (قوله يلزمه الطرب) أى لبقاء بعض الاحساس الذى به يدرك الطرب (قوله ولو حذف ربما فى الموضعين كان أحسن) أى لانها توهم خلاف المفروض فى الحالتين باعتبار معناها (قوله والغيبة تكون للعباد الخ) المراد ان الغيبة تكون بحسب وارد الحق على قلب العبد المقرب غيران الكامل من العبيد يعطى كل ذى حق حقه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد الحجر على بطنه أظهار الفقر والفاقة الى ربه واطعم الفامن الصاع اظهارا للغنى بربه ولهذا أشار نقطة دائرة وقته حيث قال

فنقطة غين الغين عن صحوى انمحت * ونقطة عين العين محوى الغت

فراده ان نقطة الغين الذى هو الحرف الهجائى يعنى الحجاب النورى المشار اليه بخبر انه ليغان على قلبى فاستغفر الله عن صحوى من السكر الذى أفقت منه بالحلول فى مقام الفرق الثانى انمحت أى زالت ونقطة عين بالمهملة أى العين الناظرة العين أى العيان أو الذات محوى الغت أى أهملت يعنى سلمت ونجوت من الحجاب فلا أحجب بشئ من الاشياء وكيف لا وكل شئ أشاهد فيه محبوبى واعطى كل ذى حق حقه فأعطى الكون حقه والمكون حقه وكل ذلك به تعالى لابى والله أعلم (قوله والغيبة الخ) محصله ان الغيبة دون السكر حيث هى من أحوال المبتدين والسكر من مقامات المقربين ولا تغفل عما قدمناه فى الفرق بينهما (قوله والسكر لا يكون الا لاصحاب المواجيد) أى الاين يجدا الحق بعد منازعته فى الطلب واجتهاده فى الحصول عليه (قوله فاذا كوشف بنعت الجمال) أى فاذا تجلى عليه الحق تعالى تجليا من تجليات جماله وكماله بعد اماطة حجاب البشرية عنه حصل له السكر بالغيبة عن غير مشهوده وحصل الطرب لروحه فرحا والهيام لقلبه شوقا حتى لا يشعر بشئ سوى ما هو فيه (قوله وسقط التمييز) أى الذى هو بمقتضى البشرية وسقوطه لكمال اشتغاله بما كوشف به من نعت الجمال كيف لا وقد يجد الانسان مثل هذا أو قريبا منه فيما اذا تعلق قلبه بشئ دنيوى (قوله فصحوك من لفظى) أى من سماع خطابى والعمل بمقتضاه هو الوصل كله أى بواسطة اشتماله على

بشائر القرب لمرحمة ألطاف الرب وقوله وسكرك أي غيبتك عن الكائنات من لحظي أي من ملاحظتك اياي ومراقبتك لنعوت جمالي وتجليات صفات كمالي يبيح لك الشرب أي يجعل لك الشرب مباحا وهو كناية عن دوام غيبته في لذة مناجاته وقوله فنامل أي سم ساقيها أي الذي أنعم بها عليك ونامل أي سم شارب لثبوت همته في الشرب من بحر كرم افضاله وقوله عقار هو من أسماء الخمرة لحاظ أي خمرة ناشئة عن مشاهدة الكمال ومراقبة الجلال والجمال يسكر اللبا أي يؤثر في العقل غيبته عما سوى ما هو حاصل له وحاصل المراد ان من دامت عباداته وتوالت وارداته غلب على قلبه وعقله النور فكان الاشبه بحال المخمور (قوله فأسكر القوم دور كأس الخ) أقول من كان من أهل الذوق لا يحتاج الى زيادة الايضاح بل يكتفي بالتلويح على ما لاح ومن لم يكن من أهله لا يزداد الاعمى كما لا يزداد الاعمى بنور الاصباح زيادة على نور المصباح فهو يشير فيما ذكره الى مقامين عظيمين الثاني منهما أرقى من الاول فالاول الاستغراق في ملاذ آثار الافضال والثاني الاستغراق في شهود ذي الجلال والكمال (قوله أي شربت الكاس الدائر) أشار بذلك الى ان اضافة دور للكاس من اضافة الصفة للموصوف (قوله وكان سكري من المدير) أي الذي هو الفاعل وهذا هو الاكمل لعدم توسط الاثر بخلافه على الاول (قوله لي سكرتان) أي لذتان بالنعمة الواصلة الي وبمسديها وناشئتان من الاثر والمؤثر وقوله وللندمان أي باقي المحبين لذة واحدة حيث وقفوا مع الآثار واشتغلوا بها عن المؤثر جريا على عادة البشرية (قوله لان النفوس الخ) في العلة مع المعلل نظر اذ المعلل محبة النعم وسكرته بها والعلة في محبة المنعم نعم يقال يلزم من محبة النعم محبة المنعم بها (قوله سكران الخ) أي غيبتان بشائق اللذات وسني المشاهدات سكر هوى أي غيبة ميل بتوجه القلب بالكلية الى ما ناله من فيض الاحسان وسر الامتنان حتى فني في تلك الآثار وقوله وسكر مدامة أي غيبة طرب ولذة نشأت عن خمرة شهود مبدا مظاهر الجمال ومجلي تجليات الكمال وقوله فتى أي في أي وقت يفيق أي يصحو فتى واحد النشيان به سكران قد غلبا على لبه حتى غاب بهما عن آثار الموجودات غير المشاهد له والمعنى على استبعاد ذلك لمثله (قوله واعلم ان الصحو الخ) أتى بلفظ اعلم لاجل أن يتوجه المخاطب بكليته الى ما يلقيه اليه بعدها والمراد ان الافاقة والرجوع الى ما كان عليه العبد بحسب الغيبة في المشاهد له فمن غيبته بحق كان صحوه كذلك وقد بين الشارح باقي أنواع السكر والصحو وأسباب ذلك (قوله فمن كان سكره بحق الخ) أي بحيث يعطي صاحبه كل مقام حقه كما فعل الخواص نفعنا الله به وذلك انه قام ليلة يصلي فوثب عليه أسد فلم يعبأ به فلما كان من الغد سقطت عليه بقة فصاح منها فقيل له في ذلك فقال البارحة كنت مأخوذا عني والليلة مردودا علي ولله در من قال

اذا كانه تهنا دلالا * على كل الحرائر والعبيد

أيضا (فاسكر القوم دور كأس) أي شرب الكاس الدائر (وكان سكري من المدير) فبين به أن سكره من الفاعل لا من الفعل بخلاف غيره (وانشدوا) أيضا (لي سكرتان وللندمان) بضم النون جمع ندمان بفتحها والمشهور في جمعه ندامى (واحدة * شيء خصصت به من بينهم وحدي) فبين به ان له سكرتين سكرة بالنعم وبمحبته لها وسكرة بالجمال والكمال من المتفضل بذلك ولغيره من الندامى سكرة واحدة وهي الاولى وهي كثيرة في المحبين لان النفوس مجبولة على حب من احسن اليها والثانية قليلة فانها من صفة العارفين (وانشدوا) أيضا (سكران) بضم السين تثنية سكر (سكر هوى) هو محبة النعم التي نالها واستغرق فيها (وسكر مدامة) وهو محبة الجمال والكمال التي هو متشوق اليها (فتى يفيق فتى به سكران) بالنسبة لمن به سكر واحد (واعلم ان الصحو على حسب السكر فمن كان سكره بحق كان صحوه بحق) ومن كان سكره في حق كان صحوه في حق ومن كان سكره لحق كان صحوه لحق والفرق بين الثلاثة

ان الاول بعون بلا سبب والثانى فى طلب والثالث استغراق فى الادب (ومن كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ مصحوبا ومن كان محقا فى حاله) أى ٧٢ فى حال صحوه كما وجد فى نسخة كذلك (كان محفوظا فى حال سكره والسكر والصحو يشيران الى طرف من التفرقة) المقابلة للجمع (واذا ظهر من سلطان الحقيقة) وهى غلبة ذكر الحق على القلب (علم) أى علامة (فصفة العبد الثبور) أى الهلاك (والقهر وفى معناه أنشدوا اذا طلع الصباح لنجم راح) أى لاناء خمر (تساوى فيه سكران وصاح) لتمكن السكر من السكران (قال الله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا هذا) أى موسى (مع رسالته وجلالة قدره خر صعقا) أى مغشيا عليه لهول ما رأى (وهذا) أى الجبل (مع صلابته وقوته صار دكا) أى مدكوكا مستويا بالارض (متكسرا والعبد فى حال سكره) كائن (بشاهد الحال وفى حال صحوه) كائن بشرط أى (بشاهد العلم الا انه فى حال سكره (محفوظ) بالله (لا يتكلفه) باضطراب وغيره (وفى حال صحوه متحفظ بتصرفه) الحاصل بفعل الله واذا كان بشاهد الحال لزمه السكون تحت ما وهب له وان كان بشاهد العلم لزمه حسن العمل والادب (والصحو والسكر) انما يكون (بعد الذوق والشرب) وقد أخذ فى بيانهما فقال

وان كان بناء عدنا الينا ● فعطـل ذلنا ذل اليهود

(قوله ان الاول) أى فى كلام المصنف بعون بلا سبب أى حاصل باعانة الحق تعالى من غير سبب يظهر لاحد (قوله والثانى) أى فى كلام الشارح فى طلب أى فى استدعاء مطلوب بشاهد المتابعة فهو من عمل التكليف والاخذ بالاسباب (قوله والثالث استغراق فى الادب) يظهر انه أعم مما قبله لعمومه لما له سبب ولغيره مما نصه الرب تعالى (قوله ومن كان سكره بحظ الخ) يشير الى أن الصحو تابع للسكر فى ملابسة الحظوظ وقوله ومن كان محقا فى حاله أى متجردا عن حظوظه فى حال صحوه كان محفوظا عنها فى حال سكره (قوله والسكر والصحو الخ) مراده ما يعم الانواع الثلاثة المتقدمة فى الصحو والسكر وقوله يشيران الى طرف من التفرقة أى باعتبار شهود آثار الاحسان والافضال فى أغلب الاحوال (قوله واذا ظهر من سلطان الحقيقة علم الخ) أى بواسطة شهود تجلى قهر وغلبة للمشاهد فحال العبد فى ذلك التجلى التلاشى بغلبة المقهورية عليه (قوله وفى معناه أنشدوا اذا طلع الصباح الخ) أقول فمعناه الظاهر قد أشار له الشارح اجمالا والمعنى المقصود منه ان العبد المقرب اذا بداله بوادى تجليات العظمة والجلال والقهر فى حال استغراقه فى سلطان الحقيقة وشاهدها بواسطة غلبة أنوارها التى هى كالصباح المزيل للظلم تحقق الاشياء على حقائقها فعلم بذلك انه لا فعل ولا وصف ولا وجود الا لله تعالى فعند ذلك يتلاشى عن سائر الكائنات وعن فنائه عنها وفى هذه الحالة يستوى السكران والصاحى فافهم (قوله اذا طلع الصباح لنجم راح) أى اذا طلع فى القلب واشرق نور قمر التجلى ولمعت لوامع شموس نهار التدانى والتدلى تساوى فيه سكران وصاح أى استويا فى الذهول والانمحاق وتلاشى بالظهور مبادى التلاق ولا تغفل عما قدمه الشارح فى مثل هذا من أن الاولى عدم ذكره (قوله وخر موسى صعقا) أى فقد أشار به وبما قبله من دك الجبل الى انه لا فرق فى هذا التجلى بين ما هو كالجبل فى الثبات وبين الجبل الحقيق وذلك بسبب قوة عظمة ما شوهد من ذلك التجلى (قوله والعبد فى حال سكره الخ) محصله بيان حالتى العبد سكرا وصحوا بان سكره بما شاهده من وارداته وصحوه وافاقته بشاهد العلم وهو فى الحالتين محفوظ بالحق مؤيد بالصدق (قوله بعد الذوق والشرب) أى وسببهما اخلاص العبادة ودوام المراقبة حتى يصل الى ذوق لذة ذلك بواسطة واردات الانوار ثم اذا تمكن فى هذا المقام وتوالت عليه هذه الواردات ترقى الى مقام الشرب بسبب قوة تلك اللذة ثم اذا تمكن فيما وصل اليه ترقى الى درجة الرى وبعدها لا يتشوف الى شئ آخر سوى ما هو فيه (قوله ويعبرون بذلك عما يجدونه الخ) أى كما يجد العارف من تكرر نظره فى اختلاف الآثار وتنوعها ودلالتها على معانى الاسماء لانه يرى لكل اسم نسبة ولكل نسبة وجوها ولكل وجه

● ومن ذلك (الذوق والشرب ● ومن جملة ما يجرى فى كلامهم الذوق والشرب ويعبرون بذلك عما يجدونه من   متوجهات

متوجهات لا نهاية لها وكما يجد تحقق الصفات وانها راجعة لاوصاف الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وذلك من جهة نظره فى الاسماء اذ لا يخرج عن معناه اسم بمعناه وقصده وكما يجد الذات العلية بالنظر فى الصفات السنية على معنى وجود الذات لا لمعنى منها بل من حيث لزومها لوجودها لانه يستحيل قيام الوصف بنفسه أو بمثله فمعرفة الذات من وراء معرفة الصفات ومعرفة الصفات من وراء معرفة الاسماء ومعرفة الاسماء من وراء معرفة الصفات والآثار فافهم (قوله من ثمرات التجلى الخ) يشير بذلك الى انه وان كان ليس من كسب العبد ذلك لكنه يترتب عليه وينشأ عنه بفضل الله سبحانه وتعالى على طريق الموهبة والله اعلم (قوله ونتائج الكشوفات) هو وما بعده تفسير وبيان لقوله من ثمرات التجلى وتوضيحه ان العمل على طريق المتابعة يثمر اشراق النور فى قلب العامل وبواسطة النور يتحقق الكشف وينشأ عنه نتائج وبواده ترد على القلب المنور بنور الحق لا يناس وقوة اليقين كما اشار اليه بعد (قوله فصفاء معاملاتهم الخ) أى ويدل له خبر اذا أخلص العبد لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه أو كما ورد (قوله ووفاء منازلاتهم) أى استيفاء مقاماتهم التى نزلوها واقاموا فيها لانه اذا لم يستوف السالك ذلك لم يتهيأ للانتقال للاشرف عما هو فيه والله أعلم (قوله ودوام مواصلاتهم الخ) أى الذى لا يتم الا بعدم الوقوف معها بل انما يتحقق بالفناء عن جميع الاكوان والاحوال والمقامات (قوله متساكر) أى وهو من بقى فيه بقية شعور بما له من الاحوال وقوله وصاحب الشرب سكران أى لكونه قد غلب عليه السكر حتى لم يترك فيه بقية يستشعر بها شيأ من الاشياء فهو قد تم استغراقه فيما ناله والله أعلم (قوله وصاحب الرى صاح) أى لكونه قد رجع الى ما به كماله من متابعة سيد الكمل صلى الله عليه وسلم وانما كان هذا أشرف لكونه فى هذا المقام يعطى كل ذى حق حقه وذلك هو الخلق المحمدى (قوله السكر لارباب القلوب) أى ممن لم يصل الى مقام الروح التى هى اشرف من القلب لانه من عالم الخلق وهى من عالم الامر ولذلك كان الصحو للمكاشفين لكونهم أرباب أرواح لترقيهم عن مقامات أرباب القلوب (قوله ومن قوى حبه الخ) أى فمن وقعت له الافاقة والصحو من السكر وعاد الى الكمال يدوم له شرب مدام الوصال غير انه لتحققه بالحق لا يؤثر فيه السكر بالحق بل يكرع من شراب الاتصال مع الثبات فى مدارج الكمال والله أعلم (قوله ولهذا قال الجنيد) أى وللاشارة الى ان من قوى حبه دام شربه ولم يتأثر به لبه كما قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب أى فالمحب وان ظهر عليه السكون فقد تحقق طيران قلبه فى شؤن الفنون وهيمان لبه فيما لا تحيط به الظنون (قوله انما الكاس رضاع بيننا الخ) أى حيث أشار الى ما يسكر من لذة الاذواق الواردة على قلوبهم التى لا تخفى عن شئ منها بالنسبة لكل محب مقرب فمن جذبه الحق من الخلق

ثمرات التجلى ونتائج الكشوفات) وبواده الواردات) من بدهه الامر أى فجأه (واول ذلك) ادرا كا يقال له (الذوق ثم) اذا تمكن فيه يقال له (الشرب ثم) اذا تمكن فيه يقال له (الرى) بفتح الراء وكسرها (فصفاء معاملاتهم) مع الله (يوجب لهم ذوق المعالى ووفاء منازلاتهم) وانتقالهم فى أحوالهم (يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم) لمعاملاتهم ووفاء منازلاتهم (يقتضى لهم الرى فصاحب الذوق متساكر وصاحب الشرب سكران وصاحب الرى صاح) قال السهروردى السكر لارباب القلوب والصحو للمكاشفين (ومن قوى حبه) لله (تسرمد شربه) أى دام (فاذا دامت به تلك الصفة لم يورثه الشرب سكرا) ولهذا قال الجنيد فى هذه الحالة وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب (فكان) من دامت به تلك الصفة (صاحيا بالحق فانيا عن كل حظ لم يتأثر بما يرد عليه ولا يتغير عما هو به ومن صفا سره لم يتكدر عليه الشرب ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه ولم يبق بدونه) وفى نسخة دونه (وانشدوا فى ذلك (انما الكاس رضاع بيننا • فاذا لم نذقها) اى كاس المحبة الدائرة بين المحب والمحبوب

يتجلى له بجلاله وعظمته وكبريائه بما تذهل بواسطته العقول الكاملة ولا بد لمثل ذلك بالكسب فيوجب له ذلك التجلي هيبة وأنسا ثم يرده الى شهود صفاته حتى يجري معناها على قلبه فيحصل له فرق في عين الجمع وذلك موطن العلم والمعرفة التفصيلية ثم يرده الى أسمائه وذلك حقيقة المعرفة بالصفات فيسري له التفصيل في المعاني ثم يرده الى شهود الآثار فيسري له من كل اسم ظهور نسبة في الوجود فينظر الخلق بما أبدى عليهم الحق فيدخل الشريعة من عين الحقيقة (قوله انما الكاس رضاع بيننا الخ) اى فمن اعتاد شرب خمر الكاس صار كالرضيع الذي لا غنى له عن شرب لبن الرضاع فمن ثبتت له المحبة الالهية يدوم عليها ولا ينفك عنها دوام زمانه وقوله فاذا لم نذقها لم نعش اى اذا بعد من اعتاد شرب خمر المحبة عن الشرب لم يثبت عيشه اى معيشته والله أعلم (قوله شربت الحب الخ) اى فهو يدوم في العلل والنهل في الشرب لكاسات المحبة ومع ذلك لا تنطفئ نيران أشواقه الى محبوبه فلا يفيق لثبوت نهمته مع عدم نهاية كمالاته تعالى فلا الاشواق تنتهي ولا كمالات الحق تنفد (قوله كاسا بعد كاس) يريد انه شرب كثيرا كما يرشد اليه قوله فما نفد الشراب ولا رويت (قوله ههنا الخ) اى فمن ذاق لذة المحبة مرة دام استغراقه في محبوبه فلا يفيق الى غير ذلك وبهذا فارق ما وصل اليه أبو يزيد من كمالات المحبة والتمكن فيها (قوله اذ ههنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر الخ) أقول وذلك واضح لان المحبة تزيد وتربو بالاحسان من المحسن وحيث فضل الله تعالى واسع وخزائنه ملأى وكمالاته لا تتناهى فالمحب يكون حينئذ دائم الشوق الى ما يشاهده ويؤمله من زائد احسان ربه ويرشد الى ما ذكرناه خيرا لا على الله حتى تملوا فتدبر (قوله واعلم ان كاسات القرب الخ) الغرض الاشارة الى منازل الابرار ورتب المقربين ممن جد في المتابعات واجتهد في الرياضات ووفق لاخلاص المقاصد والنيات حتى قوي يقينه وصار وعده نصب عينه التي لا تنظر من علم الغيب الا على من تخلص من كل عيب من ذوي الاسرار المنتقة من جميع الاكدار والارواح المحررة عن رق الاشباح وذلك بالتجرد عن الحظوظ والشهوات والنزاهة عن الدنيء من العادات عمن لا يشهد غير الحق ولا يفوه الا بالصدق ان غاب فبالموجود وان حضر فبالمقصود وان قال فبالمكاشفات وان فعل فبالمتابعات وان رضي فبالله وان غضب فلله فيكون خلقه المحمدي وظاهره وباطنه الاحمدي (قوله واعلم أن كاسات القرب الخ) اى فهو يشير بذلك الى أن ما أسكر من لذة القرب شراب مخصوص بأهل الخصوص وذلك مثل حال أهل الجذب في الله ممن عتقت أسرارهم عن رق الشهوات وتحررت أرواحهم عن رق العادات لا مثل السالكين من أصحاب الصحو اذ بداية المجذوب نهاية السالك لانه قد أخذ عن نفسه الى حضرة الحق لا بترتيب ولا تدريج بخلاف السالك مع ان كلا منهما له حظ مما لصاحبه وانما اختلف البساط فقط فكل مجذوب سالك ولولا ذلك لكان زنديقا

(لم نعش) فالحق تعالى يوالي عليهم احوال المحبة كلما توالت عليهم طاشوا في طلبها وعاشوا بشربها (وانشدوا) فيه أيضا (عجبت لمن يقول ذكرت ربي فهل أنسى فاذكر ما نسيت شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد) اى فني (الشراب ولا رويت ويقال) في ذلك (كتب يحيى بن معاذ الى أبي يزيد البسطامي ههنا) اى في هذا المقام (من شرب كاسا من المحبة لم يظمأ بعده) لدوام تعلق قلبه بمحبوبه لما وهب من مقام المحبة (فكتب اليه ابو يزيد عجبت من ضعف حالك اذ ههنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر) اى فاتح (فاه يستزيد) من كمال المحبة فان من تمكن فيها قل سكره وقوي على حمل ما يرد عليه من أعبائها لكمال تمكنه في مقامه (واعلم أن كاسات القرب) اى مواهب الحق لمن قربه

وكل

(تبدو من الغيب ولا تدار الا على أسرار معتقة وأرواح عن رق الاشياء محررة) اى لاترد الا على أرباب القلوب الزاهدة فى الدنيا المعتقة عن رق الشهوات المحررة عن التعلق بالعادات الجارية فى عموم الاوقات

(ومن ذلك المحو والاثبات المحو رفع أوصاف العادة) بغيرها (والاثبات اقامة أحكام العبادة فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة وأتى بدلها بالافعال والاحوال الحميدة فهو صاحب محو ٧٥ واثبات) محو الجهل يحصل باثبات العلم ومحو الكسل يحصل بملازمة العمل وكذا القول فى سائر ما يمحى ويثبت فى القلوب والجوارح من الصفات (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول قال بعض المشايخ لواحد) من تلامذته (ايش) اى أى شئ (تمحو وايش) اى وأى شئ (تثبت) سأله عن حاله فى وقته ليعرف مقامه الذى هو فيه (فسكت الرجل فقال) له (أما علمت ان الوقت محو واثبات اذ من لا محو له ولا اثبات فهو معطل) بفتح الطاء (مهمل) نبهه لما سكت على ما ينبغى له الاشتغال به فى وقته حيث عرفه ان العبد متى لم يكن مشتغلا بازالة الصفات الذميمة باثبات أضدادها من الصفات الحميدة فهو معطل مهمل (وينقسم) المحو انقساما آخر أعلى مما مر من محو العادة (الى محو الزلة عن الظواهر) اى الابدان (ومحو الغفلة عن الضمائر) اى القلوب (ومحو العلة عن السرائر ففى محو الزلة اثبات المعاملات) مع الله تعالى (وفى محو الغفلة اثبات المنازلات) من المقامات (وفى محو العلة) وهى المشغلة عن الله تعالى (اثبات المواصلات) به تعالى (هذا) المذكور (محو واثبات بشرط العبودية) اى بالاضافة الى العبد (واما) وفى نسخة فاما (حقيقة المحو والاثبات) وهى التى من جهة الحق تعالى (فصادران) الاولى فصادرة (عن القدرة) الالهية (فالمحو ما ستره الحق) تعالى (ونفاه) عن العبد

وكل سالك مجذوب اذ لولا عناية الله ما أخذ فى السلوك قال تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب (قوله تبدو من الغيب الخ) اى فهى مواهب الهية على حسب سابق العناية الازلية (قوله المحو والاثبات) محصله ان كلا منهما يقال على تبديل الذميم من الاخلاق بالحميد منها بحسب ما اقتضته رعاية المتابعة للطريقة المحمدية والسنة المصطفوية وقد قدمنا ان المحو أنواع فارجع اليه ان شئت وسيأتى للشارح (قوله فمن نفى عن أحواله الخ) محصله انه أنواع بعضها من الكمال وباقيها من الاكمل وكل منها لا يتم الا لمن قويت متابعته لسيد المرسلين وامام النبيين والعارفين من المحققين بجميع الاحوال والمقامات لا يترتب الا على اخلاص العبادات بعد ابقاءها على سنن المتابعات (قوله فقال أما علمت الخ) أقول ما ذكره نفعنا الله ببركاته شامل لجميع أنواع المحو والاثبات الذى هو بالنسبة للعوام والخواص وخواص الخواص (قوله فهو معطل مهمل) اى حيث فوت على نفسه ما به يكون الشرف بل قد يكون تعرض الى مهاوى المهالك وأسباب التلف (قوله وينقسم الخ) محصله ان المحو والاثبات قد يعتبر من جهة العبد وقد يلاحظ من حيث فعل الرب أما الاول فأقسام ثلاثة محو المخالفات الظاهرة والباطنة برعاية المتابعات ومحو الغفلات بنفى الحظوظ والمألوفات بدوام المراقبات ومحو العلل المشغلات بتحقق دوام المواصلات وأما الثانى فهو ما أزاله الحق عبده عنه ونفاه بما أثبته له من المقامات والمكاشفات وذلك لا نهاية له الا انه بمشيئة الحق سبحانه وتعالى (قوله الى محو الزلة عن الظواهر) اى وذلك يتحقق بعدم ايقاع الجوارح الظاهرة فى شئ من الذنوب التى تكون بها كالغيبة والنميمة والنظر الى ما حرم الله النظر اليه وأكل الحرام وشربه والزنا واللواط والسعى فيما لا يجوز فى الشريعة وغير ذلك من باقى ما يتعلق بها (قوله وفى محو الغفلة الخ) أى وهو يتحقق بدوام مراقبة الحق فى جميع الحركات والسكنات (قوله وفى محو الغفلة الخ) اى وهو لا يتحقق الا بتنقية الدا آت الباطنة كالحقد والحسد والكبر والعجب وغيرها ثم بعد ذلك يخلص القصد فى عبادته لله وحده (قوله فصادران عن القدرة) اى بحسب القسمة بالحكمة واذا تجد بعض المجذ وبين هابطا فى تجليه من الحقيقة الى الحكمة وتجد بعض السالكين صاعدا فى ترقيه من الاغيار الى الحقيقة وكل على كماله والله أعلم (قوله الاولى فصادرة) اى لان المحدث عنه حقيقة المحو والاثبات (قوله فالمحو ما ستره الحق تعالى ونفاه عن العبد)

(والاثبات ما أظهره الحق وأبداه والمحو والاثبات) من هذه الجهة (مقصوران على المشيئة) من الله تعالى ولا نهاية لهما (قال الله سبحانه و) تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قيل يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى ويثبت على ألسنة المريدين ذكر الله) وجمهور المفسرين على ان المعنى يمحو ما يشاء ويثبت من الاحكام وغيرها فلا نهاية لذلك (ومحو الحق لكل أحد واثباته) له يكون (على ما يليق بحاله ومن محاه الحق سبحانه) وتعالى (عن مشاهدة) اى مشاهدته لنفسه وأفعاله (أثبته بحق حقه ومن محاه الحق عن اثباته به) اى بحق حقه (رده الى شهود الاغيار وأثبته فى أودية التفرقة وقال رجل للشبلى رحمه الله مالى أراك قلقا) كالطالب غائبا (أليس هو) اى الحق (معك وأنت معه فقال الشبلى لو كنت أنا معه) بنفسى (كنت أنا) اى ثابتا مختارا لما أنا فيه (ولكنى محو فيما هو) مجريه على من أحكام القدرة بالتصرف فى كيف شاء كلمه السائل بأحكام العبودية وأجابه الشبلى بأحكام الربوبية ولما كان المحق مناسبا للمحو ذكره بقوله (والمحق فوق المحو لان المحو) فى العادة (يبقى أثرا والمحق لا يبقى اثرا) بل يزيل الشئ بالكلية (وغاية همة القوم) وطلبهم (ان يمحقهم الحق عن شاهدهم) اى مشاهدتهم لانفسهم

اى ما ستره ونفاه عنه من كل شاغل يشغله عن ربه والاثبات ما أثبته له من كل ما يدنيه الى قربه من رحمته (قوله قيل يمحو عن قلوب العارفين الخ) قصره عليهم للعناية والا فالتعميم أحق فى الرعاية أوهو باعتبار الشان والعادة الالهية (قوله ومحو الحق لكل أحد الخ) اى فما يمنح الله به عبده وما يورده عليه من واردات احسانه هو على ما يليق بحال العبد بحسب سابق القسمة بالحكمة الباهرة واعلم ان المحو والاثبات بالنظر للآثار وذلك يختلف باعتبار الناظر فيها لانه اما أن يكون مجذوبا أو سالكا فالمعنى الذى دخل به المجذوب فى الآثار ليس هو المعنى الذى خرج عنه السالك به فهما بين داخل وخارج أبدا وقد يلتقيان فى المنازل فيكون المجذوب نازلا والسالك فى مشاهدتهما صاعدا وكذلك حالهما فى الاسماء والصفات فيتفق علمهما ومنازلتهما ويختلف بساطهما مع الاتفاق فى المقصد فافهم (قوله على ما يليق بحاله) اى على حسب استعداده بمقتضى سابق القسمة والحكمة (قوله ومن محاه الحق الخ) محصله ان من أراد الحق سبحانه وتعالى محقه ومحقه عن سائر الكائنات أثبته اى حققه بحق حقه اى بجعل حاله الوجود بواسطة فنائه عن فنائه بحق الحقيقة اى بغلبة مشاهدة انوار الحقيقة فيتم له الوجود بها ومن محاه عن هذا المقام الذى اثبته له الذى هو الوجود بالحقيقة رده منه الى شهود الاغيار باثباته فى أودية التفرقة فاذا كان العبد ممن سبق له الكمال يدوم فى التفرقة مشاهدا للخلق بحالهم وللحق بحاله والا جازت غيبته عن الاغيار مرة اخرى بالثبوت فى مقامه الاول وهو الوجود بغلبة الحقيقة عليه (قوله فقال الشبلى لو كنت انا معه الخ) اعلم وفقنى الله واياك ان انوار السماء نجوم واقمار وشموس وانوار القلوب فهوم وعلوم ومعارف فكما أن افق السماء مواضع طلوع وظهور كذلك افق القلوب مواضع وجود فما يظهر فيه انوار القلوب وجود المعاملات وهى ايضا افق لما يبدو فيها من الثمرات وثمراتها افق لما يرجى من قبولها فالشبلى وغيره قد تكلم بحسب شربه وحظه من تلك الانوار رزقنا الله واياك حسن الاستبصار (قوله فقال الشبلى الخ) محصله اجمالا التبرى من القوة والحول باظهار حقيقة الفعل لمن له الطول (قوله كنت انا) اى وذلك لكونه فى أودية التفرقة وقوله ولكنى محو الخ اى وذلك لكونه فى حظائر الجمع (قوله ولما كان المحق مناسبا للمحو) اى مناسبا له من وجه لا من كل وجه فلا ينافى قوله بعد والمحق فوق المحو (قوله والمحق فوق المحو) اى ولابد للمحب الطالب من منازلتهما وقهر النفس على التخلق بهما ويشير الى ما ذكرناه قول ابن الفارض قدس الله سره

ومن يتحرش بالجمال الى الردى • أرى نفسه من أنفس العيش ردت
ونفس ترى فى الحب ان لا ترى عنا • متى ما تصدت للصبابة صدت
وما ظفرت بالحب روح مراحة • ولا بالولا نفس صفا العيش ودت

وأين

وأين الصفا هيهات من عيش عاشق * وجنة عدن بالمكاره حفت

يعنى من أراد شهود الجمال ردّت نفسه الى الهلاك وذلت اذ تدلت من شوامخ الدلال وان اعتقدت أن لا ترى مشقة فى قصدها صدت عن ورودها ولا يحصل الظفر بالمحبة لروح للراحة محبة ولا ينال الود والولاء من ردّت نفسه صفاء العيش بالعافية من البلاء واستبعد الناظم الصفاء للعاشق فى دار الاكدار والجنة محفوفة بالمكاره لخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقال ايضا الدنيا سجن المؤمن وقال لا راحة للعبد دون لقاء ربه الى غير ذلك من الاخبار وقد لوح الناظم لذلك أيضا فى اللامية حيث قال

فان شئت أن تحيا سعيدا فمت به * شهيدا والا فالغرام له أهل

(قوله ثم لا يردهم اليهم) اى لا يردّهم الى الاحساس وذلك لقوة لذة ما يجدونه فى حال سكرهم ومحقهم (قوله الستر والتجلى) أقول هما من متعلقات قدرته تعالى وارادته فهما من المحدثات من تصاريف الحق تعالى (قوله كون البشرية حائلة) اى وذلك باعتبار وقوف العبد مع عاداته ومألوفاته وقوله فاذا ظهر النور الغيبى اى اذا أشرقت أنوار المعاملات على طريق المتابعات بواسطة اخلاص النيات أزال ذلك حجاب البشرية اى كان سببا فى ذلك (قوله ستره عن العبد حاله) اى لطفا به ليدوم على جده واجتهاده فى معاملاته لاحتمال وقوفه واستحسانه ما يحصره به لو كشف له ذلك (قوله زوال حجاب البشرية) اى سواء كان بكسب او موهبة باعتبار سابق القسمة (قوله وانصقال مرآة القلب) اى صفائها وجلائها بكثرة الذكر والفكر والاستغفار او بالموهبة فى باطن الامر وان لم يظهر فى بادئ العين حتى يشهد ما يرد على السر من أنوار الواردات الالهية (قوله كشفه عن العبد حاله) اى حتى يذوق لذة المناجاة وما منح من توالى الامدادات السرية (قوله ظهور الذات فى حجب الاسماء الخ) اى بأن يشهد العبد ذاته تعالى من وراء حجب الاسماء والصفات بطريق التنزل منهما رحمة بالعبد ولطفا به من ربه (قوله القيام بمعانى الاسماء) اى التحقق بما اقتضتها سواء لايم مألوفه أم لا وذلك اقيامه بحق عبوديته وقوله سقوط الارادة والاختيار اى تحققا بمقام التوكل والتفويض (قوله بأن يخفى الله عنهم أحوالهم) اى لطفا بهم كما قدمنا ليدوموا على جدهم واجتهادهم فى عباداتهم فقد أشار الى أن الحجاب والستر على معنى صرف الحق عبده عما يريد ستره عنه لا على معنى انه امر وجودى يحول بين العبد وربه اذ لو قيل بذلك لكانت الجنة فى عين ما يدّعى العبد انه حجاب ورحم الله التسترى حيث قال

ما للحجاب مكان فى وجود كم * الا بسر صروف النظر الى الجبل

فافهمه فانه لطيف (قوله فصاحب الستر بوصف شهوده) اى فيكون دائما متحققا بما من الله عليه به متنعما به وقوله وصاحب التجلى أبدا بنعت خشوعه اى فيكون فى دائم

(ثم لا يردهم اليهم بعد ما محقهم عنهم) ومتى ردّهم اليهم لقيام حقه ورجاء فضله لم يكن ذلك نقصا بل هم فى ذلك محل لجريان فعله لا شغل لهم بغيره (ومن ذلك الستر والتجلى) الستر من قبل العبد كون البشرية حائلة بين السر وشهود الغيب فاذا ظهر النور الغيبى أزال حجاب البشرية ومن قبل الحق ستره عن العبد حاله والتجلى من قبل العبد زوال حجاب البشرية وانصقال مرآة القلب عن صدا طبائع البشرية ومن قبل الحق كشفه عن العبد حاله وسئل بعضهم عن التجلى والتحلى والتخلى فقال التجلى ظهور الذات فى حجب الاسماء والصفات تنزلا والتحلى القيام بمعانى الاسماء تعبدا وتخلقا والتخلى سقوط الارادة والاختيار اعتقادا وتوكلا (العوام) من الصوفية (فى غطاء الستر) بأن يخفى الله عنهم أحوالهم (والخواص) منهم (فى دوام التجلى) من الله لقلوبهم حتى يعبدوا الله كأنهم يرونه (وفى الخبر ان الله اذا تجلى لشئ خشع له) هيبة (فصاحب الستر بوصف شهوده وصاحب التجلى أبدا) كائن (بنعت خشوعه والستر للعوام) اى ستر عيوبهم عنهم

(عقوبة) لهم وبلاء وأماستر ما لاحاجة لهم به من العلوم ولا قدرة لهم عليه عنهم لضعفهم عن ادراكه فرحمة لهم (و) الستر (للخواص) اى ستر ما يكاشفهم الله به عنهم (رحمة) لهم (اذ لولا انه يستر عليهم) بمعنى عنهم (ما يكاشفهم به) و يظهره عليهم (لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ولكنه كما يظهر لهم) ما يكاشفهم به اى عند ظهوره لهم (يستر) (عليهم) اما ستر ما يوجب لهم الغفلة عنهم فنقص فالستر ٧٨ والتجلى يختلفان باختلاف الاحوال وبما تقرر علم ان الستر على وجهين ستر الله لعبده باخفاء حاله عن غيره وستره عليه عما يجوز أن يظهره له فان ستر عنه عيوبه كان ستره بلاء وان ستر عنه نظره الى اعماله واستحسانه لاحواله كان ستره رحمة له (سمعت منصورا المغربى رحمه الله يقول وافى بعض الفقراء حيا من احياء العرب فأضافه شاب فبينا الشاب فى خدمة هذا الفقير اذ غشى عليه فسأل الفقير عن حاله فقالوا) فى جوابه (له بنت عم وقد علقها) اى تعلق قلبه بها (فمشت فى خيمتها فرأى الشاب غبار ذيلها فغشى عليه فمضى الفقير الى باب الخيمة وقال) لبنت عمه (ان للغريب) مثلى (فيكم حرمة وذماما) بمعنى الحرمة (وقد جئت مستشفعا اليك فى أمر هذا الشاب فتعطفى عليه فيما هو به من هواك) اى حبه لك (فقالت) له المرأة (سبحان الله أنت سليم القلب انه لا يطيق شهود غبار ذيلى فكيف يطيق صحبتى) اشارة الى الستر الذى هو رحمة من الحق فمن لم يطق التجلى (وعوام هذه الطائفة عيشهم فى التجلى وبلاؤهم فى الستر) كما مر (وأما الخواص فهم بين طيش وعيش لانهم اذا تجلى لهم) الحق (طاشوا واذا ستر عليهم ردوا الى الحظ) اى حظهم (فعاشوا وقيل انما قال الحق تعالى لموسى عليه السلام وما تلك بيمينك يا موسى) الآية (ليستر عليه بعض ما يعلمه) اى يلهمه به (بعض ما أثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع) أشار بذلك الى ان الحق يلاطف بعض اوليائه و يؤنسهم قبل ان يفجأهم فلا يطيقون حمله فهذا الستر رحمة فى حقهم

أوقاته خائفا ما لها ثباخانسا لان هواتف الحقيقة اذا بدت لعبد خشع لها وخنس وتلاشى متبرئا من نفسه ومالها (قوله عقوبة لهم و بلاء) اى لان من أحبه الله تعالى يبصره بعيوب نفسه ويشغله بها عن عيوب غيره وبعنايته به يعجل عقوبته بها فى الدنيا ان لم يدركه عفوه واحسانه (قوله واماستر ما لاحاجة لهم به الخ) اى فالستر بالنسبة للعوام على قسمين فقد يكون عقوبة لهم و بلاء كما تقدم وقد يكون رحمة لهم كما هنا (قوله والستر للخواص الخ) محصله انه يكون رحمة وذلك بستر ما لاطاقة لهم على شهوده من أحوال الحقيقة عما لو بدا منه شئ لتلاشوا عند سلطانه فالحق تعالى برحمته لهم يظهر لهم ما يطيقونه ويستر عنهم ما لا يطيقونه فحينئذ الستر فى حقهم دائما يكون رحمة (قوله اما ستر ما يوجب لهم الغفلة عنهم فنقص) اى فهو وان كان جائزا فى حقهم غير انهم محفوظون منه (قوله يختلفان باختلاف الاحوال) اى وذلك بالشهود فى الستر والخشوع فى التجلى بالنسبة للعارفين وبالنسبة للعوام يكون نقصا وحجابا والحاصل ان الستر قد يكون نعمة ورحمة وقد يكون نقمة وذلك بالنسبة للعوام والخواص فما ستر عيوب العوام عنهم فهو نقمة وعقوبة و بلاء وأما ستر ما لاحاجة لهم به ولا طاقة لهم عليه من العلوم والمعارف فهو لطف بهم ورحمة لهم وأما الستر بالنسبة للخواص فيقال فيه أيضا ان ستر عنهم ما يكاشفهم به على معنى انه يستر عنهم كنه ما كوشفوا به لعدم طاقتهم عليه فهو رحمة ولطف ومنه ستر حالهم عن غيرهم غيرة عليهم واما ستر ما يوجب لهم الغفلة فنقص فأنواع الستر خمسة اثنان للعوام وثلاثة للخواص والله أعلم (قوله يقول وافى بعض الفقراء الخ) فى ذلك تنبيه على ان الستر قد يكون رحمة وذلك بالنسبة لمن لا يقوى على سطوع نور التجلى فانهم (قوله عيشهم) اى معيشتهم فى التجلى اى بما يطيقونه فلا ينافى ما قدمه من ستر الرحمة (قوله و بلاؤهم فى الستر) اى فى ستره عيوبهم عنهم كما تقدم (قوله بين طيش وعيش) اى بين سكر ودهشة وصحو وافاقة (قوله لانهم اذا تجلى لهم الحق طاشوا) اى سكروا وغابوا فى لذة ما أبداه ذلك التجلى لهم وقوله واذا ستر عليهم ردوا الى الحظ فعاشوا أى ردوا الى حظهم من المتابعة والعبور على ظواهر الشرع فتلذذوا بعيشتهم وداموا على مجاهدتهم فى عبادة ربهم (قوله ليستر عليه الخ) اى فهو ستر رحمة لارجاعه به الى احساسه عما فجأه من دهشة التكليم وسماع كلام الحق سبحانه وتعالى

(وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان) اى يغطى (على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة والاستغفار طلب الستر) للذنب وشبهه (لان الغفر هو الستر ومنه غفر الثوب والمغفر وغيره فكأنه أخبر انه يطلب الستر على قلبه عند سطوات الحقيقة اذ الخلق لابقاء لهم مع وجود الحق وفى الخبر لو كشف) 79 للعبد (عن وجهه) اى عن ذات الحق (لاحرقت سبحات وجهه) بضم السين والباء اى نوره وجلاله وعظمته (ما أدرك بصره) اى العبد أشار الى ان العبد لايطيق رؤية الحق تعالى ولا كمال جلاله وانما يكشف لكل عبد من رؤيته فى الدنيا ما تقوى عليه بصيرته وفى الآخرة مايدركه بصره لا على الوجه المعهود وليس المراد بقولهم المكاشفة والمشاهدة ونحوهما من الالفاظ معاينة الذات حقيقة فان ذلك لايقع فى الدنيا ولا فى الآخرة على الوجه المعهود بل على وجه آخر لايحيط به التعريف من غير تعطيل ولا تكييف كأن يكشف له علة صفات الجلال والجمال فان من غلب على قلبه أمر كثر تصوره له واخطاره بباله بحيث يصير كالمشاهد له واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فى تفسير الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه (ومن ذلك المحاضرة) والكشف (والمكاشفة والمشاهدة) والمعاينة وهما أكمل من المكاشفة لا بالعكس خلافا للغزالى والمكاشفة والكشف أكمل من المحاضرة كما أشار الى ذلك فى غير الكشف بقوله (المحاضرة) تكون (ابتداء) اى أول المراتب (ثم المكاشفة) وفى نسخة والمكاشفة بعده (ثم المشاهدة فالمحاضرة حضور القلب) مع الله تعالى بالبرهان (وقد يكون) حضوره (بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر) اى الحجاب (وان كان حاضرا باستيلاء سلطان الذكر) وبعدها الكشف وهو ازالة الستر الحسى واستنشاق الاسرار الالهية من وراء الحجب البشرية

(قوله انه ليغان الخ) اى بأغيان الانوار القدسية التى توجب استغراقه بسبب غلبتها على قلبه وقوله حتى أستغفر الله الخ اى حتى يكثر طلب الاستغفار منى لاعود الى احساسى فأقوم بما أمرت به من الابلاغ والحاصل ان مايستغرق فيه ومايرجع اليه بالستر الحاصل بالاستغفار مما يدوم له به الترقى الى المقامات الانفسية فهى أغيان أنوار لا أغيان أغيار فافهم (قوله لو كشف عن وجهه الخ) اى لو أزيل الحجاب عن العبد المانع له من رؤية الرب لاحرقت سبحات وجهه اى أنوار عظمته وجلاله وكماله تعالى ما أدرك بصره اى لانه لايبقى الخلق مع الحق والحاصل ان رؤيته تعالى على حسب طاقة الرائى وهى بالبصر ممتنعة فى الدنيا الا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم واما لغيره فهى فيها بالبصيرة فقط واما فى الآخرة فهى بالبصر لعموم المؤمنين على مايليق به تعالى وما يطيقونه بأن يخلق فيهم قوة رؤيته على مايليق به والله أعلم (قوله أشار الى ان العبد الخ) محصله ان رؤية الله فى الدنيا بالبصيرة وفى الآخرة بالبصر لاتكون على المعهود من الاحاطة بالكنه ولوازمها بل تكون على مايطيقه العبد وعلى مايليق بجلال الرب (قوله كأن يكشف له الخ) هو تصوير لما يكون فى هذه الدار بالنسبة لمشاهدة بعض المقربين من المؤمنين (قوله كأنك تراه) اى حيث أشار بالكافية الى استحالة ماعهد للبشرية من علم الكنه كالمحسوسات مع الحصر للذات على مجرى العادات (قوله المحاضرة الخ) أقول هذه الالفاظ قد جرت على ألسنة الصوفية رضى الله تعالى عنهم والمراد بها على طريقتهم علوم ومعارف ربانية ترد على القلوب على حسب قوة الصدق والاخلاص فى العبادة وضعفه فيعبرون عنها بتلك الالفاظ بمقتضى اختلاف الوارد النورانى قوة وضعفا ونهاية الغرض انها باعتبار حال يقين العبد فلا تظن فيها ماتعورف من معانيها والله أعلم (قوله المحاضرة تكون ابتداء) اى لان المراد بها حضور القلب وقت الذكر واستحضار عظمة المذكور واحاطة علمه وذلك بواسطة قوة تواتر البرهان على القلب ومع ذلك يكون قلب الذاكر من وراء الحجاب لانه مستور عنه ماهو الارفع مما كشف له كالمكاشفة ومابعدها (قوله وان كان حاضرا الخ) هذه الغاية تظهر لكونه فى حالة المحاضرة من وراء الستر فهو محجوب عن الاشرف ولو غلب عليه سلطان الذكر واستغرق فيه (قوله وهو ازالة الستر الحسى) يحتمل ان المراد بيان معنى مطلق الكشف بقطع النظر عن المقام ويحتمل ان جعله حسيا باعتبار مصدره من حركات العبد وقوله واستنشاق الاسرار الالهية اى التشوف لبدوها من وراء الحجب البشرية لكونها متحققة فى هذا

تأمل الدليل وتطلب السبيل) اى الطريق (ولا مستجير) اى مستعيذ (من دواعي الريب ولا محجوب عن نعت الغيب) لانه صار كالعلم الضروري الذي لا يستطيع دفعه عن نفسه (ثم المشاهدة وهي حضور الحق) تعالى (من غير بقاء تهمة) لما شاهده من الكمال وتطلق المشاهدة على رؤية الاشياء بأدلة التوحيد وعلى رؤية الحق في الاشياء وعلى حقيقة اليقين وهو الموافق لما ذكره المصنف والضمير اذا وقع بين مؤنث ومذكر يجوز تأنيثه وتذكيره كما سلكه في ضميري المكاشفة والمشاهدة (فاذا أصحت سماء السر عن غيوم الستر) اى الحجاب (فشمس الشهود) للحق (مشرقة عن برج الشرف وحق المشاهدة ما قاله الجنيد رحمه الله وجود الحق) تعالى (مع فقدانك) وفنائك (فصاحب المحاضرة مربوط بآياته) اى براهينه وخوارق عاداته (وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته) ونعوته (وصاحب المشاهدة ملقى بذاته) لفنائه عما سوى الحق (و) أيضا (صاحب المحاضرة يهديه عقله) بالنظر في الادلة (وصاحب المكاشفة يدنيه) اى يقربه (علمه) بالحق وصفاته (وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته) بذلك (ولم يزد في بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عمرو بن عثمان المكي رحمه الله

أهل

المشهد لم تنعدم بالكلية (قوله وهو حضوره أي القلب بنعت البيان) اى الذي هو نتيجة وثمرة البرهان ومحصله ان صاحب مقام المكاشفة يستغني عن تكرار النظر في البرهان اكتفاء بيقين ثمرته من البيان ولذلك قال المصنف غير مفتقر الخ (قوله ولا مستجير الخ) اى لثبوت أمنه من تطرق دواعي الريب والشك الى قلبه (قوله ولا محجوب عن نعت الغيب) اى وذلك من قوة اليقين التي نشأت من البرهان والبيان المزيل لجميع الحجب من الظنون والشكوك والاوهام حتى صار معلومه كالمتصف بالعلم الضروري الذي لا يستطيع دفعه عن نفسه (قوله وهي حضور الحق) اى تحققه في قلبه بحق اليقين بحسب ما اتضح له من شهود العين (قوله من غير بقاء تهمة) اى شبهة لما شاهده من الكمال لتحقق يقينه بوجوده (قوله وعلى رؤية الحق في الاشياء) اى فصاحب مقامها يطالع الحق في الخلق اى يرى الخلق قائما بالحق بواسطة فنائه فعلا ووصفا في فعل الحق وفي وصفه (قوله يجوز تأنيثه وتذكيره) اى باعتبار المحدث عنه والحديث (قوله فاذا أصحت سماء السر الخ) يشير بما اتقنه من الحكمة الاشارية واحكمه من نسج برد الواردات الاقدسية ان ما تشرف به نوع الانسان وارتفع به على سائر الاكوان من سر الله المودع في السر ومدار التكاليف بالامر والنهي اذا انجلى عنه حجاب الغفلات وستر المكاشفات وعين المراقبات بدو له بذلك بدر سماء السعود وتشرق له شمس شرف الشهود ويتجلى له الاله الحق المقصود وذلك بواسطة افاضة الانوار على عين بصيرة الاستبصار فيرى الحق بحق اليقين ويشاهده بالهام سر التمكين لتحققه بشرف مقام الوجود بفناء الفناء عن غير ذات المعبود هذا ما أشار اليه بلطف العبارة وما رمز له بفائق الاشارة تأمل تفهم والله بالحال أعلم (قوله وحق المشاهدة ما قاله الجنيد) اذا تأملت ما تقدم تعلم انه مثل ما أشار اليه الولي الاعلم (قوله وجود الحق تعالى مع فقدانك) اى مع فنائك عما سواه حتى عن نفسك الذي هو لا يكون الا اذا تحقق العبد في مقام الوجود وجمع الجمع (قوله مربوط بآياته) اى لوقوفه معها وسكونه اليها وقوله مبسوط بصفاته اى آنس بما منحه الحق تعالى من نعت البيان والاستغناء عن البرهان (قوله ملقى بذاته) اى غريق في بحار أحدية الحق تعالى فهو لا يرى في الوجود غيرا لتحققه بمقام الوجود الحق والله أعلم (قوله يهديه عقله) اى يدله على الحق لانه آلة في النظر في الادلة والبراهين اذ هي مرائي ينظر العقل فيها صور الاشياء بل يتحقق فيها حقائقها (قوله يدنيه) اى يقربه قربا معنويا على الذي هو ثمرة نظره في الدليل على معنى انه يوصله لمقصوده ويبلغه الى غاية مطلوبه (قوله تمحوه معرفته) اى لانها تفنيه عن الوجود عين الموجود وانه لا شيء غير الوجود الذاتي الحق (قوله ولم يزد في بيان الخ) أقول اذا نظرت فيما قدمته وأشرت اليه وعولت في بيان المراد عليه عند قوله فاذا أصحت الخ تعلم انه يؤدي معناه ويناشد بفحواه والله ولي الاحسان لا يختص بالحكمة

ومعنى ما قاله انه تتوالى أنوار التجلى على قلبه من غير أن يتخللها ستر) اى حجاب (وانقطاع) وتتوالى (كما لو قدر اتصال البروق) فى الليلة الظلماء (فكان الليلة الظلماء بتوالى البروق فيها واتصالها) اى اتصال بعضها ببعض (اذا قدرت) وجودا تها (تصير فى نحو) ضوء النهار فكذلك القلب اذا دام به دوام التجلى) بدوام أنوار المعارف عليه ولم يتخللها غفلة (متع) ببنائه للفاعل بالمثناة الفوقية وتخفيفها اى ارتفع وطال (نهاره فلا ليل) له (وانشدوا) فى معناه (ليلى بوجهك مشرق * وظلامه فى الناس سارى * والناس فى سدف) جمع سدفة بضم 81 السين وفتحها فيهما وهى الظلمة اى ظلم (الظلام * ونحن فى ضوء النهار) وقال النورى لا يصح للعبد المشاهدة وقد بقى له عرق قائم) لاستغراق قلبه فى ذات الحق وصفاته (وقال) استشهادا لذلك (اذا طلع الصباح استغنى عن المصباح) اى اذا وصل العبد الى هذه الحالة استغنى بها عن الاسباب (وتوهم قوم ان المشاهدة تشير الى طرف من التفرقة لان باب المفاعلة فى) علم (العربية) تقتضى أن يكون الفعل (بين اثنين) فأكثر يفعل أحدهما بالآخر كما فعل الآخر به نحو ضارب زيد عمرا فلا بد للعبد أن يدرك نفسه وربه (وهذا وهم) بفتح الهاء من وهم فى الحساب بكسرها اى غلط وباسكانها من وهم فى الشئ بفتحها اى ذهب وهمه اليه (من صاحبه) اى قائله (فان فى ظهور الحق سبحانه ثبور الخلق) اى هلاكهم وفناءهم عن أنفسهم

١١ يج نى بأن لا يدركوها ولا يلزم من ذلك تفرقة (و) أيضا (باب المفاعلة جملته لا تقتضى مشاركة الاثنين) بل بعضها يقتضيها وبعضها لا يقتضيها فانها تأتى بمعنى فعل (نحو سافر وطارق النعل وأمثاله) نحو دافع اى سفر وطرق ودفع وبمعنى فعله اى للتكثير نحو ضاعفته اى ضعفته وبمعنى افعل نحو عافاك الله اى أعفاك (وانشدوا) فى هذا المعنى أعنى فى قوة الوارد المقتضية للاستغراق (فلما استبان) اى تبين وظهر (الصبح أدرج) اى غيب (ضوءه) الحاصل (بأنواره أنوار ضوء الكواكب) فاستغنى عن ضوئها ثم أشار الى كمال الوارد عليهم بحيث لم يبق لهم متسع لغيره بقوله (يجرعهم كاسا) من ذلك الوارد (لو ابتلى اللظى *) وفى نسخة ابتليت لظى اى جهنم (بتجريعه طارت) اى ذهبت وفنيت

أهل زمان والله أعلم (قوله ومعنى ما قاله الخ) محصله ان هذه الانوار باعتبار عدم دوامها تكون كالبروق غير ان البروق اذا توالت وترا سلت فى الليلة الظلماء تصيرها كالنهار بكثرة الاضواء فكذلك القلب اذا دام به التجلى بدوام أنوار المعارف متع نهاره وانتفع به انتفاعا تاما (قوله ليلى بوجهك مشرق الخ) الغرض له التحدث بمظاهر الكرم والشكر لمولى النعم ببيان ما منحه من معارف الانوار وآيات التبصر والاستبصار مما صار به ليله كرابعة النهار بواسطة فنائه عن حظوظ الغفلات التى قد يتحقق سريانها فى طبع البشريات فكانهم بها فى حالك الظلام محجوبين عن مقام الاحترام وهو نعمنا الله به بواسطة توالى الانوار دائم التنعيم وبالمتابعات على الصراط المستقيم فقوله ليلى اى ما كان يشبهه فى الظلمة التى تنشأ من الوقوف مع العادات والمألوفات مشرق بوجهك اى مضىء بقصدك والعمل بمتابعة نبيك مع ان الحال فى غالب الناس عموم ظلمته واستحكام مضرته لعدم توفيقهم لاماطة عيوبهم والحجة لله سبحانه وتعالى حيث لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والا فالكل عبيد ومحل للتسديد فافهم (قوله وقد بقى له عرق قائم) اى معرفة ثابتة بشئ من الاشياء غير الحقة (قوله اذا طلع الصباح الخ) أقول الغرض تقريب المعنى بالمألوف حيث مثل بالمحسوس المعروف والقصد انه بشهود رب الارباب لا يعول على شئ من الاسباب (قوله تشير الى طرف من التفرقة) أقول هو كذلك بقياس الغائب على الشاهد والا فشاهدة القديم منفردا فى الوجود يلزمها الثبور والهلاك لسائر المكونات وذلك مقام جمع الجمع فلا تفرقة كما أشار اليه الشارح والله أعلم (قوله ولا يلزم من ذلك تفرقة) الظاهر للشارح أن يقول وذلك ينافى التفرقة ولا يجامعها (قوله وأيضا باب المفاعلة الخ) تقول هذا هو المعول عليه فى الجواب اذا نظر لقياس الغائب على الشاهد كما قدمنا والا فلا تفرقة كما أوضحنا (قوله وأيضا باب المفاعلة الخ) محصله منع اطراد هذا فى باب المفاعلة لانها تأتى بمعنى فعل بدون مشاركة وبمعنى فعل للتكثير وافعل (قوله فلما استبان الخ) مراده انه لما اتضح الحق بمقام المعاينة أغنى

(كأسرع ذاهب) فهذه (كاس وأى كاس) كاس (تصطلمهم عنهم) اى تستأصلهم عن أنفسهم وأكد ذلك بقوله (وتفنيهم وتختطفهم منهم) اى من أنفسهم (ولا تبقيهم كاس لا تبق ولا تذر) منهم شيأ (تمحوهم بالكلية ولا تبق شظية) بتشديد الياء اى فلقة (من آثار البشرية كما قال قائلهم ساروا) اى عن احساسهم بأنفسهم (فلم يبق) لهم (لا رسم ولا أثر *) والمعاينة قيل غايتها تحقيق احاطة الذات التى لا يصح مع وجودها كون الغير واعلم ان معانى هذه الالفاظ وراء طور العقل لا يعرفها الا أهل العنايات لانها تتعلق بتوحيد الله وتوحيده تعالى المتعلق بذاته وصفاته لا يصح أن يكون من مدركات كل العقول (ومن ذلك اللوائح والطوالع واللوامع قال الاستاذ رضى الله تعالى عنه هذه الالفاظ) كناية عن اختلاف أحوال ارباب السلوك وما يفتح الله به عليهم من المقامات التى يرومون بلوغ كمالها كالزهد والتوكل والرضا والتسليم والمحبة وهى (متقاربة المعنى لا يكاد يحصل بينها كبير فرق) وان كان الطوالع أتم ثم اللوامع كما يعلم مما يأتى (وهى من صفات أصحاب البدايات الصاعدين فى الترقى بالقلب فلم يدم لهم بعد) مع اتصافهم بها

نوره الاقوى بالنسبة لما دونه من أنوار المحاضرات والمكاشفات اذ من منح المعاينة قد تجرع كؤس المحبة التى لو أتت لى أحد بكاس منها لفنى عن وجوده بواسطة قوة نيرانها يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ومحصله انه لما بدئ المريد تأسيا بخير العبيد فى دوام المجاهدات ورعاية محاسن المتابعات فى أداء الواجبات والمندوبات أشرقت له الانوار كفلق صبح النهار فوردت على قلبه الواردات وتوالت عليه الكرامات بلطف الاشارات فاستغنى بنور المصاحب عن اشراق نور الكواكب فسقاه كاس الحبيب فغيبه به عن سائر العالمين حتى عن نفسه وفنائه فبقى بوجوده فى بقائه لا يشهد الا الحق بالحق منعما فى مقعد صدق نفعنا الله بمن احب ومنحنا مقام القرب وقوله يجرعهم كاسا الخ ايس خافيا عليك هذه المبالغات برقيق تلك العبارات فلا حاجة الى القلقة بالا يفيد حيث فهم ذلك ايس الا الذوق السديد ونهاية المقصود ان العبد المقرب اذا تجرع كاس محبته تعالى أطفأت انار مشتهياته ومألوفاته وأذهبتها منه كأسرع ذاهب فيفنى عنها فناء لا عود بعده أبدا (قوله فهذه كاس وأى كاس الخ) محصله ما ذكرناه قبل مجملا (قوله ساروا) اى سافروا عن حظوظ أنفسهم فلم يبق لهم رسم ولا أثر اى وذلك لفنائهم عن الحظوظ والعادات (قوله تحقيق احاطة الذات) اى تحقيق عموم وشمول العلم الذى لا يصح مع وجوده وجود الغير فليس المراد كنه الحقيقة الالهية لاستحالة الكشف عنه لاحد من الخلق والله أعلم (قوله واعلم ان معانى هذه الالفاظ الخ) محصله ان ما تقدم من معانيها هو من باب التقريب للعقول القاصرة والا فحقائق معانيها هى من وراء طور العقل المقيد بالرسوم الخلقية لا يعرفها الا أرباب العقول المطلقة من حبس عقالها وهم أهل العنايات والولايات (قوله اللوائح والطوالع واللوامع) هى كما سيأتى فى الشارح قريبة المعانى وهى من أحوال المبتدئين فى السلوك والترقى واللوامع أقوى من اللوائح والطوالع أقوى من اللوامع (قوله كناية عن اختلاف أحوال الخ) اى فلكل من هذه الاحوال أنوار مختلفة قوة وضعفا باختلاف قوة وضعف أربابها فهى كلها أنوار تقع لهم فى مبادى سلوكهم تكون مدارج لما وراءها ان ثبت الحق قدم العبد فى تلك الانوار (قوله من المقامات) اى من اماراتها واشاراتها فان العبد اذا نازل مقاما من المقامات وصفا ساله فيه يلوح له منه أنوار تشير له الى ما هو أعلى مما نازله يعبر عن تلك الانوار باللوائح والطوالع واللوامع (قوله متقاربة المعنى) اى باعتبار أن الكل من مدد النور ونهاية الفرق بينها القوة والضعف وسرعة الزوال وعدمها (قوله لا يكاد يحصل الخ) اى يكون الفرق بينها انما هو من وجه سرعة زوال اللوائح بالنسبة للوامع والطوالع وسرعة زوال اللوامع بالنسبة للطوالع والله أعلم (قوله فلم يدم لهم بعد) اى لانه لا دوام لنورها لزواله بسرعة على الوجه

(ضياء شموس المعارف لكن الحق سبحانه وتعالى يؤتى) اى يعطيهم (رزق قلوبهم فى كل حين) وفى نسخة من كل خير (كما قال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فكلما أظلم) وفى نسخة أظلمت (عليهم سماء القلوب بسحاب الحظوظ) اى حظوظ أنفسهم (سخ) اى ظهر (لهم فيها لوائح الكشف وتلألأ) لهم (لوامع القرب وهم فى زمان سترهم) اى حجبهم عنها (يرقبون فجأة) بضم الفاء وفتح الجيم والمد وبفتح الفاء واسكان الجيم اى بغتة (اللوائح) اى حصولها بغتة (فهم كما قال القائل يا أيها البرق الذى يلمع * من اى آكاف السما) اى جوانبها (تسطع) اى لا نعلم له سببا بل هو من فضل ربه والهامه وبعد هذا البيت

هذا ولو يقض لنا فرقة
قل لى فيوم البين ما تصنع
ان كان ابراقك داعى قلى
فان قلبى بالقلى موجع

(فتكون) الاشياء التى تظهر لهم (أولا لوائح ثم لوامع ثم طوالع) وهى أسماء لاحوال السالكين كما مر لكن محلها غير المتمكنين فى احوالهم اما المتمكنون فيها فلا تسمى احوالهم بها بل بالوجد والوجود وغيرهما مما مر (فاللوائح كالبروق ما ظهرت حتى استترت) لسرعة هجومها وذهابها (كما قال القائل) فى معنى ذلك (افترقنا حولا فلما التقينا * كان تسليمه على وداعا) كذلك (وانشدوا) ايضا فى ذلك (ياذا الذى زار وما زارا * كانه مقتبس نارا مر بباب الدار مستعجلا * ما ضره لو دخل الدارا * واللوامع اظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة) التى للوائح (فقد تبقى اللوامع وقتين وثلاثة) مثلا (ولكن كما قالوا * والعين باكية لم تشبع النظرا * وكما قالوا * لم ترد ماء وجهه العين الا * شرقت قبل ريها برقيب) اى حافظ شبه به زوال الحال فى الرجوع الى ادراك النفس بساعة بعد اخرى (فاذا لمع) الطالع (قطعك عنك وجمعك به لكن لم يسفر نورنهاره حتى كر عليه عساكر الليل) لسرعة زواله

الذى قدمناه فى سرعة زوال بعضها بالنسبة للبعض الآخر (قوله ضياء شموس المعارف) ضياء فاعل لقوله يدم المنفى بلم قبل اى وذلك لما تقدم من سرعة زوال تلك الانوار (قوله لكن الحق الخ) اى فهى وان كانت لا تدوم فالحق يكرر وجودها فى قلوبهم ويواليها لهم فتكون بذلك كالمستقرة فضلا من الله ورحمة (قوله وهم فى زمان سترهم) اى بسبب ملابسة بعض الحظوظ يرقبون اى ينتظرون فجأة اللوائح وما بعدها اى مجيئها بغتة على حين غفلة بدون قصد (قوله كما قال القائل) لما كانت اللوائح واللوامع متقاربة صح الاستشهاد (قوله اى لا نعلم له سببا الخ) اى ويحتمل مع هذا انه للاشارة الى سرعة الزوال على حد ما سلم حتى ودع (قوله ولو يقض لنا فرقة) اى مفارقة لتلك اللذات الحاصلة من شريف الحالات قل لى فيوم البين اى زمن الفراق لهذه الانوار ما تصنع للالم الذى يحصل للقلب من مفارقتها وفى المقام تجريد لا يخفى وقوله ان كان ابراقك الخ محصله انه يستفهم عن سرعة زوال هذه الانوار بعد تحققها اى داعيا فان كان القلى فيكون قلبه دائم التوجع ولا يخفى ما فى المقام من البلاغة الحاصلة من مخاطبة الابراق (قوله فاللوائح كالبروق) جمع لائحة وهى ما يلوح من نور التجلى ثم يزول سريعا وتسمى بارقة وخاطرة ايضا (قوله كما قال القائل الخ) التشبيه فى مطلق سرعة الزوال لا فى الحصول والعار لانه قد يكون فى اللوائح مع القرب فى المعاودة (قوله ياذا الذى زار) اى فى الصورة وما زار فى الحقيقة فكأنه فى سرعة الرجوع مقتبس نارا لا زائر (قوله واللوامع أظهر الخ) اى لانها أنوار ساطعة تلمع لاهل البداية من أرباب النفوس الضعيفة فتنعكس من الخيال الى الحس المشترك فتصير مشاهدة بالحواس وهى اما من غلبة أنوار القهر والوعيد على النفس فتضرب الى حمرة واما من غلبة نور اللطف والوعد فتضرب الى الخضرة والنقوع فافهم (قوله أظهر) اى أتم نورا وابقى لها بالنسبة للوائح (قوله ولكن كما قالوا الخ) الغرض ان فى كل انتفاء التمكن من المقصود بواسطة وجود بعض المكدرات أقول ومن ذلك وألطف قول بعضهم

ما خلونا مع الحبيب ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت السـ * ـم فوافى فقلت كيف الطبيب

(قوله فاذا لمع الخ) يريد ان الطوالع أتم من اللوامع واللوائح باعتبار بقاء النور زيادة عنهما غير انه يزول بطرو بعض الحظوظ الموجبة للظلمة (قوله قطعك عنك) اى غيبك عن

(فهؤلاء بين روح ونوح) اى راحة ونياحة اى بسط وقبض (لانهم بين كشف وستر كما قالوا * فالليل يشملنا بفاضل برده * والصبح يلحفنا رداء مذهبا * والطوالع أبقى وقتا وأقوى سلطانا وأدوم مكثا وأذهب للظلمة وانفى للتهمة لكنها موقوفة على خطر الافول) اى لكنها على خطر غروبها (ليست برفيعة الاوج) اى بعالية الارتفاع (ولا بدائمة المكث ثم أوقات حصولها وشيكة الارتحال) اى سريعة الزوال (واحوال افولها) اى غروبها (طويلة الاذيال) بمعنى الغيبة لقلة تمكن صاحبها (وهذه المعانى التى هى اللوائح واللوامع والطوالع تختلف فى القضايا) اى الاحكام (فنهاما اذا فات) اى غاب (لم يبق عنها الاولى عنه (اثر) على صاحبه لضعفه ٨٤ وقلة تأثيره فيه (كالشوارق) من الكواكب (اذا أفلت) اى غابت (فكان الليل كان دائما) وهذا شامل للوائح واللوامع واما الطوالع فهى ماذكره بقوله (ومنها مايبقى عنه اثر فان زال رقه) اى أثره (بقى ألمه وان غربت انواره بقيت آثاره) كالشمس (فصاحبه بعد سكون غلباته) اى قلقه (يعيش فى ضياء بركاته فالى ان يلوح) ذلك (ثانيا يزجى) اى فهو يدافع (وقته) الى ان يظهر له ذلك الاثر ثانيا (على) اى لاجل (انتظار عوده ويعيش بما وجد فى حين كونه) اى ويعيش فى زمن وجوده بما كان قد وجده وحاصله انه يمشى حاله بآثار ماسبق الى ان يمده الحق فيزيل عنه ماهو فيه من القلق والكرب (ومن ذلك البواده والهجوم البواده) من بدهه الشئ اى فجأه (مايفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة) اى البغتة اوله موجب وهو (اما موجب فرح واما موجب ترح) اى حزن (والهجوم مايرد على القلب بقوة الوقت) والحال (من غير تصنع) اى تكلف ونظر (منك) من

فى سبب وكلاهما يقع ابتداء لكن الاول له سبب والثانى لاسبب له (و) كل منهما (يختلف فى الانواع) والاحوال الواردة على العبد (على حسب قوة الوارد وضعفه فنهم من تغيره البواده وتصرفه الهواجم) فيتأثر بها لقوة الوارد عليه فينشأ عنه الحركة والصياح والذهول والذبول (ومنهم من) لايتأثر بها بل قد (يكون فوق مايفجأه حالا وقوة) لضعف الوارد فيكون اقوى واثبت منه فى الحل فلا يظهر عليه اثره كما قيل للجنيد رضى الله عنه لما كان فى السماع فتحرك الناس ولم يتحرك ياسيدى مالك فى هذا شئ

ما أوقاتك وحظوظ نفسك واذا قطعك عنك على ماذكرناه فقد جمعك بالحق غيرانه لسرعة زواله ما أسفر نور نهاره فى القلوب حتى كر عليه عساكر ليل الخطوب (قوله فهؤلاء بين روح ونوح) اى بين راحة بأنوار تلك الاحوال وعناء وبكاء بما يطرأ من ظلمات العادات (قوله فالليل الخ) التشبيه فيه باعتبار الوصل والفرقة بالليل والفجر (قوله لكنها الخ) محصله ان الطوالع وان كانت أتم من اللوائح واللوامع وأقوى سلطانا غيرانها موقوفة على خطر بقاء الموانع بعد زوالها ومن أجل ذلك كانت غير رفيعة الاوج حيث انها بعدم دوام مكثها وقرب ارتحالها وخطر تمكن الظلمة بعد زوالها لم تكن محمودة مطلقا (قوله على خطر الافول) اى الزوال والخطر فيه ببقاء بعض الموانع (قوله ليست برفيعة الاوج) اى العلو (قوله وأحوال أفولها الخ) يريد بعد العود والطريان بسبب ملابسة بعض الحظوظ (قوله الاولى عنه) قد يقال انه أنث باعتبار العود على المعانى (قوله فكان الليل الخ) اى فكأن الليل يحقق ويوجد سواء أشرقت كواكبه أوافلت لضعف نور الكواكب فكذلك هذه الانوار من حيث عدم ترتب الاثر على ذهابها (قوله فان زال رقه الخ) اى فهو لقوة تمكن صاحبه بالتسبب ان دونه يتأثر بالم الافول ثم يجد بعده بركات نوره ويتوقع عوده ومحصله استمرار الانتفاع زمن الوجود بالنور وبعد الافول والذهاب ببقاء الاثر الى أن تعود هذه الانوار (قوله البواده الخ) هى نور روحانى يبعث العبد بلا موجب على حين غفلة وقد يكون له موجب (قوله اما موجب فرح اوموجب ترح) اى بواسطة كونه من وارد بسط أو وارد قبض (قوله بقوة الوقت) اى بقوة مايجريه الحق بتصريفه فى وقت العبد من غير تصنع اذ منشؤه بغير كسبه وقصده (قوله لكن الاول له سبب) اى قد يكون عن سبب وان لم يعلم والثانى لاسبب له أصلا لا معلوم ولا غير معلوم (قوله وكل منهما يختلف فى الانواع) اى من مرات الوارد على حسب قوته وضدها ويختلف أيضا محل الوارد

فاجاب السائل بقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى انه يجد كما يجدون وهو اقوى على حفظه منهم ومن ثم قال المصنف (أولئك سادات الوقت كما قيل * لاتهتدى نوب الزمان اليهم *) اى لاتتغير احوالهم بخلاف مايطرأ على العالم من السعة والضيق والعوافى والبلايا وغيرها مما يحدث في الزمان (واهم على الخطب الجليل) اى على مايطرقهم من الامور العظيمة فى انفسهم (لجام) اى قوة وثبات وحفظ (ومن ذلك التلوين والتمكين التلوين صفة ارباب الاحوال والتمكين صفة اهل الحقائق) التلوين يقال لنيل الحال والرجوع عنه فصاحبه يكون تارة مع الحق وتارة مع نفسه فهو متلون ويقال للانتقال من منزل الى آخر الى ان يصل الى مطلوبه الاقصى فيصير متمكنا (فادام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين لانه يرتقى من حال الى حال وينتقل من وصف الى وصف ويخرج من مرحل) اى محل الرحيل (ويحصل فى مربع) اى محل الربيع (فاذا وصل) الى مقام التوحيد وغلب على قلبه الحق حتى لم يلتفت الى غيره (تمكن) فى مقامه (وأنشدوا) فى معنى ذلك (مازلت انزل فى ودادك منزلا * تتحير الالباب دون) وفى نسخة عند (نزوله وصاحب التلوين ابدا فى الزيادة) ينتقل (وصاحب التمكين وصل) الى مقام التوحيد (ثم اتصل) بجمال الحق بأن غلب على قلبه حاله حتى لم يلتفت الى غيره (وامارة انه اتصل) بذلك (انه بالكلية عن كليته بطل) اى خنست نفسه وكلت عن طلب شئ آخر لجودها ودوامها تحت سلطان الحقيقة (و) من ثم (قال بعض المشايخ انتهى سفر الطالبين الى الظفر بنفوسهم) اى غاية مطلوب السالكين الظفر بنفوسهم واليه انتهى سفرهم (فاذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا

من العبد قوة وضعفا وبذلك يظهر قوله فهم الخ (قوله اى انه يجد كما يجدون الخ) اى بل قد يجد فوق ما يجد غيره بمراتب ومع ذلك يقويه الحق على حفظه حتى يمسك نفسه فلا يبدو منه شئ وذلك خلق محمدى (قوله أولئك سادات الوقت) اى اشرافه بسبب ما منحوا بسابق العناية والقسمة (قوله لاتهتدى) أى لاتصل نوب الزمان اى حوادثه التى يحدثها الحق فيه من تصاريف فعله قبضا وبسطا بالتأثير فى تغير أسرارهم وان ظهر أثر ذلك على ظواهرهم وذلك لما تحققوا به من مقام التمكين وقوة اليقين وقوله واهم على الخطب الخ كالدليل على ذلك فافهم (قوله التلوين والتمكين) هما وصفان وحالان الاول للسالكين والثانى للواصلين وفى الاسم اشارة للمسمى اذ صاحب الحال الاول بين سكر وصحو وصاحب الحال الثانى دائما فى الصحو (قوله فصاحبه يكون تارة مع الحق) اى فهو حينئذ غريق بحر المشاهدات وقوله وتارة مع نفسه اى بالقيام عليها بسوسها برياضة المتابعات فهو متلون بالحالين متلذذ فى المشهدين منتقل من حضيض المألوفات الى أوج سماء المشاهدات والمكاشفات مجد فى المطلوب ليصل الى ديار المحبوب هذا معنى مقام التلوين وسر قرب المحبين فافهم (قوله ويقال للانتقال) اى المعنوى من منزل ومقام الى منزل ومقام آخر أعلى منه (قوله فاذا وصل الى مقام التوحيد) اى وظهر له الحميد المجيد غلبته سواطع أنوار الحقيقة فغاب عن حسه بلب لباب الطريقة (قوله مازلت أنزل الخ) يظهر انه حكاية عن حال التلوين البالغ فى نهايته الى مقام التمكين فقوله منزلا يعنى به المقام كالزهد والورع وغيرهما وقوله تتحير الالباب دون نزوله اى تقع العقول الكاملة فى حيرة صفاته حتى يتم التهيئ للترقى لما هو أعلى منه من المقامات حيث ذلك غير مقدور للنفس الا باعانة الحق تعالى (قوله بأن غلب الخ) تصوير لمعنى قوله ثم اتصل ومحصله ان الوصول معناه بلوغ العبد درجة النزاهة عن دنس المألوفات بواسطة غلبة ما للحق على ما للخلق (قوله وأمارة) اى علامة انه اتصل اى اتصاله انه بفنائه واستغراقه فى أنوار الحقيقة بالكلية عن كليته بطل فلم يشهد غير الحق ولم يلتفت الى ما سواه حيث وصل الى درجة الانفة التى لايرضى من اتصف بها بغير ذات الحق تعالى (قوله اى خنست نفسه الخ) تفسير لبطلانه عن كليته ومحصله ان دليل وصوله الى الحق اكتفاؤه بعلمه وقسمته الازلية وهو قدم ابراهيمى مشار اليه بقوله صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم لجبريل فى قصة المنجنيق حين سأله فى حال رميه به ألك حاجة حيث قال له أما اليك فلا وأما اليه فعلمه بحالى يغنى عن سؤالى أو كما ورد (قوله الى الظفر بنفوسهم) اى بملكها ومعرفة قدرها وحقها فتوصلوا بذلك الى معرفة عظمة الله وجلاله

قال الاستاذ رحمه الله يريد) كل منهم (به انخناس أحكام البشرية واستيلاء سلطان الحقيقة) عليها بأن تنخنس نفوسهم ويستولى على الاحساس بها سلطان الحقيقة (فاذا دام للعبد هذه الحالة فهو صاحب تمكين) ثم أوضح ما مر من التلوين والتمكين بما ذكره بقوله (كان الشيخ ابو على الدقاق رحمه الله يقول كان موسى عليه السلام صاحب تلوين) حيث كلم ربه (فرجع من سماع الكلام) منه الى الناس (واحتاج ٨٦ الى ستر وجهه) بأن أتى اليهم متبرقعا (لانه أثر فيه الحال ونبينا صلى الله عليه وسلم كان صاحب تمكين) حيث ذهب ليلة الاسراء وشاهد ما شاهد (فرجع كما ذهب لانه لم يؤثر فيه ما شاهده تلك الليلة) لتمكنه ومن ثم قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر (وكان) ابو على (يستشهد على هذا بقصة يوسف عليه السلام) من (ان النسوة اللاتى رأين يوسف عليه السلام قطعن ايديهن لما ورد عليهن من شهود يوسف عليه السلام على وجه البغتة) اى البغتة (وامرأة العزيز كانت أتم فى بلاء يوسف) وحبه (منهن ثم لم) الاولى فلم (تتغير عليها شعرة) من شعرها ولا شئ من بشرتها (ذلك اليوم لانها كانت صاحبة تمكين فى حديث) اى قصة (يوسف عليه السلام) لانها الماوا الى عليها النظر اليه وعلى قلبها جماله لم تلتفت اليه وقت خروجه على النسوة اللاتى لم يطقن ما اطاقت لغلبة شغلهن به على احساسهن وكن صاحبات تلوين لتغير احوالهن (قال الاستاذ واعلم ان التغير) الحاصل (بما يرد على العبد يكون لاحد امرين اما لقوة الوارد او اضعف صاحبه) عن تحمله (والسكون من صاحبه) يكون (لاحد امرين اما لقوته او لضعف الوارد اى عليه) فان كان الوارد قويا وصاحبه ضعيفا لم يحمله وان كان بالعكس حمله ولم يتغير (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول أصول القوم) الجارية (فى جواز دوام التمكين) على العبد (تخرج على وجهين احدهما الاسبيل اليه) اى الى دوامه

وحقه عليهم ولذلك قال بعد ذلك فى معنى ظفرهم بها بريد كل منهم به انخناس أحكام البشرية الخ فحصل ان الوصول فى كلامهم انما هو اقطع مسافة النفس وعلقها حتى تغفل عنها بالكلية (قوله فاذا دام للعبد هذه الحالة) اى التى هى غلبة أنوار الحقيقة على احساسه حتى انخنست نفسه بالوصول الى غاية مطلوبها فهو صاحب تمكين اى وان عاد الى الاحساس لمعنى شريف فيدوم له نعت هذا المقام ومنى عليك السلام (قوله كان موسى عليه السلام صاحب تلوين) اى فى خصوص هذا المقام والا فقد تمكنت فى مقام التمكين منه الاقدام وانما ذلك من تصريف الحق ليظهر شرف السيد الاحق والحاصل انه بواسطة قوة ما ورد عليه فى مشهده وقع له التأثر بالتغير الظاهر والانسان المحمدى الكامل قد قوى على وارده الاقوى بسر قوة اليقين فلم يتأثر فى الظاهر مع ثبوت التكليم له مكافحة مع رؤية الحق بالبصر فى حضرة القدس وذلك ليلة تشريفه بالمعراج الجسمانى الى مقام المكافحة وذلك لقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام (قوله ومن ثم) اى من قوة تمكينه قال فى الخبر الصحيح أنا سيد ولد آدم اى المقدم عليهم فى جميع المشاهد والمقامات وذلك بما منح من سر التمكين والتمكن وقوله فيه ولا فخر اى ولا فخر أعظم من هذا ويكون قد قال ذلك تحدثا بالنعمة أو المعنى لا أقول ذلك افتخارا على حسب ما جبل عليه من هضم النفس والتواضع اه (قوله وامرأة العزيز الخ) الذى يفهم منه ان تمكن امرأة العزيز فى ابتلائها بحب يوسف وقوة شغفها به أقوى من باقى النسوة اللاتى رأينه معها غير انها بواسطة تكرر رؤيته عليه السلام ومزاولة جماله وكماله تكرر تصور القلب بجماليه تمرنت وقويت بخلاف غيرها من باقى النسوة حيث أتاهم ذلك لخفاة فغيبهن عن احساسهن وبما قررناه يتبين الفرق أيضا بين المقامين المحمدى والموسوى فافهم والله أعلم (قوله اما القوة الوارد الخ) اعلم أن الوارد هو ما ينزل على القلب فيزعجه عن معتاده ويرفعه عن مراده من موارد الحق ومعارفه فيكون العبد الوارد واردا على مولاه مستغرقا به فيما أولاه وفوائد الوارد اما الورود على المولى بلا علة او الخروج عن عبودية الاكوان فى الجملة او عن سجن النفس الى شهود المنة فافهم (قوله اما القوة الوارد الخ) اعلم ان قوة الوارد وضعفه وقوة محل الوارد وضعفه جميعه من تصاريف الحق تعالى على حسب الاستعداد بسابق القسمة والحكمة العلية (قوله فى جواز دوام التمكين) اى وعدم دوامه كما يفهم من بقية كلامه (قوله احدهما الاسبيل اليه)

(لانه قال صلى الله عليه وسلم) لما قال له حنظلة وهو يبكى نافق حنظلة فانا نكون عندك تذكرنا الآخرة والجنة والنار كانا رأى عين فاذا فارقناك عاسفنا الاهل فزال عنا ذلك (لو بقيتم) اى دمتم (على ما كنتم عليه عندى لصافحتكم الملائكة) فى طرقكم وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (ولانه صلى الله عليه وسلم قال لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى عز وجل أخبر عن وقت مخصوص) به لا يشتغل فيه بغير الله وبقية الاوقات يشتغل فيها بمصالح الناس من ٨٧ نسائه وغيرهن ولا يلزم منهن ان يكون فى غفلة وميل الى الدنيا بل كل ما فيه هو طاعة لربه حتى ما كان من بسطه معهم كقوله لصغير يا عمير ما فعل النغير وقوله للمرأة فى عين زوجك بياض ومن ثم قال انى لامزح ولا أقول الا حقا ولا يلزم أن تكون أحواله متساوية فى سائر الاوقات بل على حسب ما يرد على قلبه من فتح ربه ورؤية جلاله وجماله وغيرها فتارة يستغرق فيه بحيث لا يلتفت الى غيره كما فى نزول الوحى عليه ومكالمة جبريل له وتفصد جبينه بالعرق لشدة ما فيه واستغراقه وتارة لا يستغرق بهذه الحيثية (قال) ابو على رحمه الله تعالى (والوجه الثانى انه يصح دوام الاحوال) على العبد (لان أهل الحقائق ارتقوا عن وصف التأثر بالطوارق) الى حالة لا يتأثرون فيها بذلك (والذى فى الخبر) السابق (انه) صلى الله عليه وسلم (قال) لحنظلة لو بقيتم على ما كنتم عليه عندى (لصافحتكم الملائكة فلم يعلق الامر فيه على أمر مستحيل) حتى يدل على انه لا سبيل اليه (و) أيضا (مصافحة الملائكة) لمن ذكر معلوم انها (دون ما أثبت لاهل البداية من قوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع (و) أما (ما قال) من قوله (لى وقت) لا يسعنى فيه غير ربى (فانما قال على حسب فهم السامع و) الا فهو (فى جميع احواله كان قائما بالحقيقة) فكل ما هو فيه حق وطاعة لربه ولا يلزم أن تكون أحواله متساوية فى سائر الاوقات كما تقرر

اى لكونه من تصريف الحق من غير اختيار العبد (قوله نافق حنظلة الخ) قاله رضى الله عنه لما رأى من اختلاف حاله فى اجتماعه به صلى الله عليه وسلم ومفارقته من قوة التأثر وضعفها (قوله عاسفنا الاهل) اى باشرناهم واجتمعنا بهم فزال ذلك الحال عنا وقوله لو بقيتم على ما كنتم عليه عندى الخ الذى يظهر منه ان الغرض الحث على دوام المراقبة ليدوم لهم النور فلا يتغير عليهم الحال غير انى أقول هو وان كان كذلك غير انه بقوة أنوار مباشرته صلى الله عليه وسلم وعدم ذلك لا بد من حصول الفرق باختلاف الحال والله أعلم (قوله ساعة وساعة) اى فان لربك حقا ولنفسك حقا ولزوجك حقا اى فالرجوع للنفس فى الذى لها بشاهد علم المتابعة لا يضر ولا يخرجها عن درجة كمالها (قوله لى وقت الخ) الذى يظهر انه وقت غلبات الحقيقة عليه صلى الله عليه وسلم فيغيب فيها عن غيره تعالى والله أعلم بمراد رسوله (قوله وبقية الاوقات الخ) اعلم أنه صلى الله عليه وسلم قد تحقق له حالان جبليان ونعتان شريفان وهو الظهور بلوازم الانسانية المؤيد بسواطع أنوار الشريعة المحمدية وذلك لحكمة الابلاغ لما أمر به من الاحكام والرجوع الى مشاهد تجليات الحق بشهود معاينة العيان وهو فيهما ظاهر باطن بحق لحق فى حق تدبر تفهم والرب بالحال أعلم (قوله ولا يلزم الخ) اى لانه رجوع بحق لحق فى حق ولا يخفى ما فى قوله ولا يلزم الخ فالاولى أن يقال ولا يمكنه مع ذلك أن يكون فى غفلة وميل الى الدنيا كما هو اللائق بالادب معه صلى الله عليه وسلم (قوله انه يصح دوام الاحوال الخ) اى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم دوام الاستغراق فى أنوار الحقيقة ولو فى حالة الصحو وابلاغ الاحكام وغيرها (قوله لتضع أجنحتها الخ) يحتمل الحقيقة او المراد اظهار عظمة طالب العلم بالتواضع له والاستغفار واعلم أنه اذا ثبت هذا لاهل البداية فما ظنك بأهل النهاية فلا ينبغى للعبد اليأس من عدم حضور قلبه فى معاملة ربه لان ذلك سوء ظن بالرب تعالى واعتماد على العمل وذلك غيبة عن المولى جل شأنه بل اذا لم يكن الحضور بالتعبد والعرفان فليكن بالطمع فى الاحسان اذ الطمع فى الله مع التجرد أفضل من طامع فيه مع وجود العمل وان كان العمل لا بد منه للعبودية لا للاستحقاق فافهم (قوله فانما قال على حسب فهم السامع) اى اعتبارا بالمألوف المعهود وذلك شأنه صلى الله عليه وسلم حيث لا يقول الا ما تسعه العقول بظهور وصفه بقول الحق بالمؤمنين رؤف رحيم والا فحقيقة الحالة الثابتة له عليه الصلاة والسلام

(والاولى أن يقال ان العبد مادام فى الترقى) هو (صاحب تلوين يصح فى نعته الزيادة فى الاحوال والنقصان منها فاذا وصل الى الحق بانخناس أحكام البشرية مكنه الحق سبحانه بأن لا يرده الى معلولات النفس فهو متمكن فى حاله على حسب محله واستحقاقه) لما وصل اليه فعلم ان التمكن عدم التغير بالواردات وان اختلفت انواعها ومادام العبد متغيرا فهو صاحب تلوين ومتى كان حاملا لجميع اصناف ما يرد عليه وان اختلفت فى القوة والضعف فهو صاحب تمكين لكمال قوته وعون ربه (ثم ما يتحفه الحق سبحانه) من البر واللطف ٨٨ (فى كل نفس فلا حد لمقدوراته فهو) اى العبد (فى الزيادات متلون بل ملون) من قبل الحق (وفى أصل حاله متمكن فأبدا يتمكن فى حالة أعلى مما كان فيها قبله) اى قبل حاله الذى هو فيه (ثم يرتقى عنها الى ما فوق ذلك اذ لا غاية لمقدورات الحق سبحانه فى كل جنس) وفى نسخة حين (فأما المصطلم) اى الغائب (عن شاهده المستوفى احساسه بالكلية) فقد زالت عنه غلبة البشرية (فللبشرية لامحالة حد) معروف (واذا بطل) العبد باصطلامه (عن جملته ونفسه وحسه وكذلك عن) سائر (المكونات باسرها ثم دامت به هذه الغيبة فهو محو فلا تمكين له اذا ولا تلوين ولا مقام ولا حال ومادام بهذا الوصف فلا تشريف ولا تكليف) ولا تنقص اشبهه بالمغمى عليه وهذا ليس بمحمود كامل وانما المحمود الكامل من كمل اشتغاله بمولاه حتى غفل عن نفسه فضلا عمن سواه فلم يغب عن شعوره بنفسه الا لكمال شغله بربه بخلاف المصطلم الذى لاشعور له بنفسه ولا بربه ولا بغيرهما (اللهم الا ان يرد) الى نفسه واحساسه (بما يجرى عليه من غير شئ منه) بأن يدرك ما يجريه الحق عليه ويصرفه فيه (فذلك) العبد (متصرف فى ظنون الخلق) من حيث انه يأتى بما يلزمه بعد ان يرده الحق فى غيبته الى صحوه (مصرف فى التحقيق) من حيث ان الحق وفقه وغيبه عن شهود غيره (قال الله تعالى وتحسبهم أيقاظا) اى لان أعينهم مفتحة (وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تأكل الارض لحومهم (وبالله التوفيق ومن ذلك القرب والبعد) من الله ومن العبد لا بالابدان كما سيأتى لاستحالته عليه تعالى بل لما أخذ فى بيانه بقوله

دوام الاستغراق بغلبة أنوار الحقيقة على قلبه وانما اشتدة تمكنه من مقامات القرب لا يتأثر فى ظاهر الحال وذلك أيضا السر الارشاد والتبليغ (قوله والاولى أن يقال الخ) محصله انه مادام التأثر بالوارد بقوته او ضعف المحل فصاحبه فى التلوين مترق فى المقامات عرضة للزيادة والنقص بخلاف ما اذا كان لا يتأثر بالوارد فصاحبه فى التمكين محفوظ عن التغير بالنقص (قوله بانخناس أحكام البشرية الخ) أى وذلك على حسب التحقق بحقيقة الاخلاص بعد فناء سائر الحظوظ التى من جملتها استحلاء الطاعة والتألم بفراق لذتها اذ هى أعظم العلل ولذا قال الواسطى استحلاء الطاعة سموم قاتلة قال فى لطائف المنن وصدق الواسطى فأقل ما فى ذلك اذا فتح باب حلاوة الطاعة أن يصير العبد قائما فيها متطلبا لها فيفوته صدق الاخلاص فى نهوضه لها ويصعب دوامها الا قياما بالوفاء ولكن لما وجد من الحلاوة والمتعة فيكون فى الظاهر قائما لله وفى الباطن انما قام بحظ نفسه ويخشى عليه أن يكون ذلك جزاء تعجله فى الدنيا فيأتى يوم القيامة ولا خير له اه (قوله بل ملون) اى بتصريف الحق فيه ومع ذلك لا يخرج عن مقام التمكين كما أشار اليه بقوله فابدا يتمكن الخ (قوله فاما المصطلم الخ) المراد ان ما تقدم من التلوين والتمكين انما هو فى حق غير المصطلم اما هو فلا تلوين ولا تمكين له لدوام ردمه وانمحاقه غير ان الكمال فى الكمال (قوله فللبشرية لامحالة حد) اى وعليه مدار التكليف وبتحققه تكون زيادة التشريف اذ هو سر الله المودع فى السر ومحل شهود عالم الخفاء والجهر ثم اذا غلبت سواطع الانوار حتى غيبت عن الحس والاستبصار فيكون فى الفناء رديما وعن نفسه وغيره عديما فلا تكليف ولا حال ولا مقام حيث هو فى شهود الحق على الدوام (قوله فلا تشريف ولا تكليف) اى لانتفاء مدار ذلك منه بانتفاء شعوره فهو دائما فى سكر خمر غلبة أنوار الحق (قوله وانما المحمود الكامل) اى وهو خلق محمدى وطريق أحمدى (قوله فذلك العبد) اى فى حال ارجاع الحق له الى احساسه متصرف بفعله فى ظنون الخلق اعتبارا بظاهر الحال وهو مصرف بالحق فى تحقيق المقال (قوله قال الله تعالى) دليل لما قبله من قوله اللهم الخ (قوله ومن ذلك القرب والبعد) أقول القرب على وجوه ثلاثة اولها

(أول رتبة فى القرب) من الله (القرب من طاعته والاتصاف فى دوام الاوقات بعبادته واما البعد) منه (فهو التدنس) والتلطخ
(بمخالفته تعالى والتجافى) اى البعد (عن طاعته فأول البعد بعد عن التوفيق ثم بعد عن التحقيق بل البعد عن التوفيق)

فى الحقيقة (هو البعد عن التحقيق) بالنسبة اليه تعالى (وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم) فى الخبر الصحيح (مخبرا عن الحق سبحانه ما تقرب الىّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الىّ بالنوافل حتى يحبنى وأحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا) ويدا ورجلا وروى كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها (فبى يبصر وبى يسمع الخبر) بنصبه اى ذكر الخبر ويجوز رفعه وجره ففيه اشارة الى ان قرب العبد من ربه انما هو بطاعاته وأوله القيام بالواجبات والبعد عن المحرمات ثم القيام بالمندوبات والكف عن المكروهات والشبهات ثم القيام بملازمة أفضل المندوبات فاذا تعالت درجته ودامت مراقبته لاحكام ربه انتقلت همته الى مقام الاحسان وهو مقام المقربين وهو رؤية ربه فى سائر الحركات والسكنات فاذا دام ذلك عليه أحب مولاه لما رأى من توالى احسانه اليه واذا أحبه تزايد أدبه معه وحينئذ يكون فى أعلى مراتب القرب فيحبه مولاه

١٢ يج ني ويسبغ عليه نعمه والطافه ويجرى عليه كراماته وهذا هو المراد بقوله كنت سمعه الخ
اذ ظاهره غير مراد قطعا فالمراد انى أحفظه واسبغ عليه النعم والالطاف فى سائر حركاته وسكناته (فقرب العبد أولا) من الحق

أولها قرب الكرامة وهو من الحق الينا وآيته مشاهدة قرب الحق منا واحاطة علمه بنا والثانى قرب الاحاطة بالعلم والقدرة والارادة وهو قرب الحق من كل موجود قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ونحن أقرب اليه منكم وهو معكم أينما كنتم الى غير ذلك والثالث قرب المسافة والقسب والمداناة وهو قرب الاجسام وسائر المحدثات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فحينئذ المراد بالقرب المراقبة حتى لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك فافهم (قوله أول رتبة فى القرب) أقول فى بيان هذا المقام على طريق ذوق الاحكام ان أول الدرجات تشخيص أحكام المتابعات بالتلقى من شيخ ناصح والتعلم بالدليل الواضح ثم اذا أحكم التعلم وأتقن التفهم شمر عن ساعد الجد والاجتهاد وعمر الوقت بعبادة رب الاسعاد مهتما بأداء المفروضات بعد اسباغ ماء الطهارات وتخليص الباطن من القاذورات بافراد المعبود بمحاسن النيات فهذا أول القرب من منهل شراب الحب ثم اذا أراد فتح الباب والدخول فى حظائر الاحباب بادر بفعل المندوبات فى أشرف أوقات التهجدات ليتعرض لتنزل الرحمات فاذا ثبتت فى ذلك أقدامه ولذ له فى المكابدة اقدامه أشرقت أنوار الاله على سره وتوالت بالواردات على قلبه فلا يشهد حينئذ الا المعبود ولا يعول الا على المقصود فحينئذ يصل الى مقام الاحسان ويكرع من رائق شراب الدنان هذا معنى قرب العبد من الرب وتحليه بنعوت الهائم الصب وتحقيق محبة الله للعبيد توفيقه اياهم لدوام التسديد وافراغ أنوار الرحمات فى أشرف أنواع التجليات حتى يفنى الفانى فى القديم وتمكن الروح فى مقام التعليم فيكون قوله بالحق وفعله بالصدق محفوظا فى جميع الحركات والسكنات عن ملابسة شئ من العادات المألوفات وهو معنى كنت له سمعا وبصرا فيما ثبت فى بعض القدسيات والله أعلم (قوله القرب من طاعته) اى على معنى ملازمتها والاهتمام بوظائفها فى أوقاتها المحدودة او غير المحدودة كما أوضحه قوله والاتصاف فى دوام الاوقات بعبادته (قوله فهو التدنس بمخالفته تعالى) واعلم أنه لا فرق فى طريقة الصوفية فى تحقق المخالفة بين كبير الذنوب وصغيرها يعنى انهم لا يقولون بصغير من الذنوب وكانهم نظروا العظمة المخالف وهو الحق تعالى (قوله بعد عن التوفيق) اى ومن المعلوم ان المعاصى بريد الكفر والعياذ بالله تعالى (قوله كنت له سمعا وبصرا الخ) المعنى كنت حافظا له ذاتا وصفة ولذا عبر بالسمع والبصر وهما من الصفات وباليد والرجل وهما من الجوارح (قوله تزايد أدبه معه) اى زادت مجاهداته على طريق المتابعة له صلى الله عليه وسلم (قوله فقرب العبد أولا الخ) اعلم أن طلب الوصلة والقرب سببه غيبة العبد عن مولاه اذ لو كان حاضرا معه لشاهد قربه وما التفت لغيره فضلا عن طلب القرب منه غير انه اقبح من ذلك طلب الوصلة لغيره تعالى لان

(قرب بايمانه وتصديقه ثم قرب باحسانه وتحقيقه وقرب الحق سبحانه من العبد ما) اى بما (يخصه اليوم) اى فى الدنيا (به من العرفان وفى الآخرة ما) اى بما (يكرمه به من الشهود والعيان وفيما بين ذلك) اى فى اثنائه الشامل له ماذكر (من وجوه اللطف والامتنان) عليه (ولا يكون قرب العبد من الحق الا بعده من الخلق وهذا) القرب (من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون) اى الوجود من القرب بالابدان لاستحالته فى حقه كما مر وكما سيأتى (وقرب الحق سبحانه) من العبد يكون بالعلم والاحاطة وغيرهما كالحفظ وتوالى فضله على خلقه فقربه منه (بالعلم والقدرة عام للكافة) من الخلق (و باللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ثم) اى قربه منه (بخصائص التأنيس) به تعالى (مختص بالاولياء) فقربه من العبد كقرب العبد منه متفاوت الرتبة ومع ذلك فقربه من العبد انما هو بالنسبة لشئ من ذلك لا بالنسبة للابدان كما تقرر (قال الله تعالى ونحن أقرب اليه منكم) اى بالعلم (وقال) تعالى (ونحن أقرب اليه) اى بالعلم (من حبل الوريد وقال) تعالى (وهو معكم) اى بالعلم (أينما كنتم وقال) تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) اى بعلمه (ومن تحقق) الوصول (بقرب الحق) منه (فأدونه دوام مراقبته اياه لان عليه رقيب التقوى ثم عليه رقيب الحفاظ) له ولافعاله (و) رقيب (الوفاء) بما عوهد عليه (ثم رقيب الحياء) من الوقوع فيما لا يليق واذا وصل العبد الى دوام مراقبته لربه واشتد حياؤه منه حتى لا يخرج عن الحق حسن منه أن يقول هذه الابيات التى ذكرها المصنف مما بقوله (وانشدوا) فى ذلك (كأن رقيبا منك) يارب (يرعى خواطرى • وآخر يرعى ناظرى ولسانى •) من الوقوع فيما لا يليق (فما رمقت عيناى بعدك) اى بعد نظرهما اليك (منظرا • يسوؤك) فى شريعتك (الا قلت قد رمقانى) اى الرقيبان فى ذلك فلا أقع فيه (ولا بدرت من فى) اى أسرعت من فى (دونك) اى بعدك (لفظة • لغيرك الا قلت قد سمعانى) اى الرقيبان

سببه عدم الحياء منه سبحانه فانه لو استحيى منه لما كان يلتفت الى غيره فضلا عن كونه يراه أهلا لذلك فذووا الهمم العالية اعلمهم بأن الامور كلها بيده وقدرته تعالى عكفت عليه هممهم وبالجملة فالطلب كله معلول الا ما كان من شاهد علم المتابعة (قوله قرب بايمانه وتصديقه) عطف التصديق على الايمان للتفسير وقوله ثم قرب باحسانه اى بأداء العبادة مع المراقبة فيها بغاية الاخلاص الذى هو تحقيق الحق عند العبد حضورا ثم كشفا ثم شهودا ثم عيانا (قوله وقرب الحق سبحانه الخ) محصله أنه فى الدنيا باشراف العبد على مظاهر الاسماء والصفات وفى العقبى بكشف الحجب عن الذات (قوله الا بعده من الخلق) اى لانه لا تستوى الظلمات والنور فعلى حسب البعد عن الخلق يكون القرب من المولى الحق (قوله وهذا القرب من صفات القلوب) اى وذلك لكونه من المعانى لا من حقيقة التدانى (قوله وقرب الحق سبحانه الخ) محصله أن قربه تعالى من الخلق يختلف باختلاف احوالهم قوة وضعفا بحسب سابق القسمة الازلية (قوله ثم قربه منه بخصائص التأنيس الخ) اى وامارته الوحشة من الخلق والانس بالرب الحق (قوله انما هو بالنسبة الخ) اى فهو بمظاهر أسمائه وصفاته تعالى (قوله قال الله تعالى) الغرض الاستدلال على ما تقدمه من أن قرب الحق من الخلق يختلف بحسب استعدادهم (قوله فأدونه) اى فأقل درجات القرب يتحقق برعاية الحفظاء وذلك بقيامه على نفسه بما يخص وظائف أوقاته (قوله دوام مراقبته اياه) اى فى أداء ما افترض عليه مع حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة من غوائلها باستيفاء حظوظها حتى بذلك يوفى عهده ويقوى يقينه (قوله حسن منه أن يقول هذه الابيات الخ) اى لانه والحالة ما ذكر قد تحقق بمعانيها وصار من أهل ناديها (قوله كأن رقيبا منك الخ) كأن فى كلامه منسلخة عن معنى التشبيه الى التحقق فى كامل الازمنة والرقيب بمعنى المراقب والخواطر جمع خاطر وهو ما يرد على القلب من ملاءمات البشرية وقوله وآخر صفة لمحذوف اى ورقيب آخر يرعى ناظرى ولسانى أى يراعى ما يصدر عنهما فيحصيه على وقوله فما رمقت اى نظرت عيناى بعدك اى بعد مرفقى اياك وعلى عمالك على يسوءك أى يغضبك لمجاوزته حدودك فى شريعة نبيك وقوله الا قلت قد رمقانى أى الا اعترفت وأذعنت باحصاء ما جنيته من المخالفات وذلك كناية عن رجوعه الى ربه بالتوبة والندم وقوله ولا بدرت من فى دونك لفظة اى ولا صدرت كلمة من فى بسرعة دونك اى بعدك متعلقة بغيرك

(ولا خطرت فى السر بعدك خطرة * لغيرك الا عسرجا بعنانى *) عنها شبه ما يقوده للطاعة بعنان الفرس (و) لى (اخوان صدق قد سئمت) اى مللت (حديثهم * وأمسكت عنهم ناظرى واسانى وما الزهد أسلى عنهم غيرانى * وجدتك مشهودا) وأنا (بكل مكان) اى اشتغلت بربى عنهم لا زهدا عنهم كما أزهد عن غيرهم من أرباب الدنيا بل لكمال شغلى بمحبوبى (وكان بعض المشايخ يخص واحدا من تلامذته باقباله الزائد (عليه فقال اصحابه له فى ذلك) اى سألوه عن سببه (فدفع الى كل واحد منهم طيرا وقال اذبحوه بحيث لا يراه أحد فمضى كل واحد منهم) الى مكان (وذبح الطير) الذى معه (بمكان خال وجاء هذا الانسان والطير معه غير مذبوح فسأله الشيخ فقال أمرتنى أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ولم يكن موضع الا والحق سبحانه يراه) فلم يمكنى ذبحه (فقال الشيخ لهذا أقدم هذا عليكم) اذ (الغالب عليكم حديث الخلق) فيغلب عليكم الغفلة عن الحق (وهذا غير غافل عن الحق) تعالى (ورؤية القرب) من الله (حجاب عن القرب) لانه اذا رأى قربه منه فقد رأى غيره فكمال قربه أن يشتغل بربه عن قربه منه (ومن شاهد لنفسه محلا اونفسا) بفتح الفاء (فهو ممكور به) مغرور به (ولهذا قالوا أوحشك الله من قربه اى من شهودك لقربه) اى لقربك منه يعنى شغلك الله به شغلا حتى لا تجد لقربك منه أثرا (فان الاستئناس) اى استئناس العبد بقربه من الله (من سمات) اى علامات (العزة به) وبعده من الحق (اذ الحق سبحانه وراء) أى امام (كل أنس وان مواضع الحقيقة) اى موجباتها (توجب الدهش) اى التحير (والحق) اى يوجب دهشك بالحق ومحقك عن غيره (وفى قريب من هذا قالوا

عما لا يرضيك الاقات قد سمعانى فكتباها على" وقوله ولا خطرت فى السر بعدك خطرة اى ولا وقع لى التفات بقلبى الى غيرك الا عرجا بعنانى اى أخذا بعنانى لارجاعى الى طاعتك ومعاملتك وقوله ولى اخوان صدق اى بسبب انى آخيتهم فى الله ولله وبالله قد سئمت حديثهم الخ أى وقع لى ملل منه بالفناء عنهم والوجود به سبحانه وتعالى وأمسكت عنهم الخ اى لكونى شغلت عنهم بالاحق منهم كما يفيده قوله وما الزهد الخ الذى معناه أن أنسى بشهودك اوحشنى من غيرك فأعرضت عنه واعلم أن الشارح قدر لفظة أنا فى قوله مشهودا وأنا بكل مكان للاشارة الى نزاهة الحق تعالى عن المكان كالزمان وان صح عدم التقدير اذ الحوادث دلائل وجود الحق المطلق لانه ما من كائن الا وفيه ما يدل على انه تعالى واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله (قوله وكان بعض المشايخ الخ) فى ذلك تنبيه على ان القرب من الحق متفاوت بحسب تفاوت المراتب فى المراقبات فالعبد اذا زادت مراقبته لمولاه زاد قربه منه والله أعلم (قوله ورؤية القرب الخ) المراد الحث على التبرى من شهود النفس وما لها من الاحوال والمقامات رجوعا الى صفة الفضل له سبحانه وتعالى (قوله ومن شاهد لنفسه محلا الخ) أقول ومن ذلك الانس بنور الواردات اذا انبسطت أنوارها فى عوالم القلوب وأودعت أسرارها بكل امر محبوب لان ذلك جهل ونقص ظاهر اما الجهل فلان اوقات الصفاء لا تدوم فمن ظن دوامها فهو احمق ومغرور وانما تدوم اوقات الوفاء وعليه عمل الاكابر دون الحركات والاحوال وأما النقص فلان الانس بالواردات بعد عن الحق وذلك مرجوح بكل حال فافهم (قوله فان الاستئناس الخ) مراده أن الاستئناس بقرب الحق المذموم هو الذى يقف العبد معه ويستحسنه ويكتفى به عما وراءه فالعبد الكامل الموفق من قصر قصده عليه تعالى ولم يشغله عنه حال ولا مقام (قوله وراء كل أنس) اى يثبت من قبل النفس (قوله وان مواضع الحقيقة) اى منازلاتها توجب الدهش اى اختلاط الفكر والحيرة وذلك ينافى الاستئناس بكل شئ (قوله وفى قريب من هذا الخ) أى لحقيقة القرب لا تتم الا بالفناء فى ذات الرب سبحانه وتعالى ولله در من قال

كانت لقلبى اهواء موزعة * فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائى
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بحبك يا دينى ودنيائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده * وصرت مولاهم مذ صرت مولائى

قال فى التنوير انما يدخلك الحق فى الحالة التى تنال منها الالتنال منك وانما جاءت لتصل هديه

محنتي فيك انى «ماأبالى بمحنتى) هـذا ساقط من نسخ (قربكم مثل بعدكم «فتى وقت راحتى» وكان الاستاذ ابو على الدقاق رحمه الله كثيرا ماينشد وداذكم) اى رؤيتى لمودتى لكم (هجر وحبكم) اى ورؤيتى لمحبتى لكم (قلى») اى بغض لكم واعراض عنكم (وقربكم بعد) اى ووقوفى مع قربكم يدل على بعدى عنكم وهو محل الاستشهاد (وسلمكم) اى صلحكم (حرب) بمعنى انى رددتمونى الى نفسى وحسن حالى أبعدتمونى عنكم (ورأى ابو الحسين النورى بعض أصحاب ابى حمزة فقال أنت من أصحاب ابى حمزة الذى يشير الى القرب اذا لقيته فقل له ان أبا الحسين النورى يقرئك السلام و يقول لك قرب القرب فيما نحن فيه) اى رؤيتك له (بعد البعد) لدلالتها على اشتغالك عنه بغيره فتلخص ان المراد بالقرب هذا القرب المعنوى (فاما القرب بالذات) اى بالبدن من المكان (فتعالى الله الملك الحق عنه فانه تعالى متقدس) اى متنزه (عن الحدود والاقطار والنهاية والمقدار) ونحوها مما يدل على الجسمية (مااتصل به مخلوق) اذلا تحله الحوادث (ولاانفصل عنه حادث مسبوق) به لتنزهه عن ذلك كما قال (جلت) اى عظمت (الصمدية) اى صمديته تعالى (عن قبول الوصل والفصل) وقربه تعالى ثلاثة أقسام بينها بقوله (فقرب هو فى نعته) تعالى (محال وهو تدانى الذوات) اى الابدان كما مر (وقرب هو واجب) اى ثابت قطعا (فى نعته وهو قرب بالعلم والرؤية) ونحوهما (وقرب هو جائز فى وصفه) اى نعته (يخص به من يشاء من عباده وهو قرب الفضل باللطف) والانعام

«(ومن ذلك الشريعة والحقيقة)»

التعريف من الله اليك فتوجه اليها باسمه البادئ فأبداها وأبقاها حتى وصلت اليك فلما وصلت الامانة توجه اليها باسمه المعيد فأرجعها وتولاها فلا تطالب بقاء رسوم بعد ان بلغ رسالته ولا امينا بعد ان ادى امانته (قوله محنتى الخ) اى امتحانى وابتلائى بالاشواق الى شهود صفات جمالك فيك أنى ما أبالى بمحنتى لاستغراقى وفنائى ووردى فى مشاهد الحب ولذلك أشار بقوله قربكم مثل بعدكم حيث يريد انه دائم على الانغماق والانسحاق فى وقت راحتى اى فأى وقت وزمن أحصل فيه راحتى التى هى دواعى ردى فتحت تجلى سواطع انوار الحقيقة والله اعلم (قوله وداذكم الخ) اى ينبغى للعبد ان يستغنى عن كل شئ حتى يتحقق بنعت الفناء اذ لو تعلق بغيره وكله الله اليه ففى الاشارة عن الله لا تركن الى شئ دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك فان ركنت الى العلم تبعناه عليك وان ركنت الى العمل رددناه عليك وان وثقت بالحال اوقفناك معه وان أنست بالوجد استدرجناك فيه وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم وان اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فأى حيلة لك وأى قوة لك معنا فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا ثم علامة الاكتفاء بالله الرضا عن الله والاهتمام بأمره وعدم الالتفات لغيره لان غير ذلك من الفقد والبعد (قوله قرب القرب الخ) أى و يؤيد ذلك قول بعض العارفين سبحان من لم يجعل لمعرفته سبيلا الا العجز عن معرفته فافهم (قوله لدلالتها على اشتغالك عنه بغيره) اى فالكامل من لا يقف مع شئ دون ذاته تعالى (قوله القرب بالذات الخ) الغرض توضيح معنى القرب له تعالى وأنه قرب معنوى لا كالمعتاد المتعارف الحسى الذى هو بالذات لانه تعالى منزه عنه وعن لوازمه من الحدود والاقطار والنهاية والمقدار من كل مايلزم الجسمية (قوله جلت اى عظمت الصمدية الخ) هى تقال على من لا جوف له وعلى المقصود لما سواه فى جميع الحوائج وعلى غير ذلك (قوله وهو قرب بالعلم والرؤية الخ) المراد بالرؤية انكشاف الكائنات له تعالى وحينئذ فالعطف للتفسير ويحتمل ان المراد رؤية عباده اياه فى الآخرة ولرسوله فيهما (قوله وقرب هو جائز فى وصفه) اى وهو ماتقدم الكلام عليه وأنه مختلف باختلاف استعداد العبيد (قوله ومن ذلك الشريعة والحقيقة) أقول اهل الظاهر والشريعة مع الايمان بالغيب لا بالمشاهدة ابقاء الرسوم عندهم لوقوفهم مع ظواهر متعلقات الايمان واهل الباطن والحقيقة مع اليقين لتخلصهم من وهم الرسوم بانكشاف العلم اللدنى لهم فعاينوه فصاروا على يقين جازم وقال بعضهم المراد بالحقيقة حقيقة العبد المنسلخ من جميع الصفات البشرية المتخلق بالروحانية المعرفة وقيل الباطن عند الظاهر حقيقة والسر عند الباطن حق

والطريقة (الشريعة أمر) للعبد (بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية) اى رؤيته اياها بقلبه ويعبر عن ذلك بأن الشريعة معرفة السلوك الى الله تعالى والحقيقة دوام النظر اليه والطريقة سلوك طريق الشريعة اى العمل بمقتضاها وبعضهم لم يفرق بينها وبين الشريعة والشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطن الشريعة وهما متلازمان لا يتم أحدهما الا بالآخر (فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول) وفى نسخة مقبولة (وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول) وفى نسخة محصولة فمن لا حقيقة له لا شريعة له ومن لا شريعة له لا حقيقة له لان الحقيقة أصل الايمان والشريعة القيام بالاركان فمن عرف الحق ولم يعبده تعرض للخسارات ومن لم يعرفه استحالت منه الطاعات (فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة انباء) اى اخبار (عن تصريف الحق) اى بأن يشاهد ثم يخبر عنه (فالشريعة) أخذا مما مر (ان تعبده) تعالى (والحقيقة ان تشهده) والطريقة ان تقصده (والشريعة قيام) من العبد (بما أمر) الله به (والحقيقة شهود لما قضى) الله به (وقدر وأخفى وأظهر سمعت الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله يقول قولك اياك نعبد حفظ للشريعة) من حيث ان العبد أضاف العمل الى نفسه ورأى انه عامل (واياك نستعين اقرار بالحقيقة) من حيث تبرؤه من القيام بشئ من عبادته وافتقاره فيها الى عون ربه

وذكره بالدوام حقيقة الحق ومشاهدة السر حقيقة الحقيقة وقيل الحقيقة تجمع الكل فى الواحد وتجعل الكل فردا وتضيف كون الكل الى الواحد الحق (قوله أمر للعبد بالتزام العبوديه) اى بحيث لا يرى حيث نهى ولا يفقد حيث أمر لان الشريعة هى ماشرعها الله من الاحكام أمرا ونهيا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (قوله والحقيقة مشاهدة الربوبية) اى فى جميع الكائنات بحيث انه يرى الخلق بالحق على معنى القيام به ومن ذلك مراقباته تعالى فى عبادته بالتحقق بمقام الاحسان المشار اليه فى خبر أن تعبد الله كأنك تراه الحديث (قوله معرفة السلوك الى الله تعالى) اى وذلك بعلم أحكام العبادة ومايقربه الى ربه ليوقع ذلك على الكمال حسب المطلوب (قوله والحقيقة دوام النظر اليه) اى حال التلبس بالعبادة وغيره مع الاخلاص فى كل شئ (قوله والشريعة ظاهر الخ) أقول هو التجه الجلى (قوله فغير مقبول الخ) اى لانه قد يغتر بطاعته وبنوره وفصه ويكون اغتراره بمنزلته وصولته على الخلق معتمدا على ثبوت معرفته عندهم وبالكشف عن الحقيقة تبدو العوارف وتنتهك الاستار فكن عبد الله لا عبد العلل فكما كان لك رب بلا علة فكن عبدا له ولا علة لتكون له كما كان لك فافهم (قوله فغير مقبول) اى لانها مجرد صورة خالية عن السر فى القبول وقوله فغير محصول اى لفساد الاعمال ظاهرا وباطنا (قوله فمن لا حقيقة له لا شريعة له الخ) تفريع على ماقبله وحاصله أن الاعمال لها أساس تبنى عليه وهو الايمان فاذا لم يتحقق الاساس تداعى مابنى عليه لفساده واذا تحقق الاساس ولم يبن عليه فقد تعرض للخسارات فعلى العبد أن يقدم معرفة ربه ثم يدوم على عبادته فعسى أن يشمله القبول وينال من الله الوصول (قوله لان الحقيقة أصل الايمان الخ) اى فالحقيقة من خواص الجوارح الباطنة والشريعة من أعمال الظاهرة وحينئذ فلابد من كل منهما (قوله فمن عرف الحق الخ) اى من صدق به بقلبه ولم يعبده على طريق المتابعة فقد تعرض للخسارة دينا ودنيا ومن لم يعرفه ولم يصدق به استحالت منه الطاعات اذ شرط صحتها القصد وهو متعذر حينئذ (قوله جاءت بتكليف الخلق) اى اعتبارا بظاهر الكسب وقوله والحقيقة انباء الخ اى اعتبارا بما له الامر فى نفس الامر (قوله فالشريعة ان تعبده) اى امتثالا وقياما بوظيفة التكاليف وقوله والحقيقة ان تشهده اى باخلاص القصد لتنال القرب وتدوم فى النعيم اذ النعيم وان تنوعت مظاهره فانما هو فى شهود الحق واقترابه وتشهده فيما تجلى فيه وبه من الفوائد والعوائد وغيرها مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فى هذه الدار وفى تلك الدار والعذاب وان تنوعت انواعه فانما هو بالحجاب قال فى التنوير ولو ان الحق سبحانه تجلى لاهل النار بجماله وكماله لغيبهم عن ادراك العذاب كما انه لو احتجب عن اهل الجنة ماطاب لهم نعيم فافهم (قوله والطريقة أن تقصده) اى قطع علقك عن الكائنات باسرها (قوله يقول قولك اياك نعبد الخ) الغرض له نفعنا الله به

(واعلم ان الشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بأمره والحقيقة ايضا شريعة من حيث ان المعارف) اى معرفة العارفين به سبحانه (ايضا وجبت بأمره) وذلك لان الشريعة يغلب فيها حال مراعاة الاوقات والاعمال الموصلة الى الخيرات التى منها رؤية خالق الارض والسموات والحقيقة يغلب فيها حال الايمان على القلب حتى يصير مشاهدا بقلبه لربه فلما كانت الاعمال الغالبة فى الشريعة لاتصح الا بالتوحيد والايمان كانت كل شريعة حقيقة اى هى ثمرتها ولما كان الايمان الغالب فى الحقيقة مطلوبا شرعا كانت كل حقيقة شريعة وانما وقعت التفرقة بينهما بالنظر للغلبة فى حال العابد والعارف ولما كان العابد يغلب عليه الوقوف مع الاعمال واتقانها واخلاصها سمى صاحب شريعة ولما كان العارف يغلب عليه حال الحق ويرى أن جميع ماهو فيه من فضله سمى صاحب حقيقة فقد تبين ان بينهما اجتماعا وافتراقا بالاعتبار

* (ومن ذلك النفس) *

بفتح الفاء (النفس ترويح القلوب بلطائف الغيوب) لان النفس انما هو ترويح الحصر اذ المتنفس يجد راحته بنفسه ولو أمسك عن تنفسه لهلك (وصاحب الانفاس أرق وأصفى من صاحب الاحوال) وأرباب الاوقات هم الحافظون لاحوالهم فى أوقاتهم لئلا يضيع عليهم فمن غلب عليه شغله بالاولى به فى وقته سمى صاحب وقت ومن توالت عليه أحواله المتوالية على قلبه زمن حامل لها متأدب مع الحق فيما يرد عليه منها سمى صاحب حال ومن تنفس وروح قلبه بما وهبه الحق له من لطائف غيبه واكرامه سمى صاحب نفس

بيان المقامين الشريفين مقام الفرق الحافظ للشريعة ومقام الجمع المحقق للحقيقة لاجل العمل عليهما والتحلى بنعتهما (قوله واعلم أن الشريعة الخ) محصله ان وحدتهما باعتبار رجوع كل الى مظاهر الامر وذلك على حسب وحدة الآمر ثم ويحتمل أن رجوع كل للآخر باعتبار ان العبادة على وفق الشريعة توصل الى شهود التوحيد القلبى بقوة الايمان فالحقيقة حينئذ ثمرة الشريعة والايمان القلبى الذى هو معنى الحقيقة مأمور به شرعا فرجعت بهذا الاعتبار الحقيقة الى الشريعة كما أشار الى ذلك الشارح فتأمله (قوله النفس ترويح الخ) قلت هو بالتحريك أدق الحركات النفسانية فى عالم الملك والشهادة وبعضهم قد جعله لازمنة دقيقة يجرى بها وجود الانسان فتظهر على وجوده ويظهر معها مايقتضيه الحق للعبد من الامور العادية وغيرها فهى مراكب الاحكام الجارية على العباد وبحسب هذا فكل نفس يقتضى تجليا جلاليا او جماليا وذلك التجلى يقتضى عبودية وتلك العبودية تقتضى محلا ولايزال ذلك متجددا على ممر الدهور بعدد الانفاس فيكون المدقق كل نفس سالكا طريقا الى الله وعلى هذا يتنزل قولهم الطرائق الى الله تعالى بعدد انفاس الخلائق لا مايسميه بعض الناس من اختلاف الحق ومخالفته فما ثم الا طريق واحد وهو طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومسالكه ثلاثة عبادة وارادة وزهادة هذا ومحصل مافى المصنف أن النفس للواصلين من اهل السرائر والوقت للمبتدئين أصحاب الظواهر والحال للمتوسطين أهل الضمائر فالنفس لاصحابه أعلى وأغلى والوقت لاربابه أظهر وأجلى والحال فى حلل الجمال تجلى (قوله النفس ترويح القلوب) اى كما قيل

ياعذولى سلم الى قيادى * ثم دعنى فاعليك رشادى
حبه راحتى وروح حياتى * وكذا ذكره بلاغى وزادى
واذا مامرضت فهو طبيبى * كلما عادنى بلغت مرادى
واذا ماضللت أوضل ركب * عن حماها فوجهه لى هادى
ياعذولى فكن عليه عذيرى * اوفقل لى ماحيلتى واجتهادى
ان تلمنى او لاتلمنى فانى * حبه مذهبى وأصل اعتقادى

(قوله ترويح القلوب) اى بابداء مايفرج عنها من واردات الحق واشارات الصدق بشاهد الكتاب والسنة اذ لايصح الخروج عنهما فى ذرة من الذرات فماذا بعد الحق الا الضلال فافهم (قوله انما هو ترويح الحصر) اى ولعل مايقع لبعض المحبين من الامتية من هذا النوع والله أعلم (قوله أرق وأصفى الخ) اى لانه من أهل مشهد الجمال فحاله غالبا البسط بخلاف صاحب الاحوال فانه من أرباب مشهد الجلال فحاله غالبا

(فكأن صاحب الوقت مبتدئ وصاحب الانفاس منته وصاحب الاحوال بينهما فالاحوال وسايط والانفاس نهاية الترقي)
والاوقات بدايته (فالاوقات لاصحاب القلوب والاحوال لارباب الارواح والانفاس لاهل السرائر وقالوا)

اى الصوفية (أفضل العبادات عد الانفاس مع الله تعالى وقالوا خلق الله تعالى القلوب وجعلها معادن للمعرفة) به (وخلق الاسرار وراءها) اى بعدها (وجعلها محلا للتوحيد فكل نفس حصل من غير دلالة المعرفة واشارة التوحيد على بساط الاضطرار) الى قضاء الوطر (فهو ميت وصاحبه مسؤل عنه سمعت الاستاذ ابا على) الدقاق (رحمه الله يقول العارف لايسلم له النفس لانه لامسامحة تجرى معه) فيه اذ لاتفرقة عنده لكمال شغله بربه حتى غفل عن جميع احواله وانفاسه (والمحب لابد له من نفس اذ لولا ان يكون له) نفس (لتلاشى) وهلك (لعدم طاقته) على تركه قال الشيخ ابو محمد عبد الله بن محمد الانصاري والنفس على ثلاثة درجات نفس فى حين الضيق مملوء من الكظم متعلق بالعلم ان تنفس تنفس بتنفس المتأسف وان نطق نطق بالحزن ونفس فى حين التجلى مملوء من نور الوجود شاخص الى روح المعاينة ونفس مطهر بماء القدس قائم باشارات الازل والنفس الاول للعثور سراج اى لانه يخلصه من عثرة وقعته والثانى للقاصد معراج اى لانه يتوصل به الى مطلوبه من استغراقه فى توحيده والثالث للمحب تاج اى لانه قد وصل الى مطلوبه فصار تنفسه بما وجده من محبوبه تاجا يتشرف به ولذلك قالوا ان العارف لايسلم له النفس لكمال شغله بربه

القبض ولهذا يلزمه ملازمة الادب والله أعلم (قوله فكأن صاحب الوقت مبتدئ الخ) اى فالخلق درجات بحسب سابق العنايات فمنهم موفق للخيرات يراقب تعمير الاوقات وذلك من شيم المريدين واخلاق المبتدئين ومنهم من تخلص من رق الاشباح فعرج بروحه على معاريج الافراح فهو دائم الترقي والتنقل من حال الى حال مرتضع ثدى الافضال لايسكن مع الواردات حتى يصل الى المشاهدات ومنهم صاحب انفاس يدوم على شرب خمر الكاس وهو لايطفى ظمؤه بالشرب ولاتخمد نار حبه بالقرب يراعى كل نفس من الانفاس أن يضيع مع غير رب الناس رضى الله عنهم وعنا ببركاتهم (قوله فالاوقات لاصحاب القلوب) اى لكونهم قد ابتدؤا قصد التوجه والسير الى الحق تعالى مع بقائهم على الرسوم الخلقية لعدم فناء أنفسهم وقوله والاحوال لارباب الارواح اى ممن ترقى بفنائه عن النفس الامارة وتحقق بالنفس اللوامة فهم من التائبين قال تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم وقوله والانفاس لاهل السرائر اى الذين قد فنيت منهم النفوس وشاهدوا جمال الحق القدوس ووصلوا الى مقام الطهارة ولذا قد تنفسوا بدقائق العبارة ومعالى الاشارة والله أعلم (قوله أفضل العبادات عد الانفاس مع الله تعالى) اى لان شأن أربابها أنهم يحاسبون أنفسهم على أنفاسهم فيم خرجت وفيم عادت وانما كانت هذه أفضل العبادات لكونها توجب الحرص على أنواع الطاعة والخوف من الفوت والاضاعة (قوله وجعلها معادن للمعرفة به) اى حيث هي منشؤ الايمان ومنبع الايقان وقوله بعد وجعلها محلا للتوحيد اى الذى هو شهود الكثرة فى عين الوحدة فصاحب هذا المقام يشهد الخلق بالحق وقوله فكل نفس الخ اى لان شرط صاحب النفس قطعه لجميع المقامات التى هى طريق الوصلة الى الحق فاذا تنفس قبل هذه المرتبة كان كالميت بل هو أسوأ حالا من الميت لانه حينئذ متشبع بما لم ينل والله اعلم (قوله العارف لايسلم له النفس) اى ولذلك يقال فى معنى قوله جل ذكره وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أن المراد وان يوما عند ربك تكون فيه مشاهدا مقربا فذلك اليوم من هذه الحيثية كألف سنة خلت عن ذلك بل أكثر ومن ذلك قيل العمر الطويل ما كان فى الطاعة ولو نفسا والقصير ما كان فى غير ذلك وان طال به المدى والله اعلم (قوله لايسلم له النفس الخ) اى لايسلم له ضياعه فى غير الطاعة وذلك لان من ثبت له التشريف يعامل بأشق أنواع التكليف (قوله لانه لامسامحة تجرى معه) اى لانه قد قيل سيروا الى الله عرجى ومكاسير ولاتنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة فيكون كمن يقول لا أتداوى حتى أجد الشفاء فيقال له لاتجد الشفاء حتى تتداوى (قوله والنفس على ثلاث درجات)

اى لان الاحوال المتعاقبة على العبد بتصريف الحق تارة تنشأ عن الالتفات الى مظاهر الجلال فتورث القلب ضيقا فيتنفس بالتأسف و ينطق بالحزن فيتقده بذلك سراج البشائر فتارة تنشأ من تجلى نور الحق المرقى الى معاريج المشاهدة والمعاينة فلا ينطق الا بمحبوبه ولا يتفوه الا بمطلوبه وتارة تنشأ من ماء القدس الوارد باشارات الازل فتحلى الحال بتاجات هامات الانمحاق فينئذ يتلاشى العبد و يفنى عن نفسه وحالها والله اعلم (قوله وانما النفس) اى بالشطح والدلال للمحب اى الثابت فى مقام القرب ممن كوشف بالجمال ومنح عزيز الوصال ومهدت له موائد التخصيص ورونقت له معتقات التقديس فسطعت عليه سواطع الانوار ورفعت له حجب الاستار فشاهد صفات الكمال والجمال وتوج بتاج عز الدلال فهام فى جملة من هام ممن انهل من رائق المدام فغاب حسه عن الخبر والخبر وانعكست بصيرته فى البصر فقاه بالاشارات وما لا تسعه العبارات حيث هو فى ديوان الحق بالحق على كراسى منصات الصدق يترجم عن الحضرات الغيبية بلغات المشافهات القدسية هذا ما ذقته فى حضورى وفهت به مع قصورى فافهمه (قوله ومن ذلك الخواطر) اعلم انها أقسام خمسة ربانى وملكى وعقلى ونفسانى وشيطانى فالاول ما يرد على القلب بارادة الرب وهو لا يخطئ أبدا و يكون من حضرة الربوبية والحضرة الرحمانية والحضرة الالهية والفرق بينها ان الربانى يرد بالجلال والرحمانى بالجمال والالهى بالكمال والاول يمحق ويفنى والثانى يثبت ويبقى والثالث يصلح ويهدى والعبد يستعد فى الجلال بالصبر وفى الجمال بالشكر وفى الكمال بالسكينة والثلاثة للعارفين والملكى والعقلى لاهل المجاهدات والنفسانى والشيطانى لاهل الغفلات والخاطر اذا تمكن صار هما واذا زاد تمكنه صار عزما وهو يصير قبل الشروع قصدا ومع أول الفعل نية والله اعلم (قوله هى أقوال الخ) اى أقوال روحانية نفسانية ينشئها الحق تعالى اى يقدرها و يوجدها فى قلوب الخلق على حسب سابق العلم والقضاء الازلى وتلك الاقوال قد تكون من مظاهر الجمال وقد تكون من تجليات الجلال رحمة بالخلق او نقمة لهم وعذابا (قوله والخواطر خطاب الخ) المراد تحقيق معناه وما يعمل به منه (قوله وهو قد يكون الخ) أقول ذلك بالنسبة لما بعد الوجود المقيد التفصيلى فيما لا يزال والا فالامر منه تعالى واليه اذ هو الهادى جل اسمه فافهم (قوله القاء فى القلب) اى ايجاده فيه بطريق الفيض ولكن فى الغالب لا يفاض ذلك الا على القلوب المقدسة عن الحظوظ المنورة بنور الحق تعالى (قوله قيل له الهواجس) اى وانما قيل له ذلك لان فيه ميلا الى نوع من الحظوظ والشهوات فى غالب الاحوال وفى النادر يكون رحمانيا (قوله فقد يعبرون بالهاجس الخ) هذا اصطلاح آخر فى التعبير عن الخاطر والحاصل ان الخاطر يطلق على ما يشمل الجميع وذلك ما تقدم و يطلق على الخاطر الاول وهو الربانى الخ (قوله وهو الخاطر)

وانما النفس للمحب

(ومن ذلك الخواطر)

هى اقوال ينشئها الحق تعالى فى قلوب الخلق تارة بلا واسطة مخلوق وتارة بواسطة مخلوق من ملك او شيطان او نفس وقد أخذ فى بيانها فقال (والخواطر خطاب) او ما فى معناه (يرد على الضمائر) اى القلوب (وهو قد يكون بالقاء ملك و) قد (يكون بالقاء شيطان و) قد (يكون احاديث النفس و) قد (يكون من قبل الحق سبحانه) بلا واسطة (فاذا كان) القاؤه (من الملك فهو الالهام) وهو القاء معنى فى القلب بطريق الفيض (واذا كان من قبل النفس قيل له الهواجس) والتسويل والتطويع قال تعالى بل سولت لكم أنفسكم امرا وقال فطوعت له نفسه قتل أخيه والهواجس جمع هاجس وهو الخاطر

فقد يعبرون بالهاجس عن الخاطر الاول وهو الخاطر الرباني وهو لا يخطئ ابدا وقد يسمى السبب ونقر الخاطر فاذا تحقق
في النفس سمّوه ارادة فاذا تردد الثالثة سموهما ثم عزما وعند التوجه الى الفعل قصدا ومع الشروع في الفعل نية (واذا كان
من قبل الشيطان قيل له) وفي نسخة فهو (الوسواس) قال تعالى فوسوس لهما ٩٧ الشيطان (واذا كان من قبل الله سبحانه
والقائه في القلب فهو خاطر حق
وجملة ذلك من قبيل الكلام)
النفسي الملقى في الضمائر (واذا
كان من قبل الملك فانما يعلم صدقه
بموافقة العلم) الشرعي (ولهذا
قالوا كل خاطر لا يشهد له ظاهر)
من الشرع (فهو باطل واذا كان
من قبل الشيطان فاكثره يدعو
الى المعاصي) واقله يدعو الى خير
في الظاهر وهو من باب صدقك
وهو كذوب (واذا كان من قبل
النفس فاكثره يدعو الى اتباع
الشهوة او) الى (استشعار اي
طلب أكبر او) الى (ماهو من
خصائص) أوصاف (النفس)
التي قال الله فيها ان النفس لامارة
بالسوء واما أقله فيدعو الى خير كما
ذكره بقوله تعالى الا ما رحم ربي
ثم اذا عرف العبد كون الخاطر
خيرا قبله وان لم يعرف كونه من
الحق تعالى او من الملك وان علم
كونه شرا ردّه ونفاه وان لم يعرف
كونه من النفس او من الشيطان
وانما فرقوا بين خاطريهما لان
الشيطان يكفي في ردّه المخالفة
والنفس يحتاج مع ذلك الى
مخالفة شهواتها وان يقطع عنها
ملذوذاتها عقوبة لها لئلا تعود
١٣ ج ن الى ما دعت اليه (واتفق المشايخ على ان من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الالهام
والوسواس) لان ذلك لا يقع الا لمن قلت همته ولان التمييز بينهما انما يقع بدقيق النظر في الاحكام وكمال العلم بالحلال والحرام
(وسمعت الشيخ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول من كان قوته معلوما) اي معينا من جهة

اي الخاطر الجزئي المختص بالنفس فلا ينافي ما تقدم من اطلاقه على ما يكون من الحق ومن الملك وغيرهما من كل قول يفهمه الحق في قلوب الخلق (قوله قيل له الوسواس) اي وهو ما يلقيه الشيطان في قلب العبد من ملاعبات حظوظ النفس لغرض الاغواء والاضرار (قوله وجملة ذلك) اي جميع ما تقدم في معنى الخاطر هو من قبيل الكلام النفسي الكائن في الضمائر (قوله واذا كان من قبل الملك الخ) المراد التنبيه على عدم الوثوق به اتهاما للنفس حتى يعرضه على أحكام الشرع الظاهر فان وافقها فحق والا كان من الدسائس (قوله فهو باطل) اي لا يجوز العمل به وبالجملة فمدار الحق والصدق والمشروعية موافقة أحكام الشريعة فلا تغتر بما يخالفها (قوله وهو من باب الخ) اي ومن باب قولهم ايضا كلمة حق أريد بها باطل والله اعلم (قوله فاكثره يدعو الى اتباع الشهوة الخ) اي ولذلك تجد العبد يفرح بالموجود ويحزن على المفقود وذلك لا يكون الا بشاهد حظ النفس وفقدان الحقيقة وعدم النظر للاقدار لان من عاين التوحيد حصل على التسليم والرضا فلا يبقى له فرح ولا حزن ولا هم ولا غم أبدا قال تعالى ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم الآية قال الشبلي من عرف الله لا يكون عليه غم أبدا وقال السري من عرف الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل عن عيوبه فتاش والله اعلم (قوله او الى ماهو من خصائص أوصاف النفس) اي النفس الحيوانية لانها هي التي تميل الى رجس الحظوظ بخلاف النفس الانسانية فانها لا تميل الى ذلك بل الى العلوم والمعارف فقوتها وضعفها تابع لقوة القلب وضعفه والقلب تابع قوة وضعفا لقوة وضعف الروح والروح تابعة لقوة وضعف السر والله اعلم (قوله ثم اذا عرف العبد كون الخاطر خيرا قبله) اي ولا يتم له هذه المعرفة الا بالعرض على الكتاب والسنة فما وافقهما قبله وعمل به والا ردّه وذلك عام في كل خاطر سواء كان رحمانيا او ملكيا أو نفسيا او شيطانيا كما صرح به الشارح (قوله وانما فرقوا بين خاطريهما الخ) محصل الفرق الاكتفاء في الشيطاني بمجرد المخالفة لضعفه بخلاف النفسي فانه يحتاج مع ذلك الى مخالفة جميع شهواتها لقوتها (قوله لم يفرق بين الالهام الخ) اي لان أكله الحرام من جملة الموجبة لزيادة ظلماته المطفئة لعين بصيرته التي هي الفارقة بين الحق والباطل (قوله من كان قوته معلوما الخ) المراد الحث على الزهد بواسطة الانقطاع عن الاسباب حتى يتم له التفويض

(لم يفرق بين الالهام والوسوسة) لان سكونه الى جهة معينة يمنعه من النظر في كل حاله وهو تحسسه لما يرد على قلبه فمن لم يبلغ درجة التوكل والاعراض عن السكون الى الاسباب المعينة المعتادة لم ينل كمال افراغ القلب للتفريق بين الالهام والوسوسة في خواطر قلبه (و) اتفقوا (على ان من سكنت عنه هواجس) اى خواطر (نفسه بصدق مجاهدته نطق ببيان قلبه بحكم مكابدته) اى مجاهدته فالنطق المذكور ثمرتها كما يشير اليه قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (واجمع الشيوخ ايضا (على ان النفس لاتصدق) غالبا في مواعيدها السرعة خلقها وكسلها ونفرتها عن المشقات (و) على ان (القلب) بمعنى العقل (لايكذب) لان العبد اذا عرف الحق بعقله نطق لسانه بما حققه في قلبه لانه ترجمان القلب فاذا صدق صدق ترجمانه (و) لهذا (قال بعض المشايخ) لبعض تلامذته (ان نفسك لاتصدق وقلبك لايكذب ولو اجتهدت كل الجهد ان تخاطبك روحك لم تخاطبك) لانها اما جوهر اوعرض وعلى كل حال فهي معنى به حياة الجسم لاغير وانما تعلق بالمقامات العالية المشتغلة بها عن مخاطبتك فلا يصدر عنها خاطر (وفرق الجنيد رحمه الله بين هواجس النفس ووساوس الشيطان بأن النفس اذا طالبتك بشئ ألحت) عليك في طلبه لانها مائلة لكل لذيذ فاذا التذت بشئ تعلقت به (فلا تزال تعاودك) مرة بعد اخرى (ولو بعد حين حتى تصل) منك (الى مرادها) وتحصل مقصودها (اللهم الا أن يدوم صدق المجاهدة) لها فلا تصل الى مرادها (ثم انها) مع ذلك (تعاودك وتعاودك واما الشيطان) فانه (اذا دعاك الى زلة فخالفته يترك ذلك ويوسوس) لك (بزلة اخرى لان جميع المخالفات له سواء وانما يريد ان يكون داعيا) لك (أبدا الى زلة ما ولاغرض له في تخصيص) شر (واحد دون واحد وقد قيل) في الفرق بين خاطر الملك وخاطر الحق تعالى (كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه) اى الخاطر (وربما يخالفه) لان الملك اذا أمر بخير زين الشيطان للنفس الكسل والراحة وجواز

في مقام التوكل فتتزايد له الانوار فيحصل على فرق الاسرار (قوله لان سكونه الخ) محصله ان طالب المقامات ومنازلتها لا يتم له ذلك الا بالانقطاع عن الاسباب حتى يتمكن من تجسس احواله فيما يرد على قلبه من لوازم المقامات هل نفسه ساكنة مطمئنة راضية به اولا (قوله واتفقوا على أن من سكنت الخ) فيه تنبيه على تحقيق صدق المجاهدة لان ثمرتها نور في السر يظهر أثره على اللسان من ينابيع الحكم (قوله فالنطق المذكور) اى التكلم بالحكم ثمرتها اى ثمرة المجاهدة وذلك بشاهد خبر من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم وبدليل قوله تعالى والذين جاهدوا فينا اى جاهدوا أنفسهم في قيامها بطاعة ربها وقوله فينا اى في محبتنا اولاجل رضانا لنهدينهم سبلنا اى لنوصلنهم الى الطرق الموصلة الينا (قوله على أن النفس لاتصدق الخ) اى وعدم صدقها باعتبار ماطبعت عليه من قبيح الوصف وكثافة الجبلة وقوله والقلب لايكذب اى وعدم كذبه باعتبار ماطبع عليه ايضا حيث هو نوراني لطيف كيف لا وهو محل نظر الحق من العبد والله اعلم (قوله بمعنى العقل الخ) انما أتى بهذه العناية لان القلب باعتبار حقيقته وهي الجسم لا ينسب اليه صدق ولا كذب اما باعتبار ما أودع فيه من اللطيفة الانسانية فيصح ذلك (قوله لانها اما جوهر اوعرض) أقول الذى حققه الغزالي انها من الجواهر المجردة وهي على شكل اشباحها لها تعلق بالجسم تعلق حياة لاهي متصلة بالاجسام ولاهي منفصلة عنها فسبحان العليم الخبير (قوله وفرق الجنيد الخ) محصله ان مطلوب النفس لها في خصوصية لذة تطالبك به مرة بعد أخرى بخلاف مطلوب الشيطان فان غرضه منك الاغواء بأى شئ كان فاذا طالبك بشئ فخالفته فيه لم يعاودك بل ينتقل الى غيره واعلم أن من علامات الخسر في النهايات الرجوع الى النفس في البدايات لانها اذا كانت البداية بالله كانت النهاية الى الله فعلى العاقل أن يستعين عليها بالله ويفوض اليه فيما أولاه ويدوم على شكره في المنع والعطاء عسى أن يجود عليه بكشف الغطاء وقد قال ابن الجلال رحمه الله من علت همته عن الاكوان وصل الى مكونها ومن وقف بهمته على شئ دون الحق فاته الحق لانه اعز من ان يرضى معه شريكا (قوله اللهم الا ان يدوم الخ) اقول لعل ذلك لكونها ذاقت لذة المجاهدة فدائما تكون مشوقة اليها وبذلك ترجع عن مرادها والله اعلم (قوله وقد قيل في الفرق الخ) محصله حتم التحقق في خاطر الحق

فلذلك كان خاطر الملك يتردد لما يقابله من تزيين الشيطان (فاما خاطر يكون من الحق سبحانه) بخشيه لصلاح عبده (فلا يحصل خلاف من العبد له) اذ لا طمع له في منازعته لربه فيما أنشاه في قلبه لكنه انما يعرف كونه من الحق بعلمه من الشرع كما مر (وتكلم الشيوخ في الخاطر الثاني) الموافق للاول (اذا كان الخاطران من الحق سبحانه هل هو اقوى من الاول) او الاول اقوى منه او هما سواء (فقال الجنيد رحمه الله الخاطر الاول أقوى لانه) 99 سابق ولانه (اذا بقى) مع الثانى (رجع صاحبه الى التأمل) في ايهما اقوى (وهذا) اى التأمل (بشرط العلم) بالاقوى منهما وهو الآن لا يعلمه فيفوت علمه به (فترك الاول يضعف الثاني) لانه المقتضى لفوت العمل بواسطة التأمل (وقال ابن (عطاء رحمه الله الثاني اقوى لانه ازداد قوة بالاول) الذى صار مقدمة له (وقال ابو عبد الله بن خفيف من المتأخرين هما سواء لان كليهما من الحق سبحانه) ولان كلا منهما لا يرد لو انفرد (فلا مزية لاحدهما على الآخر) وانما يقوى حال العبد في نفسه لتواردهما عليه لا لان احدهما اقوى من الآخر وهذا هو الصحيح ولا يقال للاول مزية يقائه (لانا) نقول (الاول لا يبقى في حال وجود الثاني لان الآثار) والاعراض (لا يجوز عليها البقاء) اذ لو جاز بقاء العرض لكان البقاء معنى قائما به فيلزم قيام المعنى بالمعنى وهو محال كما هو مقرر في محله واعلم انه قد يزاد على الخواطر الاربعة اثنان خاطر اليقين وهو يكون مع خاطر الحق او الملك وخاطر العقل وهو يكون تارة مع خاطر النفس او الشيطان وتارة مع خاطر الحق او الملك والمشهور الاقتصار على الاربعة بجعل هذين راجعين اليها كما لا يخفى * (ومن ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين) * اليقين عند جماعة توالى العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه فهو اخص من العلم وعند آخرين هو العلم وسيأتي و (هذه) الالفاظ (عبارات عن علوم جلية) مع تفاوتها في القوة

وجواز التخلف في خاطر الملك (قوله لكنه انما يعرف الخ) اى وذلك بسبب ان الورع دائما في اتهام النفس حتى يشهد بالصدق ظاهر الشرع (قوله فقال الجنيد الخ) محصله العمل بالاول لسبقه ولزوم التأخر بواسطة التأمل في الاقوى من جهة العلم فتفوت المبادرة بالطاعة مثلا (قوله الثاني اقوى الخ) محصله العمل بالثاني لزيادة قوته بالاول على معنى انه حينئذ من قبيل يمحو الله ما يشاء ويثبت وهو وجيه (قوله لانه ازداد قوة بالاول) اقول لا يظهر الا اذا كان مثله ومن واديه ومع ذلك فيقال لا فائدة في الخلاف على أن الذى يظهر حينئذ قوة الاول بالثاني فحرر والله اعلم (قوله لان كليهما من الحق) اقول وان كان كما قال غير ان الاول مؤيد بالسبق فالظاهر ما تقدم عن الجنيد (قوله لانا نقول الاول يبقى في حال وجود الثاني) هذا من طرف القائل بقوة الاول وقوله لان الآثار الخ محصله المنع لذلك لما ذكره فتأمله (قوله بجعل هذين راجعين الخ) اقول لا يخفى خلافه (قوله ومن ذلك علم اليقين الخ) اقول علم اليقين هو ما اعطاه الدليل والخبر وعين اليقين هو ما يشاهد بالعين والنظر وحق اليقين هو مقام لا يبقى ولا يذر وقال بعضهم علم اليقين هو قبول ما ظهر من الحق وما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق وعين اليقين هو الغناء بالاستدلال عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان وفرق الشهود حجاب العلم وحق اليقين هو اسفار صبح الكشف ثم الخلاص من كلفة اليقين ثم الفناء في حق اليقين اه من منازل السائرين للسهروردى وقيل علم اليقين عقد ذهنى بلا اضطراب مطابق للواقع وعين اليقين مشاهدة بلا حجاب وحق اليقين اتحاد بعد اقتراب (قوله اليقين عند جماعة الخ) اى ونقل عن سهل ان اليقين هو الله تعالى (قوله توالى العلم بالمعلوم الخ) وقال بعضهم علم اليقين هو ما كان من طريق الاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشف والنوال وحق اليقين ما كان بحق الانفصال من لوث الصلصال بورود رائد الوصال اه (قوله فهو أخص من العلم) اى لانه علم خاص بالتوالى وهو أخص من مطلق العلم (قوله وعند آخرين هو العلم) اى هو الذى يقال في حقه العلم على جهة المبالغة فلا يقال يلزمه التهافت كما لا يخفى (قوله عبارات عن علوم جلية الخ) اى ولذا قال بعضهم اليقين اعتقاد جازم ثابت مستقر بسبب يوجبه مطابق للواقع فاذا أضيف الى النفس والعقل من هذه الحيثية فعلم اليقين او الى الروح من طريق رفع الحجاب فعين اليقين او الى

بناه على ان اليقين مقول على افراده بالتشكيك والثلاثة مذكورة فى القرآن قال تعالى لو تعلمون علم اليقين وقال لترونها عين اليقين وقال ان هذا لهو حق اليقين (فاليقين هو العلم) وهو (الذى لا يتداخل) وفى نسخة يداخل (صاحبه ريب) اى شك (على مطلق العرف) اى عرف العلماء (ولا يطلق) اليقين (فى وصف الحق سبحانه لعدم التوقيف) عليه بخلاف العلم واذا كانت الثلاثة علوما جلية (فعلم اليقين هو اليقين وكذلك عين اليقين نفس اليقين و) كذا (حق اليقين نفس اليقين) فالثلاثة بمعنى واحد لغة والاضافة فيها بيانية واما معناها ١٠٠ فى اصطلاح الصوفية فهو ما ذكره بقوله (فعلم) الاولى وعلم (اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان) اى بطريقه (وعين اليقين ما كان بحكم البيان) اى بطريق الكشف والنوال (وحق اليقين ما كان بنعت العيان) اى بطريق المشاهدة وعبر بعضهم عن ذلك بان علم اليقين هو العلم الذى لا يقبل الاحتمال وان لم يتوال على القلب وعين اليقين هو العلم المتوالى على القلب ذكره بحيث يقل الغفلات عنه وان ذكر صاحبه غيره وحق اليقين هو الذى غلب ذكره على القلب حتى اشتغل به عن ذكر غيره (فعلم اليقين لارباب العقول) الذين علموه بالبرهان (وعين اليقين لاصحاب العلوم) الذين ثبتت علومهم وتوالت على قلوبهم حتى استغنوا عن البرهان (وحق اليقين لاصحاب المعارف) الذين غلب على قلوبهم ما شغلهم عن ذكر غيرهم وهو حال الحقيقة وهى الحالة التى يغلب فيها على القلب ادراك الحق بكماله وقيل اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام وعلم اليقين للاولياء وعين اليقين لخواص الاولياء وحق اليقين للانبياء وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا صلى الله عليه وسلم (والكلام فى الافصاح عن هذا) المذكور (مجال) آخر و (تحقيقه) يعنى ملخصه (يعود الى ما ذكرناه فاقتصرنا) من ذلك (على هذا القدر) الذى ذكرناه (على جهة التنبيه) على ما لم يفصح به هنا قال الشيخ علاء الدين القونوى والظاهر ان الاولين من الثلاثة المذكورة من قبيل العلوم والمعارف والثالث من قبيل الاحوال والمقامات ثم قال

السر المبين بقوله جل شأنه وهو معكم أينما كنتم فحق اليقين تدبروا وخروج عن قيد التقليد تفهم والله اعلم (قوله عن علوم جلية) اى واضحة منكشفة للعبد انكشافا تاما لا يحتمل الظن والشك والوهم (قوله بناء على ان اليقين مقول على افراده بالتشكيك) اى يطلق على أفراده به لا بالتواطؤ اما اذا بنينا على تواطئه فى افراده فلا تفاوت لها حينئذ لان جزم القلب بذاته لا تفاوت فيه بالزيادة والنقص وما يتخيل فيه من الزيادة فهو باعتبار المجزوم به لا الجزم (قوله وفى نسخة يداخل) اى وهى الاظهر (قوله لعدم التوقيف عليه) اى لعدم ورود اطلاقه فى حقه تعالى (قوله فعلم اليقين الخ) ان قلت فما فائدة اختلاف العبارات حينئذ قلت الاشارة الى تفاوت القوة فيها (قوله الاولى وعلم) اى لعدم صحة تفريعه على ما قبله فالعطف للواو لا للفاء (قوله بشرط البرهان) اى بشاهد العلم عند ذوى الميزان (قوله وعبر بعضهم عن ذلك الخ) محصله انه جزم لا يداخله تردد وان كثرت معه الغفلات فان قلت معه الغفلات فعين اليقين وان انعدمت معه بالاستغراق فيه فحق اليقين (قوله لارباب العقول) اى من علماء الظاهر والرسوم وقوله وعين اليقين لاصحاب العلوم اى العلوم الذوقية الناشئة لهم من ثبوت اقدامهم فى المعاملات الشرعية وقوله وحق اليقين لاصحاب المعارف اى المعارف اللدنية القائمين فيما شاهدوه من الانوار الاحدية اوهم مثل يوسف والخليل على نبينا وعليهم الصلاة والتسليم حيث قال الاول عند خروجه من السجن حسبى من دنياكم دينى وحسبى من دينى ربى وقال الثانى وهو فى المنجنيق حين سأله جبريل ألك حاجة حسبى من سؤالى علمه بحالى فافهم والله اعلم (قوله وقيل اليقين اسم الخ) محصله انه يختلف باختلاف محله فهو بالنسبة للعوام من أهل الظاهر مجرد اسم ورسم لوقوفهم مع أحكام الظاهر وعدم شغل قلوبهم بكشف مجوهرات الخفاء وعلم اليقين بالنسبة لخواصهم ممن صفت ضمائرهم ودامت على المجاهدات ظواهرهم وعين اليقين هو لخواص الخواص ممن لهم مقام الاختصاص وحق اليقين هو لساداتهم من النبيين وأولى العزم من المرسلين وحقيقة هذا الحق قد اختص بها الانسان الاحق عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم

وقال بعضهم علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين حال جمع الجمع ● (ومن ذلك الوارد) ●
(ويجرى فى كلامهم ذكر الواردات كثيرا والوارد ما يرد على القلوب من الخواطر ١٠١ المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد) اى بتسبب به بل هو كلام يفهمه العبد من غير صوت كما مرت الاشارة اليه (وكذلك) يرد عليها مما (لا يكون من قبيل الخواطر فهو ايضا وارد) والوارد قد يترتب على سبب ثم ينساه العبد كان يفكر فى أمر من امور آخرته فيوجب له فكره قبضا مثلا ثم ينسى ذلك ويحس القبض وقد لا يترتب على سبب بل ينشئه الحق فى قلب العبد تنبيها على ما كان او ما يكون من قبض وبسط وسرور وفرح وغيرها (ثم قد يكون) من الواردات (وارد من الحق) تعالى (ووارد من العلم) اذا تقرر ذلك (فالواردات أعم من الخواطر لان الخواطر تختص بنوع الخطاب او ما يتضمن معناه) كما مر فى مبحثها بخلاف الواردات ومن الوارد الذى لا يعرف صاحبه سببه حين وروده ما جرى للجنيد رحمه الله أنه قال قمت ليلة الى وردى فوجدت قبضا ولم أقدر على الصلاة فأردت أن أقرأ القرآن فلم استطع ففتحت باب الدار وخرجت لبزول ما اجده فاذا برجل ملفوف فى عباءة مطروح فى الطريق فلما أحس بى قال لى الى الساعة يا ابا القاسم فقلت يا سيدى من غير موعد فقال بلى ولكن سألت محرك القلوب أن يحرك قلبك فقد فعل فما حاجتك فقال متى يكون داء النفس دواءها فقال اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها فقال لنفسه قد سمعت وقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت ان تسمعيه الا من الجنيد ثم ذهب ولم أعرفه

والتسليم (قوله وقال بعضهم الخ) أقول هو يرجع الى ما قاله القونوى فتدبره (قوله ومن ذلك الوارد) اى الذى هو أتم من الخاطر لاختصاصه بنوع الخطاب بخلاف الوارد وكل من المواهب لا يقصد بل يفجأ القلوب المنورة (قوله والوارد ما يرد على القلوب الخ) أقول والمحذر من وارد سرور عند العطاء وقبض عند المنع لان ذلك من بقايا رعونات النفس وقد نقل وهب رحمه الله تعالى خبر ومن أظلم ممن عبدنى لجنة او نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لان أطاع وفى الخبر لا يكن أحدكم كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل أقول وانما كان هذا أجير سوء لانه اساء الظن بمستعمله ولا يليق به ذلك فلم يعط الحرمة حقها ولا جعل المروءة فى محلها وفى الخبر ايضا نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فافهم (قوله بل هو كلام يفهمه العبد الخ) مراده انه قد يكون كذلك فلا ينافى ما سينكر من انه اعم من الخاطر وقد تقدم ذلك ايضا (قوله ثم قد يكون الخ) اى فوارد العلم دون وارد الحق اذ وارد العلم يوجب الفرح والسرور وطلب المزيد ووارد الحق يوجب التوجه بمحض المحبة وحق العبودية وشكر المنة لا لجلب ولا لدفع اذ هو فى استشعار شكر النعمة والاستغراق فى المنة ولهذا أشار صاحب الحكم حيث قال من عبده لشئ يرجوه منه او ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه اقول لانها تقتضى ان يطاع الله فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى لا لعلة ولا لسبب بل لحق ربوبيته وواجب العبودية له وسابق احسانه وكرمه فالعمل على الاغراض والاعواض اساءة ادب والله اعلم (قوله ووارد من العلم) انظر هل المراد العلم الذوقى او الاعم منه حيث الذوق من جملة وارد الحق (قوله فقال متى يكون داء النفس دواءها الخ) اقول تأمل يا أخى بعين الاستبصار فان الشمس لا تخفى فى رابعة النهار تجد اسباب الوصول فى طرح رجس الفضول مما جبلت عليه النفوس الخبيثة بتصبيها لمألوفاتها الخسيسة الراجعة بالفائدة على الاجسام مع هلاك الارواح على الدوام ومع قلة المعيشة الدنيوية ودوام الحياة الاخروية مع انه لا يصح ايثار الفانى على الباقى بل الاليق ان يستعد لهول ما يلاقى وذلك بعلاج هذا الداء العضال بخلاف النفس لنيل الافضال فان الخير كله فى خلافها والشر جميعه فى ائتلافها وتأمل اشارة سائل الجنيد حيث عرج على بيت القصيد بواسطة ما منح من الحكمة القلبية والتطبب بالطريقة الاحمدية بالاستمداد بالانوار المحمدية والمعاملات الاحدية وتدبر جواب المسؤل حيث هو من عين المعارف الارشادية وحقيقة الحقيقة الالهية عسى ان توفق لمثل هذا العلاج فتشمر عن ساعد الاجتهاد لتندرج فى المقربين

(والواردات تكون) تارة (وارد سرور و) تارة (وارد حزن و) تارة (وارد قبض و) تارة (وارد بسط الى غير ذلك من المعاني) * (ومن ذلك لفظ الشاهد) * هذا اللفظ يطلق حقيقة على من له شهادة لغيره او عليه وعلى المعاين للشئ ومجازا على المشاهد لغيره بمعنى الحاضر عنده او المنزل ١٠٢ منزلته كما قال (كثيرا ما يجري في كلامهم فلان بشاهد العلم) اى متلبس به (وفلان بشاهد الوجد وفلان بشاهد الحال ويريدون بالشاهد) وفي نسخة بلفظ الشاهد (ما يكون حاضر قلب الانسان وهو ما كان الغالب عليه ذكره حتى كانه يراه ويبصره واذا كان غائبا عنه فكل ما يستولى على قلب صاحبه ذكره فهو شاهده فان كان الغالب عليه العلم فهو بشاهد العلم) اى بما غلب على قلبه رؤيته ومشاهدته (وان كان الغالب عليه الوجد يقال انه بشاهد الوجد و) على هذا (معنى الشاهد الحاضر فكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك) وان لم يرك (و) قد (سئل الشبلي رحمه الله عن المشاهدة فقال من أين لنا مشاهدة الحق) اى رؤيته وانما (لنا شاهد الحق) وهو حالنا الذي يشهد لنا بمعرفته ودوام ذكره كما بينه المصنف بقوله (أشار بشاهد الحق الى) الحال (المستولى على قلبه والغالب عليه من ذكر الحق والحاضر في قلبه دائما من ذكر الحق ومن حصل له مع مخلوق تعلق بالقلب) بحيث استولى عليه (يقال انه شاهده بمعنى انه حاضر قلبه فان المحبة توجب دوام ذكر المحبوب واستيلاءه عليه وبعضهم تكلف في مراعاة هذا الاشتقاق) ومأخذ التسمية بلفظ الشاهد (فقال انما سمي) ما ذكر (الشاهد) أخذا (من الشهادة) بمعنى المعاينة

ونعمه من المحبين المحبوبين والله اعلم (قوله والواردات تكون الخ) اقول ذلك باعتبار حال السالك أما العارف فهو بالنسبة اليه تفرق ونقص اذ هو دائما في حال جمع الحقيقة لا احساس له بشئ من سرور او حزن فحينئذ يكون وارد السرور وضده من واردات العلم لا من واردات الحق كما تقدمت الاشارة اليه (قوله ومن ذلك لفظ الشاهد) اقول الذي يفهم من كلامهم في معناه انه ما يغلب على قلب الخلق من دواعي الملك الحق (قوله هذا اللفظ يطلق الخ) محصله ان له معنيين حقيقيا ومجازيا ومرادهم هنا منه المعنى المجازي يعني المشاهد لغيره الحاضر عنده وما في معناه وفيه ان الظاهر من كلام المصنف حمله على ما يكون حاضر قلب الانسان ثم يقال هو لازم لما ذكره الشارح فتأمل (قوله ويريدون الخ) محصله ان الشئ اذا غلب حضوره على القلب فهو يشاهده وان غاب عن حسه ففهم من ذلك انهم قد أطلقوا لفظ الشاهد على المعنى المجازي له (قوله ما يكون حاضر قلب الانسان) اى لان ظواهر الامور تدل على حقيقة ما في الصدور والاثر يدل على المؤثر والظاهر يدل على الباطن فما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح اثره والكلام صفة المتكلم وما فيك يظهر على فيك وأدب الظاهر عنوان أدب الباطن لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه سيماهم في وجوههم من أثر السجود ولتعرفنهم في لحن القول قال الشاعر

دلائل الحب لا تخفى على أحد * كحامل المسك لا يخفى اذا عبقا

(قوله فهو شاهدك) اى حاضرك بسبب ما يجده الانسان في سره (قوله وان لم يرك) فيه خفاء فتدبره (قوله فقال من أين لنا مشاهدة الحق الخ) محصله امتناع رؤية الحق تعالى بالبصر في هذه الدار وهو كذلك بالنسبة لغيره صلى الله عليه وسلم اما بالنسبة له فهي قد وقعت على أصح الاقوال وهذا كله بالنسبة للدنيا كما قدمنا اما في العقبى فتقع لعموم المؤمنين على حسب اختلاف درجاتهم في الفضيلة (قوله فان المحبة توجب الخ) اى ولذا قالوا من الناس من يسبق ذكره نوره ومنهم من يسبق نوره ذكره فالثاني هو المحب والاول من ذكر ليتنور قلبه فهو السالك الطالب بخلاف الثاني فذكره اضطراري (قوله توجب دوام ذكر المحبوب) اى بواسطة تجلي صفات كرم الحق على عبده والا فهو لا يليق للذكر من حيث هو ولا يقدر على تحصيله لنفسه فحصوله له من المنن الالهية قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا واعلم ان الذكر الظاهر ينشأ عن شهود باطن فانه لولا غلبة الحقيقة على القلب ما أثر الذاكر الذكر في الظاهر فافهم

(فكأنه اذا طالع شخصا بوصف الجمال) جرى هذا البعض على عادة طائفة كانوا يأخذون أجل شاب وجماعة بأجمل الثياب والهيآت ويوقدونه شمعة في حال السماع ويفحص كل منهم حال نفسه هل هو مشغول بجماله وبشريته ملتفتة اليه او مشغول عنه بما هو فيه من حال السماع بحيث سقطت بشريته عنه (فان كانت بشريته ساقطة عنه ولم يشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من الحال) المتلبس به (ولا أثرت فيه صحبته بوجه) من الوجوه (فهو) اى ذلك الشخص (شاهده على فناء نفسه) وسقوط بشريته (ومن أثر فيه ذلك) بحيث لم تسقط بشريته عنه وشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من حاله (فهو شاهد عليه في بقاء نفسه وقيامه بأحكام بشريته فهو) بما تقرر (اما شاهد له واما شاهد عليه وعلى هذا) الطريق المذموم الذى سلكه هذا البعض ولم يعهد في الصدر الاول (حمل قوله ١٠٣ صلى الله عليه وسلم رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة) اى أحسن صورة رأيتها تلك الليلة من رؤيتي صور الملائكة والانبياء وغيرهم على ما هم عليه (لم تشغلني) تلك الرؤية (عن رؤيته تعالى بل رأيت) في تلك الحالة (المصور في) حال (الصورة) التي رأيتها (والمنشئ في) حال (الانشاء) الذى رأيته ولم أشتغل بالصورة والانشاء (يريد بذلك رؤية العلم لا ادراك البصر) وهذا الطريق المذموم يستغنى عنه بأفضل العبادات وهي الصلاة فان الداخل فيها يجد ما يجده من ذلك الشخص بأن يفحص فيها نفسه هل هو مشغول فيها برؤية ربه وكمال مناجاته او مشغول بصورتها متفكر في سوء عاداته وشهواته وأما ما حملوا عليه الخبر مما ذكر فبعيد اذ لا خصوصية له صلى الله عليه وسلم بذلك في تلك الليلة على سائر أحواله في الارض فانه في سائرها ناظر الى ربه لا يشغله شئ من الصورة الجميلة عنه بل ان صح الخبر فمدلوله ان رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه كانت في أحسن صورة هو عليها لانه تعالى خلق له من الادراك الذى رأى به ربه المنزه عن الاجسام والجهات والصور والهيآت ما لم يطلقه له قبل فتلك الصورة راجعة الى حاله صلى الله عليه وسلم التي خصه بها ربه من الادراك الشريف الذى يخلقه لاوليائه في الدار الآخرة ويخصصهم به وتكون الصورة معنوية لا محسوسة

(قوله على عادة طائفة الخ) اقول هي وان كانت تظهر ما عليه الانسان من بقاء بشريته او فنائها غير ان فيها تعرضا لمجالي الشبه ومظانها وقد نهينا عن ذلك فهي بهذا الاعتبار من شؤم العادات والله اعلم (قوله وعلى هذا الطريق المذموم) اى شريعة وطريقة وحقيقة لما تقدم ايضاحه فلا تغفل (قوله حمل قوله صلى الله عليه وسلم الخ) اقول ما درج عليه المؤلف في تفسير هذه الجملة دعاه اليه اعتبار حال الوجود المقيد والا فلو خرجه على حالة الوجود المطلق لم يحتج الى ما ذكره اذ الكائنات باسرها كانت في غيب الغيب باشارة خبر كنت كنزا مخفيا فلما اقتضت الحكمة العلية افاضة المظاهر على الاسماء والصفات كان ما كان بسر أن أعرف فافهم ولا تكن أسير التقليد قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله فمن اتسعت عليهم أرزاق العلوم والمعارف هم الواصلون قد أنفقوا على قدر ما وصل اليهم وذلك بحكم وقتهم ومن قدر عليه رزقه هم السالكون أنفقوا بحسب ما وصل اليهم وذلك حكمهم لا يكلف الله نفسا الا وسعها وفضل الله مرجو للجميع سيجعل الله بعد عسر يسرا فافهم (قوله بل رأيت في تلك الحالة المصور الخ) اى رأيت الخالق والموجد في حال الصور على معنى انه لم يقف مع الصور بل شهد في حال رؤيتها انها قائمة بالحق فلم يشهدها في حال الغفلة عن أوجدها ولذا قال يريد بذلك رؤية العلم اى الذى هو مصباح القلوب تمشي به في ظلمة الاغيار فترى المنافع والمضار ويبصر الحق والحقيقة ثم ذلك الابصار يوصل الى الايمان به ينتهي الى درجة العرفان حتى يصل الى مقام الاحسان ولذا قال كعب من أراد خير الدنيا والآخرة فليكثر من الفكر (قوله يستغنى عنه الخ) اى مع ما فيه من خطر من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (قوله كانت في أحسن صورة) اى حالة من حالاته صلى الله عليه وسلم حيث اقدره الحق على رؤية من لا تدركه الابصار بقوة لم تقع له في غير تلك الليلة ولا لغيره مطلقا (قوله باسكان الفاء) احترز بذلك عن النفس محركة الفاء فان

* (ومن ذلك النفس) * باسكان الفاء (نفس الشئ في اللغة وجوده)

وتطلق على الحقيقة يقال نفس الجوهر ونفس العرض ونفس العلم ونفس الجهل اى حقيقة كل منها وعلى الدم كقول الفقهاء ماله نفس سائلة اذا وقع فى مائع نجسه وعلى القالب الموضوع وهو الجملة (وعند القوم) اى الصوفية (ليس المراد من اطلاق لفظ النفس) على شئ (الوجود ولا القالب الموضوع) بفتح اللام (وانما أرادوا بالنفس ما كان معلولا من أوصاف العبد ومذموما من أفعاله وأخلاقه) وكثيرا ما يعبرون بها عن مبدا الصفات المذمومة لقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء ولذلك عدت اعدى عدو الانسان لصعوبة الخلاص من شرها الاترى ان الانسان اذا صالح سائر الاعداء أمن من شرهم وان صالح نفسه أهلكته ولذلك كان جهادها الجهاد الاكبر (ثم ان المعلولات من أوصاف العبد) الشاملة لافعاله واخلاقه (على ضربين احدهما ما يكون مكتسبا له كمعاصيه ومخالفاته) لامر ربه كالزنا والسرقة وشرب الخمر والغيبة (والثانى اخلاقه الدنية) التى طبع عليها كالجبن والجراءة والميل للذيذ والنفرة عن الكريه (فهى فى انفسها مذمومة) ومع ذلك (فاذا عالجها العبد ونازلها) اى نزلها واتقل فيها (تنتفى عنه بالمجاهدة تلك الاخلاق على مستمر العادة) اى على العادة المستمرة وان لم يتغير الطبع وهو الميل لكل لذيذ والنفرة عن كل كريه فالنفس بطبعها تميل الى الدنيا لكونها لا تعرف حسنا غيرها فاذا عرفت نقصها وعيبها عن الخيرات نفرت عنها فالذى كان لذيذا لها صار كريها لها وطبعها لم يتغير وانما تغير ظنه باللذيذ والكريه وكذلك من نظر الى الاعمال الصالحة ومشقة القيام بها يجد نفسه نافرة عنها فاذا عرف ما يترتب عليها من الفوائد مال اليها وكره تركها فالذى كان كارها له صار مائلا اليه والطبع لم يتغير

المراد به على ما تقدم الوظائف الوقتية لحق الحق او نفس الوقت باعتبار الواقع فيه من تلك الوظائف وكثيرا ما تراهم يعتبرون الوقت ومن ذلك ما حكى عن الجنيد من قوله الوقت أعز شئ واذا فات لا يستدرك وانشدوا فى ذلك حيث قال قائلهم

السباق السباق قولا وفعلا * حذر النفس حسرة المسبوق

وقال الجنيد ايضا ادركت اقواما كانوا على اوقاتهم اشد منكم حفظا على دنانيركم ودراهمكم وقال على كرم الله وجهه بقية العمر ما لها ثمن يدرك به ما فات ويحيا به ما مات فكل نفس يقتضى تجليا والتجلى يقتضى عبودية وتلك العبودية تقتضى عبادة فالعبد فى كل نفس سالك طريقا الى الحق بنوع من السلوك ولذا يقال الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق فما من نفس جديد الا ولله فيه سر جديد وامر أكيد مثل شكر النعمة او التوبة من الذنب او الصبر على البلية او حمد الله على الطاعة فالاوقات مستحقة لما وجد فيها من حق الحق فلا يصح لعامل الاشتغال بغيرها من حق النفس او حق الخلق اذ حق الجميع صورى ثم اقول وان تقدم بعض هذا فى محله فاعادته لمناسبة ما زيادة فوائد لا تخفى على ذى بصيرة (قوله وتطلق على الحقيقة الخ) محصله انها تطلق على ثلاثة امور على الحقيقة والماهية وعلى الدم وعلى القالب والشخص المعين ولكن لا يريدون من النفس الا ما كان معلولا من الاوصاف البشرية والافعال بمقتضى الاخلاق الطبيعية وذلك منهم فى الغالب والاقصد يريدون من النفس ذاتها من حيث انها منشأ الصفات الذميمة كما سيوضحه الشارح (قوله وعلى القالب الموضوع) اى الجسم القائم على شكل مخصوص (قوله ما كان معلولا الخ) اى ذا علة اى صفة ذميمة (قوله ولذلك) اى لاجل كونها مبدأ الصفات المذمومة وقوله ألا ترى الخ دليل لعدها من أعدى عدو الانسان وقوله ولذلك اى لما تقدم من عدها من أعدى عدو الانسان ودليله كان جهادها الجهاد الاكبر (قوله أهلكته) اى لان صلحها لا يكون الا بالاسترسال معها فى شهواتها ومألوفاتها الخسيسة (قوله والثانى اخلاقه الدنية الخ) أقول ومنها باعتبار حال المحققين البسط والقبض بحسب ما وجد وفقد وذلك للوقوف مع لذة النعمة وألم النقمة وهو نقص فى المشاهد قال صاحب الحكم انما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه مع ما فى النعمة من خطر الغرور قلت لانك لو فهمت عنه لتسليت بما فهمته من بره ومنعه اذ الكل منه رحمة وكرامة ولطف وبالجملة فمن علم ان الله تعالى رحيم به ومتفضل عليه ولطيف به لم يتأثر بنعمة فرحا ولا بنقمة ألما بل يرجع عن نظره الى من له الامر كله والله اعلم (قوله فاذا عالجها العبد الخ) اى عالجها وداواها بالقيام عليها بسياسة التعلم

والتفهم

(والقسم) اى الضرب (الاول من أحكام النفس مانهى عنه نهى تحريم أونهى تنزيه واما القسم) اى الضرب (الثانى من قسمى النفس) تفنن فى العبارة والا فالمناسب أن يعبر فيهما بقوله من أحكام النفس او بقوله من قسمى النفس (فسفساف الاخلاق والدنىء منها) العطف فيه للتفسير (هذا حده) اى الثانى (على الجملة ١٠٥ ثم تفصيلها) اى واما تفصيل الجملة (فالكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من الاخلاق المذمومة وأشد أحكام النفس وأصعبها) فى ذاتها (توهمها ان شيأ) يصدر (منها حسن اوأن لها استحقاق قدر ولهذا عد ذلك من الشرك الخفى) وهو ظاهر (ومعالجة الاخلاق وترك النفس وكسرها أتم) اى أشد (من مقاساة الجوع والعطش والسفر) وفى نسخة والسهر (وغير ذلك من المجاهدات التى تتضمن سقوط القوة وان كان ذلك ايضا من جملة) معالجة (ترك النفس) وكسرها والنفس والروح والقلب والسر والعقل عند محقق الصوفية بمعنى واحد وهو ما يفارق الانسان بموته من اللطيفة الانسانية والحقيقة الربانية ومن هؤلاء الغزالى حيث قال النفس يقال للدم وللحقيقة الربانية والعقل للعلم وللحقيقة الربانية والسر لما يكتم وللحقيقة الربانية والقلب للحم الصنوبرى الشكل وللحقيقة الربانية والروح للبخار الذى فى جوف هذا الشكل وللحقيقة الربانية وفرق جماعة منهم المصنف بينها كما يعلم مما هنا مع ما يأتى

فالنفس على ماقدمه هى الاوصاف والاخلاق المذمومة (ويحتمل ان تكون النفس لطيفة مودعة فى هذا القالب هى محل الاخلاق المعلولة كما ان الروح لطيفة مودعة فى هذا القالب هى محل الاخلاق المحمودة

والتفهم فى عواقب المستلذات والراحات التى تميل اليها النفس بحسب ما جبلت عليه وعلم فوائد التنزه عن ذلك وثمرات المجاهدات فى العبادة فربما ينعكس عند ذلك ظن حسن اللذة والراحة بشاهد العلم والتطبع الذى اذا دام قد يكون كالطبع (قوله والقسم اى الضرب الاول) يعنى به ما يكون كسبا للعبد كمعاصيه (قوله مانهى عنه نهى تحريم) اى الشامل للصغائر والكبائر وقوله نهى تنزيه اى وهو المكروه فى حكم الشرع (قوله واما القسم الثانى الخ) يعنى به أخلاق العبد الدنية (قوله فسفساف الاخلاق الخ) المراد به ما يعد نقصانا فى الكمال وان لم يرد فيه نهى شرعى (قوله فالكبر الخ) هو وما عطف عليه تفصيل لما يكون كسبا للعبد (قوله توهمها ان شيأ الخ) اى لان ذلك من نوع الكبر وظاهر ذلك وان كان العبد مستعملا نفسه فى طاعة ربه لان المدار على القبول وهو غيب عنه واعلم أن عدم القبول منع مصحوب بعطاء وعطاء مصحوب بمنع فمادا الكل منعا فلا عبرة بعمل لا قبول فيه فاذا أراد العبد تحصيل سبب القبول فعليه بالاخلاص مع اتقان العمل على طريق اتباع الحق والصدق (قوله أتم الخ) اى أتم فى طريق الوصول الى المقصود وذلك بين حيث الخير كله فى مخالفة ما جبلت عليه النفس (قوله هى الاوصاف والاخلاق المذمومة) باعتبار أنها مبدؤها أقول ومن ذلك يعلم ان من ادعى محبة الله وانفسه بقية فدعواه زور وبهتان اذ المحب ميت بين يدى محبوبه ولذا قيل المحبة ان تهب كلك لمن انت له محب حتى لا يبقى لك منك شئ اذ العزيز يأبى ذل المشاركة ورحم الله ابن الفارض حيث يقول

انت القتيل بأى من احببته * فاختر لنفسك فى الهوى من تصطفى

(قوله لطيفة مودعة الخ) اى سر من اسرار الله تعالى اودعه اى جعله وديعة مردودة لمالكها وقت انقضاء ما اقت لها من الزمان (قوله هى محل الاخلاق المعلولة) اى المذمومة فى نظر الشرع وانما سميت معلولة لان التعلق بها لاجل حظ النفس والهوى (قوله هى محل الاخلاق المحمودة) اقول كيف لا تكون كذلك وهى مناط العلوم والمعارف بجلى الفكرة المستقيمة وهى أنواع فكرة تفيد التصديق والايمان وتجرى فى دلائل الصنع طلبا للبرهان الحق وفكرة فيما دل عليه الايمان من لوازمه بعد تحققه كالفكرة فى عظمة الله وشرف رسوله وما جاء به وفكرة تقتضى الشهود والعيان وهى فيما يهدى لذلك من عظمة الله سبحانه ووجوه تصريفه فى خلقه بقضائه وحكمته وفكرة ناشئة عن شهود الحقيقة ومرجعها لجولان القلب فى بساط التعظيم والاجلال من اشهاد الشهود وكشف الوجود حتى يرى كلا بحكمة على وجه لا تقدير فيه ولا قياس

ويعبر عن هذا بأن الروح جوهر نورانى علوى ربانى والنفس ظلمانية سفلية شيطانية واما القلب فتقلب بينهما فالروح طيبة شأنها الموافقة والنفس خبيثة شأنها المخالفة والقلب ان مال الى الروح اتصف بصفتها وانقهرت النفس معهما او الى النفس فبالعكس (وتكون الجملة) اى جملة الانسان (مسخرا بعضها لبعض والجميع انسان واحد) ولا يؤثر فى الفرق بينهما اشتراكهما فى اللطافة كما نبه عليه بقوله (وكون النفس والروح من الاجسام اللطيفة فى الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة) فى انه لا يؤثر فى الفرق بينهما واللطافة فيما ذكر كلطافة الهواء فى البدن والزبد فى اللبن والدهن فى الجوز ونحوه (وكما يصح ان يكون البصر) اى العين (محل الرؤية) للمرئيات (والاذن محل السمع) للمسموعات (والانف محل الشم) للمشمومات (والفم) الاولى والحلق او اللسان (محل الذوق) للمذوقات (و) مع ذلك (السميع والبصير والشام والذائق انما هى الجملة التى هى الانسان فكذلك محل الاوصاف الحميدة ١٠٦ القلب والروح ومحل الاوصاف المذمومة النفس والنفس جزء من هذه الجملة والقلب جزء من هذه الجملة والحكم) بجملية الاوصاف لها (والاسم) وهو لفظ المحل (راجع) كل منهما (الى الجملة) وهذا باعتبار العرف كما يقال للجالس فى بقعة من المسجد انه جالس فى المسجد والا فالتحقيق ان المعنى اذا قام بجزء استحال رجوع حكمه واسمه لغيره

•(ومن ذلك الروح الارواح مختلف فيها عند اهل التحقيق من اهل السنة) والجماعة (فنهم من يقول انها الحياة) فقط ورد بأن الحياة عرض والعرض لا يبقى زمنين كما مر ومنهم من يقول انها مما استأثر الله بعلمه لقوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وتقدم فيها أوائل الكتاب زيادة على ذلك (ومنهم من يقول) وهم جمهور المتكلمين (انها أعيان مودعة فى هذه القوالب لطيفة أجرى الله سبحانه العادة بخلق الحياة فى القالب مادامت الارواح فى الابدان) وعليه جرى المصنف فيما مر فى المبحث السابق ويعبر عنه بانها جسم لطيف يشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر فالروح هو الذى يفارق الانسان بموته ويقبضه الملك ويكون فى عليين للسعداء وفى سجين للاشقياء وفى حواصل طير خضر للشهداء كما جاءت به الاخبار (فالانسان حى بالحياة) القائمة به (ولكن الارواح مودعة فى القوالب ولها ترق) اى صعود عن البدن (فى حال النوم ومفارقة للبدن) حينئذ العطف فيه للتفسير (ثم) بعد مفارقتها للبدن لها (رجوع اليه) وفى نسخة اليها اى القوالب (و) يقول (ان الانسان هو الروح والجسد) معا (لان الله سبحانه سخر هذه الجملة بعضها لبعض) كما مر

ثم لكل فريق طريق يكون بحسب ظهور التحقيق والله اعلم (قوله ويعبر عن هذا الخ) محصله ان الروح باعتبار كونها نورانية علوية ربانية من عالم الامر طيبة لا تدعو الا الى الطيب وأن النفس باعتبار كونها ظلمانية سفلية شيطانية من عالم الخلق خبيثة لا تدعو الا الى الخبيث وان القلب باعتبار توسطه بينهما ان مال الى الروح زاد قهر النفس بهما او الى النفس كان الحال بالعكس (قوله جوهر) اى مجرد على شكل القالب غير متصل ولا منفصل (قوله نورانى) اى من عالم النور فهى من عالم الامر لا من عالم الخلق (قوله مسخرا بعضها لبعض) اى حركة البعض تتبع حركة البعض الآخر (قوله وكون النفس والروح الخ) مراده أن كونهما من الاجسام اللطيفة ككون الملائكة والشياطين بهذه الصفة وقوله فى انه الخ بيان لوجه التشبيه (قوله وكما يصح ان يكون البصر الخ) اى فكما أن القوى المذكورة فى محال مخصوصة والمدرك بواسطتها الجملة فمثلها النفس والروح واعلم ان تخصيص القوى بهذه الحواس كل قوة بحاسة مخصوصة انما هو باعتبار عالم التركيب المقيد والحال ان العارف قد يخرج عنه الى فضاء عالم الاطلاق وحينئذ لا يتقيد ادراكه بقوى تلك الحواس على ما كانت عليه فى عالمها المركب المقيد بل قد يسمع ويبصر ويذوق ويشم بحاسة واحدة او بغير حاسة أصلا وتدبر قول عاشق وقته العارف ابن الفارض قدس الله سره

سقتنى حميا الحب راحة مقلتى • فكأسى محيا من عن الحسن جلت

تعلم ما ذكرته لك والله اعلم (قوله فنهم من يقول انها الحياة فقط) محصل ما ذكره ثلاثة أقوال فقيل هى عرض وقيل جوهر مجرد وقيل بالوقف (قوله انها أعيان الخ) ذلك

(والحشر يكون للجملة والمثاب والمعاقب الجملة) وفسر الاطباء الروح بانها بخار لطيف وقسموها الى ثلاثة أقسام روح حيوانى محله القلب حامل للقوى الحيوانية التى بها تكون الحياة وروح نفسانى محله الدماغ حامل للقوى النفسانية التى بها يكون الاحساس والحركات وروح طبيعى محله الكبد حامل للقوى الطبيعية التى بها يكون التوليد والتغذية والتنمية وهذه كلها أجسام لطيفة (والارواح مخلوقة) لكونها من الجملة المخلوقة (ومن قال بقدمها) من القائلين بالحلول (فهو مخطئ خطأ عظيما) (الاخبار) التى فيها وصفها بالهبوط والعروج والتردد فى البرزخ (تدل على انها أعيان لطيفة) ع ان المقصود منها هنا آثارها وهو المعنى الذى له تعلق بالمشاهدات وبالاطلاع على المغيبات وحصول الانس بالله والقرب منه واعلم أن فى كل جسد روحين احداهما روح اليقظة وهى التى مادامت فى الجسد كان متيقظا فاذا فارقته نام ورأت المرائى ثانيتهما روح الحياة وهى التى مادامت فى الجسد كان حيا فاذا فارقته مات فالنوم انقطاع الروح عن ظاهر البدن فقط والموت انقطاعها عن ظاهره وباطنه والروحان فى باطن الانسان وقد يكون فى باطنه روح ثالثة وهى روح الشيطان واحدة اللطيفة الانسانية لكنها تختلف باعتبارات مختلفة ومقرها الصدر لقوله تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس ولا تموت أرواح الحياة بل ترفع الى السماء محبسة لكن لا تفتح أبوابها الارواح الكفار ثم اذا نزلت تكون فى القبور مجردة عن الاجساد منعمة بالثواب او معذبة بالعقاب نبه على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام وقد أخذ فى الاية بظاهرها من بقاء الصدور على معناها وأكثر المفسرين على ان المراد بها القلوب كما فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك (ومن ذلك السر) وهو عند القوم (يحتمل انها) وفى نسخة انه (لطيفة مودعة فى القالب كالارواح واصولهم تقتضى انها محل المشاهدة كما ان الارواح محل المحبة

بمعنى قولهم جوهر مجرد (قوله وفسر الاطباء الروح الخ) أقول ان ذلك مبنى على حدسيات وظنون ضعيفة والا فلا مجال لتحقيق ذلك بالعلم (قوله والارواح مخلوقة الخ) اى الثبوت ذلك بالشرع والعقل كما هو معلوم من فن اصول الدين (قوله وهو المعنى الذى الخ) أقول يعنى بذلك صفة أهل الشهود والاستبصار ممن شهدوا الحق فعرفوه واستبصروا عن التحقيق فأبصروه فكانوا تارة يمشون فى الخلق بنور الحق وتارة بنور الحقيقة قال أبو العباس الحضرمى وهؤلاء هم القائمون فى كل شئ وهم معدن أسرار الله فى الخليقة وعلومهم ومعاملاتهم قد ارتفعت عنها حجب التقصير وبادرالنهم منهم انخرقت حجب أنوار التوحيد ونفذت بصائرهم بالنظر فى حقائق تجريد التفريد فأنوارهم قد علت نور الوجود وسرهم قد ظهر فيه شعاع لبعض خواص أهل الشهود فهم شاهدون مشهودون اه (قوله واعلم أن فى كل جسد روحين الخ) ويدل له قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الاية (قوله واحدة اللطيفة الانسانية الخ) يشير الى أن التقسيم والاختلاف بحسب أمر اعتبارى والا فهى واحدة فى ذاتها (قوله ومن ذلك السر الخ) اعلم أن الوصول فى عبارة القوم بهذا السر فالمراد به وصول القلب للعلم بجلال الله وعظمته على وجه يباشر حقيقة القلب وذلك بواسطة هذا السر فيجرى معناه فى الجوارح من غير توقف ولا اختيار والناس فى ذلك متفاوتون وان اتفقوا فى أصل الحقيقة قال فى عوارف المعارف كل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق فهو فى رتبة الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال فيفنى عنده فعله وفعل غيره فيخرج عن التدبير والاختيار ومنهم من هو فى مقام الهيبة والانس لما يكاشف به من مطالعة الجمال والجلال بتجلى الصفات ومنهم من ترقى الى مقام الفناء بتجلى الذات وهو لخواص الخواص المقربين وفوق هذه رتبة حق اليقين ويكون من ذلك فى الدنيا لمحة وهو سريان نور المشاهدة فى كلية العبد حتى يحظى بها روحه وقلبه بل وقالبه وذلك من أعلى مراتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد من هذه الاحوال الشريفة انه فى أول المنزل فاين الوصول هيهات هيهات والله أعلم (قوله وفى نسخة انه الخ) اى فالتأنيث باعتبار اللطيفة والتذكير باعتبار لفظ السر (قوله واصولهم تقتضى انها محل المشاهدة) اعلم أن المشاهدة والعيان رتبة نورانية من وراء الظلمانية والبيان مدارها على تحقيق الامر

والقلوب محل للمعارف) قال العلامة علاء الدين القونوى والظاهر أنها اسماء لحقيقة واحدة وهى اللطيفة الانسانية لكنها تختلف باعتبارات مختلفة (وقالوا) أيضا (السر ما لك) لكونها من الجملة المخلوقة (عليه اشراف) واطلاع (وسر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق سبحانه) لغفلة صاحبه عنه ١٠٨ لكمال شغله بمن أسره (وعند القوم على موجب مواضعاتهم) اى اصطلاحاتهم (و) على (مقتضى اصولهم السر) بحيث يخفى على الانس والجن والملك (ألطف وأشرف (من الروح والروح أشرف من القلب) باعتبار شرف آثارها اذ أثر القلب العلم وأثر الروح المحبة وأثر السر المشاهدة لان الشئ انما يحب بعد العلم به واذا أحب تعلقت الهمة به ودام النظر الى مشاهدته فكانت المشاهدة فوق المحبة والمحبة فوق العلم (و يقولون) أيضا (الاسرار معتقة عن رق الاغيار من الآثار والاطلال) جمع طلل وهو ما شخص من آثار الدار (و يطلق لفظ السر) أيضا (على ما يكون مصونا) اى محفوظا (مكتوما بين العبد والحق سبحانه فى الاحوال) اى الواردات على العبد قالوا فمن لم يكن بينه وبين الله سر فهو مصر والاولى قول غيره من قال السر مختص بمن طهر قلبه من كل نقص (وعليه يحمل قول من قال اسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم و) قول الذين (يقولون صدور الاحرار قبور الاسرار و) قول الذين (قالوا لو عرف زرّى سرى لطرحته فهذا طرف من تفسير اطلاقاتهم) الالفاظ المذكورة فى هذا المبحث وغيره مما مر (و بيان عباراتهم   الاخفاء فيما انفردوا به من ألفاظ ذكرناها على شرط الايجاز) والاختصار (ولنذكر الآن أبوابا فى شرح المقامات التى هى مدارج) اى طرق (أرباب السلوك ثم) نذكر (بعدها أبوابا فى تفصيل الاحوال على الحد الذى يسهله الله تعالى بفضله ان شاء الله تعالى

حتى كأنه رأى العين لا يحتاج الى دليل ولا برهان ولقد قال بعضهم يخبر عن نفسه كبر العيان على حتى انه صار اليقين من العيان فلكل فريق طريق (قوله انها محل المشاهدة) اى حق اليقين وقوله كما ان الارواح محل المحبة اى الميل الكلى بالكلية وقوله والقلوب محل المعارف اى باعتبار اللطيفة الغريزية النورانية (قوله قال العلامة علاء الدين الخ) أقول هو المتعين اذ لا دليل على حقيقة هذا التقسيم (قوله وقالوا أيضا الخ) محصله أن السر هو الذى يمكن الاطلاع عليه من مقدور العبد وسر السر هو ما استأثر الله بعلمه هذا ما يظهر من عبارة المؤلف والذى يفهم من قول الشارح لغفلة صاحبه عنه الخ ان سر السر يمكن اشراف العبد عليه فحرره والذى ظهر لى من مجموع كلام المتن والشارح ان السر ما يمكن العبد أن يصل اليه بكسبه وسر السر ما لا يمكنه الوصول اليه الا باعانة مولاه لكونه من الغيوب التى لا تحصل الا بالهبات الالهية (قوله وعند القوم الخ) محصله ان السر فوق الروح والروح فوق القلب فى الشرف وذلك لان متعلق القلب علم الرب بالالطاف فاذا دام ذوق ذلك العلم مالت الروح بالمحبة له لانها جبلت على حب من أحسن اليها ثم اذا ثبت القدم فى مقام المحبة دامت المشاهدة لذلك المحبوب وما يختصه به من عالم الغيب والشهادة فكانت بهذا الاعتبار مترتبة فى الشرف على الوجه المذكور والله أعلم (قوله الاسرار معتقة) اى محررة ومخلصة باعتبار سابق العناية أزلا باعانة بارئها عن رق الاغيار اى بحيث الركون اليها والوقوف معها (قوله والاطلال) اى معتقة ومحررة عن الشغف بها بل هى مشغوفة ومتعلقة بحب ساكنها كما يشير اليه قول قائلهم

وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

(قوله و يطلق لفظ السر أيضا الخ) أنت خبير بأن ما تقدم يشمله و يعمه حيث هو من جملة ما للعبد عليه اشراف وانما نص عليه اهتماما به (قوله على ما يكون مصونا) اى فهو على ما تقدم من اللطائف الالهية وعلى ما هنا من الواردات الانفسية والله أعلم (قوله فمن لم يكن بينه و بين الله سر فهو مصر) اى فمن لم يكن له جانب معه تعالى لا يطلع عليه أحدا من الغير والسوى فهو مصر على الجفاء بعيد عن الوفاء (قوله اسرارنا بكر) أى بسبب عدم ولوج الاوهام فيها على حسب القسمة والتقدير وقوله لم يفتضها اى لم يطرقها نوع من أنواع الاوهام الجائزة فى حق غير المحفوظين * (قوله صدور الاحرار) مراده المطهرون من رجس الحظوظات وقوله قبور الاسرار أى هى مثل القبور فى مطلق

الاخفاء وسترما اشتمل عليه

(باب التوبة)

(باب التوبة)

اعلم وفقنى الله واياك ان المقصود من التوبة خروجك عن كل ما يحجبك عن الحق من الذنوب وهى ثلاثة أقسام ذنوب الاعمال المتعلقة بالجوارح التى منشؤها القالب والنفس الامارة وذنوب الاحوال وهى المتعلقة بالقلب والروح والسر وذنوب الوجود المتعلقة باللطيفة الانانية الانسانية المختفية فى الهيكل المخصوص الانسانى المحتجب بهذا الوجود عن شهود نور الانوار وهذا آخر حجب تلك اللطيفة الانانية فى طور الخفاء لان الحجاب هو ما يحجب عن الحق من الدنيا والآخرة حتى نفس وجود العبد فطالب المعراج الاقدس يسلك هذا السبيل الانفس ويهدى الله لنوره من يشاء من عباده وانما قلنا فى الاول التى منشؤها القالب والنفس الامارة لان النفس محل تراكم الظلمات ومبدا قبيح الشهوات وفى الثانى قلنا المتعلقة بالقلب والروح والسر لانها وان كانت نورانية قد يطرأ عليها ادناس الاوساخ من غلبة مذموم الصفات كالوقوف مع استحسانها والعكوف على ملاذها مع الغفلة عن مضها وانما أضفنا الذنوب للوجود لقولهم وجودك ذنب لا يقاس به ذنب * وانما كان كذلك لان الشخص اذا رأى له كونا ووجودا كان هذا من الحجب المانعة له من الوصول الى حضرة الحق تعالى فحذر اليك ان تركب مطية المعصية العرجاء فتنقطع فى مسافة الطريق العوجاء بل سابق بالسير القويم على الصراط المستقيم فالحق انما أمرك بالتوبة ليطهرك من التدنيس ويلبسك أوصاف التقديس فألق من أوصافك الذميمة وتخلق بالحميدة الحميدة شعر

قد رشحوك لامر لو فطنت له * فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

فاياك وترك التوبة فعلامة الفلاح اتباع طريقة الصلاح واياك أن تبنى قلعة الاعمال على غير أساس التوبة فتكون كمن بنى على شفا جرف هار وتوبة العوام من الهفوات وتوبة الخواص من العادات وتوبة خواص الخواص من السوى والاغيار والركون الى المقامات والانوار ولا تأمن بعد التوبة الصادقة وان أتتك بشائر القبول فانه سبحانه لا يسئل عما يفعل وأنت المسؤل قال تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فقد أسقط اسم الظلم عن التائب ثم للتوبة شروط وحقائق وسرائر فشرائطها ثلاثة الندم والاعتذار والاقلاع وحقائقها ثلاثة تعظيم الجناية واتهام التوبة وطلب اعذار الخليقة وسرائر تلك الحقائق ثلاثة تمييز التقية من الغرة ونسيان الجناية والتوبة من التوبة أبدا لان التائب داخل فى الجميع من قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فأمر التائب بالتوبة قال فى عوارف المعارف التوبة أصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال وهى أول المقامات وهى بمثابة الارض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له ثم اعلم ان من أصول التوبة العلم بالذنب ليصح قصد

هي أصل كل مقام ومفتاح كل حال فمن لا توبة له لا مقام له وهي كما يؤخذ مما يأتي لغة الرجوع من شيء الى آخر وشرعا الرجوع في الواجبة عن الذنب بأن يقلع عنه ويندم عليه ويعزم على أن لا يعود اليه ويرضي الآدمي في ظلامته ان تعلقت به وفي المندوبة عن البطالات والمباحات الى الطاعات او عن أدنى المندوبات الى أرفعها في الدرجات ومنه قوله تعالى نعم العبد انه أوّاب اى رجاع الى طاعة الله ويقال للتوبة الاوبة والانابة لكن باعتبارات تأتي وبكل حال فهي مطلوبة (قال الله) سبحانه و) تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) اى تفوزون بالمقصود وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وقد (أخبرنا) الامام (ابو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله قال أخبرنا أحمد ابن محمود بن خرزاذ) بضم المعجمة وتشديد الراء ثم بالزاى المعجمة بعد الالف (قال حدثنا محمد بن فضل ابن جابر قال حدثنا سعيد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن زكريا قال حدثني ابي قال سمعت انس ابن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ثم تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

الاطلاع عنه والعلم بالرب الذي خالقته بأن تعلم جلاله وعظمته فتخشاه وجماله ورحمته فترجوه وستره وحلمه فتشكره ونظره واطلاعه فتستحي منه ونداءه واستدعاءه لك فتحبه وسعة جوده وكرمه فلا يعظم عندك ذنب وكبرياءه وعظمته فلا تستخف بذنب الى غير ذلك من أنواع المعارف وقولنا فيما تقدم ان التوبة أصل كل مقام لانها مجلاة النهايات تظهر فيها امارات النصح كظهور الصور في المرآة والمدار على الصدق فيها حتى يقال من شرفت بدايته أشرقت نهايته من كانت بدايته أحمد كانت نهايته أكمل من كانت بدايته أصح كانت نهايته أوضح على قدر أهل العزم تأتي العزائم * هذا واعلم أن الذنب ربما كان سببا في الوصول وذلك لانكسار قلب المذنب وفي الحديث القدسي أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي وفي الحديث النبوي رب ذنب أدخل صاحبه الجنة وقال أبو العباس المرسي في اشارة قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يولج الطاعة في المعصية ويولج المعصية في الطاعة يطيع العبد الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يعملها ويطلب من الله العوض عليها فهي حسنة أحاطت بها سيآت ويذنب الذنب فيلجأ الى الله ويعتذر منه ويستصغر نفسه ويعظم من لم يفعله فهذه سيئة أحاطت بها حسنات والله أعلم (قوله باب التوبة) أقول الكلام على التوبة وفروعها واصولها وشروطها وآدابها ومكملاتها وثمراتها مما لا يحتمله هذا المقام وقد أفرد بعضهم هذا الباب بالتأليف فارجع اليه ان شئت (قوله هي أصل كل مقام) اى أس ينبني عليه جميع أنواع الشرف اذ المقامات والاحوال من حال الصفاء والتلبس بالمألوفات من خسيس أنواع الجفاء والصفاء لا يجامع الجفاء فافهم (قوله ومفتاح كل حال) اى سبب كل صفة جميلة يتحلى بها الطالب ويتوصل بها الى جميع المآرب (قوله فمن لا توبة له الخ) تفريع على ما قبله ومحصله ان من لم يكن له أصل يبنى عليه ينهار بناؤه ومن لا سبب للفتح عليه لا يتحقق نوره وضياؤه (قوله الرجوع من شيء الى آخر) اى سواء كان ذلك الشيء دينيا أو دنيويا فهو أعم من المعنى الشرعي (قوله وشرعا الرجوع في الواجبة الخ) محصله تقسيم التوبة الى واجبة ومندوبة والاولى تتحقق بالرجوع عن الذنب والندم والعزم على عدم العود ورد المظالم لاربابها ان تعلقت بالغير والثانية بالرجوع عن المباحات لنيل القربات (قوله او عن أدنى المندوبات) اى الرجوع عن أدنى المندوبات الى الاعلى منها يعني الاهم في الوقت والحال لان الافضل في حق العبودية الاشتغال بما هو الاولى من أحكام الالوهية (قوله وبكل حال فهي مطلوبة) اى وبكل تقدير في معناها وان اختلفت المعاني باختلاف الاعتبارات فهي مطلوبة اى طلبها الشارع سواء كان الطلب واجبا او مندوبا (قوله فهي مطلوبة) اى على سبيل الوجوب او الندب (قوله نصوحا) قيل المراد بها ما تمنع من ملابسة الذنب ثانيا والله أعلم (قوله كمن لا ذنب له) اى في عدم المؤاخذة لكن لا يخفى ما يقتضيه

وذلك لانه اذا أحبه ألهمه التوبة من الذنب اوغفرله لقوله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (قيل يارسول الله وما علامة التوبة قال الندامة) اى على ما تاب منه (اخبرنا على بن احمد بن عبدان الاهوازى قال اخبرنا ابو الحسين احمد بن عبيد الصفار قال أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر قال أخبرنا الحكم بن موسى قال حدثنا غسان بن عبيد عن ابي عاتكة طريف بن سليمان عن انس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن شئ أحب الى الله من شاب تائب) سواء فى ذلك التوبة الواجبة والمندوبة (فالتوبة) الواجبة (أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين وحقيقة التوبة فى لغة العرب الرجوع يقال تاب اى رجع فالتوبة) الواجبة (الرجوع عما كان مذموما فى الشرع) من ترك واجب او فعل محرم (الى ماهو محمود فيه وقال صلى الله عليه وسلم الندم توبة فارباب الاصول من أهل السنة قالوا شرط التوبة حتى تصح) اى لتصح وفى نسخة شرط صحة التوبة (ثلاثة أشياء الندم على ما عمل من المخالفات) للشرع (وترك الزلة) اى الاقلاع عنها (فى الحال والعزم على أن لايعود) فى الاستقبال (الى مثل ما عمل من المعاصى فهذه الاركان) مع ارضاء الآدمى فى ظلامته ان كانت (لابد منها حتى تصح توبته قال هؤلاء) اى أرباب الاصول من أهل السنة (و) أما (مافى الخبر) السابق من (ان الندم توبة) فهو (انما نص) عليه الصلاة والسلام (على معظمه) اى ركنها والاولى معظمها اى أركانها (كما قال عليه الصلاة والسلام الحج عرفة اى معظم أركانه عرفة اى الوقوف بها الا انه لاركن فى الحج سوى الوقوف بعرفات ولكن معظم اركانه الوقوف بها كذلك قوله الندم توبة اى معظم أركانها الندم

التشبيه (قوله اوغفرله الخ) الذى يظهر منه ولولم يتب وهو كذلك اذ فضل الله واسع (قوله قال الندامة الخ) أقول ولذلك اشار الجنيد حين سئل ما السبيل الى الانقطاع الى الله تعالى حيث قال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك الاعمال واهانة النفس بقربها من الاجل وبعدها من الامل واعلم أن من أصول التوبة العلم بشهوات النفس ودناءتها بما طبعت عليه حتى يثمر ذلك دوام الانكسار والاستحياء وتحقيق عجزها عن أدنى شئ جلبا اودفعا فيرجع العبد الى رب الفضل منيبا تائبا والعلم بعنصرها الاصلى العلوى الروحانى وكونها مضافة الى جناب الحق منزلة من عالم الامر مضافة فى المملكة ممدة بالعلم الاسمائى والصفاتى وحقائق الاشياء والندامة هى توجع القلب وتألمه على مافرط من المخالفة (قوله مامن شئ الخ) مراده بايراده الترغيب فى التوبة زمن الشباب لنيل ما أعد الله من الاحسان للعبد وانما كانت فى هذه الحالة أحب لمشقتها مع توفر الدواعى (قوله أول منزل الخ) اى ولذلك كانت للمبتدئين من أرباب السلوك (قوله الندم توبة) هو على حد الحج عرفة (قوله قالوا شرط التوبة الخ) مرادهم بالشرط مالابد منه فيشمل الركن واعلم أن التوبة بعد توفر شروطها على حسب البدء فيها تكون نهايتها فمن دخل فيها بالله كانت نهايته منها الى الله ومن كانت بدايته بالتفويض الى الله كانت نهايته بالرضاء من الله ومن كانت بدايته بالتوكل على الله كانت نهايته بالرجوع الى الله ومن كانت بدايته بالاستعانة بالله كانت نهايته بحسن الظن بالله ومن كان لله كان الله له ومن كان فى الله كان الله خلفه ومن كان لغير الله كان الغير حظه من الله فنى الخبر فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله الحديث (قوله فهذه الاركان الخ) ثم هى عن المحرم واجبة عينا على الفور وعن الشبهة وفضول المباح وكل شاغل فضيلة ثم عن رؤيتها لرؤية المنعم بها المدمع شكره عليها واتهام النفس فى تحقيقها وتكميلها اورؤية تقصيره فيها نهاية وأرفع أنواعها التوبة عن تضييع الوقت وعن مقام مافوقه أعلى منه ودون ذلك التوبة من تسهيل الذنب باستقلال المعصية اذ ذلك جراءة على الله تعالى فلا تنظر ماعصيت ولكن انظر من عصيته ولا يعظم عندك ذنب بحسن ظنك بربك فمن عرف ربه استصغر ذنبه فى جنب عظمته فلا كبيرة اذا واجهك فضله ولا صغيرة اذا قابلك عدله فافهم (قوله لابد منها) اى لاغنى لتحقق حقيقة التوبة عن وجودها وان أردت ماينشفى الغليل فى التوبة فعليك بكتاب الاحياء للغزالى (قوله فهو انما نص على معظمه الخ) اى

ومن أهل التحقيق من قال يكفي الندم في تحقيق ذلك) اى ماذكر من التوبة (لان الندم يستتبع الركنين الآخرين) اللذين قدمهما (فانه يستحيل) على التائب (تقديران يكون نادما على ماهو مصر على مثله اوعازم على الاتيان بمثله وهذا معنى التوبة على جهة التحديد) لها (والاجمال فاما) معناها ١١٢ (على جهة الشرح والابانة) لها (فان للتوبة أسبابا) تقتضيها وتقتضى الدوام عليها (وترتيبا وأقساما فأول ذلك) اى ماذكر من الاسباب وهو أول الاخذ فى التوبة (انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ماهو عليه من سوء الحالة) التى هو متلبس بها (ويصل الى هذه الجملة بالتوفيق للاصغاء الى مايخطر بباله) اى بقلبه (من زواجر الحق سبحانه بسمع قلبه) بأن يخطر الله بقلبه التفكر فيما هو فيه وموعظة فى قلبه لاصلاح شانه (فانه) قد (جاء فى الخبر واعظ الله فى قلب كل امرئ مسلم) فاذا تنبه قلبه وتفكر فيما ذكر بحيث يعزم على التوبة منه حيى من موت الغفلات وهذا يعبر عنه بصلاح القلب (وفى الخبر ان فى البدن لمضغة) وفى نسخة مضغة وفى أخرى بضعة (اذا صلحت صلح جميع البدن واذا فسدت فسد جميع البدن ألا وهى القلب فاذا فكر بقلبه فى سوء مايصنعه وابصر ماهو عليه من قبيح الافعال سنح) اى خطر (فى قلبه ارادة التوبة والاقلاع عن قبيح المعاملات فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والاخذ فى جميل) وفى نسخة جميع (الرجعى) الى الطاعة (والتأهب لاسباب التوبة) فصلاح القلب يحصل بما ينبهه الله عليه من الخيرات واذا صلح سعدت الجوارح فى جهات البر والطاعات

الموفق

وانما كان الندم معظم أركان التوبة لانه يستلزم ماوراءه من بقية أركانها (قوله لان الندم يستتبع الركنين الآخرين) اى يتبعه الركنان بمعنى يستلزمهما او يتبعهما على معنى يحصل به فائدتهما (قوله فانه يستحيل الخ) لعل المراد من جهة الشرع (قوله فان للتوبة أسبابا الخ) اعلم أن من الاسباب الباعثة على التوبة تأمل وعيد الحق واشارات وعد الصدق وتقصير الامل واغتنام فرصة العمل بترك التسويف فأكثر صياح أهل النار من التسويف وقد أشار الى ذلك صاحب الحكم العطائية حيث قال احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس وقال أيضا لاتترقب فروغ الاغيار فانه يقطعك عن وجود المراقبة (قوله انتباه القلب الخ) اى تيقظه من رقدة الغفلة عما يعنى فاذا تم له ذلك بمعونة الحق تعالى بادر الى الانابة وفارق لذيذ العادة فكان كالوقت اوكالسيف فى قطع المألوفات من شهوات البشرية (قوله ويصل الى هذه الجملة) اى ويتوصل بالتوفيق الى انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ماهو عليه من سوء الحالة وذلك هو جملة ماتقدم (قوله بالتوفيق) أى بخلق قدرة الاصغاء المذكور وقد روى ان الجنيد رآه بعض أصحابه مهموما فسأله عن السبب فقال فاتنى ورد من أورادى فقال له صاحبه اقضه فقال كيف أقضيه والوقت مشغول بأهم منه وفى وصية شهاب الدين السهروردى قدس الله سره لاتؤخر شغل يومك الى غد فان كل يوم آت بشاغله ولعلك لاتلحقه فتأمل هذا وبادر الى الاعمال لتصل الى شرف الافضال واعلم أن التوبة هى أول السير والسلوك الى ملك الملوك قال تعالى كونوا قوامين لله وقال قل انما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله هذا وعندى ان القيام مستقر بداية ونهاية فقم أبدا ولاتؤخر سعيك غدا شعر

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكون
وبادر لاغتنام الخير فيها * فلا تدرى السكون متى يكون

(قوله بالتوفيق للاصغاء الخ) اى فمن أراد الله به خيرا فتح عين قلبه وأزال صمم أذنه فرأى وسمع تالى زواجر الحق وتفكر وتذكر فى مواعيد الصدق فنهض مجيبا لداعيه ملبيا من يناديه واقفا على قدم الامتثال راجيا بلوغ الآمال هذا معنى ماأشار المؤلف اليه وعول فى كلامه عليه (قوله واعظ الله الخ) اى مايخلقه تعالى فى قلوب المسلمين ممن أراد بهم خيرا فى الدين فينتبهون به من غفلاتهم اللاتى تصيرهم كالموتى بل أسوأ (قوله اذا صلحت) اى باعتبار ماأودع فيها من اللطيفة الانسانية والافهى فى ذاتها من قبيل الجمادات (قوله فاذا فكر بقلبه الخ) أقول والهام هذه الفكرة من أسباب سعادة

وترك المذمومات التى منها مخالطة قرناء السوء كما قال (فأول ذلك هجران اخدان السوء) اى أصدقائه فعلى العبد الفرار منهم اشد من فراره من الاسد والحيات فان ضرر هؤلاء فى الدنيا خاصة وضرر أولئك فى الدنيا والآخرة (فانهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد) الجميل (ويشوشون عليه صحة هذا العزم) الجليل (ولا يتم ذلك الا بالمواظبة على المشاهد) اى مشاهد الخير (التى تزيد رغبته فى التوبة وتوفر دواعيه على اتمام ما عزم عليه مما يقوى خوفه ورجاءه) ومن ذلك خلطته بالصالحين او سماع أقوالهم وأفعالهم المرسومة فى الكتب عنهم اذ بذلك يتوصل الى معرفة امور كثيرة يجهل وجوبها او ندبها او حلها او كراهتها او تحريمها الا سيما الغيبة والنميمة والحسد والغش فى المعاملات (ومنذ ذلك تحل من) وفى نسخة عن (قلبه عقدة الاصرار على ما هو عليه من قبيح الفعال فيقف عن تعاطى المحظورات ويكبح) اى يجذب (لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة فى الحال ويبرم العزيمة على أن لا يعود الى مثله) اى الذنب والاولى كما فى نسخة مثلها اى الزلة (فى الاستقبال فان مضى على موجب قصده) من الرجوع عن الزلة (ونفذ) فى حاله (بمقتضى عزمه) على ذلك (فهو الموفق صدقا وان نقض التوبة مرة ومرات و) كان مع ذلك (تحمله ارادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا أيضا كثيرا الا ينبغى قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء) الذين ينقضون توبتهم فلا تمنعه زلته بعد التوبة من توبة أخرى ولا ييأس من روح الله فربما كان ذنبه اذا تاب منه ثم عاد اليه سبب سعادته كما جاء فى الخبر الصحيح ان العبد ليذنب الذنب فيدخله ذنبه الجنة قيل كيف ذلك قال لا يزال نصب عينيه تائبا منه وذلك لعظم ماوقع فيه فيجد فى الاعمال ولا يراها كافية فيما وقع فيه

الموفق ولاسيما اذا دام توجيع قلبه على ما جنت نفسه وهذا ما أشار له صاحب الحكم العطائية حيث قال رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا أقول وذلك لان الخير فى الطاعة بالذات والشر فيها بالعرض والمعصية بخلاف ذلك فاذا أوجبت الطاعة ما هو فى المعصية بالذات كانت شرا واذا أوجبت المعصية ما هو فى الطاعة بالذات كانت خيرا قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الذنب خير من العجب ما خلى الله بين مؤمن وبين ذنب أبدا وقال أبو مدين انكسار العاصى خير من صولة المطيع (قوله فاذا افكر بقلبه الخ) محصله ان التفكر المذكور يحقق للعبد الانزعاج بقرع قلبه بطوارق الخوف وبواسطة شهود ألطاف المولى العامة ينفتح له باب رجاء قبول الرجوع والاقلاع عما كان عليه من قبيح المعاملات فيوذن الحق سبحانه بعقد العزيمة وتصحيحها فيأخذ بحبل الرجى الى طاعة ربه وبالجملة فالمدار فى كل خير على ارادته تعالى (قوله هجران الخ) اى بسبب ان الطبائع سرقة يتبع بعضها بعضا على ان اغواءهم قد يكون أقوى من اغواء الشياطين بل هم الشياطين (قوله فان ضرر هؤلاء فى الدنيا خاصة) اى مع التمكن من علاجه لو بقى الاجل على انه قد يترتب عليه خير فى الدنيا والآخرة لمن صبر واحتسب (قوله وتوفر دواعيه) اى بواعثه القلبية (قوله خلطته بالصالحين الخ) اى مخالطته لهم والمراد بهم العلماء العاملون القائمون بحق الحق وحق الخلق وقليل ما هم فى هذا الزمان فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله لاسيما الخ) ماذكره نفعنا الله به من كبائر الذنوب والجرائم اهتماما بها (قوله عقدة الاصرار) الاضافة بيانية وسبب هذا الاصرار الميل الى المألوف وتحسين الشياطين والمفسدين الانسية والجنية (قوله ويبرم العزيمة) أى يقطع ويصمم فى اعتقاده على عدم العود لمثل ما كان عليه وجوبا فى الواجب وندبا فى المندوب (قوله فهو الموفق صدقا) أى لانه قد منح مفتاح السعادة الابدية (قوله فلا ينبغى قطع الرجاء الخ) أى لخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويقال لمثل هذا المفتن التواب وهو مرجو له القبول باشارة خبر سيدنا الرسول (قوله ولا ييأس الخ) اى لان ذلك من الكبائر (قوله فربما كان ذنبه الخ) أى بسبب تأمله الى فاقته الدائمة الضرورية فيستوحش من كل شئ سوى من اليه فاقته فلا يعود أبدا الى شئ من المحظوظ اذ لا يكون الرجوع الا بالغفلة عن تلك الفاقة ومن هى اليه ولاسيما عند الامتحان بدوام العافية التى ادعى بها فرعون الربوبية لانه نحو أربعمائة عام لم يتصدع رأسه ولم يحم جسده ولم يضرب عليه عرق ولو أخذته الشقيقة ساعة واحدة لشغله ذلك عن الدعوى (قوله فيدخله ذنبه الجنة) أى

ولذلك قيل زلة واحدة بعد التوبة أعظم من سبعين زلة قبلها فيحمله ذلك على الجد فى الاعمال وكلما زل عاد (فان لكل أجل) اى مدة (كتابا) مكتوب فيه تحديده (حكى عن أبى سليمان الدارانى انه قال اختلفت الى مجلس قاص) يقص على الناس القصص ويذكرهم بها فسمعت كلامه فاستحسنته (فأثر كلامه فى قلبى فلما قمت) من مجلسه (لم يبق فى قلبى منه شئ فعدت) اليه (ثانيا فسمعت كلامه فبقى كلامه) أى أثره (فى قلبى فى الطريق ثم زال) عن قلبى (فعدت) اليه ثالثا (فبقى أثر كلامه فى قلبى حتى رجعت الى منزلى فكسرت آلات المخالفات لله) تعالى (ولزمت الطريق) الموصلة اليه (فحكى) الدرانى (هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا أراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركى أبا سليمان الدارانى) يعنى ان الدرجة التى وصل اليها الدارانى من درجات الولايات أفضل من تذكير ذلك القاص (ويحكى أيضا عن أبى حفص الحداد انه قال تركت العمل) أى الكسب (كذا وكذا مرة فعدت اليه ثم تركنى العمل فلم أعد بعده اليه) يعنى ترك العمل فى الدنيا ليتفرغ فى العبادة ثم غلبته محبته فعاد اليه ثم غلب عليه محبة تركه لذة محبته فى الخير فتركه ثم غلب عليه محبة العمل فعاد اليه ثم قوى حاله فترك العمل ولم يعد اليه ثم نفرت نفسه عنه ورغب فيما هو أفضل منه وربما كان سبب ترك العمل له ما حكى انه كان يعمل الحديد فى دكانه فغلب عليه حاله فأدخل يده فى الكير وأخذ الحديدة بيده وجعل يطرقها وهو لا يشعر فلما كلمه تلميذه فى ذلك رجع الى حاله وهرب من الشهرة وعلم ان المراد منه ترك ما هو فيه (وقيل ان أبا عمرو بن نجيد فى ابتداء أمره اختلف الى مجلس أبى عثمان) سعيد بن سلام الحرانى فضل وهو يذكر الناس فسمع كلامه (فأثر فى قلبه كلامه فتاب) عما كان عليه (ثم انه وقعت له فترة) وعودة الى ما كان عليه قبل التوبة (فكان يهرب من أبى عثمان اذا رآه ويتأخر عن مجلسه) فلم يحضره حياء من رؤيته له بعد زلته (فاستقبله أبو عثمان يوما) فى طريق (فحاد أبو عمرو عن الطريق) وفى نسخة عن طريقه (وسلك طريقا آخر فتبعه أبو عثمان فما زال به يقفو) أى يتبع أثره (حتى لحقه ثم قال له يا بنى لا تصحب من) وفى نسخة مع من أى لا توقع صحبتك مع من (لا يحبك الا معصوما) لان العصمة انما تكون للانبياء فمتى كان

يكون سببا فى ذلك كما أشار اليه الشارح (قوله ولذلك قيل زلة الخ) أى لان الجفاء بعد ذوق لذة الصفاء من أقبح الجفاء (قوله فان لكل أجل الخ) أى فالمقدر كائن لا محالة والحذر لا ينفع من القدر والله أعلم (قوله حكى الخ) فيه تنبيه على ان الحق تعالى اذا أراد أمرا هيأ أسبابه وعلى ان المريد المسترشد قد يفوق بعناية الله درجة المرشد وفيه دلالة بالواقع على صدق المنقول بتكرر التأثر والعود الى الخلق المألوف (قوله فقال عصفور الخ) أقول ولا مانع لرب العنايات ان ينقل عبده من الضلالات الى أرفع الولايات حيث ان الامر منه واليه ولا معقب لحكمه لديه هذا والغرض له بيان درجة أبى سليمان لا تحقير القاص كما لا يخفى (قوله ويحكى أيضا عن أبى حفص الخ) فيه تنبيه على ان كل شئ له وقت بالتقدير على حسب حكمة العليم الخبير (قوله تركت العمل الخ) أقول الترك الاول بالنفس والثانى بالقلب والروح فلذا دام الثانى ولم يدم الاول (قوله فغلب عليه حاله) أى بسبب ما ورد على قلبه من واردات الحق وغلبة أنوار الحقيقة فاستغرق فى ذلك حتى فنى عن الاحساس فحصل ذلك منه ولم يشعر به (قوله ثم انه وقعت له فترة) أى بسابق القضاء الازلى فى مظاهر الربوبية ومثل ذلك لا يدافع بهمم العبودية ولذا أشار صاحب الحكم حيث قال سوابق الهمم لا تخرق أسوار الاقدار (قوله ثم قال له يا بنى الخ) أى أفاده ان التوبة بذاتها لا تسعد ولا تركها يشقى وانما جعلت وقاية للمتقى ثم من دام فى التوبة على الحزم والعزم فهذا هو الصادق الصديق البالغ بسيره مقاصد الطريق فاياك والفترة والكسل فانهما من اخوة اللوم والملل من صحبهم وقف به السير عن كل ما يرومه من كل ربح وخير (قوله لا تصحب الخ) فيه نصح مع لين القول وارجاع الى النظر فى سعة فضل ربه وابعاد عن سبيل القنوط من الرحمة وفيه تأنيس له ليترك ما حل به من الوحشة والنفرة وذلك من كمال العقل وقوة الارشاد (قوله لان العصمة الخ) أى وأما الولاية فلها الحفظ وقد يجوز تخلفه بالقضاء ومع ذلك فلا ييأس من نيل المقامات وثبوت أنواع الكرامات (قوله فمتى كان أحد الخ) أقول ليس الغرض له نفعنا الله به تسهيل سبيل المخالفة ولا عدم ذم المنكر بوجه الشرع بل مراده ارجاع المريد الى النظر فى سعة

أحد لا يصيبك الا اذا كنت معصوما فلا تصحبه فان مآل صحبتكما الى الانقطاع لعدم الوفاء بما يريده فـكن بهذا الكلام قلبه وقال له (انما ينفعك أبو عثمان) يعنى نفسه (فى مثل هذه الحالة) التى وقعت لك (قال فتاب أبو عمرو بن نجيد وعاد الى الارادة) أى الحالة التى فترعنها (ونفذ فيها) فيه تنبيه على ان الشيخ يحمل من تلميذه بعض ما يبدو منه من الزلل لضعف عقله وقلة أنسه بأسباب الدين (سمعت الشيخ أبا على الدقاق رحمه الله يقول تاب بعض المريدين ثم وقعت له فترة) وعودة الى ما كان عليه قبل التوبة (فكان يفكر وقتا لو عاد الى التوبة ـــ يف حكمه فهتف به هاتف) من ملك أو ولى أو جنى يقول (يا فلان أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك فان عدت الينا قبلناك فعاد الفتى) الذى تاب ثم فتر (الى الارادة) أى الحالة التى فترعنها ونفذ فيها فى ذلك تنبيه على ان باب التوبة مفتوح بعد الزلل وان العبد اذ زل لا يعاجل بالانتقام (فاذا ترك المعاصى وحل عن قلبه عقدة الاصرار) على شئ منها (وعزم على ان لا يعود الى مثله) أى مثل ما عصى الله به (فعند ذلك يخلص الى قلبه صادق الندم) أى الندم الصادق (فيتأسف) أى يشتد حزنه (على ما عمله ويأخذ فى التحسر على ما ضيعه من احواله وارتكبه من قبيح أعماله فتتم توبته وتصدق مجاهدته ويستبدل) وفى نسخة واستبدل (بمخالطته الناس (العزلة) والخلوة (وبصحبته) أى وبايقاع صحبته (مع اخدان السوء) أى اصدقائه (التوحش عنهم والخلوة دونهم ويصل ليله بنهاره فى التلهف) أى التحسر (ويعتنق فى عموم احواله بصدق التأسف) بحيث (يمحو بصوب) أى بنزول دمع (عبرته) بفتح العين ما يجلب الدمع (آثار عثرته) بالمثلثة أى زلته (ويأسو) من الاسى بالقصر وهو المداواة أى يداوى (بحسن توبته كلوم) بضم الكاف أى جروح (حوبته) أى اثمه يقال حبت بكذا أى اثمت تحوب حوبا وحوبة وحيابة قاله الجوهرى (و) بحيث (يعرف من بين أمثاله بذبوله ويستدل على صحة حاله بنحوله وان يتم له شئ من هذا) أى مما ذكر من التوبة الصحيحة (الا بعد فراغه من ارضاء خصومه والخروج مما لزمه عن مظالمه فان أول منزلة فى التوبة) من التائب (ارضاء الخصوم بما أمكنه فان اتسع ذات يده) أى صاحبتها أى ما فيها (لايصال حقوقهم اليهم أو سمحت نفوسهم باحلاله والبراءة عنه) الاولى عنها أى بان يحللوه أو يبرؤه منها فذاك

فضل ربه ـــ ما قدمناه حتى لا يقع فى القنوط بواسطة استعظام الذنب ولا يقدم على صغيرة اجلالا لله وحياء منه اذ لا يليق معاملة الاكرماء بمثل ذلك والله أعلم (قوله انما ينفعك أبو عثمان) أى انما يكون سببا فى انتفاعك بما يرشدك اليه من عدم استعظام الذنب المؤدى الى اليأس من الرحمة وعدم الاستخفاف به المؤدى الى التهاون (قوله قال فتاب الخ) يدل ذلك على ان الاستاذ من أهل الدلال المحبوبين (قوله فهتف به هاتف الخ) بالتأمل فى تلك الاشارات والتفهم فيما يرد من الواردات يعلم ان الفضل مواهب وانه أقرب لذوى المصائب فحينئذ لا يقنط العبد وان كثرت منه الذنوب وتوالت عليه عظائم الخطوب حيث الوعيد حق غيرانه فى حق من لا يتوب فقوعزم الآمال لتحظ بلطف الافضال (قوله على ان باب التوبة مفتوح بعد الزلل) أى ويدل له قوله جل جلاله ان الله يحب التوابين لصدقه بما ذكر وقوله وان العبد اذا زل لا يعاجل بالانتقام أى بل قد تشمله الرحمة بالعفو عنه والغفران كيف وقد أمرنا بالعفو عمن جنى علينا فهو تعالى أولى بذلك منا (قوله وحل عن قلبه عقدة الاصرار الخ) أى بشهود ان الامور كلها قد أحاط بها علم العليم وانها فى قبضة قدرة الحكيم فان علم ذلك يؤثر الجمعية على الله بالتوكل عليه والانابة له (قوله فعند ذلك الخ) اعلم ان الندم ركن عظيم فى التوبة فهى لا تصح الا به بخلاف ما أشار اليه بقوله ويستبدل الخ فانه شرط فى كمالها (قوله فيتأسف الخ) أى بواسطة تأمله فى الوعيد الحق وتفكره فيما جناه على نفسه من خلاف الصدق وذلك يشير الى طرف من عناية الله حيث نقله بذلك واصطفاه (قوله ويستبدل الخ) المراد اعتزال الصفات الذميمة والتخلق بالحميدة وان لم ينفرد بشخصه عن أبناء جنسه وذلك بالنسبة لمن قوى يقينه اما ضعيفه ممن يتأثر بالمخالطة فالمراد بالعزلة بالنسبة له البعد والانفراد عن الخلق المشغلين الذين هم كالشياطين (قوله وان يتم الخ) أى وهو فيمن قد تعلق به حق آدمى سواء كان من الاموال أو غيرها (قوله أو سمحت نفوسهم الخ) أى ولو مع قدرته على وفاء حقوقهم

والافالعزم) أى فالواجب العزم (بقلبه على أن يخرج عن حقوقهم عند الامكان) اى عند تمكنه من ذلك (والرجوع الى الله سبحانه بصدق الابتهال) أى التضرع بالدعاء (والدعاء لهم) فعطف الدعاء على الابتهال من عطف العام على الخاص

(وللتائبين صفات واحوال هى من خصالهم يعد ذلك) أى مجموعها (من جملة التوبة) وكمالها (لكونها من صفاتهم لا لانها من شرط صحتها والى ذلك تشير أقاويل الشيوخ فى معنى التوبة سمعت الاستاذ أباعلى الدقاق رحمه الله تعالى يقول التوبة على ثلاثة أقسام) باعتبار الحامل عليها وان كانت الاسماء مختلفة (أولها التوبة وأوسطها الانابة وآخرها الاوبة) والكل يرجع الى معنى الرجوع (فجعل التوبة بداية والاوبة نهاية والانابة واسطتهما فكل من تاب لخوف) وفى نسخة من خوف (العقوبة فهو صاحب توبة ومن تاب طمعا فى الثواب فهو صاحب انابة) وان كان صاحب توبة (ومن تاب مراعاة للامر) أى لامتثاله لا لرغبة فى الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة) وان كان صاحب توبة (و يقال أيضا التوبة صفة المؤمنين قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والانابة صفة الاولياء والمقربين قال الله تعالى وجاء بقلب منيب) أى مقبل على طاعته (والاوبة صفة الانبياء والمرسلين قال الله تعالى نعم العبد انه أواب) أى رجاع فى التسبيح والذكر فى جميع الاوقات فمن تاب خوفا من العقاب ورجاء للثواب فهو طالب حظ نفسه غير مخلص لله تعالى ومن تاب حياء من الله لقدرته عليه وعلمه به لا خوفا من ناره ولا رجاء لثوابه فهو المخلص فى توبته

(قوله والافالعزم الخ) أى الذى هو جهد المقل (قوله والرجوع الى الله الخ) أى كما هو شأن من لم يقدر على المكافأة لذى الحق (قوله وللتائبين صفات الخ) مراده ان ما تقدم فى مطلق التوبة غير منظور فيه الى التائبين وما هنا فهو باعتبار التائبين ولذلك قسموها على ثلاثة أقسام كما سيذكره المؤلف (قوله التوبة على ثلاثة أقسام الخ) أقول والداعى للكل انما هو العقل وهو القوة المستعدة لادراك الاشياء على ما هى عليه فاذا انطرع رف ان الباقى خير من الفانى وان الابقى خير من الباقى فاذا ادرك ذلك نشط الى التوبة طلبا للباقى والابقى قال سهل للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا (قوله باعتبار الحامل) أى الباعث عليها الا باعتبار ذاتها فانها باعتبار ذلك هى الرجوع عما لا يسمه العبد من غير وصف الكمال (قوله فهو صاحب أوبة) أى وشتان بين توبة محب مشتاق وبين من تاب للخوف والاشفاق حيث الاول قد أهاجه الشوق الى شهود الجمال والثانى قد أزعجه الخوف من سطوة الجلال وفرق بين من تاب يشاهد الآثار وبين من تاب يشاهد نور الانوار حيث الاول هيجته مشغلات الجنان والثانى دعاه داعى شهود الرحمن (قوله التوبة صفة المؤمنين) أى لانهم لما نظروا بقوة ايمانهم وكمال عقولهم الى خسة الدنيا بما اشتملت عليه وشدة كدرها أعرضوا عنها وهربوا منها فارين الى قرع باب الفتاح بطراق التوبة عسى أن يسعفهم فتح القبول ولله در من قال فى وصف الفتنة شعرا

شمطاء قد خلقت لنا وتنكرت • مكروهة للشم والتقبيل

ولقد رأيت فى عالم الخيال امرأة طويلة عليها ثياب سافلة ووجهها الناحية أخرى فقلت من هذه قيل الدنيا قلت لو أرتنى وجهها قيل لى انها لا ترى وجهها الا حدلانه ما رآه أحد قط الا بغضه فحينئذ المراد صفة المؤمنين أى المصدقين وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وقوله كن فى الدنيا كأنك غريب الحديث والغريب لا يتشبع بشئ ولا يعتدبه بل هو فيما هو به من غربته وذلته كما قيل شعرا

ما للغريب وللتصابى والهوى • فكفاه ذلا ان تقول غريبا

والغريب شأنه طلب السلامة والمعاملة بالانصاف وعدم المنازعة والمسجون شأنه أن لا يرى ما يسره ويتوقع أسباب الهلاك وحينئذ فلا راحة للمؤمن بدون لقاء ربه (قوله صفة الاولياء) أى من دام على الرعاية وحسن المتابعة (قوله صفة الانبياء والمرسلين) أى الذين لا غرض لهم الا الحق (قوله فمن تاب خوفا الخ) أى فالتوبة تختلف باختلاف الباعث فادناها ما كان الباعث عليه الخوف وأوسطها ما كان الباعث عليه المحبة والاجلال ومن ذلك نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه واعلاها التوبة عما سواه

ومن تاب عن كل ماسوى الله تعالى فهو المقرب وهو ارفع درجة ومن ثم قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وقيل اخلاص

المريدين رياء العارفين لان المريد اذا تقرب بالطاعة ونظر اليها لم يكن منافيا لاخلاصه فيها بخلاف العارف فانه اذا

سبحانه وتعالى (قوله ومن ثم قيل الخ) توضيحه ان الالتفات الى شئ من الكائنات ولو دنيا نقص يتاب منه بالنسبة لاولى الهمم العالية من المقربين وكمال بالنظر لغيرهم ممن يشهد تصاريف الحق سبحانه (قوله حسنات الابرار) أى وهم العالمون العاملون على ظاهر أحكام الشريعة وقوله سيآت المقربين أى وهم العالمون العاملون بشاهد أنوار الحقيقة فمن عمل لخوف سطوات الوعيد وللرغبة فى ثمرات الوعد فهم الابرار ومن عمل للامر ولمحبة الآمر لا التفات له الى غير ذلك فهم المقربون وحال الاولين عندهم ذنب يتاب منه وان كان كمالا فى نفسه (قوله أولها الندم الخ) أى ويلزمه التشمير لتدارك الفائت بنظره انه ضيف فى دار ليست له الذى من شأنه العمل بما أمره به ربها والرجوع فيها الى ما يريده تفويضا واتكالا لان حق الضيف أن لا يعول هما مع رب المنزل بل يكون حيث أنزله وذلك هنا بامتثال أمره والاستسلام لقهره وملازمة ذكره وشكره وعدم الالتفات لغيره فأصول الخير ثلاثة حفظ الحرمة وحسن الخدمة وشكر النعمة واصول الشر ثلاثة خوف الخلق وهم الرزق والرضا عن النفس فالفرار من هذا أصل كل طهارة والتحلى بتلك أساس كل كمال (قوله والثانى العزم) أى تصميم القلب الجازم على ترك المعاودة الى ما ارتكبه كالمعطية مما نهى الله تعالى عنه نهيا جازما أو غير جازم احتمل التأويل أولا كما هو الاحتياط فى حق من يعامل العظماء (قوله وكأنه ضمنه الاقلاع عن الذنب) أى حيث لم يصرح به اكتفاء بالعزم على عدم المعاودة اللازم له الاقلاع عن الذنب (قوله ولا يخفى ان لكل جارحة الخ) مراده انه لا تحقق فى الحال الا كذلك ويحتمل انه اشارة الى ثمرة التوبة فى المستقبل فحصل ماذكره الشارح ان التوبة لا تحقق فى الحال للعبد الا اذا كان الامر كذلك كما يصرح به الاقلاع عن الذنب والندم من أجله أو يكون ذلك للاشارة الى ثمرة التوبة فى المستقبل حتى تكون نصوحا وعلى كل حال فالمعنى على حفظ ما به يكون الذنب من الجوارح الظاهرة والباطنة فى الحال والاستقبال (قوله ترك التسويف) أى وهو قد يجب وقد يندب وقد يكون الاولى (قوله ماقلت قط الخ) أى بعدا عن توبة الكذابين وهى الصادرة مع غفلة القلوب فتكون من حظ النفس فقط (قوله ولكنى أقول الخ) أى وذلك لانها هى التى أناخت ركاب النفس فى مطايا القبول والايمان فى دائرة التقديس والمطلق من التقديس تقديس العبد لمولاه حتى لا يعصيه ثم لا يلتفت لغيره حتى لا يكون سواه ثم حتى لا يرى سواه حتى يفنى فيه فى فنائه وعن فنائه فيه وذلك عليه بتقديسه عن العبودية للغير والتنزه عن مخالفة الامر والنهى وذلك هو بساط الانس بالحق وبمامن جنابه حتى لا يكاد يصبر عن مولاه فى نفس من الانفاس ويصير لحد لا يرى سوى بقاء معروفه لا لشئ من وجوده ولا يزال به التنزه الى موقف العجز الذى لا نهاية له فافهم (قوله أسألك شهوة التوبة) أقول وهى اذا تحقق

اشتغل سره بغير الله نافى ذلك عرفانه (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول التوبة) مبنية (على ثلاثة معان) وتقدم أنها شروط لها (أولها الندم) على ما تاب منه (والثانى العزم على ترك المعاودة الى ما) ارتكبه مما (نهى الله تعالى عنه) وكأنه ضمنه الاقلاع عن الذنب الماص انه شرط ايضا (والثالث السعى) وفى نسخة يسعى (فى اداء المظالم) لمستحقها ان علمه والا تصدق به عنه ولا يخفى ان لكل جارحة حظا من التوبة فللقلب نية الترك والندم وللعين الغض عن غير المباح ولليد ترك البطش فيه وللرجل ترك السعى فيه وللسمع ترك الاصغاء له وهكذا (وقال سهل بن عبد الله) التسترى (التوبة ترك التسويف) هذا ليس بتوبة بل من أسبابها أى تجب المبادرة اليها ولا يكفى فيها العزم عليها فالعازم عليها مع التمكن من تحصيلها ليس بتائب بل مسوف (سمعت الاستاذ محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عبد الله القرشى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحرث يقول ماقلت قط اللهم انى أسألك التوبة ولكنى

أقول أسألك شهوة التوبة) أى لانها الا كمل لانه اذا رزقها اجتنب على سائر مقامات التوبة كالتوبة من المكروهات

ومن ترك المندوبات ومن ترك الاولى ومن الغفلات ومن رؤية الاعمال الصالحات فلا يزال بسؤاله لها مترقيا فى درجات التوبة ويحتمل انه رأى التوبة منزلة رفيعة ولم ير نفسه أهلا لسؤال الهاتف الى سببها وهو ان يحرك الله همته لها (أخبرنا أبو عبد الله الشيرازى رحمه الله قال سمعت أبا عبد الله ابن مصلح بالاهواز يقول سمعت ابن زيرى يقول سمعت الجنيد يقول دخلت على السرى) السقطى (يوما فرأيته متغيرا فقلت له مالك متغيرا (فقال دخل على شاب فسألنى عن التوبة فقلت له) هى (ان لاتنسى ذنبك فعارضنى وقال بل التوبة ان تنسى ذنبك فقلت للسرى (ان الامر عندى ماقاله الشاب فقال لم) كان ذلك (قلت لانى اذا كنت فى حال الجفاء فنقلنى) الحق (الى حال الوفاء) أى الصفاء (فذكر الجفاء) يعنى الذنب (فى حال الصفاء) يعنى التوبة (جفاء فسكت) السرى وهو حسن اذ الغرض من ذكر الذنب الحمل على الاعمال الجميلة تلويحا ان العبد ليذنب الذنب فيدخله ذنبه الجنة قيل كيف يدخله ذنبه الجنة يارسول الله قال لايزال نصب عينيه تائبا منه هاربا فاذا حصل للعبد حال شريف واستغرق فيه فاشتغاله بذنبه حينئذ يفسد عليه ماهو فيه فالسرى كلم الشاب بما هو الاولى فى حق التائبين فان ذكر ذنوبهم يهيج خوفهم ويحملهم على ماهو اصلاح أحوالهم

بها العبد يكون كما قيل

لوقيل ما تتمنى والعبد يعطى مناه * لقلت منية قلبى فى ان يطول بقاه

فهو انما سأل شهوة التوبة ليمنع بذلك شهود لذة منازلاته فى مقاماتها وبذلك يتم ما أشار له الشارح أولا ويبعد قوله آخرا ويحتمل الخ ووجه بعده ظاهر بشاهد المتابعة حيث التوبة مطلوبة من الجميع ودليل ذلك قوله جل جلاله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون وقوله جل اسمه ان الله يحب التوابين وغير ذلك من الآيات ومن السنة كثير (قوله فسألنى عن التوبة الخ) الذى يظهر ان السرى فهم ان المسؤل عنه توبة الخائفين من وهج نار المخالفات لاتوبة المحبين المحبور بين ذلك رب البريات ولذلك أجاب بقوله أن لاتنسى ذنبك ومقام الاولى لم يخرج صاحبه عن البداية ومقام الثانية صاحبه فى حظائر الرعاية والعناية والبداية شغل بتعب المجاهدة والنهاية لذة بانواع المشاهدة وان شئت قلت البداية تخل ثم تحل والنهاية تهيؤ لنور التجلى وان شئت قلت البداية ملء الاناء بانا والنهاية تفريغ الاناء من أنت وأنا (قوله وقال بل التوبة ان تنسى ذنبك) أقول يؤيده ماذكروه فى اسرار حقائق التوبة وهى ثلاثة تمييز التقية من الغرة ونسيان الجناية والتوبة من التوبة أبدا فافهم (قوله قلت لانى الخ) أقول فى بيان معناه وان كنت بعيدا عن مغناه ان السرى وان جلت مرتبته وعلت درجته قد حجب عن مشاهد المحبين وغايات المقربين اعتبارا بظاهر حال السائل ولهذا رجع بغير طائل اذ الفضل بسابق التقدير لايكون لكبير دون صغير فكان بهذا تأديبه ليدوم له تقريبه حيث حضر لديه الجنيد فكشف له عن بيت القصيد وأسفر عن مناهل أهل الحب ومشهد مشاهدات أهل القرب ومثل هذا قد وقع لسيدنا الكليم فلا لوم حينئذ على هذا الاستاذ العظيم فان حكمة الفاعل المختار سبقت بتأديب الكبار بالصغار فالواجب على العاقل التسليم لباهر حكمة العليم الحكيم (قوله فى حال الجفاء) أى البعد عن مقامات المقربين بسبب التلوث بدنس المخالفات وقوله فنقلنى الحق الى حال الوفاء أى حيث قذف فى قلبى بواعث الانوار والتنبه لطريق الاستبصار فسلكت طريق الوفاء بحق الربوبية ودرجت فى مدارج أعمال العبودية حتى وصلت بذلك الى صفاء الحال فحينئذ تذكرى لسبب الجفاء والذنب بعد من الجفاء الذى هو من مكدرات عيش المحبين ومن الرجوع الى أسفل سافلين والحاصل ان ماذكره سيد المحبين هو المتعين فى نظر العارفين يختص الله برحمته من يشاء ويهدى اليه من يشاء (قوله لخبر الخ) أقول ولهذا أشار صاحب الحكم العطائية حيث قال رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (قوله يفسد عليه ماهو فيه) أى ماهو مشغول به من تصاريف الحق حيث هو الاولى فى حقه ان لايشتغل بغيره (قوله فالسرى كلم الشاب الخ) محصله انه عامله معاملة

وكان الشاب ممن ارتفعت درجته في ذلك فتكلم السري بما يناسب حاله المستلزم باستغراق صاحبه فيه نسيان ذنبه فنبهه بذلك على
مقام شريف في درجات التوبة ولذلك أغتم وتغير لاشكال الامر عليه وهذا شأنه تعالى أن يؤدب الكبار بالصغار في السن ليفتقروا
اليه (سمعت أبا حاتم السجستاني رحمه الله يقول سمعت أبا نصر السراج الصوفي يقول سئل سهل بن عبد الله عن التوبة فقال) هي
(ان لا تنسى ذنبك) ووجهه ما مر انفا (وسئل الجنيد عن التوبة فقال ان تنسى ذنبك ومن ثم (قال أبو نصر السراج اشار سهل
الى أحوال المريدين) أي المبتدئين (والمتعرضين) لارتكاب الذنوب (تارة لهم وتارة عليهم) يعني انهم يتوبون وينكثون فاذا
ذكروا ذنوبهم ثار عليهم الخوف المانع لهم من النكث (فأما الجنيد فانه اشار الى توبة المحققين فانهم لا يذكرون ذنوبهم مما غلب على
قلوبهم من عظمة الله تعالى ودوام ذكره) وشغلهم واعراضهم عن غيره حتى عن انفسهم وقيل معنى نسيانك الذنب ان تخرج
حلاوته من قلبك خروجا لا يبقى له في سرك أثر حتى يكون كمن لا يعرفه قط وقيل المراد بنسيانه ترك العود
اليه (قال) أبو نصر (وهو) اى
ما قاله الجنيد (مثل ما) هي
مصدرية (سئل رويم عن التوبة
فقال هي التوبة من التوبة)
أي من رؤية كونه تائبا فانه لا يرى
ذلك الا اذا كان مفرق القلب
ناظرا لنفسه وتوبته فيعجب
بذلك فكمال توبته دوام شغله
بربه حتى ينسى توبته كما قال
الجنيد وقيل معنى كلام رويم
ما قالته رابعة استغفر الله من قلة
صدقي في قولي أستغفر الله اشارة
الى التوبة من التقصير في الاعمال
والاستغفار مما عساه ان يقع
فيها من ذهول أو اهمال أو نحوه
مما لا يليق بحضرة الحق تعالى
(وسئل ذو النون المصري عن
التوبة فقال توبة العوام) تكون
من الذنوب) وهي واجبة (وتوبة
الخواص) تكون (من الغفلة)
وهي مندوبة (وقال أبو الحسين النوري التوبة ان تتوب من كل شيء سوى الله تعالى سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول
سمعت عبد الله بن علي بن محمد التميمي يقول شتان) أي بعد (ما بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات وتائب
يتوب من رؤية الحسنات) وأفضلهم الاخير وأفضل منه التائب من كل ما سوى الله ان لم يرجع اليه (وقال الواسطي التوبة
النصوح لا تبقى على صاحبها أثرا من المعصية سرا ولا جهرا ومن كانت توبته نصوحا) أي خالصة لله (لا يبالي كيف أمسى و)
كيف (أصبح سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن ابراهيم بن الفضل الهاشمي يقول سمعت محمد بن الرومي يقول
سمعت يحيى بن معاذ يقول الهي لا أقول) عند عدم رجائي الحفظ والمعونة من الله (تبت) من ذنبي (ولا اعود) اليه (لما اعرف
من خلقي) وطبيعتي (ولا أضمن) لنفسي (ترك) ارتكاب (الذنوب) في المستقبل (لما أعرف من ضعفي ثم اني) مع ذلك (أقول) عند
رجائي الحفظ والمعونة من الله تبت و(لا أعود لعلي أموت قبل أن أعود

المبتدئين وذلك لما خفي عليه من سر رب العالمين (قوله سئل سهل الخ) الغرض
تقوية ما تقدم عن السري والشاب ونسأل الله بجاههم ان يحقق لنا المتاب (قوله
وأما الجنيد الخ) توضيحه ان للتوبة سببين الخوف والاجلال والاول للمريدين
والثاني للواصلين وحينئذ فلا حاجة لذكر الذنب الجالب للخوف لقيام الاجلال مقامه
بالنسبة للواصلين وهو وجيه ومنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (قوله ان
تخرج حلاوته الخ) أي حلاوة سببه من الحظوظ وقوله خروجا الخ معناه تحقق غفلة
النفس عنه بحيث لا يخطر لها قط بسبب اشتغالها بما ترقت له بعد مفارقتها اياه (قوله
فقال هي التوبة من التوبة) يحتمل ان المراد بذلك الحث على النصوح منها على معنى
عدم ملابسته بعدها شيأ يحوج للتوبة وذلك الاحتمال هو بالنسبة للسالكين وما قرره
الشارح نفعنا الله ببركات علومه هو بالنسبة للعارفين الكاملين والله أعلم (قوله
وقيل معنى الخ) محصله انه التوبة من عدم توفية المقام حقه في المعاملات وفي
العبادات اذ المرء لا يخلو عن تقصير في ذلك وله الاشارة بخبر سبحانك ما عبدناك حق
عبادتك (قوله ان تتوب من كل شيء الخ) أي وذلك مقام العارفين من عباد الله (قوله
شتان الخ) أي فان الاول من المهتدين والثاني من الابرار المحبين والثالث من
الواصلين المحبوبين (قوله لا تبقي الخ) أقول هو اشارة الى امارتها التي هي عدم
معاودة الذنب بعدها (قوله لا يبالي الخ) أي بواسطة استغراقه فيما محضه الحق
سبحانه وتعالى (قوله لا أقول تبت الخ) محصله التبري من الحول والقوة واتهام النفس

وقال ذو النون) المصري (الاستغفار) من الذنب (من غير اقلاع) عنه (توبة الكذابين) فلا يكفي مجرد الاستغفار وان كان فيه أجر (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت النصراباذي يقول سمعت بن يزدانيار يقول وقد سئل عن العبد اذا خرج الى الله تعالى على أي أصل يخرج) اليه (فقال على ان لا يعود الى ما منه خرج) بالتوبة (ولا يراعي الا من اليه خرج) وهو الله تعالى فلا يلتفت لمدح الناس وذمهم له (و يحفظ سره عن ١٢٠ ملاحظة ما تبرا) وخرج (منه) فيكون قد خرج منه ظاهرا وباطنا (فقيل له هذا حكم من خرج) الى الله تعالى (عن وجود) أي مال (فكيف حكم من خرج) اليه (عن عدم) لذلك (فقال) حكمه (وجود الحلاوة في المستأنف) أي المستقبل (عوضا عن المرارة) التي كان يجدها بفقره (في) الزمن (السالف) أي الماضي كما قيل اذا افتقروا عضوا على الفقر ضنة وان أيسروا عادوا سراعا الى الفقر (وسئل البوشنجي عن التوبة فقال اذا ذكرت الذنب ثم لا تجد حلاوته عند ذكره) بل تجد كراهته (فهو التوبة) وزاد بعضهم وان تجد له مع كراهتك له أثر ذلك في ظاهرك وقد مر بعضهم بمكان فغشي عليه فيه وسقط على الارض فلما أفاق سئل عن ذلك فقال هذا المكان كنت عصيت الله فيه وهذا انما يحصل بكمال المعرفة بجلال الله ودوام مراقبته والاستحياء منه فاذا وصل العبد الى هذه المنزلة ظهرت عليه آثارها (وقال يحيى بن معاذ زلة واحدة للتائب أقبح من سبعين زلة قبلها وقال ذو النون) المصري (حقيقة التوبة) بمعنى الغالب من حالها (ان تضيق الارض عليك بما رحبت) أي مع رحبها أي سعتها (حتى لا يكون لك قرار) ولا مكان تطمئن اليه (ثم تضيق عليك نفسك) أي قلبك للغم اللطيفة والوحشة بتأخير توبتك ولا يسعه سرور ولا أنس (كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله وضاقت عليهم انفسهم وظنوا) أي أيقنوا (ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم) أي وفقهم للتوبة (ليتوبوا) فتابوا

بعدم الوفاء ثم الالتفات الى معونة الحق سبحانه وتعالى (قوله الاستغفار من الذنب الخ) أي ومن ذلك كل شيء كان غالب الحظ منه ذكر اللسان مع غفلة القلب (قوله فقال على أن لا يعود الى ما منه خرج) يعني من جند النفس الذي هو الظلمة التي يحصل بها ثلاث الجهل والتلف والتخليط وهي اذا حصلت غلب الهوى وذهب الحق فاذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الانوار وهي يحصل منها ثلاث الكشف والعلم والتحقيق فيباشر الالهام قلبه بما يعلمه من خير أو شر حتى يقبل على الحق ويدبر عما سواه وذلك لا يتم الا بيقين لا يداخله شك وعلم لا يخالطه هوى والهام لا يفسده وهم قال الشاذلي اذا أكرم الله عبدا نصب له العبودية بين عينيه فافهم (قوله فقال على أن لا يعود الخ) فيه حمل على علو الهمة في التوجه الى الحق سبحانه وتعالى (قوله هذا حكم الخ) يشير الى ان الخروج مما يلائم النفوس مع توفر الدواعي بما تقدم وهو مع عدم توفرها بوجود حلاوة الفقد فيما يأتي (قوله كما قيل الخ) محصله غاية الرضا بالفقر عند وجوده والمسارعة للبذل وقت الوجود وهذا كله بسبب قوة اليقين (قوله ثم لا تجد حلاوته الخ) أي لان النور اذا كان تاما كشف الشيء على ما هو عليه واذا كانت البصيرة مستقيمة حكمت بالشيء على وجهه فاقبل القلب في محل الاقبال وأدبر في محل الادبار واذا كان النور مفقودا أو ناقصا والبصيرة غير مستقيمة أقبل القلب في محل الادبار وادبر في محل الاقبال فكان شبيه حال الاعمى تارة يخطئ وتارة يصيب فاذا أصاب فعلى غير أصل ولا حقيقة قال الله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقد جعل الهداية فرع الشرح والشرح فرع النور (قوله وقد مر بعضهم الخ) دليل على قوله وان تجد له (قوله أقبح من سبعين زلة الخ) أقول لان الجفاء في عين الصفاء أقبح منه في استقراره اذ هو من كفر النعم (قوله ان تضيق الخ) أقول قد تقدم هذا له وتقدم الكلام عليه ومحصله اجمالا ان يقال حقيقة التوبة ان تضيق عليك أرض الطبيعة البشرية الشهوانية مع رحبها وسعتها وتوفر قواها وتيسر مألوفاتها حتى لا يكون لك قرار تسكن اليه ثم تضيق عليك نفسك الحيوانية بغلبة اللطيفة الانسانية عليها غما ووحشة بما جنته يداها وتسويف توبتها منه حتى تيقنت أن لا ملجأ من الله الا اليه فعند ذلك أدركتها عواطف الرحمة الالهية فوفقها الله للتوبة فتابت وخرجت من ضيق أرض الطبيعة الحيوانية الى فضاء

(وقال ابن عطاء التوبة) باعتبار الحامل عليها (توبتان توبة الانابة وتوبة الاستجابة فتوبة الانابة أن يتوب العبد خوفا من عقوبته) وهي توبة واجبة (وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرمه) وقربه تعالى وهي مندوبة وظاهره كما قال العلامة القونوي أن الثانية أعلى رتبة من الاولى وان كانت مندوبة وتلك واجبة لان صاحبها ليس طالبا حظ نفسه بل عبودية ربه بخلاف صاحب الاولى وسميت الاولى توبة الانابة لافتقارها الى الانابة الى الله المفسرة بالرجوع اليه علما سواه والثانية توبة الاستجابة لاقترانها بالقرب في قوله تعالى فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وتقدم عن الدقاق ان التوبة تكون للخوف من العقاب وأنها للمؤمنين والانابة للطمع في الثواب ١٢١ وأنها للاولياء والاوبة لمراعاة الامر وانها للانبياء (وقيل لابي حفص لم يبغض التائب) مما ارتكبه (الدنيا فقال لانها دار باشرفيها) لما احتوت عليه من الشهوات (الذنوب) ولبغض الله وذمه لها في خبر لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء (فقيل له فهي أيضا دار أكرمه الله فيها بالتوبة فقال انه من الذنب على يقين ومن قبول التوبة) اى العفو عما تاب عنه (على خطر) لاحتمال عدم قبولها (وقال الواسطي طرب داود عليه السلام) اى سروره وخوفه من الله (وماهو فيه من حلاوة الطاعة أوقعه في أنفاس متصاعدة) يعني في حزن طويل (وهو على حالته الثانية) وهي حالة حزنه (أتم منه في وقت ما ستر عليه أمره) اى في حالته الاولى وهي حالة طاعته في كمال اجتهاده ورؤيته تقصيره فيها والطرب قال الجوهري خفة تصيب الانسان لشدة حزن اوسرور (وقال بعضهم توبة الكذابين) كائنة (على أطراف ألسنتهم يعني قول أستغفر الله) من ذنب من غير اقلاع عنه كما مر عن ذي النون (وسئل ابو حفص عن التوبة فقال ليس للعبد في التوبة شيء) اى تأثير (لان التوبة) واصلة (اليه لا) ناشئة (منه) كسائر الطاعات فان الله تعالى هو الموفق لها والمعين عليها وما قاله مأخوذ من قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا اى وفقهم الله للتوبة فتابوا (وقيل أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب) بخروجك من الجنة اى بسببه والعطف للتفسير

اللطيفة الانسانية (قوله وتوبة الاستجابة) أقول ومن هذا القبيل خبر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (قوله وان كانت مندوبة الخ) أقول ولا بعد فيه فقد تفضل النافلة الفريضة وذلك كما في ابتداء السلام ورده (قوله لان صاحبها ليس طالبا حظ نفسه) أي لكونه لم يتشوف لشيء سوى عبودية ربه وذلك شاهد بتمام قربه ومحبته لربه بخلاف حال الاول لتشوفه لثمرات أعماله التي مرجعها حظوظ النفس (قوله فقال لانها دار الخ) أي ولذا قيل انها سجن المؤمن فاذا خرج منها وقع في راحة الابد أي لانه يصير الحال للرضا وعدم التغير بالاعراض فيكون كما قيل شعرا

أصبحت لا أمل ولا أمنية ● أخشى ولا موعودة أترقب

فيفنى عن الاغيار بحيث لا يبقى له اليها استناد ولا له عليها اعتماد بل يكون لمولاه وحده بلا علة لا تشوف لغيره وذلك عين التحرز عن رق العبودية لشيء غير مولاه فبذلك تقع راحة الابد كما تقدم (قوله فقال لانها دار الخ) محصله الحث على الاعراض عنها مطلقا باعتبار انها دار ابتلاء محقق واكرام مظنون وشتان ما بينهما عند أهل البصيرة (قوله سروره وخوفه الخ) أشار بذلك الى أن سبب الطرب اما استغراقه في انس السرور أو شهوده مظاهر الجلال ومع ذلك هو في حالة الحزن أرقى من حالة السرور في مجاهدة العبادة مع حسن المراقبة (قوله خفة تصيب الانسان الخ) أفاد بذلك ان الطرب لا يختص بطيش الفرح والسرور بل قد ينشأ عن الحزن أيضا خلافا لما يتوهمه بعض الناس من ان الطرب من الفرح فقط (قوله على أطراف الخ) أي فالذي يصيبهم منها مجرد الذكر مع غفلة القلب (قوله ليس للعبد الخ) أي بالنسبة لسابق القضاء أو القدر الازليين وان العبد مجرى لتصاريف الحق تعالى فلا فعل الا لله وحده لا شريك له (قوله يا آدم ورثت ذريتك الخ) انظر هذه النسبة اليه والتعويل في التسبب عليه تجده بظاهر الشرع من كسبه وبباطن التحقيق بقضاء ربه حيث لا ينفع حذر من قدر كما ثبت في صحيح الخبر كيف وآدم ممن ثبتت عصمته وعلت في القرب مرتبته فلا تجوز في حقه المخالفات

(وورثتهم) أيضا (التوبة فمن دعانى منهم بدعوتك) اى بسؤال التوبة عليك (لبيته كتلبيتك) اى أجبته اليها كما أجبتك فيه حث على التوبة وان الله تفضل بها على ذرية آدم كما تفضل بها عليه ويؤيده قوله (يا آدم) أنا (أحشر التائبين من القبور مستبشرين) بالخير (ضاحكين) لما منت به عليهم من فضلى ونعمتى (ودعاؤهم) مع ذلك (مستجاب وقال رجل لرابعة) العدوية رضى الله عنها (انى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى فلو تبت الى الله هل يتوب على فقالت لا) اذ لا تأثير لفعلك حتى يكون سببا موجبا لتوبته عليك (بل لو تاب) هو ١٢٢ (عليك) اى وفقك للتوبة (لتبت) لانه المؤثر فى الافعال وقد قال ثم تاب عليهم ليتوبوا كما مر ولا ينافيه قوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت (قال الاستاذ الامام رضى الله عنه واعلم ان الله تعالى قال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ومن قارف الزلة فهو من خطئه) بارتكابها (على يقين فاذا تاب فانه من القبول) لتوبته (على شك) لاحتمال عدم قبولها (لاسيما اذا كان من شرطه وحقه) اى مريدها (أن يكون مستحقا لمحبة الحق) تعالى اياه (و) المسافة من حين التلبس بالمعصية (الى أن يبلغ العاصى محلا يجد فى أوصافه امارة) استحقاق (محبة الله تعالى اياه مسافة بعيدة فالواجب اذا على العبد اذا علم انه ارتكب ما تجب منه التوبة دوام الانكسار وملازمة التنصل) منه (والاستغفار) ويقاس بما تجب التوبة منه ما تندب منه (كما قالوا استشعار الوجل) بفتح الجيم اى الخوف مستمر (الى الاجل) يعنى ينبغى للعبد أن يكون خائفا من عدم صلاح اعماله مستمرا عليه الى حين موته كما قال تعالى يؤتون ما آتوا ذنب وقلوبهم وجلة ثم حث على اتباع النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (وقال عز من قائل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وكان من سنته عليه السلام دوام الاستغفار وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان) اى ليغطى (على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة) وروى مائة مرة وفائدة استغفاره مع انه مغفور له طلب ما عسى أن يكون فاته شئ حال الغفلة

ولا يقال قد غلبته الشهوات بل ما صدر فبفعل الحكيم على حسب سابق العلم القديم ليظهر سر التكوين من طلاسم السيد الامين اذ هو نسخة الوجود والسبب فى كل موجود وانسان الله الكامل فى الازل والابد ومظهر مظاهر الفرد الصمد من أمده الله به الملائين وشرف بوجوده الكونين فهو نقطة عين النور وشمس سماء الظهور ومرآة الكمالات من أول الأوليات ومفتاح التفضلات ومغلاق الرسالات فمن تقدم عنه فبالنيابة ومن تأخر فله الحسنى وزيادة فتأمل بانصاف واحفظ رتب الاشراف (قوله وورثتهم التوبة الخ) أقول فى ذلك بشرى لذريته بثبوت مثل حظه لهم والله أعلم (قوله فقالت لا الخ) أقول انه صدر ذلك منها فى حال شهودها حقيقة الامر حيث كان تأثير الباعث فى قلب الموفق بايجاده تعالى اذ لا فاعل غيره تعالى (قوله ولا ينافيه الخ) أى لان توبة العبد انما تكون بالتوفيق الالهى (قوله ومن قارف الزلة الخ) مراده حث التائب على أشرف طرق الوصول الى الحق تعالى وذلك بدوام انكسار النفس وذلتها برؤية عدم الاستحقاق لشئ من منح القبول بواسطة الرجوع عما سلف من التقصير عسى بذلك يتم له قرع باب الفتاح (قوله فهو من خطئه بارتكابها على يقين) اى وحيث كان كذلك وان أمر القبول من غيب الله الذى لا يعلمه سواه خصوصا اذا خالط التوبة ظن استحقاق المحبة من الله بتوبته مع بعد هذا الطريق لدى التأمل فلا يكون للعبد حينئذ طريق أسلم من دوامه بعد التوبة ذليلا منكسرا متنصلا من ذنبه مستغفرا منه وذلك عام فى كل توبة سواء الواجبة والمندوبة هذا حاصل ما أشار اليه (قوله الى حين موته) لعل مراده بالموت سببه كالمرض والا فالمطلوب فى هذه الحالة مشاهدة رجاء الفضل والاحسان كما هو معلوم من الفروع الشرعية (قوله انه ليغان على قلبى الخ) أى أغيان أنوار وهى من الظلال الواقعة فى الصدور من المعانى التى أتت بها الواردات وهى مطايا القلوب بايضاح الفهم الى حضرة علام الغيوب كما ان مطايا الاسرار بيان العلم الى حضرة الملك الجبار فمن طلع النور فى قلبه سار على مطية فهمه ومن طلع فى أفق سره سار بمطية علمه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فافهم (قوله طلب ما عسى الخ) محصله ان الاستغفار من العبادة وهو سلم الترقى اذ لا تستدعى المغفرة سبق

وطلب زيادة الدرجات والاستدعاء لمحبة الله له الخاصة بالانبياء قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وأيضا المغفرة هي الستر وطلبه الستر معناه استرعني المقام الذي ارتقيت منه حتى أكمل آداب المقام الذي ارتقيت اليه لان نظره الى الاول يمنعه من تكميل آداب الثاني أو استرعني المقام الثاني حتى أكمل الاول وبالجملة فمقاماته كلها عالية ليس فيها أدنى حتى يستغفر الله منه وانما مراده طلب ماذكر (سمعت اباعبدالله الصوفي يقول سمعت الحسين بن علي يقول سمعت محمد بن احمد يقول سمعت عبدالله بن سهل يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها) لان الفعل القبيح من العالم بكمال قبحه أقبح من غيره ولهذا كان عذاب العالم أشد ١٢٣ من عذاب الجاهل وذكر السبعين هنا وفي الخبر السابق ليس للتقييد بل للمبالغة كما في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وكذا ذكر المائة في الرواية السابقة (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا عبدالله الرازي يقول سمعت أبا عثمان يقول في قوله عز وجل ان الينا ايابهم قال) معنى ايابهم (رجوعهم) الى الله تعالى (وان تمادى بهم الجولان) اى الطواف (في المخالفات) للاوامر فيه الحث على التوبة اختيارا فانهم ان لم يرجعوا اليه اختيارا رجعوا اليه اضطرارا يوم القيامة وهو المراد بقوله ان الينا ايابهم وقوله قال زائد (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبابكر الرازي يقول سمعت أباعمر الانماطي يقول ركب علي بن عيسى الوزير في موكب) بكسر الكاف (عظيم) كاوكبنا (فجعل الغرباء) الذين لايعرفونه ممن يحب الدنيا ويستحسنها (يقولون من هذا من هذا) تعجبا مما هو فيه من المملكة (فقالت امرأة قائمة على الطريق) زاهدة في الدنيا عارفة بها وبالآخرة (الى متى تقولون من هذا من هذا هذا عبد سقط من عين الله) اى حفظه (فابتلاه الله بما ترون) من اشتغاله بالدنيا عن الآخرة (فسمع علي بن عيسى ذلك) فكانت موعظة له (فرجع الى منزله واستعفى من الوزارة وذهب الى مكة وجاور بها) فكان كلام هذه المرأة سبب توبته وسعادته

(باب المجاهدة)

ذنب (قوله وطلب زيادة الدرجات الخ) اى وتقدم أنه يحتمل التشريع أو ذلك بالنسبة لحال أمته حين أطلعه الله على ماسيقع منهم (قوله لان نظره الى الاول الخ) اى فان الاشتغال بغير الاهم يكون مانعا من الاهم (قوله وبالجملة فمقاماته كلها عالية الخ) أقول وكيف لاتكون كذلك وهو المختار للارشاد والمقصود من العباد على ان أرباب الكمالات والمقامات مرجعها اليه وتعويلها في قربها من الحق تعالى عليه فلا ذرة من أحوال السعادة الا وهي بواسطته ولا جمال لشئ الا يتجلى صورته في مرايا أمته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأهل محبته (قوله زلة واحدة الخ) اى لان المنع بعد ذوق لذة العطاء أضر من المنع ابتداء وأقبح وتقدم مثله فلا تغفل (قوله ولهذا كان عذاب العالم أشد) اى لما قام به من الجراءة بعد علمه بوعيد الحق سبحانه وتعالى (قوله بل للمبالغة) اى جريا على عادة العرب حيث كانوا اذا أرادوا التكثير عبروا بمثل ذلك (قوله قال معنى ايابهم رجوعهم الخ) اى فهو يشير الى انه حيث كان الامر كذلك فتجب التوبة وقت التمكن منها في حالة الاختيار قبل المصير اليه تعالى اضطرارا والله اعلم (قوله فانهم ان لم يرجعوا الخ) أقول هو بحسب ظاهر الحال بحكم الشرع والا فالعبد في تصريف الحق تعالى في كل أطواره (قوله ركب علي بن عيسى الخ) فيه تنبيه على أن التوسع في الدنيا لم يكن من أخلاق الكمل من عباد الله باعتبار ان الشان فيه الغفلة بسبب الاشتغال به عما يعني ولذا ورد في الخبر اذا أحب الله عبدا زوى عنه الدنيا (قوله فقالت امرأة الخ) فيه تنبيه على ان الحظ في الدنيا لايجامع شرف الآخرة غالبا وله الاشارة بقوله جل شأنه أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات الآية

(باب المجاهدة)

اى الجهاد الاكبر للنفس كما يشير اليه خبر رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر اذ رد النفس عن مألوفاتها من أكبر الجهاد لصعوبته ومشقته وكثرة الاجر المرتب عليه

وهي الاعمال التي تزيل الاخلاق الذميمة وتحصل الاخلاق الحميدة سواء كانت من أعمال القلوب أم الجوارح وهي مطلوبة (قال الله عزوجل والذين جاهدوا فينا ١٢٦ لنهدينهم سبلنا) اى طرقنا الحميدة (وان الله لمع المحسنين اخبرنا ابو الحسين علي بن احمد الاهوازي قال اخبرنا احمد بن عبيد الصفار قال حدثنا العباس بن الفضل الاسقاطي قال حدثنا ابن كاسب قال حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الجهاد فقال كلمة عدل عند سلطان جائر فدمعت عينا ابي سعيد) فان قلت روى البخاري خبران أفضل الاعمال الايمان ثم الجهاد وخبران أفضلها الصلاة لوقتها قلت الاجوبة مختلفة في أوقات فأجاب في كل منها بما هو الافضل في حق السامع فمن ظهر منه قلة الكلام في العدل عند السلطان قال له أفضلها كلمة عدل عند سلطان جائر ومن ظهر منه قلة ايمان قال له أفضلها الايمان ومن ظهر منه قلة صلاة قال له أفضلها الصلاة ومجاهدة كل أحد تكون بقيامه بحقوق ما أقيم فيه من امرية وتحابب في الله وتعلق قلبه في المساجد وغير ذلك فالامير يقوم بما يتعلق به من حقوق الناس والمتحابون في الله لا يصح لهم الحب فيه حتى تزول عنهم محبة الدنيا بالكلية ويؤثر كل منهم صاحبه بما أمكنه (سمعت الاستاذ اباعلي الدقاق رحمه الله يقول من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والله

وهي مطلوبة وجوبا وندبا بحسب المجاهد فيه (قوله وهي الاعمال الخ) اى عملا بخبر الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني فعلى العاقل أن يستعمل طرق هضم نفسه عن غرتها ويوقظها من سنة غفلتها ويدوم على محاسبتها فذلك مقام عجيب لابد منه لكل متوجه لما ورد حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وهي شعوب ومنازل وموارد ومناهل فينبغي لكل عاقل أن يحاسب نفسه كمحاسبة الشريك الشحيح لشريكه فلا يسامحها في شئ من حظوظها ومألوفاتها ما استطاع اذ الخواطر الى قسمين محمود ومذموم والمحمود الى قسمين رباني وملكي والمذموم كذلك نفساني وشيطاني ثم هو قد يكون من الملبوس بالوارد الرباني او الملكي فيحتاج المريد الى شيخ عارف وبصير ناقد ناصح يبين له ذلك ليتبع ما يصح اتباعه ويجتنب ما يلزم اجتنابه (قوله سواء كانت من أعمال القلوب الخ) اى سواء كانت تلك الاعمال التي يحصل بها جهاد النفس وردها عن مألوفاتها من أعمال الجوارح الظاهرة أم من أعمال القلوب (قوله قال الله عزوجل الخ) استدلال على ان المجاهدة للنفس مطلوبة فقوله والذين جاهدوا فينا اى في مرضاتنا ولذاتنا لنهدينهم سبلنا أى لنوصلنهم الى الطرق المبلغة لرضانا والمقربة من رحمتنا (قوله فقال كلمة عدل الخ) اى وانما كانت من أفضل الجهاد لما فيها من المخاطرة بالنفس باعتبار جور ذلك السلطان (قوله فان قلت الخ) محصله ان هذا الخبر يعارضه ما رواه البخاري المفيد صراحة ان أفضل الاعمال الايمان ثم الجهاد وان أفضلها الصلاة لوقتها ومحصل قوله قلت ان الاجوبة مختلفة باختلاف أحوال السائل فأجاب كلا بما هو الاولى في حقه (قوله قلت الاجوبة الخ) محصل ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما كان طبيبا روحانيا بعثه الله رحمة للعالمين وفيهم مرضى بأمراض مختلفة فقد داوى كل انسان بحسب ما يوافق علته وجزاه الله تعالى عن أمته أفضل الجزاء (قوله ومجاهدة كل أحد الخ) محصله ان الاهم من أنواع المجاهدة فيما أقيم فيه العبد من تصاريف الحق في الحال فعليه القيام بحقوق ما أقيم فيه من حقوق الحق وحقوق الخلق (قوله من زين ظاهره الخ) اعلم أن حكمة الحكيم قد اقتضت انه اذا قطع مدد الشهوة المذمومة عن النفس بالمجاهدة أشرق القلب وعوالمه وانكشفت له الحقائق وأمطرت عليه من سماء الفضل غيوث المعارف فيذوق لذة لم يدركها قبل ذلك ويباشر راحة لم ينلها الا من هنالك ويتصل به المدد المحمدي فيظل عند ربه يطعمه من أقوات العرفان ويسقيه من شراب المحبة فتسترق النفس السمع فتحن الى الالحان ومفاكهة الندمان ويسترق الطبع من الطبع فيرجع الى أحكام صحو الشرع وبعبارة أخرى يقال أيضا ان بالمجاهدة ورد النفس عن عاداتها ترجع الى صحبة القلب بعد نفرتها منه بمقتضى شهواتها عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة

والله قدير والله غفور رحيم فاذا ذاقت النفس من اللذائذ الملكوتية مالم يخطر لها ببال ولم تذقه من اللذائذ الحسية الملكية صارت تطلب السبب الذى يوصلها الى زيادة هذه اللذة ويوصل تلك اللذة اليها وهو لا يكون الا بحمل المشقة وتجشم الكلفة بالمجاهدة فصارت الحواجب تقضى الحوائج كما قيل شعرا

حواجبنا تقضى الحوائج بيننا * ونحن سكوت والهوى يتكلم

وشاهد هذا الطفل فى أول أمره لا يسير الى محل التعلم الا بكلفة فلما كابد تلك المرارة مدة وتجرع هذه المشقة برهة حتى صار فى مقام الامامة والتعليم وأقبلت عليه القلوب وأحدقت به العيون ونال من افتضاض الابكار من المعانى مالم يتصل اليه بافتضاض الغوانى صار لو قيد بالسلاسل لما امتنع عن هاتيك الفضائل فسبحان مقلب القلوب لا اله الا هو علام الغيوب تدبرتفهم والله سبحانه أعلم (قوله من زين ظاهره الخ) المراد ان ذلك امارة على حسن السرائر والافتزيين الظاهر سببه تنوير الباطن والله أعلم (قوله من لم يكن فى بدايته الخ) البداية ابتداء التوجه الى نيل الوصول بالدخول فى خطا الاصول (قوله من ظن انه يفتح له الخ) اى ودليله فى الشاهد ظاهر اذ من طلب نفيسا فى ظاهر الحال العاجل بذل غاية جهده فى تحصيله فمن طلب الحق فهو أحرى فى بذل الروح فضلا عن غيرها (قوله الا بلزوم المجاهدة الخ) اى بغير التسويف المؤدى الى فوات وقت الطاعة اذ فى ذلك كرامات منها مبادرة الامر ومراقبة الذكر وعمارة السر وانشراح الصدر والتفرغ لوظائف الوقت وفى ذلك حجة على التارك والجانب قال الشاذلى قدس الله سره لا تؤخر طاعة من وقت لوقت فتعاقب بفوتهما او فوت غيرهما او مثلهما فان لكل وقت سهما من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية شعر

يغوص البحر من طلب اللآلى * ومن رام العلا سهر الليالى

(غيره)

وردنا حى ليلى على كل ضامر * ولم نخش من حد السيوف البواتر

(غيره)

تهددون محبكم بمماته * ومماته فى الحب عين حياته

لوانهم شربوا مدامة وجده * علموا الذى جهلوه من راحاته

واعلم أن كل ذلك انما هو بالنسبة للفضائل الكسبية فلا يعارض بماله تعالى من المنح الوهبية فان السبب والمسبب بايجاده والمنح والتشريف من اسعاده (قوله من لم يكن له فى بدايته قومة الخ) اى فمن لم يذق المشقات فى طريق السلوك الى ملك الملوك فى بدايته لم يشم ريح من راحة الوصول فى نهايته اذ من جد وجد ومن توانى يخشى عليه العطب (قوله ما أخذنا التصوف الخ) اى لم نكتف بنقل عبارات القوم وذكر أخلاقهم وما كانوا عليه فى المعاملات لان الاكتفاء بذلك ضار غير نافع اذ هو مما تقوم به الحجة على

واعلم ان من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة) لانه اذا اجتهد فى شبيبته فى الاعمال وجد بركة ذلك حين عجزه وكبر سنه (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من ظن انه يفتح له شئ من هذه الطريقة او يكشف له عن شئ منها الا بلزوم المجاهدة) يعنى بغير لزومها (فهو فى غلط سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول من لم يكن له فى بدايته قومة لم يكن له فى نهايته جلسة) وعن ابى محمد الجريرى قال سمعت الجنيد يقول ما أخذنا التصوف من القيل والقال ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات

وقد قيل حقيقة الارادة استدامة الجد وترك الراحة وقال ابو عثمان عقوبة قلب المريد أن يحجب عن حقيقة المعاملات والمقامات الى اضدادها ومبنى طريق القوم فى معاملاتهم على حسب المتابعة ومن ظن انه يبلغ غرضا او يظفر بمراد لامن طريق المتابعة فهو مخذول مغرور وقال ابو سعيد الخراز كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وقال بعضهم من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة و من أمّر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة (وسمعته ايضا يقول قولهم الحركة) قه (بركة) اذ (حركات الظواهر) بالمجاهدات (توجب بركات السرائر) من تنوير القلوب ونفى الغفلة عنها بتكرار النيات بالحضور مع الله فى سائر الاوقات (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت احمد بن على ابن جعفر يقول سمعت الحسين ابن علويه) بفتح العين وضم اللام المشددة (يقول قال ابو يزيد البسطامى كنت اثنتى عشرة سنة حداد نفسى وخمس سنين كنت مرآة قلبى وسنة أنظر فيما بينهما فاذا فى وسطى زنار ظاهر) بضم الزاى وهو خيط غليظ يشد به الذمى وسطه (فعملت فى قطعه ثنتى عشرة سنة ثم نظرت فاذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين انظر كيف أقطعه فكشف لى

غير المخلوق بمثل أخلاقهم (قوله حقيقة الارادة الخ) اى تحقق العبد بوصف العبادة لايتم الا باستدامة الجد بجهاد النفس وترك راحتها (قوله عقوبة قلب المريد الخ) اى فعدم القيام بوظائف الطاعة والبعد عن معاملاتها دليل على عقاب القلب وكفى بظلمة القلب بالترك عقوبة وأى عقوبة (قوله ومبنى طريق القوم) اى أصلهم وأساسهم الذى يبنون عليه فى معاملاتهم مع الحق تعالى ومع الخلق على حسن متابعته صلى الله عليه وسلم اذ هو الطريق لا طريق غيره (قوله ومن ظن أنه يبلغ غرضا الخ) تأمل ذلك وقابل به حال أهل زماننا المدعين انهم من الفقراء الزاهدين بل يدعون انهم من الاولياء المعظمين مع ما ابتدعوه من الضلالات وارتكبوه من السيآت حيث جعلوا هذا سببا فى وصولهم الى العرض الفانى واشتغالهم به عن تحصيل الاجر الباقى ولاسيما كيفية ذكرهم وتصنع جذبهم والتفوه بما لايتعقله عقل ولا يشهد لصحته نقل فعلى العاقل أن يجتنبهم ويبعد عن مخالطتهم اذا ضرر بهم أقرب والله بعباده أعلم (قوله كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل) اى كل حال من الاحوال الباطنة لم يشهد لصحته شاهد علم الظاهر من أحكام الشريعة المحمدية فهو باطل لا يجوز اعتقاده ولا العمل به (قوله من أمر السنة الخ) اى من لم يخرج عن متابعة سيد الكمل فى سائر حركاته وسكناته أثمر ذلك له بواسطة اشراق نور المتابعة انه ينطق بالحكمة ومن تابع هواه وشهوات نفسه أثمر ذلك له بواسطة ظلمات جهالاته انه ينطق بالبدعة (قوله الحركة قه بركة) أى ويشهد له خبر من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يكن يعلم (قوله توجب بركات السرائر) اى حيث دوام العمل بتوجه القلب حضورا مع الحق من أقوى أسباب الترقى الى نيل الدرجات (قوله سمعت محمد بن الحسين الخ) تقدم الكلام على هذا المبحث مستوفى ونهاية القصد من تكراره الحث على التبرى من الحول والقوة وعدم الوقوف مع الاسباب والاحوال والمقامات نظرا الى تصاريف الحق فى كافة الخلق (قوله قال ابو يزيد الخ) أقول ولمثله قد أشار قدوة العارفين ابن الفارض قدس سره حيث قال شعرا

ولقد أقول لمن تحرش للهوى * عرضت نفسك للبلا فاستهدف
أنت القتيل بأى من أحببته * فاختر لنفسك فى الهوى من تصطفى
قل للعذول أطلت لومى طامعا * ان الملام عن الهوى مستوقفى
دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

فأشار بدر نظمه ونظم دره الى ان من ادعى المحبة قد عرض نفسه لبلائها وتلاف نفسه فى مجاليها فهو اذا كان صادقا فى دعواه لا بد له من الهلاك وتلف النفس فى محبته فعليه حينئذ أن يصبر من يكون هلاكه بسببه وصلته للبقاء بعده فيكون تلافه عين صلاحه وموته عين حياته وتعبه فى مرضاته هى حقيقة راحاته ولا شئ بهذا الوصف الا الذات العلية ولا وصول لها الا بالمتابعة الاحمدية ثم هو اذا وصل الى هذا الكمال ردمنه

فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات) أشار بذلك الى كمال مجاهدته فى أول بدايته اذ شأن الحداد
أن يحمى الحديد ثم يطرقه حتى يبرد فتضرج أوساخه ثم يعيده الى النار فيمده حتى يستقيم على ما يراد منه
فلذلك قال أقمت ثنتى عشرة سنة أعدل جوارحى من سمعى وبصرى ولسانى وسائر أعضائى بالخوف والرجاء حتى استقامت على الخير ثم عملت فى قلبى فى ازالة الاخلاق الذميمة والتخلق بالاخلاق الحميدة خمس سنين ثم نظرت فيما حصل لى من الخير من جمال باطنى وظاهرى سنة فوجدت نفسى ملتفتة الى الخلق محبة لاطلاعهم على حسن أعمالى ومدحهم لى على ذلك فشبهته بعلامة الشرك وهو الزنار الظاهر لما فيه من الالتفات الى غير الله فعملت فى قطعه ثنتى عشرة سنة ثم نظرت فاذا بباطنى استحسان لاعمالى ولمدح الناس لها على ذلك فشبهته بالزنار الباطن وهو العجب بالعمل او بمدحه فعملت فى قطعه خمس سنين ثم نظرت فى الخلاص من ذلك فوجدت الطريق فيه أن يغلب على قلبى حال انفراد الحق تعالى بالافعال وهو انه لا ضار ولا نافع ولا معطى ولا مانع الا هو فشبهت غيره من الخلق بالموتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات ونفسى منهم فعاش رحمه الله بذلك الحياة الحقيقية التى أحياه الله بها وشغله به عمن سواه (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى) رحمه الله (يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى) السقطى (يقول يا معاشر الشباب

لسان الحال على المذول القال بدع عنك تعنيفى الى آخر ما ذكره الذى محصله ان الذى دعا عذوله لتعنيفه بلومه الطويل طمعه فى كون لومه يستوقفه عن هوى من أتلف نفسه فى محبته وذلك منه جهل وحمق فانه لو ذاق طعم هواه وشرب من خمر مناه ما أمكنه اللوم بل يصير من اشراف القوم والله أعلم بكلام أوليائه وأسرار أصفيائه (قوله فرأيتهم موتى) اى بالنظر الى حقيقة الامر اذ لا فاعل الا الحق تبارك وتعالى والا فمن جملة الخلق من يرزقه أهل الارض (قوله أشار بذلك الخ) اى حيث المجاهدة فى أول البداية وبدوام حكم التكليف الى النهاية تصير لذة للنفس فيعمل صاحبها عليها وذلك لان المريد أولا يكلف نفسه عبادة ربه حتى تمرن عليها وتعتادها فتصير كالحق لها وله الاشارة بخبران لنفسك عليك حقا فتطالب صاحبها به فيتكفل لها به حتى تتكلف العمل وتشغف به وتلتذ به والى ذلك أشار عارف وقته ابن الفارض قدس الله سره حيث قال شعرا

لا تحسبونى فى الهوى متكلفا ٭ كلفى بكم خلق بغير تكلف

(قوله اذ شأن الحداد الخ) الغرض للشارح توضيح ما أشار اليه الشيخ بابداء اوجه التشبيه الذى انطوى عليه كلامه الذى محصله اجمالا ارتكاب المشاق والكلف الزائدة ابتداء طلبا لتعديل النفس واستقامتها على ما أريد منها باعتبار ظاهر الجوارح وباطنها حتى استقامت وتعدلت وصارت لها العبادة حقا من حقوقها تطالب به كما أوضحناه قبل (قوله فوجدت نفسى الخ) اى بحسب ما جبلت عليه من محبة اظهار محاسنها والثناء عليها بذلك (قوله فشبهته الخ) الغرض المبالغة فى التنفير عن مثل هذه الاخلاق (قوله ان يغلب على قلبى الخ) اى يعلم انه كريم وان الكريم لا تتخطاه الآمال لان جماله يغنى عن اختيار غيره واحسانه يصرف الوجه اليه دون ما سواه ولا سواء ولا غير الا به وله فالرجوع اليه أولى فى كل حال لمن عقل فقد ورد فى بعض الآثار يقول الله تعالى عبدى اجعلنى مكان همك أكفك كل هم ما كنت بى فأنت فى محل القرب وما كنت بك فأنت فى محل البعد فاختر لنفسك اوكما ورد (قوله فشبهت غيره الخ) اى بسبب غلبة هذا الحال عليه من ان الخلق محل لتصريف الحق فى نفس الامر والاقتصار على نسبة النفع للخالق ثابتة بحكم الشرع كما قدمنا (قوله فكبرت الخ) منه يفهم انه شرع فى مقام الجمع بعد ان تحقق بحق الفرق والله أعلم (قوله ونفسى منهم) اى لكونها فى هذه الحالة متحققة بمقام الوجود به تعالى (قوله يا معاشر الشباب الخ) أقول وجه حثه على الجد فى العبادة تابع لما قيل انه لما علم الحق ان من ينهض لمعاملته دون تنبيه ولا تأكيد من العباد قليل وان أكثر الخلق انما يطلب الدنيا ويميل مع الهوى عزم لهم بالايجاب ليكون حجة للعاقل وحجة على الغافل فلزمهم ذلك طوق أعناقهم كالسلاسل قال صاحب الحكم فساقهم اليه بسلاسل الايجابات فقد أشار الى وجوه ثلاثة عدم الانفكاك بكل حال وكونها

جدوا) اى اجتهدوا فى العبادة (قبل أن تبلغوا مبلغى فتضعفوا وتقصروا) عنها (كما ضعفت وقصرت) عنها (وكان) هو (فى ذلك السن) وفى نسخة الوقت (لا يلحقه الشاب فى العبادة وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا بكر الرازى يقول سمعت عبد العزيز البحرانى يقول سمعت الحسن القزاز يقول بنى هذا الامر) اى علم التصوف (على ثلاثة أشياء أن لا تأكل الا عند الفاقة ولا تنام) عن فعل الطاعات (الا عند الغلبة ولا تتكلم الا عند الضرورة) لعموم خبر من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولخبر حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولقوله تعالى لا خير فى كثير من نجواهم الآية وقال مالك رضى الله عنه من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وفى الخبر وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم وعمر الانسان رأس ماله الذى فيه تجارته فاذا ضيعه فيما لا يعنيه فقد أتلفه فى لا شئ (وسمعته) أيضا (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت احمد بن خضرويه يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول لن ينال الرجل درجة الصالحين

فائدة او سائقة وتوصيلها لعين المراد لا من حيث تعلقت به فافهم والله أعلم (قوله جدوا فى العبادة الخ) اى وذلك بتكليف النفس واخراجها عن عاداتها فالشرع لا يجىء الا بخرق العوائد ومن ثمة ضل أهل الزيغ بسكونهم اليها قال تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا فعلى العبد تعديل أوصافه لروحانيته بعد تعديله لاوصاف حيوانيته فالنفس باعتبار أوصافها الحيوانية من الشهوة والغضب امارة بالسوء فاذا ارتفعت عنها الى الاوصاف الانسانية تصير لوامة فاذا تخلقت بالاخلاق الروحانية صارت مطمئنة قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به (قوله وكان هو فى ذلك السن الخ) فيه تنبيه على انه معان بالهبة بسابق عناية التوفيق الالهى (قوله بنى هذا الامر الخ) أقول لما عظم البلاء بشهوة البطن وفلتات اللسان أشار الى طريق المداواة من ذلك بما ذكره امتثالا للاخبار وليصل الى درجة الابرار (قوله على ثلاثة أشياء) اى والناس أيضا ثلاثة رجل نهض لامر ربه وخدمته لمحض العبودية وحق الخدمة فهو حر كامل ورجل نهض لحسن الخدمة أو حسن من نسبت اليه الخدمة فهو مريد طالب او عارف مستبشر ورجل نهض لرجاء الثواب وخوف العقاب فهو من عوام المؤمنين وكافة أصحاب اليمين (قوله أن لا تأكل الا عند الفاقة الخ) اى لان الاكل من حظ النفس الحيوانى وبقلته يقوى الخلق الشهوانى وقوله ولا تنام الخ اى لان النوم أخو الموت الذى هو من أعظم أسباب الفوت (قوله ولا تتكلم الا عند الضرورة) اى لان فلتات اللسان أضر من وقع السنان ولقولهم من كثر لفظه كثر سقطه ولقولهم ما ندم من سكت فاللسان وان صغر جرمه فقد عظم جرمه (قوله من حسن اسلام المرء الخ) اى والحسن انما يتحقق كماله بترك المحرم والمكروه وخلاف الافضل (قوله حسب ابن آدم الخ) اى كافيه ذلك واللقيمات المذكورة مقدرة فى الشرع بثلث البطن كما يشير اليه باقى الخبر والحاصل ان المرغب فيه ما يبقى معه النشاط للعبادة من الطعام ونهايته الى ثلث البطن والزيادة عن ذلك خلاف الافضل أو مكروهة وذلك لخبر ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه والحس شاهد عدل بذلك (قوله وقال مالك) اى الامام وهو ممن ثبت انه يدوم على محاسبة نفسه حتى قيل انه مر يوما فى بعض طرق المدينة الشريفة فوجد دارا تنشأ فسأل لمن هذه الدار فقيل له انها لفلان فلما أمسى حاسب نفسه على ما صدر منه فى ذلك اليوم فوجد هذا السؤال فرأى انه مما لا يعنيه فصام عاما كاملا كفارة لهذا السؤال والله أعلم (قوله من عد كلامه الخ) اى فعلى العاقل الامساك عنه الا فى خير دينى (قوله وهل يكب الناس الخ) أقول لعله فى المحرم منه او هو من قبيل الزجر (قوله فقد أتلفه فى لا شئ) اى مع عدم التمكن من تدارك الفائت (قوله سمعت ابراهيم الخ) قد تقدم هذا فاعادته لاجل المبالغة فى الحث على الجد والاجتهاد فى العبادة

حتى يجوزست عقبات اولها يغلق) من أغلق (باب النعمة ويفتح باب الشدة والثانى يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابع يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر والسادس يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت) ولا تحصل هذه الخصال الا بالمبالغة فى المجاهدة لانها خلاف المعتاد للناس فانهم يفزعون من التعب والفقر والشدة والسهر والذل والاستعداد للموت ويجمعها كلها الاخير فانه انما يحصل بالقيام بالطاعات ومفارقة الشهوات وهذه الحكاية قدمها الشيخ ايضا فى باب ذكر مشايخ هذه الطريقة بالسند المذكور لكنه ذكر ثم بدل شيخه السلمى شيخه محمد بن الحسين وان ابراهيم ذكر ذلك لرجل فى الطواف (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله) الانسب بما تقدم وبما يأتى أن يقول وسمعته (يقول سمعت جدى اباعمرو بن نجيد يقول من كرمت عليه نفسه) ووافقها فيما تحب من الشهوات وترك مشقة الطاعات (هان عليه دينه وسمعته) ايضا (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت اباعلى الروذبارى يقول اذا قال الصوفى بعد خمسة ايام) اى او نحوها (انا جائع فالزموه السوق وامروه بالكسب) له أى بان يكتسب لنفسه نبه بذلك على ان العبد لا يعرض نفسه الى الطلب من الناس بترك التكسب وان كان قليل الصبر على الجوع (واعلم أن اصل المجاهدة وملاكها) بفتح الميم وكسرها وهو ما يقوم بها (فطم النفس) اى قطعها (عن المألوفات وحملها على خلاف هواها فى عموم الاوقات)

(قوله حتى يجوزست عقبات الخ) اقول ومن العجيب القعود عن هذا مع انه مما يوصل الى الجنة الدائم نعيمها وهى انواع جنة الطاعة وجنة المجازاة وجنة المشاهدة وهى اعظمها وذلك لان جنة الطاعة مستلزمة لجنة المجازاة اذ هى ثوابها والله لا يخلف وعده والآتى قطعا كالموجود فى الحال ومن جملة نعيمها انها مجالى المشاهدات لرب الكائنات والحاصل ان الجنان اربع جنة المعاملة باللذة بعظم المنة وجنة الفتح بظهور الكرامة وهما فى الدنيا وجنة الجزاء فى الدار الآخرة وفيها تكون جنة المشاهدة رزقنا الله الجميع بمنه وكرمه (قوله حتى يجوز الخ) أى وذلك عين الكمال ومع ذلك فالاولى ان يدوم العبد على اتهام النفس عملا بقوله جل شأنه حكاية عن الصديق وما ابرئ نفسى الآية لان حظ النفس فى المعصية ظاهر جلى وفى الطاعة باطن خفى علاجه اصعب وخطره اعظم كما قيل ان فى الطاعات من الآفات ما يغنيكم أن تطلبوا المعاصى فى غيرها وعلى ذلك حمل قوله جل شأنه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ولذا اشار البوصيرى حيث قال • وان هما محضاك النصح فاتهم • (قوله ويجمعها كلها الاخير) أى ولذا قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه ما ذكر فى كثير الا قلله ولا فى قليل الا كثره (قوله فانه انما يحصل الخ) اعلم ان الله تعالى غنى عنك وطاعتك لك وحيث كان كذلك وجب أن لا تقصر فان ساعدك القدر على ذلك فالامر ظاهر والا فلا تيأس من رحمة مولاك لان ذلك قادح فى يقينك كما قال صاحب الحكم من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وان يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهية قلت وذلك لانه حينئذ قد استثنى منها شيأ هو صلاح حاله والله اعلم (قوله من كرمت عليه نفسه الخ) اى فالذى ينبغى خلافها فيما تشتهى وتهوى ليتم لها النعيم بالشفاء من امراضها المردية لها (قوله اذا قال الصوفى الخ) الغرض الحث على تقوية العزائم على تحمل المشقات فى طريق السير اليه تعالى اذ المعونة على قدر المؤنة وعلى قدر اهل العزم تأتى العزائم (قوله واعلم ان اصل المجاهدة الخ) اقول لا تستصعب ذلك فى نفسك بحسب ما استرسلت فيه من حظوظك قال تعالى وكان الله على كل شئ مقتدرا اذ من جملة اقتداره تبديل اخلاقك الذميمة بغيرها حميدة فانه قد فعل ذلك بجماعات من الخلق كابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض وبشر الحافى وعبد الله بن المبارك وابى بكر الشبلى وذى النون المصرى وغيرهم فانظر حكاياتهم فانها عون لك فأكثر اللجأ الى الله تعالى فيما عسر عليك من قياد نفسك موقنا بانه المالك لصلاح شأنك وتوفيقك وتسديدك ولا تيأس من رحمة الله التى وسعت كل شئ والله اعلم (قوله واعلم الخ) اقول ما ذكره يشبه ان يكون من جوامع الكلم فى طريق الارشاد الى سلوك طريق الحق فتدبره بقلبك وعض عليه بنواجذك (قوله فطم النفس الخ) اى وتقدم للجنيد التصريح بمثله حيث قال اذا خالفت النفس هواها صار

فان العبد كلما اندفع عنه الصارف والمانع سهل عليه تحصيل العمل النافع ولذلك قال المشايخ الارادة ترك ما عليه العادة والنفس تحتاج الى سائق وقائد فى ابتداء امرها فالرجاء يقودها والخوف يسوقها فاذا استقام السائق والقائد مشت الى الخير بسهولة ومتى افرط القائد ذللها وأمنها ومتى افرط السائق قنطها وقتلها (وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير انهمال فى الشهوات وامتناع عن الطاعات فاذا جمحت) أى غلبت صاحبها (عند ركوب الهوى يجب عليه كبحها) أى جذبها (بلجام التقوى واذا حرنت) عليه بفتح الراء وضمها أى وقفت ولم تنقد (عند القيام بالموافقات) أى المأمور بها (يجب عليه سوقها على خلاف الهوى واذا ثارت) اى هاجت (عند غضبها) من استنقاص قدرها (فمن الواجب) على صاحبها (مراعاة حالها فما من منازلة) أى نزول فى مرتبة (احسن عاقبة من غضب يكسر) بالبناء للمفعول (سلطانه) أى قوته (بخلق حسن وتخمد نيرانه) أى يسكن لهبها (برفق واذا استحلت شراب الرعونة) أى الحمق (فضاقت فى نفسها عن كل شئ (الا عن اظهار مناقبها والتزين لمن ينظر اليها و يلاحظها فمن الواجب) على صاحبها (كسر ذلك عليها واحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها وخساسة اصلها وقذارة فعلها) قال الغزالى كسر النفس الجموح يحصل بثلاثة اشياء احدها منعها الشهوات فان الدابة الحرون تلين اذا نقص من علفها ثانيها حملها اثقال العبادات فان الدابة اذا زيد فى حملها مع نقص علفها ذلت وانقادت ثالثها الاستعانة بالله والا فلا مخلص اما تسمع قول يوسف عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى انه

دائما دوابها فلا تغفل عن حكم المتقدمين لتكون من السابقين (قوله الارادة الخ) اقول اصطلاحهم نفعنا الله ببركاتهم انهم يطلقون الارادة و يريدون منها العبادة فعليك بخلاف العادات تنل كل المرادات (قوله فى ابتداء امرها) احترز بذلك عن زمن النهاية فان السائق والقائد فيه انما هو المحبة والاجلال وذلك لان الرجاء والخوف من منازل النفس وهما معلولان زمن النهاية فى نظر العارف لما يشعران به من عدم الاكتفاء بالقسمة الازلية التى لا تقبل تبديلا ولا تغييرا فالعارف شأنه الرضا بكامل ما تقتضيه القسمة لفناء مراداته فى مرادات سيده (قوله ومتى افرط القائد الخ) أى فالاولى التوسط بين درجة الافراط والتفريط اذ خير الامور اوساطها (قوله وللنفس صفتان الخ) مراده تمهيد طريق سياسة النفس لردها عن معايبها حتى تتخلق بمحاسن الاخلاق فمن عليه بالواجد (قوله انهمال فى الشهوات) اى وهو يستدعى انه كلما اراد العبد النهوض اخلده وان نهض بالفعل امسكه عن السير وان سار منعه من الاسراع وان اسرع ثبطه فى الطريق فكلما اجتمع له رغبة فكرة فرقها جنود الشهوة فلا يصح ارتحاله عن عوالم طبعه الى بساط الحق مادام مع شهواته فلذلك لزم الانخلاع عنها لمن اراد القرب (قوله وامتناع عن الطاعات) عطفه على ما قبله من عطف اللازم على الملزوم وذلك لان قوة الشهوات من الاسباب القوية فى الابعاد عن الخيرات (قوله بلجام التقوى) هو من اضافة الصفة للموصوف وما أجمع ما قاله الجنيد فى معنى التقوى حين سئل عنها حيث قال ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك والله اعلم (قوله واذا ثارت اى هاجت عند غضبها) اى واذ ثارت نيران غضبها بمقتضى الطبيعة من استنقاص قدرها اطفأها بالالتفات الى مصدر الافعال وهو الحق سبحانه وتعالى اذ لا فاعل فى الحقيقة غيره وهو لا يفعل عبثا بل اما لمصلحة التأديب واما لحاجة التكميل (قوله فمن الواجب الخ) قال بعض العارفين قيل لى فى يقظة كالنوم أو فى نوم كاليقظة لا تبدين فاقة الى غيرى فأضاعفها عليك مكافأة لسوء ادبك وخروجك عن حد عبوديتك انما ابتليتك بالفاقة لتفزع منها الى وتتضرع بها لدى وتتوكل فيها على سبكتك بالفاقة لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفن نفسك بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسى بالغنى فان وصلتها بى وصلتك بالغنى وان وصلتها بغيرى قطعت عنك مواد معونتى وحسمت اسبابك من اسبابى طردا لك عن بابى فمن وكلته الى هلك (قوله بما يذكرها الخ) اى واقوى طرق التذكير التدبر فى ابتدائها والتفكر فى انتهائها وغاية ضعفها فيما بين ذلك (قوله بثلاثة اشياء) اى مع القيام على النفس بها تدريجا على حسب ما تقتضيه السياسة لاجل عدم نفرتها بسبب الهجوم عليها كرة واحدة (قوله اما تسمع قول يوسف) اى حيث اشار الى

(وجهد العوام) بضم الجيم وفتحها يكون (في توفية الاعمال) اى تمامها وتكثيرها (وقصد الخواص) يكون (الى تصفية الاحوال) اى تكميلها (فان مقاساة الجوع والسهر) وان كان شديدا هو بالنسبة الى مراعاة الاحوال والانتقال عن الاخلاق الذميمة والتخلق بالاخلاق الحميدة (سهل يسير ومعالجة الاخلاق والترقى عن سفسافها) اى دنيها (صعب شديد ومن غوامض آفات النفس ركونها الى استحلاء المدح) لها (فان من تحسى منه جرعة حمل) لاجله (السموات والارضين) مثلا (على أشفاره) أى اطراف اجفانه التى ينبت عليها الهدب لان العبد يتحمل ١٣١ فى وقت الهوى وشدة الرغبة فى المقصود مالا يتحمله فى غير ذلك الوقت لاسيما اذا غلب على ظنه ان ذلك المقصود ينقله الى ما هو أعلى منه (وامارة ذلك انه اذا انقطع عنه ذلك الشرب) أى نصيبه من المدح (آل) أى رجع (حاله الى الكسل) اى التثاقل عن الاعمال (والفشل) اى الضعف عنها (و) لهذا (كان بعض المشايخ يصلى فى مسجده فى الصف الاول سنين كثيرة فعاقه يوما عن الابتكار الى المسجد عائق فصلى فى الصف الاخير) فوجد فى نفسه انكسارا وتألما فقام عنده أن سببه ان نفسه كانت فرحة بمدح الناس لها وملازمتها للصف الاول مرائية بذلك (فلم ير بعد ذلك مدة فسئل عن السبب فقال كنت اقضى صلاة كذا وكذا سنة صليتها) فى الصف الاول (وعندى أنى مخلص فيها لله سبحانه وتعالى فداخلنى يوم تأخرى عن) البكور الى (المسجد من) اجل (شهود الناس اياى فى الصف الاخير نوع خجل) منهم (فعلمت ان نشاطى طول عمرى انما كان على رؤيتهم) اياى فى الصف الاول (فقضيت صلاتى ويحكى عن ابى محمد المرتعش انه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد) اقاسى فيها التعب والجوع (فبان لى أن جميع ذلك كان مشوبا بحظى وذلك ان والدتى سألتنى يوما ان استقى لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسى فعلمت ان مطاوعة نفسى فى) اعمال (الحجات كانت لحظ وشوب) وفى نسخة وشرب (لنفسى اذ لو كانت نفسى فانية) عن حظها (لم يصعب عليها ما هو حق) اى واجب عليها (فى الشرع) ويسهل عليها ما هو نفل فيه

انه لا طاقة لبشر على رد النفس الا بواسطة اعانة الحق له باحسانه وافضاله (قوله وجهد العوام الخ) أى اجتهادهم انما هو فى توفية الاعمال بالاتيان بها وافية كاملة على طريق المتابعة وتكثيرها (قوله وقصد الخواص الخ) اى ولهذا قال الجنيد لا تصفو لاحد قدم فى العبودية حتى تكون افعاله كلها رياء واحواله كلها دعاوى وقال النهرجورى من علامة من تولاه مولاه فى احواله ان يلهمه التقصير فى اخلاصه والغفلة فى اذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهدته وقلة المبالاة فى فتوره لتكون افعاله عنده غير مرضية ويزداد فقره الى الله تعالى فى سيره حتى يفنى عن كل ما دونه اه (قوله ومعالجة الاخلاق الخ) أى ولهذا قال نبى الله شعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب فذكر الانابة والتوكل للاستسلام كما ذكر ارادة الاصلاح للعبودية وذكر التوفيق للتبرى من الحول والقوة فافهم (قوله ومن غوامض الخ) الغرض منه الحث على التبرى من شهود حسن الاعمال وحب الثناء عليه بذلك (قوله فان من تحسى الخ) أى فينبغى الحذر من أن يكون للنفس غرض دنىء فى انواع العبادة كحسن الثناء والشهرة بها فيلزم اخلاص القصد لله تعالى ليحظى العبد بالقبول ويدوم له التوفيق (قوله حمل لاجله السموات والارضين الخ) أى تحمل الاثقال العظيمة قياما بحظ نفسه مع كونه يصير هباء منثورا على أنه قد يكون السبب فى هلاكه ولا حول ولا قوة الا بالله (قوله ولهذا كان بعض المشايخ الخ) فيه تنبيه على تمام مراعاته لاحواله وصدقه فى اخلاصه وزيادة تشويقه لمثل مرغوباته (قوله فعلمت ان نشاطى الخ) اقول من ذلك يعلم ان ما وقع له اما من التأديب او التقريب لما ذكروا من أن الظلم مثل الشهوات اذا وردت على قلب الانسان تارة تكون طردا وتارة تكون تأديبا وتارة تكون تقريبا فاذا اثمرت التبرى عن الحول والقوة كانت تقريبا واذا اثمرت انكسارا وتذكيرا كانت تأديبا واذا اثمرت تعلقا بها كانت طردا فاعرف ذلك (قوله فعلمت ان مطاوعة نفسى الخ) أى وذلك لان النعم انما يعرف قدرها بفقدانها ولذا قيل الولد العاق المصر على التأفيف انما يعرف قدر الاب يوم وفاته وقيل ايضا انما يعرف قدر الماء من ابتلى بالعطش فى البادية لا من كان على شاطئ الانهار

(وكانت امرأة عجوز قد طعنت في السن فسئلت عن حالها فقالت كنت في حال الشباب اجد من نفسي نشاطا) في العمل (واحوالا) تريحني (اظنها قوة الحال) الذي يحصل للصوفي (فلما كبرت زالت) هذه الاحوال (عني فعلمت ان ذلك) انما (كان قوة) أي عمل قوة (الشباب) والنفس (فتوهمتها احوالا) اذ لو كانت عين اليقين والعرفان لدامت بدوامها في كل زمان (سمعت الشيخ اباعلي الدقاق رحمه الله يقول ما سمع احد هذه الحكاية من الشيوخ الا رق لهذه العجوز وقالوا انها كانت منصفة) من نفسها (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصري يقول ما أعز الله عبدا بعز هو اعز له من ان يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبدا بذل هو اذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه) وذلها بان يعرفه الله قدرها في اصلها وتقلبها في اطوار خلقها من دم الى نطفة الى علقة الى مضغة وعجزها عن جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها عنها وبان يعرفه أنها مربوبة مكلفة مسؤلة مؤاخذة بكل حركة وسكون من افعالها فان حسنت وقامت بما كلفها به ربها سعدت ونجت وان اهملت وفرطت عثرت وهلكت فما اعز الله عبدا بعز اعز له من ان يدله على هذه الامور فاذا عرف قدر نفسه سلم من عجبها وكبرها وسائر آفاتها وان عرف تكليفها وما هي مؤاخذة به اجتهد في العمل للقيام بما عليها واخذ مالها (وسمعته) ايضا (يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول ما هالني) أي افزعني (شيء) يجوزه الشرع من جوع وسهر ومخالفة ما اعتيد ولا من كسب الارزاق التي فيها شبهة (الا ركبته وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت محمد بن الفضل يقول الراحة هو الخلاص من اماني النفس) أي شهواتها واختياراتها فكمال الراحة في الدين بلوغ العبد الى مقام التوكل والرضا ولا يتم ذلك له الا بعلمه ان الحق سبحانه ارحم به وأعلم بما يصلحه

والاودية الجارية فحينئذ درجة الكمال انما هي في دوام النشاط لما طلب من المكلف واجبا كان او مندوبا بلا فرق فيما طلب منه والا فيدل ذلك على حظ النفس فيما فيه نشاطها والله اعلم (قوله فعلمت ان ذلك الخ) اقول فقد اشعر حالها رحمها الله تعالى بانها كانت لا تشغلها النعم عن شكرها الا ان ذلك نقص ينشأ عن عيوب النفس فقد قال داود عليه السلام الهي ابن آدم ما فيه شعرة الا وفوقها نعمة وتحتها نعمة فمن اين يكافئها فاوحى الله تعالى اليه يا داود اني اعطي الكثير وارضى بالقليل أو اليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمني اه هذا واعلم ان من راعى الصدق في حال الشباب حفظه الله في حال قرب المآب (قوله وقالوا انها كانت منصفة) أي لاتهامها نفسها في حال الشباب (قوله ما أعز الله عبدا الخ) اي ويؤيده خبر من عرف نفسه فقد عرف ربه وذلك لان النفس من اقوى الحجب بين العبد وربه وحينئذ لا يتم له زوال ذلك الحجاب الا بمعرفة قدرها ومعرفة ما خلقت له حتى تقوى على خلاف عادتها ومألوفها (قوله وما اذل الله عبدا الخ) اي لانه قد ابتلاه بداء عضال لا تزيده المداواة الا تمكنا وذلك لان الهوى ثابت يقتضي داعية النفس في مقابلة داعي الحق وانما كان داء عضالا لوجوه احدها أنه راتب في النفس لازم لها ملازمة الاوصاف لموصوفاتها فلا تسمح به الا بعد جهد جهيد الثاني انه لا يكون غالبا الا ملتبسا بحظ يخفى كونه مضرا الا بعد نظر دقيق الثالث ان الهوى اذا تمكن اغر عالما على وفقه فكان في موضع الحجة على صاحبه بفتح باب التأويل والجدل الذي هو مفتاح الضلال قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه الآية (قوله بأن يعرفه الله قدرها في اصلها) أي ويعرفه ايضا ما يؤل اليه امرها من هلاكها بالموت وطول رقدتها في القبر وحيدة ذليلة مأكولة للدود ومنهشة للحشرات بالية آيلة الى الثرى لا ينفعها في ذلك كله غير ما قدمته في حياتها من اعمال البر والخير فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله ما هالني شيء الخ) اي فقد ارتكب التعاسيف بعدا عن اكاذيب التسويف وطلبا لمعالي الامور بما قد يقصم الظهور وهكذا تكون صفة المحبين في السير الى ديار المحبوب بين اذ من طلب الجواهر ترك مألوفات الظواهر ومن رام الوصول تنزه عن الفضول ومن تمنى شهود الجمال فنى عن طبع الانسان وهان عليه بذل الروح وسهل له طريق البكاء والنوح ودام على قرع الباب عسى ان يكون من الاحباب تدبرتفهم ورضا بالحال اعلم (قوله الراحة هو الخلاص من اماني النفس) أي لان النفس بما جبلت عليه لا تتمنى الا ما يرديها

ولاتميل الا الى مايؤذيها فاذاقدر العبد على التخلص من امانيها واعرض عن كل شئ يطغيها فقد حاز انواع الراحات وتهيأ لرتب ذوى السيادات من اهل العنايات (قوله هو الخلاص من امانى النفس) أى شغلا بالواحد الاحد الصمد اذ القلب ايوان الملك بشهادة خبر لا يسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن يعنى من حيث المعرفة والاعتقاد لا من جهة الحلول والاتحاد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (قوله من امانى النفس الخ) اشار بذلك الى خلق ذميم يدخل به الشيطان على الجم الغفير خاصة وعامة من أبناء الدنيا والدين وهو الغرور فلا يكاد يسلم منه عالم ولا عامل ولا زاهد ولا عابد ولا عارف ولا جاهل ولقد شرح الغزالى قدس الله سره حكمه وأوضح امره فى كتابه الاحياء ولولا الاطالة لذكرت لك نبذا منه واعلم ان اكثر ما يدخل به الشيطان على اهل الخير الرضا عن النفس وكيف ومن كانت حقيقته دعاوى لاتكون دعاويه دعاوى ومن كانت محاسنه مساوى لاتكون مساويه مساوى (قوله وملازمة العادة) لايخفى عليك ان عطف هذا ومابعده على ماقبله من عطف العلة أو السبب (قوله كلما هاج الخ) اقول ولا ينفع من هذا الداء الا خوف مزعج او شوق مقلق فالخوف لازعاج السر عما عجز من الوزر عند مشاهدة القهر والشوق اهتياج القلق اتمكن الخوف وقد قال ابو العباس الحضرمى اعلم ان الموعظة الحقيقية هى جذب الحق لك ولطف الحق بك وأن يخلق الله فى قلبك الخوف الشديد فتستحضر عظمة الله تعالى فترجع اليه قال تعالى ففروا الى الله الآية (قوله سجنك نفسك) أى وانما كانت كذلك لانها باعتبار ما جبلت عليه تحبس عن مقامات المقربين فاذا وفقك الحق للتخلص من ذلك الحبس بقيامك عليها بشاهد العلم حتى تخالف ميلها المذكور فقد وصلت الى على المقامات وسنى المشاهدات وبعبارة اخرى ان تقول انما كانت سجنا لتعلقها بالاكوان وانطباعها فيها اما من حيث الاعتماد عليها والاستناد اليها أو من حيث جمالها واستحسانها الموجب لحبها والعبودية لها أو من حيث الشهوة الموجبة للاستغراق فى الغفلة وكل ذلك من اعظم الحجب المانعة عن درجة المقربين فهى من هذه الاعتبارات رجس وأى رجس وحبس وأى حبس اه واعلم انها حيث كانت سجنا فكيف يستغيث المسجون بالمسجون قال الشاذلى قدس الله سره يئست من نفع نفسى بنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى لها ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى وسئل عن الكيمياء فقال اقطع طمعك من الله ان يعطيك غير ماقسم لك ومن الخلق ان ينفعوك أو يضروك فتأمله فانه فى غاية النفاسة والله أعلم (قوله اذا خرجت منها الخ) أى وذلك لا يكون الا بقوة الايمان قال بعضهم اذا كان الايمان فى ظاهر القلب أحب العبد نعمته ودنياه وكان مرة مع نفسه ومرة مع ربه فاذا دخل الايمان القلب وتمكن من باطنه ابغض العبد دنياه وهجر هواه أقول وذلك لان الايمان نور وهو لا يبقى معه ظلمة فلا مانع لنفوذ ذلك النور الا الاشتغال بالنقائص والفضول (قوله

(سمعت الشيخ اباعبد الرحمن يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت اباعلى الروذبارى يقول دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة) مع النفس (فسألته ما سقم الطبيعة فقال اكل الحرام) لانه يلازم سقمها (فقلت) له (ما ملازمة العادة فقال النظر والاستماع بالحرام والغيبة) وذلك بان لا يثبت فى اموره حتى يعرف ما يجوز له وما لا يجوز بل يجرى على مقتضى عادته اصبوته (قلت) له (فما فساد الصحبة) مع النفس (قال كلما هاج فى النفس شهوة تبعتها) فالصحبة النافعة معها التى بها نجاتها ان يخالف العبد هواها ويحملها على ما طلبه منها ربها فحصل من مجموع ذلك ان الفساد دخل من أكل الحرام وقلة التثبت قبل الفعل والتصرف بمقتضى الهوى وعطف الاستماع على النظر من عطف العام على الخاص عكس عطف الغيبة على الحرام (وسمعته) أيضا (يقول سمعت النصراباذى يقول سجنك نفسك اذ) أنت محبوس فيها (اذا خرجت منها) أى باعراضك عن شهواتها وعن العمل بمقتضى أوامرها وجعل تصرفاتك كلها لاوامر الله خاصة

(وقعت في راحة الابد) بقربه تعالى منك وهذا اقرب مما قال أبو يزيد رأيت الحق سبحانه في المنام فقلت يارب كيف أجدك قال فارق نفسك وتعال وسيأتي هذا في الباب الآتي (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمدا الفراء يقول سمعت ابا الحسين الوراق يقول كان أجل احكامنا في مبادي أمرنا في مسجد أبي عثمان الحيري الايثار بما يفتح علينا) بان نعطي ماقضى محتاجون اليه لمن نرا مساويا لنا أو أحوج منا ونصبر (وأن لانبيت على معلوم) بل اذا اخذنا قدر حاجتنا وفضل شئ أخرجناه للمحتاج (و) أن (من استقبلنا بمكروه) وإساءة (لانتقم لانفسنا) منه ١٣٤ (بل نعتذر اليه) بأننا الذين أحوجناه الى الاساءة علينا حيث لم نبادر الى حصول مقصوده قبلها (ونتواضع له) ونتذلل حتى يزول مافي نفسه منا (واذا وقع في قلوبنا حقارة) وازدراء (لاحد قمنا بخدمته والاحسان اليه) والتواضع له (حتى يزول) مافي نفسه منا ومافي نفسنا منه (وقال أبو حفص النفس ظلمة كلها وسراجها سرها) سيذكر معناه (ونور سراجها التوفيق فمن لم يصحبه في سره) يعني معاملته لربه (توفيق من ربه كان ظلمة كله) لانه يبقى في ظلمة جهله وشهواته ومن صحبه من ذلك توفيق في علمه وعمله بقي في نور علمه (قال الاستاذ الامام أبو القاسم القشيري) رحمه الله (معنى قوله سراجها سرها يريد) به (سر العبد الذي بينه وبين الله تعالى وهو محل اخلاصه) ومحل معاملته لربه (وبه) أي بما قاله أبو حفص من ان نور سراج النفس انما هو بتوفيق الله (مع ماهو معلوم من ان المحدث لافعال الخير هو) المحدث لافعال الشر (يعرف العبد ان الحادثات) انما تحدث (بالله لا بنفسه ولا) هي ناشئة (من نفسه ليكون متبرئا من حوله وقوته على استدامة أوقاته ثم) هو (بالتوفيق اتمام يعتصم من شرور نفسه فان من لم يدركه التوفيق) من ربه (لم ينفعه علمه بنفسه ولا بربه ولهذا قال الشيوخ من لم يكن له سر) أي بينه وبين الله (فهو مصر) أي على المخالفات (وقال أبو عثمان لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن) وفي نسخة مستحسن (من نفسه شيأ وانما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الاحوال) لان المبتدي متى حسن ظنه بنفسه ورضي بافعالها لم يتهمها فلم يفتشها

وقعت في راحة الابد) أي حيث انقطعت عن التشوف الى شئ من الاكوان الدنيوية والاخروية فلا يكون لك مطلب غير الحق تعالى وشهود جماله وكماله (قوله كيف أجدك) أي كيف الطريق الموصل الى القرب من شهودك في كل حال ومقام وقوله قال فارق نفسك وتعال معناه اخرج عن سجن حظوظ نفسك ومألوفاتها تصل الى مطلوبك وتترقى الى شهود محبوبك فتحصل ان النفس بما جبلت عليه من أقوى الحجب المانعة لكل كمال (قوله كان أجل أحكامنا الخ) أقول اذا تأملت تلك الاحكام تجدها من الاخلاق المحمدية والسيرة الاحمدية يهدي الله لنوره من يشاء (قوله النفس ظلمة كلها الخ) اقول كيف لاتكون كذلك وهي تنازعه تعالى في افعاله بادعائها ماليس لها من الاخلاق والاحوال والمقامات وسكونها اليها ووقوفها معها اذ النفس وان صدقت فيما ادعته من ذلك فقد أعجبت وتكبرت وافتخرت بما ليس لها في الحقيقة اذ لاتضاف الاشياء مصدرا وموردا الا للحق تبارك وتعالى وحده ألاترى الى علماء هذه الطريقة تأولوا قوله تعالى ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن بدعوى ماليس للعبد ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ألا وقول الزور قال الراوي فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت فنفسك وما اشتملت عليه ليس لك منها شئ فافهم ولاتكن أسير مايظهر (قوله النفس ظلمة الخ) أي باعتبار ماجبلت عليه وسراجها سرها فبسبب تنويرها متابعة سيد الكاملين عليه صلاة وسلام رب العالمين نسأل الله التوفيق مع القبول متوسلين في ذلك بحضرة سيدنا الرسول (قوله وسراجها سرها) محصله ان سر التنوير انما هو في اخلاص المقاصد في العبادة على طريق المتابعة مع التبري من الحول والقوة بشهود ان الله هو الفاعل المختار (قوله يعرف العبد الخ) أقول وله اشار عارف زمانه في تائيته حيث قال

وأين السها عن أكمه عن مراده • سها عمها لكن أمانيك غرت

(قوله من لم يكن له سر الخ) السر لطيفة ربانية أودعها الله قلوب العارفين التي هي محل أسراره ومناط اخلاص عباداته فاذا تخربت قيل لصاحبها انه مصر (قوله من لم يكن له سر فهو مصر) أي لان السر نور والاصرار ظلمة فمتى وجد أحدهما انتفى الآخر ومتى انتفى أحدهما تحقق الآخر (قوله وقال أبو عثمان الخ) محصله انه ينبغي للانسان أن يدوم على

فلم يطلع على عيبها وهذا غرور ولذلك قيل وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا فلابد للعبد أن يسىء ظنه بنفسه لما يعرفه من عوائدها الرديئة ورضاها بالاقوال دون الافعال ومدح الناس لها ولو بالمحال فعلمه بذلك يوجب له تهمتها وتفتيشها ليتخلص من خدعها وخدع ابليس (وقال أبو حفص ١٢٥ ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه فان المعاصى) الناشئة من عدم معرفة عيب النفس واتهامها (بريد الكفر) أى طريقه (وقال أبو سليمان) داود بن نصر الطائى (ما استحسنت من نفسى عملا فاحتسبت) اى فاعتددت (به) أى الغالب من الاستحسان الغير الشرعى فساد الاعمال (وقال السرى) السقطى (اياكم وجيران الاغنياء) يعنى مجاورتهم لان الطبع يميل الى افعال جاره فاذا جاورهم العبد ورأى ماهم فيه من السعة والتصدق بأمرهم مالت نفسه الى ماهم فيه فبعده عنهم اولى به ليدوم له قناعته بفقره والرضاء بما قسم له ربه ويتأسى بنبيه صلى الله عليه وسلم فى تخلقه فى الفقر ودعائه الاله به كما قال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا لا اقتارا ولا اسرافا واياكم (وقراء الاسواق) لانهم يهينون كتاب الله تعالى بتلاوته فيها لاسيما اذا جعلوه سببا لطلب الدنيا كما هو الغالب واياكم (وعلماء الامراء) لان الغالب من حال الامراء عدم الجريان على القوانين الشرعية فالعالم اذا لازمهم على ماهم عليه فاما أن يعينهم بالقول والتحسين واما أن يقر ماهم عليه من غير كراهة ولا انكار وكلاهما خطأ (وقال ذو النون المصرى انما دخل الفساد على الخلق من ستة اشياء الاول ضعف النية) المطلوبة (بعمل الآخرة) لان العبد اذا ضعفت نيته فى العمل قلت رغبته فيه بل ربما نفر عنه (والثانى) ان (صارت ابدانهم رهينة لشهواتهم)

اتهام نفسه ليكون حاملا له على تفتيشها على ما يخفى من خداعها وتلبيسها (قوله وعين الرضا الخ) محصل معناه أن العبد متى رضى عن شئ كل لسانه عن عيوب ذلك الشئ لعدم علمه بما شغله من محبته واذا أبغض شيأ فتش وبحث عن عيوبه فنشرها فالداء العضال فى الرضا عن النفس نسأل الله السلامة منه (قوله ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه الخ) أى ولاسيما الخفى منها لان العيوب حجاب ظلمانى اذا قوى أعمى البصيرة فربما أوصل صاحبه الى الكفر بسبب مساهلته فى المعاصى واستخفافه بها ولذا قال بعض الحكماء لا ترج وان تصح ولك عيب ولا تطمع ان تنجو وعليك ذنب (قوله فان المعاصى الخ) يريد أن الاصرار على المعاصى بعدم تجديد توبة منها وعدم تفتيش النفس عما يكمن من ذميم اخلاقها طريق يوصل الى الكفر بسبب كثرة ظلمات القلب بالمخالفات ونكت الملك اثر الذنب فى القلب الذى اذا عم قلب العبد ولم تسبق له عناية بما يصقله من ذلك النكت من مقبول الانابة صار القلب أعمى أصم لا يرى عيوبه ولا يسمع زواجره فيؤديه ذلك الى الكفر والعياذ بالله تعالى (قوله وقال أبو سليمان الخ) محصله ان استحسان الاعمال بدون شاهد العلم مفسد لها (قوله وقال السرى الخ) محصله الحث على التباعد عما يشغل عن الحق مما شأنه ان تتأثر به النفس اذ هو من باب من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والمراد بالاغنياء فى كلامه من شغلهم غناهم عن طاعة مولاهم أو المراد بهم الاعم من ذلك ومن الموفق منهم وسبب ذلك التحذير انه مادام العبد على بساط الاقبال يرجى له عالى الزوال لانه قد أتى الامر من بابه وتوصل اليه بوجود أسبابه فيرحم الله من قال شعرا

ومارمت الدخول عليه حتى * حللت محل ذى العبد الذليل
واغضيت الجفون على قذاها * وصنت النفس عن قال وقيل

(قوله اياكم وقراء الاسواق الخ) أى احذروا من مخالطتهم فان اخلاقهم ذميمة فهو من اسباب العطب فى الدين وقد بين الشارح وجهه وقوله وعلماء الامراء الخ أى احذروا مخالطتهم كذلك اذ هم ممن عنى صلى الله عليه وسلم بعلماء السوء حيث جعلوا ثمرة العلم طلب الفانى من عرض الدنيا وكسب الشهوة من ذلك وقد قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (قوله انما دخل الفساد الخ) اقول جماعها أى الستة المذكورة حجاب النفس بما جبلت عليه من الشهوات والاخلاق الذميمة ومحصله انهم قد حجبوا بانفسهم عنهم وهم عدم فالعدم حينئذ قد حجب بالعدم ولذلك الاشارة بقول صاحب الحكم العطائية مما يدلك على وجود قهره سبحانه ان حجبك عنه بما ليس بموجود

هذا ثمرة الاول لان العبد انما ينتقل عن شهواته بقوة نيته وعزمه في طاعته فاذا فاته ذلك صار بدنه رهين الشهواته فصارت حركاته وسكناته في مصلحة نفسه وهواها (والثالث) ان (غلبهم طول الامل مع قرب الاجل) لانهم اذا اجلوا للطاعة اجلا خسروا انفسهم في الحال وقد يقطعهم الموت قبل بلوغ الاجل وان داموا اليه تأكد تعلق قلوبهم بالشهوات وعسرت عليها الطاعات (والرابع) ان (آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق) لان ذلك ناشئ من قلة الدين وضعف الايمان بأنه لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع الا الله (والخامس) أن (اتبعوا اهواءهم ونبذوا) أي القوا (سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم) لان ذلك من سوء الاعتقاد وقبح الاعمال (والسادس) ان (جعلوا قليل زلات السلف) رضي الله عنهم (حجة لانفسهم ودفنوا كثير مناقبهم) هذا ثمرة الخامس وهو اتباع الهوى واعتقاده انه على الحق فيما فعل أو نوى فاذا عرض من اتصف بذلك فيما هو فيه قال قد فعل ذلك من هو أفضل مني ويتمسك بقضيته في ظنه انها زلة وليست كذلك ويترك كثير مناقبهم وجميل فضائلهم فلا يقتدي بها لكونه بعيدا عما هم فيه من الخيرات والجد في الطاعات

•(باب الخلوة والعزلة)•

اقول ثم احتجاب العدم بالعدم دليل على ظهور الوجود بالوجود البتة قال معروف الكرخي رحمه الله تعالى طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع حمق وجهل وفيما ذكر لمن تامله غاية الموعظة والحاصل ان جماع المفاسد الدينية الثاني في كلامه وانما صرح بالباقي اهتماما بهم التحذر ايضا والله اعلم (قوله هذا ثمرة الاول الخ) أي لان النية اذا ضعفت صارت الابدان رهينة للشهوات كما صرح به الشارح واذا قويت ضعفت الشهوات بل قد تنعدم باعانته تعالى فينتقل العبد من حضيض الطبيعة الى سماء الهمة والرفعة (قوله ان غلبهم طول الامل) أي المشار اليه بما اشتهر من طال امله ساء عمله ومفهومه ان من قصر امله حسن عمله (قوله والرابع ان آثروا الخ) اي وسببه غلبة الباطل وظلمات الجهالات التي أعمت القلوب واكثرت الغفلات واثمرت ضعف اليقين والبعد عن عز التمكين (قوله والخامس ان اتبعوا اهواءهم الخ) وعما يغني عنه الاول نعم قد يقال انه من ذكر العام بعد الخاص (قوله والسادس ان جعلوا قليل زلات الخ) أي وذلك بواسطة ظلمة بصائرهم عن تصريف الحق في خواص الخلق حيث انه قد يؤديهم بملابسة بعض هفواتهم ليدوموا على الانكسار بشهود الفاعل المختار فيزعم الغبي من الناس ان يكون له بمثل هذا استئناس بسبب غفلته عما لهم من غلبة الخيرات ودوامهم على جد المجاهدات مع ان الاعتبار بغالب الاحوال لا بما ندر من احكام الافعال (قوله ويتمسك بقضيته في ظنه انها زلة) أي مع انه قد يكون فيها مخرج وعلى فرض عدمه فقد تكون سببا لمعالي الاخلاق بما يترتب عليها من الانكسار القلبي وشهود التقصير

•(باب الخلوة والعزلة)•

اقول والناس في ذلك على ثلاثة اقسام منفرد بقلبه لا بشخصه وهو كائن بائن راحل قاطن فحاله حال الاقوياء واهل الكمال ومنفرد بشخصه دون قلبه وهذا سالم ان توفرت شروطه متعرض لنفحات الرحمة وان كان لا عبرة به في الحال ومنفرد بهما معا وهو المستعلي وأنواعه ثلاثة معتزل ليسلم ومعتزل ليغنم ومعتزل لينم فشرط الاول القيام بواجبات وقته وسلامة الناس من سوء ظنه وشرط الثاني التحفظ في السنة مع الجد في العمل وشرط الثالث تحرير الاحوال والتبري من المقال والله اعلم (حكاية فيها موعظة) قيل ان بعضهم أراد أن ينزل عن عزلته ومجاهدته الى قتال الكفار فاتهم نفسه خوفا من ان يكون لها فيه حظ فلجأ الى الله تعالى فالهمه ان مرادها ان تقتل في الجهاد فيشهر لها صيت الشهادة فاختارت ذلك القتل على قتلها بالمجاهدة المعنوية لان ذلك قتلة واحدة وهو يقتلها كل يوم كذا كذا مرة والموت الاضطراري شدته ساعة وهذا الاختياري دائم لا ينقضي (قوله والعزلة) اقول وهي متأكدة للمريدين لضعف قواهم عن الصبر على محنة الخلطة مع غيرهم وفي العزلة انقطاع عن الخلق اشتغالا بالحق وبعد عن ابناء

وهي قبل الخلوة كما يعلم مما سيأتي

الجنس

الجنس ممن تكون أخلاقهم كالرجس والذى يظهر من عطف العزلة على الخلوة مغايرتهما وهو كذلك لان الخلوة فى اصطلاحهم الاعتكاف فى مكان مخصوص لينقطع فيه لعبادة ربه باشارة مرشد ناصح يلقنه الذكر الذى يناسبه ثم ينقله لغيره بحسب ما يراه من استعداده حتى يبلغه الى درجة كماله مع رياضة او بدونها على حسب ما يعلمه من حاله بعين بصيرته والعزلة هى الاعتزال عن الناس والبعد عنهم بشخصه طلبا للسلامة او الغنيمة او التنعم بلاذ الذكر والعبادة (قوله وهما مطلوبتان) اى مطلوبتان وجوبا ان تعينتا لدفع الاثم والفسوق والا فندبا (قوله رجلا آخذا الخ) اى معيشة رجل الخ ومثله يقدر فيما بعده (قوله يبتغى الموت او القتل) لعل المراد انه يبتغى الموت شهيدا أو قتل غيره بحكم الشرع (قوله او رجلا فى غنيمة له) أقول ذلك هو محل الاستدلال (قوله ليس هو من الناس الا فى خير) اى ليس هو فى هذه الحالة دون غيره من الناس فى حالة من الاحوال الا فى خير لانفراده عن كل شاغل يشغله عن عبادة ربه وسلامة الناس منه وسلامته منهم (قوله على ما يأتى بيانه) اى من علمه ما يلزمه مما يصحح اعماله واستغنائه عن الناس (قوله الخلوة صفة الخ) أقول حكى عن بعض شيوخ الشيخ عبد الرحمن الصقلى أنه قال كنت اخلو لاسلم فصرت اخلو لاغنم فصرت اخلو لافهم فصرت اخلو لاعلم فصرت اخلو لاتنعم فانظر رحمنا الله واياك الى هذه المقامات الجليلة التى انتقل منها واليها واحدة بعد واحدة فأولها طلب سلامة الناس منه فحصل فى القسم الذى شهد له صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه بالاسلام حيث يقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ثم ترقى من هذا المقام السنى الى ما هو أسنى منه وهو حصول الغنيمة فهو فى اعمال الآخرة ينتهبها اذ ان الخلوة فيها اعانة على افتراس ذلك والنهوض اليه لعدم العوائق ثم بعد حصول هذا المقام الشريف ترقى الى ما هو أشرف منه وهو الفهم عن الله تعالى فى آياته وأحكامه وفى تدبيره لخلقه واحسانه الى أوليائه ثم انتقل بعد هذا المقام الاسنى الى ما هو أسنى منه وهو العلم لانه نتيجة الفهم لانه اذا فهم علم وهذا عام فى العلم بالله وبأحكامه اذ لا يوجد جاهل بأحكام الله عالم بالله والعلم بالله ليس له حد ينتهى اليه بخلاف العلم بأحكامه فان له نهاية كما هو معلوم فلما حصل هذه الرتبة السنية انتقل الى ما هو أسنى منها وهو التنعم فى خلوته والتلذذ بالطاعة التى يحاولها اذ انه عبد قد خلعت عليه خلع القرب التى لا يستحقها ولا بعضها الا بفضل ربه وكرمه وامتنانه اذ لا فرق بينه وبين غيره من اخوانه المسلمين فكونه خلع عليه دونهم هذا افضل عظيم لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك فانك وليه والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وسلم فاذا حصل فى هذا المقام السنى بابته الالطاف ترى حيث تشبه بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون وبذكرهم يتنعمون فان الذكر بالنسبة لهم كالنفس لنا ومن كانت هذه حاله تكون العبادة له كالغذاء ولذا نقل عن بعضهم

وهما مطلوبتان (اخبرنا ابو الحسن على بن احمد بن عبدان قال اخبرنا احمد بن عبيد البصرى قال حدثنا عبد العزيز بن معاوية قال حدثنا القعنبى قال حدثنا عبد العزيز بن ابى حازم عن ابيه عن بعجة بن عبد الله بن بدر الجهنى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من خير معايش الناس كلهم رجلا آخذا بعنان فرسه فى سبيل الله ان سمع فزعة او هيعة كان على متن فرسه) اى ظهرها (يبتغى الموت او القتل فى مظانه او رجلا فى غنيمة له فى رأس شعفة من هذه الشعاف او فى بطن واد من هذه الاودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين) اى الموت (ليس) هو (من الناس الا فى خير) هذا الخبر روى بالفاظ مختلفة وكلها متفقة على ان البعد عن الناس للتفرغ للعبادة أفضل من الاختلاط بهم على ما يأتى بيانه والشعفة بفتح العين رأس الجبل وجمعها شعف وشعوف وشعاف وشعفات ذكره الجوهرى

(الخلوة صفة اهل الصفوة والعزلة من امارات الوصلة) الى الله تعالى ومحل طلبها من العبد اذا استغنى عن الناس واستغنوا عنه والا فقد دعا الشرع الى المخالطة بهم اما فى التعلم منهم او التعليم لهم فلا خير فى البعد عنهم وبهذا يجمع بين الادلة الدالة على طلب العزلة والادلة الدالة على طلب المخالطة (ولابد للمريد فى ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه) اى عن الناس ليبعد عما طبعوا عليه من الاخلاق الرديئة والاعمال الذميمة (ثم فى نهايته) اى ثم لابد له فى نهاية حاله (من الخلوة لتحققه بانسه) تعالى لانها تجمع همته على مقصوده وانفراده ١٣٨ بمحبوبه لتكمل مناجاته ويترقى فى درجات قربه وحقيقة الخلوة الانقطاع من الخلق الى الحق لانه سفر من النفس الى القلب ومن القلب الى الروح ومن الروح الى السر ومن السر الى واهب الكل (ومن حق العبد اذا آثر العزلة) على المخالطة (أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق فان الاول من) هذين (القسمين نتيجة استصغار نفسه) ومعرفته بآفاتها وسوء أخلاقها (والثانى) منهما (شهود مزيته) اى فضيلته (على الخلق ومن استصغر نفسه فهو متواضع ومن رأى لنفسه مزية على أحد) بأن تعاظم بها واستصغر غيره (فهو متكبر) قال صلى الله عليه وسلم الكبر بطر الحق وغمط الناس اى رد الحق واستصغار الناس (و) قد (رؤى بعض الرهبان فقيل له انك راهب فقال لا بل) أنا (حارس كلب) وهو نفسى (ان نفسى كلب) اى ككلب (يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ليسلموا منها) فيه استصغار نفسه ورؤية نقصها (ومر انسان) اى رجل (ببعض الصالحين) اى بشيخ منهم (فجمع) ذلك الشيخ (ثيابه منه فقال له الرجل لم تجمع عنى ثيابك بالخلق ليست ثيابى نجسة فقال له الشيخ وهمت فى ظنك) انى أعتقد ان ثيابك نجسة بل (ثيابى هى النجسة جمعتها عنك لئلا تنجس ثيابك بها الا لكى لا تنجس ثيابى) بثيابك ومعلوم ان ثياب كل منهما لم تكن نجسة ولكن الشيخ أدب هذا الرجل على سوء ظنه بالناس المفهوم من كلامه السابق لانه لا يدرى لم جمع الشيخ ثيابه ولعله جمعها لمقصود آخر لا لنجاستها

انها أكلة فى الشهر وبعضهم فى ثلاثة أشهر وبعضهم فى سنة وبعضهم لا هذا ولا هذا يختص برحمته من يشاء والله اعلم (قوله الخلوة صفة اهل الصفوة الخ) اى صفاء القلوب والسرائر من كدورات العادات وقوله والعزلة من امارات الوصلة اى الوصول الى الحق اى الوصول لمظاهر أسمائه وصفاته اما ذاته تعالى باعتبار الكنه فهى من غيب الغيب الذى لا يعلمه غيره تعالى فمن طمع فى الشهود لها او عول على شئ فى الوصول اليها فهو أحمق وأعمى البصيرة وهذا خبر سيد الواصلين تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله فقد أرشد الى النظر فى النعم لانها من جنس الناظر اذ هى حادثة فلا يدرك الانسان شيأ الا اذا كان بوصفه ولا يفهم ولا يسمع ولا ينظر الا بوصفه فحينئذ انسد عليه باب الادراك للذات العلية (قوله ومحل طلبها من العبد الخ) حاصله ان الخلوة والعزلة لا يطلب كل منهما الا بالنسبة لمن لم يحتج الى غيره ولم يحتج اليه غيره فى التعلم والتعليم والا فلا يطلبان وعلى هذا التفصيل يحمل الخلاف فى طلبهما وعدمه وفيه ان هذا سياق للمؤلف التنبيه عليه (قوله ولابد للمريد الخ) اى بعد استغنائه عن غيره واستغناء غيره عنه على ما تقدم ليقوى على السفر عن نفسه وعن قلبه (قوله ثم فى نهايته الخ) أقول لعله باعتبار المريدين اما باعتبار نهاية الوصول فلا فرق فيه بين المخالطة والعزلة لفناء الواصل عن شهود ما سواه تعالى (قوله الانقطاع الخ) اى الانقطاع بالقلب وهو قد يجامع الاختلاط وذلك بالنسبة لمن قوى يقينه وانعدمت شغلاته (قوله لانه سفر من النفس الخ) اى ولما كان المعتبر فى السير الى الحق تعالى مفارقة ميل النفس بالطبع وعدم الوقوف مع واردات القلب وعدم القنع بمشاهدة ما فى السر حيث المقصود من له الامر لزم لمن توجه قصده لذلك هذا السفر على حسب ما قدمنا (قوله ومن حق العبد الخ) فيه تنبيه على تحسين الخلق بالدوام على أسباب هضم النفس ليتهيأ الى بلوغ الكمالات المعنوية (قوله وغمط الناس) هو بالطاء المهملة ويقال بالصاد أيضا (قوله وقد رؤى بعض الرهبان الخ) فيه تأييد لما قدمه من قوله ومن حق العبد اذا آثر العزلة الخ (قوله فقال لا الخ) فيه تنبيه على انه مراقب لنفسه عارف بضررها ومكايدها (قوله وهمت فى ظنك الخ) اى وذلك مما لا ينبغى اذ الحمل على أحسن الحالات بعدا عن سوء الظن

وثياب الانسان قد تطلق على حالته التي هو فيها من سوء خلقه وكثرة وقوعه في الغيبة والكذب والكلام فيما لا يعنيه
ونحوها فكأنه قال نفسي هي المقبرة التي لا تصلح أن تخالط الناس وهذا هو اللائق بما قصده من ان العبد يقصد

بعزلته عن الناس سلامتهم من شره لا سلامته من شرهم (ومن آداب العزلة أن يحصل العبد قبل اعتزاله (من العلوم ما يصحح به عقد توحيده لكيلا يستهويه الشيطان) اي يطلب منه عند انفراده به ان يتبع هواه (بوساوسه) في ايمانه وسائر طاعته (ثم) بعد تحصيله ذلك (يحصل من علوم الشرع ما يؤدي به فرضه) ونفله (ليكون بناء أمره على أساس محكم) اي متقن فإن اختل اعتقاده او عمله بالاحكام وقع فيما لا ينبغي (والعزلة في الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة) والاتصاف بالحميدة وان اختلط صاحبها بالناس فمتى كان العبد بهذه الصفة كان في عزلة وان كان بين الناس لان ما يحصل بها حاصل مع ذلك لانه حينئذ لا يضر الناس ولا يتضرر بهم لعفوه عما يبدو منهم لعلمه ببراءتهم منه وبراءته من الاتصاف بالخير الا بعون الله تعالى (فالتأثير) اي فتأثير العزلة انما هو (لتبديل الصفات لا للتنائي) اي التباعد (عن الاوطان ولهذا قيل من العارف) بالله (قالوا كائن بائن يعني كائن مع الخلق) بالظاهر (بائن عنهم بالسر) اي فيما بينه

وبين الله ومنهم من يعبر عنه بقوله كائن بجسمه مع الخلق بائن عنهم بشغله مع الحق من الاخلاص والتعظيم والاجلال والتفكر ونحوها (سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول

بالخلق هو الاولى بالكاملين (قوله وثياب الانسان الخ) اي فيحمل على ان هذا الشيخ تباعد عن ذلك الانسان خوفا عليه من ملابسة بعض الاخلاق الذميمة له بواسطة الاختلاط به فعبر عن ذلك بجمع الثياب (قوله ومن آداب العزلة الخ) الغرض بذلك تقييد ما تقدم من طلب الخلوة والعزلة وان محله في عبد استغنى عن غيره في التعلم وتقدم أيضا انه لابد من استغنائه عن غيره تعلما وتعليما فهي لا تنفع الا من تابع هديه صلى الله عليه وسلم بتعلم العلوم المحتاج اليها في اعماله زمن عزلته واستغنى عنه غيره كذلك (قوله ثم بعد تحصيله ذلك الخ) اي فاول واجب على المكلف معرفة الحق سبحانه بما يجب في حقه وما يجوز وما يستحيل وذلك ظاهر اذ لا تثبت النبوات الا بعد تحقق الالهيات بالبراهين ثم بعد ذلك يلزمه أن يحصل من علم الفروع ما يصحح به اعماله فرضا كانت او نفلا (قوله والعزلة في الحقيقة الخ) أفاد بذلك ان العزلة قد تكون بالابدان والقلوب او بالابدان دون القلوب او بالقلوب دون الابدان وان النافع منها ما كان بالقلوب سواء مع الابدان وهو أتم أولا والغرض له الحث على ما به الانتفاع في نفس الامر والا فالعزلة بالبدن سرها ظاهر ولا سيما في أول الامر وفي زماننا هذا (قوله اعتزال الخصال الذميمة الخ) قال أبو العباس المرسي رحمه الله ونفعنا به أوقات العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله عليه في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منه بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله تعالى عليه ان هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته المعصية فسبيله التوبة والاستغفار ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا والصبر الى آخر ما قال هذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي فشكر وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر قالوا ماذا له يا رسول الله قال أولئك لهم الامن وهم مهتدون تدبر (قوله فمتى كان العبد بهذه الصفة الخ) اي فالمدار على انتفاء الاخلاق الذميمة والاتصاف بدلها بالحميدة والعزلة انما قصدت لذلك فاذا تم هذا للعبد فلا يضره حينئذ الاختلاط بالغير لما أوضحه الشارح (قوله فالتأثير الخ) اي فحيث ان الاعتزال بالبدن وسيلة الى تبديل الصفات فلا حاجة اذا الى التنائي عن الاوطان ومع ذلك فلا يخفى ان الوسائل لها حكم المقاصد وسرها في الابتداء ظاهر وحاصل كلامه ان الغرض من العزلة تبديل الصفات فاذا تحقق ذلك فالامر ظاهر والا فلا عبرة لمجرد التنائي عن الاوطان (قوله ولهذا الخ) اي لكون القصد انما هو تبديل الاخلاق الذميمة بالحميدة قيل الخ وفيه ان ذلك بالنسبة للعارف لا للمريد اما بالنسبة للمريد فالعزلة بالبدن أشد له تأثيرا لضعف حاله في ابتداء أمره (قوله ومنهم من يعبر عنه الخ) ان لم يكن عين ما قبله في المعنى فهو قريب منه ثم أقول يشير الى هذا

البس مع الناس ما يلبسون وتناول) اى وكل معهم (مما) وفى نسخة ما (يأكلون وانفرد عنهم بالسر) اى فيما بينك وبين الله
(وسمعته) ايضا (يقول جاءنى انسان وقال جئتك من مسافة بعيدة) يعنى أنا معجب فيك وفى قربك والتخلق بأخلاقك وزيارتك
(فقلت ليس هذا الحديث) اى علم الصوفية اى حصوله (من حيث قطع المسافات ومقاساة الاسفار) بل من حيث تغيير
الاخلاق الذميمة بالحميدة وهى مراده بقوله (فارق نفسك ولو بخطوة فقد حصل مقصودك) من مخالفة الهوى والجرى على
سمت التقوى (ويحكى عن ابى يزيد) البسطامى (قال رأيت ربى عز وجل فى المنام فقلت) له (كيف أجدك) اى كيف الطريق
الى القرب منك (فقال) له (فارق نفسك وتعال) اى اذا خالفت هواك وعملت بما أمرتك به فقد وجدتنى وقربت منى وما يرى
فى المنام مثال لا عين الممثل به لان الشخص ١٤٠ الواحد يراه عدد كثير فى اماكن مختلفة فى وقت واحد ويراه واحد شيخا
وآخر شابا وآخر كهلا وحقيقة
الرؤيا الصالحة أن يخلق الله فى
قلب النائم وفى حواسه الاشياء
كما يخلقها فى اليقظان وسيأتى بيانه
فى باب رؤيا القوم (سمعت الشيخ
اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله
يقول سمعت اباعثمان المغربى
يقول من اختار الخلوة على الصحبة
ينبغى أن يكون خاليا من جميع
الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من
جميع الارادات الا) ارادة (رضا
ربه وخاليا من مطالبة النفس من
جميع الاسباب) لان الشئ
العزيز لا ينال العبد بعضه حتى
يعطيه كله ولا أعز من قرب الله
تعالى وحفظه (فان لم يكن بهذه
الصفة فان خلوته توقعه فى فتنة
او بلية) فان الشيطان يجرى من
ابن آدم مجرى الدم وقد صح فى
الخبر يأتى الشيطان أحدكم
ويقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته فصلى بل
العبد أن يديم ذكره لربه ويعرض عن الاسباب المشوشة عليه ويجتهد فى تحصيل رضاه عنه حتى يحفظه عن عدوه ويكفيه شره
(وقيل الانفراد فى الخلوة أجمع لدواعى السلوة) اى دواعى تطييب النفس يقال سقيتنى سلوة وسلوانا اى طيبت نفسى عنك
قاله الجوهرى (وقال يحيى بن معاذ انظر) اذا حصل لك أنس هل (انسك) كان (بالخلوة او أنسك) كان (معه) تعالى
بدوام مناجاته وما يجريه عليك من عطائه وأنواع كراماته (فى الخلوة فان كان أنسك) كائنا (بالخلوة ذهب أنسك) وتألمت
(اذا خرجت منها) واختلطت بالناس (وان كان أنسك) كائنا (به) تعالى (فى الخلوة) لكمال معرفتك به ودوام مناجاتك له
(استوت بك الاماكن فى الصحارى والبرارى) وغيرهما فأنت فى خلوتك بربك وان اختلطت بالناس ولذلك قالوا =

قوله جل جلاله يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (قوله البس مع الناس الخ) الغرض
منه الحث على ستر السر بموافقة الناس فيما لا يضر (قوله جاءنى انسان الخ) فيه اشارة
الى ان العمل ولو شق فى الظاهر لا يفيد مع عدم طهارة السرائر (قوله فارق نفسك الخ)
اى فارق ما تميل اليه نفسك بمقتضى ما جبلت عليه وقوله ولو بخطوة يشير به الى ان ما به
النفع هو السفر عن المألوفات ولو لم يقطع العبد شيأ من المفازات (قوله فقد وجدتنى)
اى حيث اهتديت الى الطريق الموصل القربك من رحمتى (قوله وما يرى فى المنام الخ)
محصل ذلك ان الرؤيا من شهود المثال لا من قبيل ما تخيله الاوهام وقد قرب ذلك بحال
الخلق فى الرؤيا بالعلم ما يتعلق بالحق تعالى منها (قوله من اختار الخلوة) اى من اختارها
بعد توفر شروطها له وصحة منازلتها فى حقه ينبغى له فيها أن يكون خاليا من جميع الاذكار
المشغلة له عن ذكر ربه ليتفرغ سره لمقصوده من ذكر ربه وعبادته والا كانت خلوته محنة
وبلية (قوله وخاليا من مطالبة النفس الخ) اى وينبغى له أن ينقطع عن الاسباب
المعطلة له عما هو بصدده (قوله وان لم يكن بهذه الصفة) اى التى هى خلوه عن كل ذكر
الا ذكر ربه وعن كل سبب الا اكتفاءه به تعالى (قوله توقعه الخ) اى لانه اذا كان منفردا
فى الخلوة ولم يشغله ذكر الحق تعالى كان للشيطان عليه سبيل وأى سبيل (قوله فى فتنة
او بلية) اى افتتان وابتلاء بما يورده الشيطان على قلبه مما لا يجوز فى حقه سبحانه
وتعالى (قوله فليستعذ بالله) اى لاتساهينا عن التفكر فى ذات الله تعالى وأمرنا به
فى آلائه (قوله اجمع لدواعى السلوة) اى وذلك لما يحصل فى الخلوة من الانس بالله
تعالى بواسطة لذة ما يناله فيها من المحاضرات والمشاهدات التى توجب له الوحشة من
الخلق والنفرة منهم (قوله وقال يحيى الخ) محصله ان الخلوة فى الحقيقة ليست بدنية فقط

= الصوفى كائن بائن كامر وعطف البارى على الصارى للتأكيد كعطف الرحمة على الصلوات فى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وحسنه تغاير اللفظ (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل الى زيارة ابى بكر الوراق فلما) ان زاره ثم (أراد أن يرجع قال له أوصنى فقال وجدت خير الدنيا والآخرة فى الخلوة) عن الناس (و) فى (القلة) من الطعام والمنام والكلام (وشرهما فى الكثرة) من ذلك (و) فى (الاختلاط) بالناس اذا استغنى العبد عنهم واستغنوا عنه كامر وتقدم خبر من حسن اسلام ١٤١ المرء تركه مالايعنيه والذى لايعنيه مالاتدعو اليه حاجة وهى اما دينية او دنيوية فالدينية مالايعان به على العلم والعمل والدنيوية مايستقيم به البدن والعقل (وسمعته) ايضا (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الجريرى يقول وقد سئل عن العزلة) الحقيقية (فقال هى الدخول) اى ان تدخل (بين الزحام) الحاصل بخلطة الناس اى بينهم (وتحفظ سرك أن لايزاحموك) اى يشغلوك عنه (وتعزل نفسك عن الآثام) بالمثلثة او بالنون (ويكون سرك مربوطا بالحق) تعالى ماقاله مأخوذ من قولهم الصوفى كائن بائن وتقدم بيانه (وقيل من آثر العزلة) عن الناس على المخالطة بهم (حصل العزلة) من الله تعالى فى كلامه الجناس المحرف (وقال سهل لاتصح الخلوة الا بأكل الحلال) الذى لايحصل للعبد الا بعد تحصيل مايحتاج اليه من العلم والعمل ومنه العلم بالحلال والحرام وأخذ القدر الذى يكفيه من الحلال وصرف الفاضل لمستحقه (ولايصح أكل الحلال الا بأداء حق الله) من زكاة وغيرها وما قاله هو الخلوة بالله وهى أفضل الخلوات فان من كانت خلوته بعده عن الناس تشوش حاله منهم اذا خالطهم بخلاف من كانت خلوته بالله لكمال معرفته به ودوام مناجاته له كما علم مما مر (وقال ذو النون المصرى لم أر شيأ أبعث على الاخلاص من الخلوة) لسلامة صاحبها من المراآة والاعجاب فاذا تكرر عليه ذلك بحيث لم يبق فى قلبه التفات لغير الله من طلب حمد وخوف ذم وجزاء على عمل كان مخلصا حقيقة لانه لم ير الا واحدا

بل هى انما تحقق بفراغ القلب عن كل ماسواه تعالى استغراقا فى مقامات الصدق وهذا يظهر عند الامتحان للنفس فيعلم بذلك انه ممن يكرم او يهان وفيه تنبيه على علو الهمة باخلاص المقاصد لله تعالى وهو انما يتم بفناء النفس عن شهود اعمالها تحققا بن أولاها وتفضل بها (قوله فقال وجدت خير الدنيا والآخرة فى الخلوة عن الناس) أقول ولا تغفل عن معناها لمن قصدها وعناها من كون القصد فراغ السرائر لمراقبات مايرد على الضمائر من اشارات تلك المظاهر (قوله وفى القلة من الطعام والمنام والكلام) اى لان ثمرة قلة الطعام تنوير القلب وخفة الجسم فى العبادة وثمرة قلة المنام عدم فوات شئ من أسباب الخيرات وثمرة قلة الكلام السلامة من آفاته (قوله وشرهما فى الكثرة من ذلك) اى لان كثرة الطعام تثقل البدن وتظلم القلب وتقسيه وتوجب كثرة النوم الذى هو مثل الموت فى كونه من أعظم أسباب الفوت وكثرة الكلام تسقط الاحترام وقد توقع فى كبير الآثام (قوله والذى لايعنيه الخ) اى لان السبب فى الكمال قصر الهمة فى السير الى الحق على طريق المتابعة ودوام الجد والاجتهاد بشهادة علم الظاهر والاقتصار من امور الدنيا على مايقوم به البدن والعقل مما يسد الرمق (قوله مالايعان به على العلم والعمل) اى مالايستعين به على تحصيلهما وتحققهما له وقوله والدنيوية مايستقيم به البدن والعقل اى لامازاد عن ذلك لكونه من المعطل عن بلوغ الآمال هذا والاولى أن يقول ومايزيد عما يستقيم به البدن والعقل على مالايخفى (قوله هى الدخول الخ) قد أجاب بمقام الكمل من عباد الله حيث حمل على فراغ القلب من الشواغل بشهود رب تلك الفضائل وان كان بجسمه مع ابناء جنسه (قوله من آثر العزلة حصل العزلة) مراده بالعزلة الاعم من البعد عن الاختلاط وفراغ القلب عن الشواغل ولو مع الاختلاط خلافا لما ذكره الشارح نفعنا الله به (قوله وقال سهل الخ) مراده ان الخلوة لاتثمر الا بعد تعلم العلم الشرعى والعمل بموجبه (قوله وقال ذو النون الخ) لعل مراده بما ذكره بالنسبة للمبتدئين فى طلب الحق لامن هم فى مقعد صدق (قوله كان مخلصا) اى وحينئذ فخلوته لاتنافى خلطته وذلك لطهارة سره عن الاغيار بدوام

وبهذا الاعتبار قيل رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين فعند العارف التفات نفسه الى حسن عمله رياء اذ هو التفات الى غير الله في العمل (وقال ابو عبد الله الرملي ليكن خدنك) اى رفيقك وصاحبك (الخلوة) التي تلازمها (وطعامك) الذي تقتات به على أمرك (الجوع) لانه معين لك على صلاح قلبك وخفة بدنك (وحديثك) الذي تحدث به لسانك (المناجاة) اى المكالمة مع الله من سؤال ودعاء وذكر وثناء وغيرها من أنواع المناجاة (فاما ان تموت) وأنت ساع في الوصول الى الله (واما ان تصل الى الله سبحانه) قبل الموت وبالجملة اذا بعد العبد بالخلوة عن المشوشات وفرغ قلبه ونشطت جوارحه بالجوع ودام شغله بالله وتبرأ من حوله وقوته استقامت احواله فيما يرومه ممن نيل الدرجات والولايات (وقال ذو النون) المصري (ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة كمن احتجب عنهم بالله تعالى) لان احتجاب العبد عنهم بالخلوة حجاب محسوس يمكن الخلق الاطلاع عليه في وقت واحتجابه عنهم بالله حجاب معنوي يصونه ١٤٢ عنهم من جميع الآفات ولا يدرك هذا المحجوب الا من قاربه في الدرجات فان حاله انما يدرك بالامارات (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابابكر الرازي يقول سمعت جعفر ابن نصير يقول سمعت الجنيد يقول مكابدة العزلة أيسر) على العبد (من مداراة الخلطة) لان مكابدة العزلة اشتغال بالنفس خاصة وردها عما تشتهيه بخلاف مداراة الخلطة بالناس مع اختلاف أخلاقهم وشهواتهم واغراضهم ومايبدو منهم من الاذى ومايحتاج اليه من الحلم والصفح (وقال مكحول ان كان في مخالطة الناس خير فان في العزلة السلامة) من الشر والسلامة منه آكد من تحصيل الخير نعم ان وجبت الخلطة لتحصيل علم او عمل لم تصح الخلوة كمامر (وقال يحيي ابن معاذ الوحدة جليس) يعني شعار (الصديقين) لانها أنسهم اذ تصفو فيها مناجاتهم ويقوى فيها اقول

جدهم وصدقهم واستغراقهم في مطلوبهم وتلذذهم بمحبوبهم (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن يقول سمع) بالبناء للمفعول (ابو بكر الشبلي يقول الافلاس الافلاس) اى احذروا ذلك (ياناس فقيل له يا ابابكر ما علامة الافلاس فقال من علامة الافلاس الاستئناس بالناس) اذ لو كمل وجدهم وتحققوا بوجودهم لاشتغلوا عن أنفسهم فضلا عن غيرهم فمن علامات الافلاس التلذذ بحديث الناس وقوله من علامة الافلاس محذوف من بعض النسخ (وقال يحيي بن كثير من خالط الناس داراهم) بأن يتألفهم ويطيب نفوسهم ويؤثرهم على نفسه بالدنيا (ومن داراهم راياهم) بأن يدع لهم شيأ من دينه متابعة للهوى حذرا بذلك من الخلطة لانها تحوج الى المداراة التي يخشى منها أن يخرج العبد منها

الاشتغال بالفاعل المختار (قوله وبهذا الاعتبار الخ) اى وذلك هو معنى قولهم حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله فاما ان تموت الخ) اى فعلى أى حال لابد من ثمرة عظيمة اودرجة جليلة اما التحلي بحلية الابرار اوذوق شراب المقربين الاطهار (قوله وقال ذو النون الخ) أقول لما كانت الخلوة ربما كان للنفس فيها حظ قد حمل نفعنا الله به على الاشرف فقال ليس الخ اى فالموصل للكمال انما هو الاحتجاب بالله على معنى ان يكون القلب مستغرقا فيما لله تعالى وليس له الى اغيره التفات فهذا هو الحجاب وأى حجاب لا المحسوس من الخلوة وغيرها (قوله الا من قاربه) اى او من ماثله اوكان أعلى منه بالاولى والله أعلم (قوله مكابدة العزلة الخ) يريد الحث على الاشق لنيل الفضل بذوق خبر الاجر على قدر النصب اى وحيث كان كذلك فيقال ان وثق العبد بنفسه في حالة اختلاطه بغيره الذي يحتاج فيه الى مداراتهم مع اختلاف أخلاقهم فالاختلاط افضل في حقه ولاسيما وقد يترتب له به زيادة اجور بتحمله مايبدو منهم وبحلمه وصفحه عنهم وان لم يثق بها فالافضل في حقه مكابدة العزلة والله أعلم ان قلت ينافي ماتقدم من التفصيل ماسيذكره مكحول قلت لاينافيه لان محله فيمن لم يثق بنفسه (قوله ان كان في مخالطة الناس الخ) ويؤيده قولهم درء المفاسد مقدم على جلب المصالح (قوله الوحدة جليس) اى حيث ان ثمرتها الانس بالله والانس بغير ذلك باطنه الوحشة (قوله الافلاس الافلاس) أقول انما سمي بذلك لانه تجرد عن الثمرات الباقية بملابسة الحظوظ الفانية (قوله التلذذ بحديث الناس) اى لانه يدل على بقاء حظوظ النفس الدنية اذ لو فنيت عنها لكان بدل الانس الوحشة وبدل الاختلاط النفور (قوله من خالط الناس الخ)

الى المراياة والمداهنة او التشبع بعلم يتل من مقامات الدين والخلوة تزيحه من جميع ذلك (وقال شعيب بن حرب دخلت
على مالك بن مسعود بالكوفة وهو فى داره وحده فقلت له أما تستوحش وحدك فقال له ما كنت) قبل كلامك هذا (ارى) اى
أظن (ان أحدا يستوحش مع الله) تعالى فيه دليل على كمال معرفته بربه وكمال محبته له وأنسه به حتى استنكر وقوع ذلك
من الناس فعبر عن حاله وحكم به على غيره من الخلق * وكل اناء بالذى فيه ينضح * (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى
يقول سمعت ابا بكر الرازى يقول سمعت ابا عمرو الانماطى يقول سمعت الجنيد يقول من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه
وقلبه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشة) اى يستوحش فيه من الناس (والعاقل من اختار فيه الوحدة) هذا قول الجنيد
فى زمنه فكيف تطلب السلامة بغير عزلة فى زماننا الذى لا يجتمع فيه اثنان و يفترقان غالبا الا عن خسارة منها ما يذكره أحدهما
للآخر من ذكر نقص بعض الاخوان متوجعا بذلك ومتألما به وهو غيبة ١٤٣ وخدعة من الشيطان (وسمعته) ايضا
(يقول سمعت ابا بكر الرازى
يقول قال ابو يعقوب السوسى
الانفراد) عن الناس (لا يقوى عليه
الا الاقوياء) فى الدين (ولأمثالنا)
من الضعفاء (الاجتماع) مع
الناس (أنفع) من الانفراد
من حيث انه (انما يعمل بعضهم
على رؤية بعض) لانهم اذا
انفردوا كسلوا واذا اجتمعوا
بغيرهم ورأوه يعمل حركتهم
رؤيتهم ونشطتهم للعمل فالخلطة
أنفع لهم بشرط سلامتهم من الرياء
(وسمعته) ايضا (يقول سمعت
اباعثمان سعيد بن سعيد يقول
سمعت ابا العباس الدامغانى
يقول أوصانى الشبلى وقال الزم
الوحدة وامح اسمك عن القوم)
بحيث ينساك من كان يخالطك
(واستقبل الجدار) اى القبلة
باشتغالك بالله و بكثرة سهرك (حتى) اى الى ان (تموت) حكى ان رجلا سمع كلام الجنيد الذى يبدو على لسانه من مواهب الحق
تعالى فقال له من أين لك هذا فقال من جلوسى تحت تلك الاسطوانة كذا كذا سنة (وجاء رجل الى شعيب بن حرب فقال له ما جاء بك
فقال أكون معك قال يا أخى ان العبادة لا تكون بالشركة) لانها انما تكون بالاخلاص لله وحده لا شريك له (ومن لم يستأنس
بالله لم يستأنس بشئ) يعبده ولما كان العبد قد يفتقر فى عبادته لكونه ضعيفا الى رؤية غيره ومساعدته فيها وكان شعيب قويا
أراد أن ينقل هذا الرجل الى مقام القوة ليشتغل بالله وحده ولا يفتقر فى عبادته الى رؤية غيره ومساعدته فيها (حكى ان بعضهم
قيل له ما أعجب ما لقيت فى سياحتك فقال انهم لقينى الخضر فطلب منى الصحبة فخشيت أن يفسد على توكلى) لان الخضر
اما ولى او نبى على الخلاف فيه ومن صحب من هذه صفته سكن قلبه اليه وعلم انه لا يعجزه شئ مما هو محتاج اليه =

أقول قد حذر من المشروع خوفا من تدريج الوقوع وذلك باشارة خبر دع ما يريبك
الى ما لا يريبك (قوله الى المراياة والمداهنة) اى وهما من كبائر الذنوب
(قوله وحكم به على غيره) اى كما يشير اليه خبر المؤمن مرآة المؤمن (قوله من أراد أن
يسلم الخ) أقول حيث ثبت هذا فى زمنه مع القرب من أثر بركة النبوة وكان الحكم
فى ذلك الوقت الندب فهى فى وقتنا آكد بل لو قيل بالوجوب لم يكن بعيدا (قوله
لا يجتمع فيه اثنان الخ) أقول ومثل هذا فى وقتنا يقال له عند الخاصة والعامة المسامرة
فيقع منهم كانه من المباحات فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله الانفراد عن الناس الخ)
الذى عندى ان الاجتماع فى هذا الزمن الذى قدر الله بوجودنا فيه ينبغى ان يكون على
قدر ما تدعو اليه الضرورة كالتعلم لما يجب و يندب للعبادة وتحصيل ما يلزم لضرورة
المعيشة لان ما ذكره من داعى الاجتماع فهو غير متيسر لان الخلق فى هذا الزمن كانهم
ارتضعوا من ثدى ولبن واحد (قوله ولامثالنا) مراده ان اجتماع الضعفاء مع العمال
أبعث لهم على العمل وذلك لحب المشاكاة ولا تغفل عما قدمناه لك قبل (قوله أوصانى
الشبلى الخ) أقول مثله نفعنا الله به قد منح الحكمة واطلع بواسطة تنويره على ما قدر له
فعض عليه بالنواجذ (قوله فقال من جلوسى الخ) اى وذلك لان العمل بالسنة يظهر
ينابيع الحكمة بدليل خبر من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكم على
لسانه وقلبه او كما ورد (قوله لا تكون بالشركة الخ) أقول لما ضعفت الهمم عن حفظ
القلوب مع الاختلاط حمل هذا الاستاذ على الانفراد طلبا للسلامة فى النفس باخلاص
العبادة لله تعالى هذا ما ظهر خلافا لما أبداه الشارح (قوله فقال انهم الخ) فيه دلالة على

= وهذا اعتماد على غير الله وهو قوى على مقام التوكل العالى نخشى ان يفسد عليه حاله بسكونه الى من عات عنده به منزلته و بذلك علم ان كراهة الخلطة للعبد اما لخوف ضرر عليه او على غيره (وقيل لبعضهم ههنا احد تستأنس) انت (به فقال نعم ومد يده الى مصحفه ووضعه فى حجره فقال هذا) أستأنس به (وفى معناه أنشدوا) وكتبك يا ربى (حولى ما تفارق مضجعى * وفيها شفاء الذى انا كاتم) وذلك لان من فهم كتاب الله وتفكر فيه عظمت فى قلبه معرفته تعالى وغلب عليه جلاله وعظمته فكان له كتابه احسن جليس واعظم أنيس (وقال رجل لذى النون المصرى متى تصح لى العزلة قال اذا قويت على عزلة النفس) وعزلتها بمفارقة أخلاقها الذميمة واتصافها بالحميدة فمتى فارق العبد الملذوذات وتحمل لمولاه المشقات فى الطاعات فقد بعدت عنه الآفات وخفت عليه العزلة ومفارقة المشتهيات (وقيل لابن المبارك ما دواء القلب قال قلة الملاقاة للناس) لان الاخوين فى الله اذا تلاقيا بعدت سلامتهما مع كمال جدهما فى الخير وشدة حذرهما من الشر فكيف بمن سواهما وقيل لبعض الصالحين ان فلانا يحبك ويكثر ذكرك قال انه حبيب لى وأعرف قدره لكن يهون على أن ألقى الشيطان مائة مرة ولا ألقاه مرة واحدة فقيل له كيف ذلك فقال اخشى أن أتزين له ويتزين لى اى لان الشيطان عرفت عداوته فيشتد حذرى منه والاخ الصالح النفس مطمئنة ساكنة له (وقيل اذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية الى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة) لان الوحدة تسلمه من آفات الخلطة والقناعة تريحه من أسباب الكثرة ورؤيته لعيوب نفسه تعينه على الانتقال عن الاخلاق الذميمة الى الاخلاق الحميدة والله اعلم

(باب التقوى)

انه قد قوى يقينه بما عند مولاه نخشى تغير الحال بالركون الى شئ آخر (قوله ومد يده الخ) فيه تنبيه على انه ينبغى للعبد أن لا يستأنس بشئ خلاف ما شرعه الله تعالى بواسطة نبيه صلى الله عليه وسلم (قوله وتفكر فيه الخ) اى تفكر فى ترتيبه العجيب واسلوبه الغريب وحكمه الظاهرة والفاظه الرقيقة ومعانيه الدقيقة واسراره الغريبة الخفية وآياته الجليلة الجلية كيف وهو صفة الحق ودليل رسول الصدق والله أعلم (قوله قال اذا قويت الخ) أنت خبير بأن هذا لا يتم الا بعد تعلم علم الشريعة اذ هو الكاشف عن الذميم من الاخلاق وضده (قوله قال قلة الملاقاة الخ) أقول هذا فى حق من قصرت همته عن حفظ نفسه مع ملابسة الامثال ولو مع كمال الجد فى طريق الخير ومن ذلك يتحقق لزوم ذلك فى زمننا بل اولى اذ لا مجد بل الامر بالضد (قوله فقال اخشى الخ) اى يخشى بمقتضى ميل النفس الخبيثة (قوله من ذل الخ) انظره فانه جامع كل خير فنسأل الله التوفيق لمابه (قوله فقد أعطى خير الخ) ان قلت لم كانت الآخرة دار جزاء المؤمنين قلت لحكمتين احداهما اتساع عطائه وذلك فى الصفة والمقدار ودليله قوله صلى الله عليه وسلم يقول تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية ومعناها فى كل وجه وفى كل معنى وفى كل جزاء وفى كل فرع وثانيتهما كون ما أعده الحق فيها كاملا ببقائه لا يحول ولا يزول لان الآتى قطعا كالموجود فى الحال وما كان مآله الى الزوال فكأنه قد زال. وقد جاء فى الخبر لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لاختار العاقل الذى يبقى على الذى يفنى فيرحم الله القائل

فما الدنيا وزخرفها بشئ * وما أيامها الا عوارى
وليس بعاقل من يصطفيها * أيشرى الفوز ويلك بالبوار

(باب التقوى)

اعلم أنه تعالى أكرم المتقين بكرامات الاولى العلم قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله الثانية العاقبة قال تعالى والعاقبة يعنى الجنة للمتقين وفى ذلك بشارة بأن عاقبتهم محمودة وانه لا مؤاخذة عليهم وفيه تحريض على الاخذ بكل سبب من أسبابها الثالثة الفرقان قال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال سهل يعنى نورا فى القلب يفرق به بين الحق والباطل الرابعة محبة الله تعالى لهم قال تعالى ان الله يحب المتقين

المتقين الخامسة نصره تعالى لهم قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الفضيل رحمه الله اى اتقوا الله فيما نهاهم عنه وأحسنوا فيما أمرهم به السادسة الحسنة قال تعالى للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير السابعة النجاة قال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا الثامنة ركوب النوق من القبور الى القصور قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا أى ركبانا على الابل قال على كرم الله وجهه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم يحشرون على نوق أرجلها الذهب ونجائب سروجها اليواقيت التاسعة الكرامة قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم قال بعضهم يستدل على تقوى الرجل بثلاث خصال حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نزل وحسن الصبر فيما قد فات العاشرة القبول قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين وفى الرقائق عن فضالة بن عبيد لان أكون أعلم ان الله تقبل منى مثقال ذرة أحب الى من الدنيا وما فيها الحادية عشرة وقاية العذاب قال تعالى ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم الثانية عشرة جوار الله تعالى قال تعالى ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر الثالثة عشرة المخرج قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الرابعة عشرة اليسر قال تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا أى يسهل عليه أمر الدارين ويخلصه من شدائدهما الخامسة عشرة والسادسة عشرة التكفير وعظم الاجر قال تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا السابعة عشرة الجنة قال تعالى تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا الثامنة عشر الفوز قال تعالى ان للمتقين مفازا أى فوزا ونجاة من النار التاسعة عشرة الرحمة قال تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون العشرون صلاح الاعمال قال تعالى يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم اى يزكها ويقبلها ويغفر لكم ذنوبكم اى يسترها ويمحها ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اى نال غاية مطلوبه اه من نشر المحاسن لليافعى

(تنبيه) حكى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان فى المسجد يوما مع المهاجرين والانصار واذا بامرأة وقفت على باب المسجد وبين يديها طفل تربيه فقالت يا أمير المؤمنين عسالك أن تأخذ ابنك هذا عنى فقد ضاق به ذرعى فرفع عمر لها رأسه وقال لها يا هذه ومن أين هو ابنى فقالت هو ابنك من الزنا فقال يا معشر المسلمين هذا شئ ما أحببته قط فى الجاهلية فكيف أحبه فى الاسلام فقالت يا أمير المؤمنين هذا ولد ولدك اى شحمة فقال عمر وكيف فقالت خرجت ذات يوم ألتمس المعيشة فدخلت خربة لبنى النجار فجلست فيها أتفكر فى أمرى فغلبنى النوم فما استيقظت الا وابنك قد واقعنى وغلب على وانصرف وتركنى بهذا المولود فقال لها عمر قفى يا هذه الجارية حتى يأتى ابنى وأسأله بحضرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عمر الى ابنه فوجده يأكل

خبزا بزيت وملح يتغدى به فقام الشاب الى أبيه فقال له عمر اقعد يا ولدى حتى يتم غداؤك
فقال الولد لابيه هل لك ان تشاركنى فى طعامى فقال عمر لا يا ولدى مالى اليه من سبيل
ربما يكون آخر طعامك من الدنيا فقال يا أبتِ أنزل عليك وحى فقال له يا ولدى لا وحى
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الولد فما الخبر يرحمك الله فأخبره عمر بقضية المرأة
فلما سمع ذلك اصفر لونه ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال له عمر يا بنى تعلم ان
الدنيا فانية والآخرة باقية ونعيم الدنيا لا يدوم وعذابها لا يدوم ومن أدى حق الله
فى الدنيا لم يطلبه الله فى الآخرة وأريد منك أن تصدقنى بالحق فى هذا اليوم وتخبرنى
بما وقع منك فى هذه المرأة فقال يا أبت والله انها الصادقة فقال عمر وكيف جرى ذلك
يا ولدى فقال يا أبتِ خرجت من منزلى يوما فلقينى يهودى فأخذ بيدى وأدخلنى منزله
واطعمنى طعاما وسقانى شرابا اى خمرا فلما سكرت أخرجنى من الدار وأغلق بابه فجعلت
أمشى فى أزقة المدينة حتى دخلت خربة لبنى النجار فوجدت فيها تلك المرأة نائمة فواقعتها
فبكى عمر فقال له يا أبتِ فما الذى أبكاك لا بكيت عيناك فان كنت تريد اقامة الحد على
فأنا أصبر لقضاء ربى فأخذ عمر بيد ولده وخرج به الى المسجد وقعد مع المهاجرين والانصار
وقال لهم يا معشر المسلمين هذا ولدى قد اعترف على نفسه بالزنا ثم نادى عمر غلامه فقال له
يا غلام ناد فى أزقة المدينة ليجتمع الناس حتى يشهدوا عذاب ولدى على الزنا فان الله
تعالى يقول فى كتابه وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين فخرج الغلام ينادى فى أزقة
المدينة يا معشر المسلمين ان عمر بن الخطاب أراد أن يقيم الحد على ولده فى هذا اليوم
فاشهدوا عذابه فاجتمع الخلائق من كل جانب ثم قال عمر يا غلام اخلع الثوب عنه
وخذ السوط بيدك واضربه كما أمرك الله ورسوله فقال الغلام وكيف أضربه وهو
سيدى وابن سيدى فقال عمر يا غلام انك عبد مأمور فلا تترك من حق الله شيأ فيحاسبك
الله عليه غدا يوم القيامة فنزع الغلام ثوبه وأخذ السوط بيده وضربه واحدة فانشق
منها جلده وجرى دمه فلما رأى الغلام ذلك جعل يبكى فقال عمر يا غلام اضرب كما أمرك
الله ورسوله ألم تسمع قول الله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر فلما كمل عليه عشرة أسواط قال الشاب انى تائب فقال يا ولدى
لا يطالبك الله الا بما مضى ثم قال يا غلام اضرب فلما كمل عليه عشرين سوطا قال يا أبت
مالى صبر على البلاء قال عمر يا ولدى هذا العذاب أهون عليك من العذاب غدا بين يدى
الله تعالى فسمعت أمه بذلك فخرجت من بيتها وهى مريضة متكئة على امرأتين حتى
وقفت خلف المسجد وسمعت ابنها يضرب وهو يستغيث بالله ويدعو فقالت يا أمير
المؤمنين اتركم يبقى على ولدى من حدود الله تعالى واصرفه الى وأنا أحج عن ابنى كل سنة
وأعتق عنه رقبة فقال لها عمر افهمى يا مسكينة فهذا حكم ما أمر الله به ولا رسوله فقال
المسلمون يا أمير المؤمنين هل يجوز لنا أن نقتسم ما بقى عليه من الحد فقال لهم يا قوم

مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الحد الامن فعل الذنب ثم قال ياغلام اضرب كما أمرك الله ورسوله وأنت حر لوجه الله فضربه الغلام حتى وقع الشاب في الارض وعمر يبكي والمسلمون يبكون والملائكة في السماء قد تعجبت من صبر عمر فقال المسلمون أيهلك ابنك على يديك فقال والله ياقوم لآخذن حق الله فلما كمل عليه مائة سوط وقع الشاب على الارض مغشيا عليه فرفعه أبوه الى بيته فمكث خمسة ايام ومات رحمه الله فلما دخل عليه ابوه وهو ميت ترامى عليه وقبله وهو يبكي ويقول ليتني يابني ما كنت امير المؤمنين حتى لايكون موتك على يدي فهكذا قضى عليك علام الغيوب فغسله عمر ودفنه فرآه رجل من الصحابة تلك الليلة في المنام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له سلم على ابي وقل له جزاك الله عني خيرا كما رحمتني من عذاب الله في الآخرة فاني قدمت على ربي وأراني ما كان اعدلي من العذاب فقال لي يا ابن عمر لولا ما اخذ منك ابوك الحد في الدنيا مانجوت اليوم من العذاب الاليم فتدبر حكم التقوى لتأخذ بالسبب الاقوى والله اعلم من نشر المحاسن لليافعي واعلم ان الارادة حلية العوام وهي تجريد القصد وجزم النية والجد في الطلب وذلك في طريق الخواص نقص وتفرق ورجوع الى النفس اذ الارادة من حظ النفس فهي عين الدعوي وانما الجمع والوجود فيما يراد بالعبد لا فيما يريد العبد وان يردك بخيره فلا راد لفضله ولذا قيل شعرا

اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد

قال بعضهم والتقوى بساط تزكية النفس وتطهيرها من العيوب فمن أراد التقوى فعليه بذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والله اعلم وقال بعض آخر التقوى بساط العلم قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله قال الداراني اذا اعتقدت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها بطرائف الحكم من غير ان يؤدي اليها عالم علما فبلغ ذلك أحمد بن حنبل رضي الله عنه فصدقه وذكر الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم أقول وتمام معنى التقوى للعبد انما يكون بالغفلة عن سائر الاكوان شغلا عنها بالمكون لها فمن شهده فيها فاعلا مختارا مدبرا انسيابه فافهم (قوله هي اسم جامع الخ) اعلم ان طرق الاهتداء على نوعين بالنسبة للمهتدين توجه ومواجهة فظاهر الاول الاستدلال للتوصل والعمل للتوسل والتعلق للتقريب ومظاهر الثاني التوفيق للهداية والالهام للعناية والتحقيق للولاية ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور فافهم (قوله فتارة يحذر العبد تضييع الواجبات الخ) اي يحذر تركها بالكلية أو ترك ايقاعها في أوقاتها المحدودة لها وقوله فيتقيه أي يجتنبه وذلك انما يتحقق بالقيام بها حيث أمر وفي الوقت الذي أمر (قوله وتارة يحذر ارتكاب المحرمات الخ) انظر وجه مغايرته لما قبله مع تلازمهما ثم يقال انه من جهة صحة اعتبار كل وملاحظته على انفراده واعلم أن حذر تضييع الواجبات أو المندوبات وحذر ارتكاب المحرمات أو المكروهات من أقل درجات

هي اسم جامع للحذر من جميع ما أمر الله ان يحذر منه كما يؤخذ مما يأتي فتارة يحذر العبد تضييع الواجبات او المندوبات فيتقيه وتارة يحذر ارتكاب المحرمات أو المكروهات فيتقيه وتارة يحذر فوات اعالي الدرجات فيتقيه بان لايشتغل بأدونها

وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (وأخبرنا ابو الحسين علي بن احمد بن عبدان قال اخبرنا احمد بن عبيد الصفار قال حدثنا محمد بن الفضل ابن جابر قال حدثنا ابن عبد الاعلى القرشي قال حدثنا يعقوب القمي عن ليث عن مجاهد عن ابي سعيد الخدري) رضي الله عنه (قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله أوصني فقال عليك بتقوى الله فانه جماع كل خير) أي جمعه (وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلم) أي شعاره وانقطاعه للعبادة (وعليك بذكر الله فانه نور لك) يهديك الى الصراط المستقيم (واخبرنا علي ابن احمد بن عبدان قال اخبرنا احمد بن عبيد قال اخبرنا عباس ابن الفضل الاسفاطي قال حدثنا احمد بن يونس قال حدثنا ابو هرمز نافع بن هرمز قال سمعت انسا رضي الله عنه يقول قيل يانبي الله) وفي نسخة يا محمد (من آل محمد قال كل تقي) من اتباعه وهذا ما اختاره الازهري وغيره من المحققين وقيل آله عترته والاصح عند الشافعي وجمهور الاصحاب انهم مؤمنو بني هاشم وبني المطلب (و) بالجملة (التقوى جماع الخيرات) كلها (وحقيقة

المؤمنين لان ذلك بمقتضى الايمان والتصديق القلبي (قوله واتفقت الامة الخ) أي فدليل فضيلتها وطلبها الاجماع والكتاب والسنة (قوله قال الله تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم) أقول فيه الاشارة الى من لا التفات له الى غيره تعالى سواء فقد أو وجد اطاع او عصى اذ كان لله فكان الله له بلا علة من نفسه فهم هم رضي الله عنهم ورضوا عنه

(شعر)

هم الرجال وعيب ان يقال لمن * لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

(قوله قال الله تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم) وجه الدلالة افادة الآية الشريفة ان الاكرام يترتب على التقوى وزيادته على زيادتها ولا يكون ذلك الا اذا كانت التقوى مطلوبة ولها فضيلة وضدها منهي عنه لان الامر بالشئ نهي عن ضده (قوله وقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب الآية) افادت ايضا طلب التقوى منا معاشر الامة المحمدية ومن أوتي الكتاب من قبلنا فهي حينئذ من الشرائع القديمة وقوله وقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا هي اظهر في الدلالة على طلب التقوى كما لا يخفى (قوله فقال عليك بتقوى الله) اى الزمها وقوله فانه جماع الخ اى فان المذكور الذي هو التزام التقوى جماع كل خير اى يجمع خير الدنيا والآخرة فلمن تحقق بمعنى التقوى قيل ان الجنيد لما سئل عن معنى التقوى اجاب السائل بقوله ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك فتأمل فيما منحه الحق من شرب الخلق المحمدي حتى كان ما ذكره من جوامع الكلم نفعنا الله ببركات علومه وقوله وعليك بالجهاد اى الزم الجهاد الشامل لجهاد النفس وقوله فانه رهبانية المسلم اى فانه تبتله وانقطاعه لعبادة ربه وقوله وعليك بذكر الله أي الزم ذكره تعالى بلسانك وقلبك فانه نور لك أي فانه يثمر لك النور المعنوي في قلبك فتهتدي به الى الصراط المستقيم واذا افاض من القلب ظهر على صفحات الوجه (قوله قال كل تقي الخ) اعلم ان المنصوص عليه عند امامنا الشافعي رضي الله عنه ان المراد منه يكون بحسب المورد فان ذكر في الزكاة فالمراد به مؤمنو بني هاشم وبني المطلب وان ذكر في مقام التمدح فالمراد به كل تقي وان ذكر في مقام الدعاء فالمراد به مطلق المؤمن ولو كان عاصيا اذ هو الاحوج للدعاء (قوله والتقوى جماع الخيرات كلها) أي فمن اتصف بها فقد حاز جميع الخيرات ولاسيما اذا قام بكل معنى أريد منها من حذر تضييع الواجبات والمندوبات وحذر ارتكاب المحرمات والمكروهات وحذر فوات أعالي الدرجات (قوله وحقيقة التقوى الخ) اعلم انه قيل لسيدنا عيسى صلوات الله وتسليماته على نبينا وعليه من ادبك قال ما أدبني أحد ولكني رأيت جهل الجاهل فجنبته ولقد صدق فلو اجتنبت الناس ما يكرهون من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدب فما أعظم المصيبة على من فقد قلبا واعيا وما اسرع العقوبة على من فقد طرفا باكيا وما أكثر حسرة من كان في امره متوانيا وما أدوم ندامة من أمسى وأصبح لاهيا (قوله التحرز بطاعة الله الخ) وقيل هي

التقوى التحرز بطاعة الله سبحانه من عقوبته يقال اتقى فلان بترسه) أي تحرز به مما يضره من عدوه

ان

(واصل التقوى اتقاء الشرك) بالله (ثم بعده) اتقاء (المعاصي والسيآت) غير الشرك (ثم بعده) اتقاء (الشبهات ثم يدع) أي يترك (بعده الفضلات) بخلاف الاولى وقد نزل بعضهم قوله تعالى اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على هذه المراتب دفعا للتكرار (كذلك سمعت الاستاذ اباعلي الدقاق رحمه الله يقول) أي هكذا يقول (سمعته يقول) ذلك (ولكل قسم من ذلك باب) يذكر فيه (وجاء في تفسير قوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته ان معناه ان يطاع الله فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر) وهذا أعلى درجات التقوى اذ حق التقوى ان يتق العبد الفضلات عن ذكر ربه ومكره وهذا عزيز بما يعجز عنه ولهذا لما سمع الصحابة رضي الله عنهم ذلك خافوا العجز عن القيام به فانزل الله تخفيفا عليهم فاتقوا الله ما استطعتم (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت احمد بن علي بن جعفر يقول سمعت احمد بن عاصم يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا معين الا الله تعالى ولا دليل الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زاد الا التقوى) أي العمل الصالح (ولا عمل الا الصبر عليه) أي على العمل لان الله تعالى يبتلي عبده بالمرض والعافية والفقر والغنى وغيرها فان صبر على المشق المؤلم اثابه وان شكر على النعم اثابه (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابابكر الرازي يقول سمعت الكتاني يقول قسمت الدنيا على البلوى وقسمت الآخرة) وفي نسخة الجنة (على التقوى) لقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون

ان لا ترى نفسك خيرا من أحد وقيل هي الاقتداء به صلى الله عليه وسلم وقيل انها أول منازل العابدين وقيل من كان رأس ماله التقوى كلت الالسنة عن وصف ربحه هذا ولكل جارحة حظ من التقوى فافهم (قوله واصل التقوى الخ) أي أسها وجماعها اتقاء الشرك بالله وذلك لانه لا عمل معه والعياذ بالله تعالى ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات أي وذلك أقل درجات المؤمنين ثم بعده اتقاء الشبهات اي وذلك من مقامات الزاهدين ثم بعده اتقاء الفضول أي وهو من نعت الكاملين أقول وبعده اتقاء الالتفات الى ماسوى رب العالمين وهو من منازل الواصلين (قوله وقد نزل بعضهم الخ) أي فحمل التقوى أولا على اتقاء المعاصي بدوام الاعمال الصالحة وثانيا على اتقاء الشبهات وثالثا على اتقاء الفضول مع مراقبة مقام الاحسان المشار اليه بخبر ان تعبد الله كانك تراه (قوله ان معناه ان يطاع الله فلا يعصى) أي لتدوم ثمرة التقوى وقوله ويذكر أي باللسان والقلب فلا ينسى أي لتدوم ثمرة المراقبة وقوله ويشكر فلا يكفر أي بصرف العبد جميع قواه وجوارحه الظاهرة والباطنة فيما خلقه الله له من العبادة في مقابلة انعام الحق عليه اذ لو لم يكن كذلك لا يكون شاكرا بل يكون كافرا بنعمه تعالى والله اعلم (قوله وهذا عزيز الخ) اقول ولو نظر الى ان المعنى بحق التقوى عبادته تعالى على ما يليق بعظيم جنابه جل جلاله لما كان ذلك في وسع مخلوق فسبحان الرؤف الرحيم (قوله فانزل الله تخفيفا الخ) أي وعليه فحق التقوى في الآية الاولى بحسب الاستطاعة ومقدور العبد لقوله جل شأنه لا يكلف الله نفسا الا وسعها أي طاقتها (قوله لا معين الا الله تعالى الخ) اي لانه الفاعل المختار لا فاعل لغيره خلافا للجهلة المعتزلة وقوله ولا دليل الا رسول الله أي لانه ختام المرشدين من رسل رب العالمين مع جمع شريعته لما تفرق في غيرها من الشرائع باشارة قوله جل جلاله ما فرطنا في الكتاب من شئ وقوله ولا زاد الا التقوى أي لانها خير الزاد النافع في المعاد بذوق آية وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقوله ولا عمل الا الصبر بمعنى حبس النفس على فعل المأمورات واجتناب المنهيات والرضا بالامتحانات الالهية (قوله ولا دليل الا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أقول كيف لا يكون كذلك وهو صلى الله عليه وسلم قد جمع في اخلاقه الشريفة ما تفرق من كمالاتها في غيره من النبيين والمرسلين زيادة عما خصه الله به مما لم يشاركه فيه غيره منهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم وقولي قد جمع الخ مأخوذ من قوله عز اسمه فبهداهم اقتده ومن المعلوم ان الذي أمر بالاقتداء بهم فيه انما هو أصول الدين وكمالات الاخلاق ولا شك انه اقتدى بهم بالفعل لوجوب عصمته فهو حينئذ قد جمع ما تفرق فيهم من كمالات الاخلاق صلى الله عليه وسلم (قوله قسمت الدنيا على البلوى) أي لاجل البلوى أي الابتلاء فعلى بمعنى لام التعليل ولذلك كان الموفق فيها يشتد بلاؤه ليعظم جزاؤه وقوله وقسمت الجنة على التقوى اي لاجلها كذلك حيث هي دار جزاء

ونظيره انما هي اعمالكم ترد عليكم (وسمعته) أيضا يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول من لم يحكم بينه و بين الله عز وجل التقوى والمراقبة) بأن يأتي بالمأمورات ويكف عن المنهيات على وجهها (لم يصل الى الكشف والمشاهدة) والمراد بها غلبة حال الحق على القلب حتى لا يلتفت الى غيره وتقدم تحقيقهما (وقال النصراباذي التقوى ان يتقي العبد ما سوى الله) تعالى مما يشغله عنه (وقال سهل من اراد ان يفتح له باب التقوى فليترك الذنوب كلها) بأن يجتهد في ان لا يقع في شيء منها (وقال النصراباذي من لزم التقوى اشتاق الى مفارقة الدنيا لان الله تعالى يقول وللدار الآخرة خير للذين يتقون وقال بعضهم من تحقق) ودخل (في التقوى هون الله على قلبه الاعراض عن الدنيا) وذلك لان النفس مائلة الى كل لذيذ فاذا تقابل عندها لذيذان مالت الى اتمهما والحامل على الطاعات رجاء الخلود في الجنان ورضا الملك الديان فاذا عمر العبد بها أوقاته حتى رزقه الله فيها اللذة وتنعم بالمناجاة زهده في الدنيا واشتاق الى شغله بالآخرة (وقال ابو عبد الله الروذباري التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى) من ترك الواجبات وارتكاب المحرمات خوفا من العقاب او فوات درجات الاحباب (وقال ذو النون المصري التقي من لا يدنس ظاهره بالمعارضات) أي بالاعتراضات من جهة الشرع بشيء من المخالفات (ولا باطنه بالعلالات) جمع علالة أيضا وهي ما تعللت به والمراد انه يعرض بباطنه عن المشتهيات ويحسن نيته في الصبر لنيل المقامات العاليات (ويكون واقفا مع الموقف الاتفاق) منه مع الله بان يكون راضيا بما يجريه الله ورضاه فيتحقق رضاه بما رضيه مولاه فيصدق به قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول للتقوى ظاهر) يحصل بظاهر البدن (وباطن) يحصل بباطنه وهو القلب

واحسان فهي من ثمرة كسب العبادة والمجاهدة في الدنيا (قوله ترد عليكم) أي يرد عليكم جزاؤها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله من لم يحكم) أي يتقن بينه و بين الله التقوى والمراقبة على معنى من لم يكن أساس أعماله عليهما لم يصل أي لم يتوصل الى طريق الكشف والمشاهدة المراد منهما علم اليقين وحقه (قوله ان يتقي العبد ما سوى الله الخ) فيه دليل على علو همته حيث انبأ عن اشرف المنازل (قوله ان يفتح له باب الخ) أي ولا سبيل الى ذلك الا بالبعد عما يشغل عن حق الحق تعالى (قوله فليترك الذنوب كلها) أي بعد ان يغتسل من جنابة الغفلة بماء الغيب عما سواه تعالى لان مقام التقوى دائرة ولاية الله تعالى ولا يدخلها الا المطهرون فالتطهير من هذه الجنابة المعنوية انما يكون بطهرة معنوية وهو الذكر والفكر (قوله لان الله تعالى يقول وللدار الآخرة خير للذين يتقون) أي وحيث كانت الآخرة هي الخير لهم لزم انهم يشتاقون مفارقة الدنيا ليصلوا الى ما هو الخير لهم (قوله من تحقق ودخل الخ) مراده بالدخول في التقوى ذوق لذتها بقوة يقين ثمرتها حسبما وعد الحق فاذا تم له ذلك هان عليه الاعراض عن الدنيا لشاهد يقين فنائها وخستها في جنب اقل الاقل من نعم الآخرة والله أعلم (قوله مالت الى اتمهما) اى بشهود العلم الذوقي والنقلي فتطبع النفس بذلك حتى تميل الى اللذات المعنوية وترجع عن الشهوات الحسية باعتبار ما يترتب على كل (قوله واشتاق الى شغله بالآخرة) أي رغب في الاشتغال بالاعمال الموصلة الى نعيم الآخرة (قوله خوفا من العقاب الخ) أي وذلك من درجات المتوسطين من الابرار (قوله وقال ذو النون الخ) فيه دلالة على علو همته حيث حمل غيره تلويحا على هذا المقام (قوله ويكون واقفا الخ) اقول وما ألطف ما قيل مما يشير الى هذا المعنى شعرا

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة * طربا لذكرك فليلمني اللوم

فانه يدل على فناء مرادات هذا القائل في مرادات الحق سبحانه وتعالى والله اعلم (قوله بان يكون راضيا) أي يشاهد العلم النقلي مما يصح الرضا به من تصاريف الحق تعالى (قوله فيصدق به قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه) أي حيث يندرج فيمن ذكر ومعنى رضا الله عنهم احسانه اليهم ورحمته بهم ومعنى رضاهم عنه دوام شكرهم وذكرهم وفكرهم وصبرهم ومحبتهم له تعالى (قوله للتقوى ظاهر الخ) محصله ان التقوى مظهرها الجوارح

الظاهرة

(فظاهره) اى ماذكر من التقوى (محافظة الحدود) أى حدود الله فلا يتجاوزها (وباطنه النية والاخلاص) اللذان محلهما القلب والقلب أول عامل من العبد لانه محل ورود الخواطر من الحق ومن عدوه فاذا ثبت العبد وميز بين الدواعى الى الاعمال وعرف داعى الحق من داعى عدوه قصد ايقاع عمله على وجه الاخلاص (وقال ذو النون المصرى رحمه الله منشدا

ولا عيش الا مع رجال قلوبهم
تحن الى التقوى وترتاح للذكر)

وفى نسخة بالذكر لان العيش الطيب انما يكون مع حياة القلب وحياته بزوال الغفلة عنه ودوام اليقظة لما خلق له واذا صلح القلب صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله وان صلحا معا ووجد القلب من يقصد مقصده تظافرت الهمم على نيل المطلوب فهؤلاء القوم اذا وجدوا احملوا الضعيف بقوتهم وعاشت همته برؤيتهم ورؤية مجاهدتهم (وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن) وفى نسخة حسن (التوكل) منه على الله تعالى (فيما لم ينل) من الرزق (وحسن الرضا) منه (فيما قد نال) من ذلك (وحسن الصبر) منه (على ما قد فات) مما يحبه (وقال طلق بن حبيب التقوى) اى الواجبة بقرينة آخر كلامه (عمل بطاعة الله على نور من الله

الظاهرة والباطنة فاذا تدنس الظاهر منها بعدم الوقوف مع حدود الله دل ذلك على دنس الجوارح الباطنة واذا تدنست الجوارح الباطنة بملابسة العيوب الخفية كالرياء والكبر والعجب والحسد والحقد وغيرها تدنس الظاهر منها فعلى العاقل ان يطهر مقاصده ويقوم جوارحه بشاهد علم النقل ومتابعة سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم (قوله والقلب أول عامل الخ) أى لانه محل القصد والعزم والنية والاخلاص الذى لا بد منه لصحة العبادة وتحققها فهو أول عامل بواسطة ما يرد عليه من البواعث والدواعى فاذا تحقق باشراق نور الاخلاص تبين له باعث الحق فظهر سر التقوى على جوارحه وصفحات وجهه والله أعلم هذا ولا يخفى ان البواعث القلبية تختلف قوة وضعفا فهى مقولة بالتشكيك وعلى حسب ذلك تكون اعمال الجوارح الظاهرة ذروحها وسر قبولها تخليص المقاصد من الشواغل (قوله فاذا ثبت العبد وميز الخ) اقول وحيث تحقق بهذا الوصف كان المعنى بخبر استفت قلبك وان أفتاك المفتون (قوله ولا عيش) اى لا معيشة هنيئة الا مع رجال قلوبهم جبلت على الميل للتقوى وراحتها فى دوام ذكر الله تعالى وذلك لان صحبة مثل هؤلاء تكون سببا فى زيادة الهمة ويؤخذ منه بطريق المفهوم خلاف ذلك فى معاشرة قرناء السوء والله أعلم (قوله قلوبهم تحن الخ) أى بواسطة ما أودع فيها من الانوار والحكم باعتبار ما استقر فيها من اللطيفة الربانية والاسرار الالهية (قوله وفى نسخة بالذكر) أقول وهى أبلغ فتأمل (قوله ووجد القلب الخ) اى بالنسبة لضعيف الهمة اما قويها فلا حاجة له الى ذلك والله اعلم (قوله تظافرت الهمم) أى قوى بعضها بعضا على نيل المطلوب (قوله فهؤلاء القوم الخ) اقول كيف وقد قيل هم القوم لا يشقى جليسهم فكيف يكون الحال فيمن عمل بعملهم (قوله يستدل على تقوى الرجل) اى يتحقق له الاتصاف بها حقيقة باجتماع هذه الامور الثلاثة وانما الاقتصار عليها لكونها امهات الفضائل والشرف (قوله بثلاث الخ) اى وهى لا تتم الا اذا تجرد العبد عن جميع الحظوظ النفسانية (قوله بحسن التوكل منه الخ) اى بتفويض كل أموره اليه تعالى على وجه حسن فيما لم ينله من مطالبه عملا بخبر لو اطلع احدكم على الغيب لاختار الواقع وقوله وحسن الرضا منه اى بواسطة قناعة القلب وعدم تشوفه الى الزيادة عما ناله وقوله وحسن الصبر منه اى حبس النفس على الرضا بما فاته ولم ينله مما يحبه بشاهد النفس والله اعلم (قوله مما يحبه) اى باعتبار ما جبل عليه من حظوظه لا باعتبار اعمال البر المقربة اليه تعالى فانه لا ينبغى الرضا والصبر على فواتها بل عليه ان يتدارك فعلها والله اعلم (قوله عمل بطاعة الله على نور من الله) معناه القيام بالوظائف الواجبة فى اوقات طلبها حالة كون ذلك مصحوبا بالمتابعة لسيد الكاملين لانه لا نور الا نوره ولا هدى الا هديه وقوله مخافة عقاب الله اى بسبب فواتها فى اوقاتها ولا يخفى عليك ان ذلك اول قدم للمؤمن بعد ايمانه وحقيقة ايقانه (قوله عمل بطاعة الله الخ) اى ولهذا ورد بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء

مخافة عقاب الله سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد الفراء يحكى عن أبى جعفر انه قال التقوى) أى كمالها (فى الحلال المحض) اى المباح الخالص (لاغير) كالخوف من العقاب والرجاء للثواب وكمال تقوى العبد ان يتقى مالا يضره فى دنياه ولا أخراه وانما يخشى من شغله به ان يشغل قلبه عمن يحبه ليكمل أدبه معه فيغيب به عمن سواه (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا الحسين الزنجانى يقول من كان رأس ماله التقوى كلت الالسن عن وصف ربحه) أخذا من قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله واتقوا الله ويعلمكم الله وقوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم ذنوبكم (وقال الواسطى رحمه الله) التقوى ان يتقى) العبد (من تقواه) يعنى من رؤية تقواه) بان يعرض عنها ولا يركن اليها شغلا بمولاه حذرا من سكونه الى غير من تولاه (والمتقى) هو (مثل ابن سيرين) حيث (اشترى أربعين حبا) بضم المهملة أى خابية (سمنا فاخرج غلامه فارة ميتة من حب) فيها (فسأله من أى حب أخرجتها فقال لا أدرى فصبها كلها على الارض) تورعا لالتباس حب الفارة المتنجس بها عليه بغيره فكمال الورع ان يترك العبد مالا بأس به حذرا مما به بأس (ومثل أبى يزيد) البسطامى حيث (اشترى بهمذان حب القرطم ففضل منه شئ فلما رجع الى بسطام رأى فيه نملتين فرجع الى همذان فوضع النملتين) تورعا حيث ردهما الى موطنهما وأنسهما باهليهما وقد قال تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم لا فعال

فقيل يا رسول الله ومن هم الغرباء قال الذين يصلحون اذا فسد الناس فيا عباد الله عليكم بالتقوى فانها عروة ما لها انفصام وذروة ما لها انهدام فبالتقوى تغفر الذنوب وتصلح الامور وتقل الهموم ويكثر السرور ويحصل النصر والظفر وبها يحصل الامان فى الدارين وتتسع الارزاق وتتنور القلوب والقبور الاوانها كم عن معاصى الله فانها من سخط الله وتسلب النعمة وتجلب النقمة وتخرب العمر وتهتك الستر وتورث القلة وتكسب الذلة وتقل الاصدقاء وتكثر الاعداء (قوله على نور من الله) اى مقتبس من شاهد العلم صادر بواسطة التوقيف (قوله مخافة عقاب الله) اقول واشرف من ذلك واعلى مقاما ايقاع الطاعة لله محبة واجلالا (قوله فى الحلال المحض) اى وذلك انما يكون بالورع عن الشبهات وعن مظانها ويسهل هذا التمسك بالتقلل والاقتصار على ما يسد الرمق فاذا تم له ذلك قوى على قصر فعله على المطلوب منه واجبا كان او مندوبا رغبة فى الثواب وبعدا عن سبيل العقاب هذا ويقول الشارح اى كمالها يتعين ان المراد بقوله فى الحلال المحض اى فى تجنب الحلال المحض وذلك يحصل بنقل مباحاته الى درجة المطلوب ندبا بحسب حسن المقاصد كان يأكل بقصد القوة على الطاعة ويشرب كذلك وينكح بقصد دفع الشهوة عن النظر لما لا يحل او التوالد لتكثير سواد المسلمين وامثال ذلك والله اعلم (قوله وكمال تقوى العبد ان يتقى مالا يضره الخ) اى يتحقق كمال تقواه بتجنب ما لم ينه عنه نهى تحريم او تنزيه خشية من شغل قلبه به عمن يحبه (قوله كلت الالسن الخ) أى لان الجزاء على ذلك من حقيقة فضله واحسانه تعالى وهو لا يقدر كما اشار له الشارح بما ورده من الآيات الشريفة (قوله أخذا من قوله تعالى الخ) اقول عدد الادلة القرآنية ليدل بذلك على تعدد ثمرات التقوى وقد ذكرنا ثمراتها قبل فى اول الكلام على التقوى فلا تغفل (قوله ان يتقى العبد من تقواه) اى لان الكمال انما هو فى ايقاع الطاعة لمحض ذاته تعالى محبة واجلالا (قوله فصبها كلها على الارض) اقول لعل السمن كان مائعا وما امكنه الاجتهاد فيما تنجس منها والا فكان يكفى القاء ما باشر النجاسة اذا تعين الاناء الذى وقعت فيه الفارة على انه يمكن الانتفاع به فى مثل الاستصباح فانظر وجه الاراقة (قوله فكمال الورع الخ) اى ويدل له خبر دع ما يريبك الى ما لا يريبك * (فائدة) * من التقوى مجانبة الفساق واهل المعاصى والاهواء فان مجاورتهم من غير ضرورة فسق كامن ومعصية منتشرة فى القلب لان الله تعالى ذم قوما من عباده حيث قال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم فلم يعذر من أقام فيها واذا كان هذا فى مساكنهم فكيف يكون الحال فى الاجتماع بهم وفى مخالطتهم وفى صحبتهم (قوله فرجع الى همذان الخ) فيه تنبيه على قوة ورعه ورحمته ومراقبته

(ويحكى عن أبي حنيفة رحمه الله انه كان لا يجلس في ظل شجرة غريمه ويقول قد جاء في الخبر كل قرض جر نفعا فهو ربا وقيل ان أبا يزيد غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له فقال له صاحبه نعلق الثوب في جدران الكرم فقال لا تغرز الوتد في جدران الناس) بغير اذنهم (فقال نعلقه في الشجر فقال لا انه يكسر الاغصان) لثقلها بالبلل (فقال نبسطه على الاذخر فقال لا انه علف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره الى الشمس والقميص) اى الثوب (على ظهره حتى جف جانب) منه (ثم قلبه على الوجه الآخر حتى جف الجانب الآخر) فيه تنبيه على التورع والاحتراز عن مثل ذلك (وقيل ان أبا يزيد) أيضا (دخل يوما الجامع فغرز عصاه في الارض) وكانت رملا أو ترابا يمكن غرز العصا فيها وكانت الشيوخ يغرزون فيها عصيهم ليسهل عليهم أخذها وقت القيام والمشي عليها (فسقطت عصاه (ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه في الارض) فالقتها (فانحنى الشيخ) بعد قيامه (وأخذ عصاه فمضى أبو يزيد الى بيت الشيخ واستحله وقال كان السبب في انحنائك تفريطي في غرز) وفي نسخة كان بسبب (عصاي حيث احتجت) به (الى ان تنحني) وانما لم يستحله في الحال اما لخوفه من شهرة نفسه بكمال هذا الورع أو ليحمل نفسه بمشيه الى منزل الشيخ بعض التعب للادب أو لكمال الاجر (ورؤي عتبة الغلام بمكان) وبدنه (يتصبب عرقا في الشتاء) بحيث غشي عليه (فقيل له في ذلك فقال انه مكان عصيت فيه ربي فسئل عنه) أي عن عصيانه فيه (فقال كشطت من هذا الجدار قطعة طين غسل بها ضيف لي يده ولم أستحل من صاحبه) فخشي على نفسه من ذلك مع ان مثله يتسامح فيه (وقال ابراهيم بن أدهم بت ليلة تحت الصخرة بيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر ابراهيم بن أدهم فقال ذلك الذى حط الله سبحانه درجة من درجاته فقال) له (لم قال) له (لانه اشترى بالبصرة تمرا) من رجل بقال (فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال فلم يردها على صاحبها قال ابراهيم) بن أدهم (فمضيت الى البصرة واشتريت التمر) اى تمرا (من ذلك البقال) وفي نسخة الرجل (وأوقعت تمرة) منه (على تمره) الذى باعني منه (ورجعت الى بيت المقدس وبت في الصخرة فلما كان بعض الليل اذا أنا بالملكين) وفي نسخة بملكين (نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر ابراهيم ابن أدهم فقال ذاك الذى رد مكانه ورفعت درجته) نبهه الله بذلك على ابراء ذمته مما ذكر وهو لا يشعر فهو زيادة كرامة وكل ما ذكر غاية في الورع والتقوى (وقيل التقوى على وجوه) متفاوتة لان أهلها مسلمون وصالحون وأولياء وانبياء ولكل منهم تقوى

لا فعال نفسه والفضل كله لله وحده لا شريك له (قوله وقيل ان ابا يزيد الخ) ما تقدم عن الامام رضي الله عنه ابلغ مما فعله ابو يزيد (قوله فولى ظهره الخ) فيه تنبيه على دوام جده واجتهاده في تزوده ليوم معاده كما هو اللازم لكل عاقل ولذا قيل شعرا

يا نفس جدي في الخلاص وبادري * وتزودي يا نفس زاد مسافر
ثم ازهدي في كل فان زهد من * ترك البقاء بباطن وبظاهر
يا نفس قد سبق المجدون الالى * وبقيت انت قطيعة في الآخر

الله يوفقنا واياكم لاعمال المتقين ويرزقنا واياكم السلامة يوم الدين ويغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين ونسألك اللهم رضاك برحمتك يا أرحم الراحمين (قوله فمضى ابو يزيد الخ) فيه تنبيه على قوة مراعاته الحقوق والتخلص من ورطتها وان دنت وقلت وهكذا شأن الكمل (قوله وقال ابراهيم بن ادهم الخ) لا ينافي هذا ما نقل عن بعضهم من قوله ان من الورع ما يمقت الله عليه في شان ما يتسامح فيه من سفاسف الامور لانه بالنسبة للعامي دون اهل القرب والكمال وفيه تنبيه على ان ابن ادهم كان من ارباب العناية الالهية حيث ذكره الحق على السنة الملائكة الكرام (قوله وأوقعت تمرة منه الخ) انظره مع ان استحلال صاحب التمر أقرب في التخلص من حقه وذلك لاحتمال عدم تساوي التمرتين فلعله نفعنا الله ببركاته قد اطلعه الله تعالى على تساويهما والاكتفاء بما فعله والله اعلم بحقيقة الحال (قوله وقيل التقوى على وجوه الخ) اقول اعلاها بذل الوسع واستفراغ الطاقة مع ترك الاختيار والسكون الى مجاري الاقدار حتى يكون كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء شعر

اني القلب الا ام عمرو فأصبحت * صفيته ان زارها أو تجنبا

وقال آخر اذا هبت الارواح من نحو جانب * به اهل مي هاج قلبي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس حيث كان حبيبها

اذ (للعامة تقوى الشرك) لانهم تابوا عنه (وللخواص) بالنسبة للعامة وهم الصالحون (تقوى المعاصى) غير الشرك لانهم تابوا عنها (وللاولياء تقوى التوسل) بالافعال التى هى الوسائل الى أعلى الدرجات (وللانبياء) عليهم الصلاة والسلام (تقوى نسبة الافعال) لانفسهم (اذ تقواهم) ناشئة (منه) تعالى راجعة (اليه) أى الى تفضله بان يروا انه المتفضل عليهم بالوسائل والمعين لهم على القيام بها (وعن أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال سادة الناس فى الدنيا الاسخياء بأموالهم) وجاههم وانفسهم لانهم الذين يقصدون فى الحوائج والمهمات والنوازل (وسادة الناس فى الآخرة الاتقياء) لانهم الذين يشفعون فى الخلق وتفزع الناس اليهم فى الشدائد (أخبرنا على بن أحمد الاهوازى قال أخبرنا أبو الحسين البصرى قال حدثنا بشر بن موسى) قال (حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله ابن زحر) بالزاى والحاء المهملة (عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من نظر الى محاسن امرأة فغض بصره فى أول مرة أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه) لمبادرته الى الكف عن وقوعه فى محرم (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول كان الجنيد جالسا مع رويم والجريرى وابن عطاء فقال الجنيد ما نجا من نجا الا بصدق اللجاء) بفتح اللام والمد أى الالتجاء الى الله (قال الله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الآية وقال رويم رحمه الله ما نجا من نجا الا بصدق التقوى) وفى نسخة التقى (قال الله تعالى وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم وقال الجريرى ما نجا من نجا الا بمراعاة الوفاء) بالعهود (قال الله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال ابن عطاء ما نجا من نجا الا بتحقيق الحياء من الله قال الله تعالى ألم يعلم بان الله يرى) أى ما صدر منه أى يعلمه فيجازيه عليه وهذه الاقوال الاربعة ناظرة الى أسباب النجاة المكتسبة من العبد والثانى منها هو قول رويم مستلزم لبقيتها لان حصول مقتضاها انما هو بصدق التقوى المصرح به فيه وهو المناسب للباب

وعن

فاذا قيل مثل هذا فى محبة الامثال فما ظنك فيمن هام فى جمال رب الكمال فافهم (قوله للعامة تقوى الشرك الخ) أى وهى ادون بالنسبة لما بعدها وان كانت عالية فى ذاتها وقوله وللخواص تقوى المعاصى اى والمعاصى تختلف على حسب الهمم كما لا يخفى على عارف وقوله وللاولياء تقوى التوسل اى توسلهم بأعمالهم لرجاء المثوبة بل شأنهم ونعتهم قصد ذات الحق تعالى محبة له واجلالا لا مع فنائهم عن شهود اعمالهم وقوله وللانبياء تقوى نسبة الافعال اى بالتبرى من الحول والقوة اى لانه لو انخرق لك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولا أشرق نور الايمان الا وغطى وجود الاكوان فافهم (قوله سادة الناس فى الدنيا الخ) اقول وذلك من اكمل صفة للسخاء ولذا عز وجوده ولو قيل بفقده فى زماننا لم يكن بعيدا (قوله وسادة الناس) أى أشرافهم فى الآخرة الاتقياء اى وقد تكون سادة الدنيا هم سادة الآخرة فكما تفزع الخلق اليهم عند الشدائد فى الدنيا تفزع اليهم عند الكروب فى الآخرة (قوله فغض بصره الخ) منه يعلم ان النظر الاتفاقى بدون قصد لا مؤاخذة به وهو كذلك كما هو مقرر فى الفروع الفقهية (قوله فقال الجنيد الخ) بالتأمل فى كلامهم تعلم انه بالنظر لكسب العبد فذكر كل منهم بهذا الاعتبار على حسب ما ذاقه من شاهد علم الشريعة المطهرة (قوله الا بصدق اللجاء الخ) أى وذلك بشهود انه لا ضار ولا نافع الا الحق تعالى ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فلا يقع الا ما يريده مما تعلق به علمه الازلى واقتضته حكمته الباهرة فينبغى ان يرجعوا اليه ويعولوا فى أمورهم عليه (قوله الا بصدق التقوى) قد تقدم انها متفاوتة على حسب الهمم فلا تغفل (قوله الا بمراعاة الوفاء الخ) أقول ان لم يكن عين ما قبله فهو قريب منه واعلم انه قد تكلم كل منهم على حسب شربه وما اداه الحق من شاهد علمه والله اعلم (قوله الا بتحقيق الحياء) أقول يرجع الى ما قبله وانما الاختلاف باعتبار الباعث فتأمل (قوله وهذه الاقوال الخ) أقول ما نقله عن القشيرى اخيرا هو المعول عليه والكمال فى التسليم لفعل الحكيم العليم ولذا نقل عن بعض المشايخ انه قال أوقفنى الحق بين يديه فقال لى اتريد الكشف قلت لا قال اتريد الغرق قلت لا قال فماذا تريد قلت اريد أن لا اريد فان ارادتى لا تساوى شيئا

وعن ابي يزيد رضي الله عنه انه قال ركبت مركب الصدق حتى بلغت الهوى ثم ركبت مركب الشوق حتى بلغت السهى ثم ركبت مركب المحبة حتى بلغت سدرة المنتهى فنوديت يا ابا يزيد ماذا تريد فقلت اريد أن لا اريد لانى انا المراد وانت المريد اه

•(باب الورع)•

اقول هو ينقسم بالنظر الى احكامه الى واجب ومندوب وآكد منه وبالنظر الى متعلقه الى ما نهى عنه نهى تحريم وتنزيه والى مشتبه بتردد بين الحل والحرمة والى ما كان السبب فى تحصيله فعلا محرما وان كان ملكه حقيقيا والورع باعتبار ذاته وثمرته اصله الخوف والحذر وهو يكون لخوف العقاب او اللوم والعتاب اوفوات الثواب او النزول عن المراتب اوفراق الاحباب وفى الصحاح الورع بالتحريك الجبان قال ابن السكيت واصحابنا يذهبون بالورع الى الجبان وليس كذلك وانما الورع الصغير الضعيف الذى لاغناء عنده والورع مصدر ورع الرجل يرع ورعا والورع بكسر الراء الرجل المتكف وعليه فالورع الكف وهذا المعنى موجود فى المعنيين قبله وحقيقة الورع الشرعية الكف عما يحذر شرعا امتثالا لامر الله تعالى وحكمه يختلف بحسب ما أضيف اليه فتعتريه الاحكام والدليل عليه من الكتاب قوله تعالى منه آيات محكمات الآيات ثم اعلم أنه قد اختلف فى المحكم وغيره فقيل المحكم ما لا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا فى اللغة والمتشابه ما احتمل فيها أوجها وقيل المحكم ما كانت حجته واضحة لاحاجة الى طلب معانيها والمتشابه هو الذى يدرك علمه بالنظر وعلى كل فالمتشابه مظان الاختلاف وتعدد الاحتمالات وقد روى الترمذى يرفعه الى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات لايدرى كثير من الناس أمن الحلال هى أم من الحرام فمن تركها استبراء لعرضه ودينه فقد سلم ومن واقع شيأ منها يوشك أن يواقع الحرام كما أنه من رعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه (قوله هو ترك الشبهات الخ) أقول وأكمل من ذلك أن يقال هو ترك ماسوى الله تعالى واعلم وفقنى الله واياك أن كلا من الورع والزهد باعتبار الحال الاكمل من أخلاق العوام فى ابتداء سيرهم الى الله تعالى لانه حبس النفس عن الملذوذات وامساكها عن فضول الشهوات ومخالفة دواعى الهوى وترك مايفنى من كل شئ وكل هذا نقص فى طريق الخواص لانه تعظيم للدنيا ومبالاة بها وتضييع للوقت فى منازعة النفس وكل ذلك عين الرجوع اليها اذ طريقهم صرف الرغبة اليه تعالى وتعلق الهمة به والاشتغال به عن كل شئ ليتولى هو حسم هذه الاسباب عنهم كما قيل ان بعض المريدين سأل بعض الشيوخ فقال له بأى شئ تدفع ابليس اذا قصدك فقال لا اعرف ابليس فأحتاج الى دفعه نحن قوم صرفنا هممنا اليه فكفانا ما دونه والله أعلم (قوله وهو الورع المندوب الخ) اى واندب منه ترك ما زاد عن الحاجة مما تحقق حله واكمل منهما

(وقال الاستاذ الامام) أبو القاسم القشيرى رحمه الله (ما نجا من نجا الا بالحكم والقضاء قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وقال ايضا ما نجا من نجا الا بما سبق له من الاجتباء قال الله تعالى واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم) هذا القول معرض عن الاسباب فان قائله انما تكلم على ما سبق لمن نجا عند الله

•(باب الورع)•

هو ترك الشبهات كما سيأتى وهو الورع المندوب الشائع وقد يطلق على ترك المحرمات وهو الورع الواجب وكل منهما مطلوب (اخبرنا ابو الحسين عبد الرحمن ابن ابراهيم بن محمد بن يحيى المزكى) رحمه الله تعالى (قال حدثنا محمد بن داود بن سليمان الزاهد قال اخبرنى محمد بن الحسين بن قتيبة قال حدثنا احمد بن ابى طاهر الخراسانى قال حدثنا يحيى بن العيزار قال حدثنا محمد بن يوسف الفريابى عن سفيان عن الاجلح عن عبد الله ابن بريدة عن ابى الاسود الدؤلى

عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه) رواه البخارى وغيره
ورووا خبر انه صلى الله عليه وسلم وجد تمرة فى منزله أو على الطريق فقال لولا أن أخشى أن تكون من تمر الصدقة لا كلتها
(أما الورع فانه ترك الشبهات) خوفا من الله تعالى (كذلك قال ابراهيم بن ادهم الورع ترك كل شبهة قال الامام)
القشيرى (وترك مالا يعنيك) المذكور فى الحديث السابق (هو ترك الفضلات) اى الحلال ومالا تدعو اليه حاجة دينية ويقال له الزهد (وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه كنا ندع) اى نترك (سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع فى باب من الحرام) لاسيما فى المطعم لخبر كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به والمراد بالسبعين المبالغة فى كثرة ترك الحلال ويحتمل ارادة العدد المخصوص كما قيل فى قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة (وقال) النبى (صلى الله عليه وسلم لابى هريرة) رضى الله عنه (كن ورعا تكن أعبد الناس) لما فيه من مخالفة الهوى والاعراض عن الشبهات وقد روى البخارى وغيره الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد إستبرأ لدينه وعرضه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه فترك الشبهات على هذا أفضل من فعل المندوبات لان السلامة مقدمة على الغنيمة (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى) رحمه الله (يقول سمعت ابا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى) السقطى بالبحث
(يقول كان اهل الورع فى أوقاتهم أربعة حذيفة المرتعش ويوسف بن اسباط وابراهيم بن أدهم وسليمان الخواص فنظروا فى الورع فلما ضاقت عليهم الامور) بأن بالغوا فى التنفيش عن الحلال فلم يقدروا على صفائه (فزعوا الى التقلل) مما حصل لهم من كسبهم صافيا بحسب امكانهم زيادة عن ورعهم اذ لاحساب عليهم فيه

ترك ماسوى الحق تعالى اكتفاء به عما سواه (قوله تركه مالا يعنيه) اى والذى يعنيه هو ماطلب منه وجوبا اوندبا فعلى الكامل قصر حركاته وسكناته على ذلك بشاهد قوله جل شأنه تلك حدود الله فلا تعتدوها الآية ويؤخذ من مفهوم الخبر ان من لم يترك مالا يعنيه لم يحسن اسلامه بل يكون مدنسا قبيحا وكفى بذلك ذما فى نظر العقل (قوله وجد تمرة الخ) فيه دلالة على ترك مافيه شبهة وذلك حقيقة الورع المندوب (قوله اما الورع فانه ترك الشبهات) اى أصل حقيقته ذلك اما كمالها فترك ماسواه تعالى اكتفاء به (قوله هو ترك الفضلات الخ) قصره عليها بالنظر الى حال الورع الكامل والافهو يصدق بترك المحرم والمكروه ومافيه شبهة وخلاف الاولى كما قدمنا (قوله ويقال له الزهد) اى وعلى ذلك فغاية الورع هى حقيقة الزهد (قوله كنا ندع الخ) اى ويدل له خبر دع مايريبك الى مالا يريبك واشارة من حام حول الحمى الخ فافهم (قوله من سحت) اى حرام (قوله والمراد بالسبعين المبالغة) اى جريا على عادة العرب فى ذلك (قوله كما قيل فى قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة) فيه ان المراد به فى الآية المبالغة كما تقدم مثل ماهنا فلعل الشارح قد اطلع على ان المراد به فيها العدد المخصوص (قوله كن ورعا) اى بترك الفضول من المباحات تكن أعبد الناس اى من أكثرهم عبادة كما وكيفا او كيفا فقط وقد بين الشارح وجهه حيث قال لما فيه من مخالفة الهوى الخ اى والخير كله فى مخالفة النفس والهوى (قوله الحلال بين الخ) اى بشاهد علم الشريعة حيث وضحت الشريعة الحلال وأظهرت الحرام فلا عذر للعبد بعد ذلك وقوله وبينهما مشتبهات اى حيث أخذت شبها منهما مع عدم دليل واضح يشهد برجوعها الى أيهما (قوله فمن اتقى الشبهات) اى فمن تجنبها فقد استبرأ لدينه أى طلب براءة لدينه من ملابستها (قوله ومن حام حول الحمى) اى من قارب الشئ المحمى يوشك اى يقرب أن يقع فيه من غير قصد بسبب خفائه عليه فحينئذ السلامة فى البعد عنه (قوله لان السلامة مقدمة الخ) اى لان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح * (فائدة) * اعلم أن لكل جارحة ورعا تعتريه الاحكام كما لا يخفى على من له المام والاعتماد على مافى القلوب حيث هى عرش تجلى المحبوب (قوله كان اهل الورع الخ) أقول الحصر فيهم لاشتهارهم به وذلك لا ينافى ثبوت الورع لغيرهم فى زمنهم وبعد زمنهم بشاهد خبر أمتى كالقطر لا يدرى أوله خير أم آخره والله اعلم (قوله صافيا) حال من التقلل جعل قيدا للنزع اى فطلبهم للقليل مقيد

فني الخبر الصحيح لاحق لابن آدم الافي ثلاث بيت يكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء وماعدا ذلك حساب (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا القاسم الدمشقي يقول سمعت الشبلي يقول الورع أن تتورع عن كل ماسوى الله تعالى) لان الورع مجانبة الشئ كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورعوا اللص ولا تراعوه اي جنبوه رحالكم ولا ترصدوه حتى يقع ومنه قول العرب ورع الابل اي جنبها كل مايضرها (وسمعته) ايضا (يقول اخبرنا ابو جعفر الرازي قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا احمد ابن ابي الحواري قال حدثنا اسحق بن خلف قال الورع في المنطق) الذي أهلك أكثر الناس وحذر منه النبيون والصديقون (أشد وأكمل (منه) اي من الورع (في الذهب والفضة) لان من قوي على الاقوى كان على الاضعف أقوى (والزهد في الرياسة) التي قيل فيها آخر مايخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة التي منها التفات العبد الى أعماله وحسن هيئته وامتيازه بمقامه الشريف عن غيره (أشد) وأكمل (منه) اي من الزهد (في الذهب والفضة لانك تبذلهما في طلب الرياسة) وتحصلها بهما (وقال ابو سليمان الداراني الورع أول الزهد) لانه ترك الشبهات والزهد ترك الحلال الخالص ومن عجز عن الاول فعجزه عن الثاني اولى (كما ان القناعة طرف من الرضا) من حيث ان القانع يقنع بما فتح الله به عليه من الخير والراضي يرضى بجميع مايجريه الحق عليه سواء وافق هواه او خالفه اذا كان فيه رضا الله (وقال ابو عثمان ثواب الورع) عند الله وفوائده عظيمة وأقلها (خفة الحساب) في الآخرة لان صاحبه يحاسب نفسه في الدنيا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا (وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم) اي على مايشهد به العلم الشرعي من انه لاشبهة فيه (من غير تأويل) فمن تأول فقال لم يثبت ان هذا حرام فاتركه فليس متورعا ففرق بين من يقول لا أقدم على شبهة وانما أقدم على ماثبت حله ومن يقول اقدم على مالم يثبت تحريمه (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت محمد بن داود الدينوري يقول سمعت عبد الله بن الجلاء يقول اعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم) مع كثرة ميل الناس الى تحصيل بركته (الا ما استقاه بركوته ورشائه) بكسر الراء حبله لعله

بالبحث عن وجه حله فجاء القليل من الكسب صافيا بحسب امكانهم (قوله لاحق الخ) اي فلا لوم عليه في واحد من الثلاثة ومازاد فحسابه (قوله عن كل ماسوى الله) اي وهو ورع الكمل من عباد الله لان ماعداه تعالى حقيق بأن لا يبالي به ولا يلتفت اليه حتى يكون في تركه فضيلة (قوله ولا تراعوه) اي لان في مراعاته شغل النفس بغيره تعالى وتضييع الوقت وذلك نقص (قوله أشد وأكمل منه الخ) اي لان غوائل النطق تذهب بالحسنات بل قد تذهب بأصل الدين والعياذ بالله تعالى فاللسان وان صغر جرما عظم جرما (قوله لان من قوي الخ) اي فمن أقدره الله على حفظ لسانه كان على غيره أحفظ بتوفيق الله (قوله والزهد في الرياسة) اي حب التقدم على الغير بشهود فضيلة لنفسه على ذلك الغير وذلك من أقوى أسباب الكبر وهو من أعظم الحجب المانعة عن كل خير (قوله التي منها التفات العبد الخ) اي وذلك في طريق الكمال من الشرك الخفي (قوله لانك تبذلهما الخ) اي وحينئذ فقد آثرتها عليهما (قوله الورع أول الزهد) اي فالورع دون الزهد في الدرجة باعتبار أصل حقيقته والا فكمال الورع يتحقق به مقام الزهد كما ذكرناه قبل (قوله طرف من الرضا) اي لانها الرضا بما حصل بالقسمة الازلية من غير اشراف على زائد وهو من افراد مطلق الرضا بتصاريف الحق في الخلق ولك أن تقول كون القناعة طرفا من الرضا هو باعتبار أصل معناها والا فغاية القناعة يتحقق معها مقام الرضا كما تقدم في الورع مع الزهد فلا تك اسير التقليد (قوله خفة الحساب) منه يعلم انه لابد من الحساب وهو كذلك فيمن لم يقتصر على حقه الضروري وهو الامور الثلاثة المحكية في الخبر التي هي من ضروريات المعاش اما هي فلا حساب على العبد فيها (قوله لان صاحبه يحاسب نفسه الخ) اي ومعنى حساب النفس وقوفه معها بشاهد المتابعة لسيد الكاملين صلى الله عليه وسلم (قوله الوقوف على هذا العلم) اي وهو مقام متوسط لبعض العبيد (قوله ففرق الخ) اي لسلامة الاول وكون الثاني على خطر الهلاك (قوله اعرف من أقام بمكة الخ) فيه تنبيه على قوة يقينه وزيادة ورعه

بالوجه الذى اتخذه منهما بخلاف ركوة غيره ورشائه الذين يوثق بهما غالبا من أموال السلاطين (ولم يتناول) شيأ (من طعام جاب من مصر) بل كان يصبر عنه الى ان يجد ما يحصله بكسبه لان ما يكسبه أبعد عن الوقوع فى الشبهات (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابابكر الرازى يقول سمعت على بن موسى التاهرتى يقول وقع من عبد الله بن مروان فلس فى بئر قذرة) اى مكروهة (فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه) منها (فقيل له فى ذلك فقال كان عليه اسم الله تعالى) فيه تنبيه على كمال تعظيمه لربه حتى عظم ما عليه اسمه ومن ذلك ما حكى ان بشر بن الحرث انما رفعه الله على أقرانه لكونه وجد رقعة فيها اسم الله فاشترى طيبا وطيبها ورفعها فى موضع فرأى فى منامه انه قيل له لاطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا الحسن الفارسى يقول سمعت ابن علوية ١٥٨ يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول الورع على وجهين ورع فى الظاهر وهو أن لا يتحرك الا لله تعالى وورع فى الباطن وهو أن لا يدخل قلبك سوى الله تعالى) فالجمع بينهما بأن يتورع عن غير الله عقدا وفعلا من اعلى مقامات الورع (وقال يحيى بن معاذ من لم ينظر فى الدقيق من الورع لم يصل الى الجليل من العطاء) لان العبد انما يشرف عند مولاه بعلو همته فى طلبه لما يرضاه فمن دق نظره فيما يخشاه نال من فضل الله أشرف عطاياه ومن لا فلا (وقيل من دق فى الدين نظره جل) اى عظم (فى القيامة خطره) اى قدره ومنزلته (وقال ابن الجلاء من لم يصحبه التقى فى فقره) وسلوكه (أكل الحرام النص) لان التقوى هى الحذر عما حذر الله منه فاذا لم يكن عند العبد حذر من ذلك واقدم على كل ما تهواه نفسه أكل الحرام الصرف (وقال يونس بن عبيد الورع الخروج عن كل شبهة ومحاسبة النفس فى كل طرفه) ولحظة فالورع يكون فى خواطر القلوب وفى سائر أفعال الجوارح عبادات كانت او عادات (وقال سفيان الثورى ما رأيت أسهل من الورع) على من كمل زهده فى الحلال لانه اذا كمل اعراضه عن الحلال فهو على المشكل أشد اعراضا وأخف تحملا (ما حاك) اى تحرك (فى نفسك تركته) يعنى والورع ترك ما حاك فى نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس (وقال معروف الكرخى احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم) فالورع يجرى فى المدح كما يجرى فى الذم وفى الحديث فى الفضول لان العبد قد يمدح غيره فان مدحه بضد ما يعتقده كان كاذبا أو بما يعتقده فقد يدخل المدوح فى ضرر ويقطع ظهره لوقوعه فى كبر أو عجب او غيرهما مما يرتبط برؤية النفس ورفعتها

(قوله

او علو همته وفائق صبره على حبس نفسه عن الفضول (قوله جلب من مصر) اى لعدم محافظة أغنياء اهل الامصار غالبا (قوله اى مكروهة) اى لكون النفوس تعافها (قوله ومن ذلك ما حكى الخ) تقدم ذكره فلا نغفل (قوله الورع على وجهين) اى ومع هذا فلا يلتفت الكامل الجامع لهما الى فضيلة له فيه لان ذلك نقص فى مقامه (قوله من لم ينظر الخ) اى وذلك لان المواهب على حسب الهمم والنصب يكون على حسبه الجزاء (قوله من دق الخ) اى لان المنازل فيها على حسب ساف الاعمال كما ثبت ذلك بشاهد علم الشريعة ونصوص الاخبار الصحيحة (قوله من لم يصحبه التقى فى فقره الخ) أقول انما قصر الكلام على حالة الفقر لان للنفس فى حالاته تأويلات وتلبيسات وللشيطان ايضا فيها دسائس فمن دام على حبس نفسه فى هذه الحالات يرجى له خير الدنيا والدين (قوله الخروج الخ) اى فحق الورع أن يكون فى ظاهر الفعل وباطن السر (قوله ما رأيت أسهل من الورع) اى لما تقدم من أنه دون الزهد فمن كان أزهد كان أورع ولا ينعكس (قوله ما حاك) هو بالحاء المهملة بمعنى تحرك كما ذكره الشارح وقوله تركته اى أعرضت عنه مخالفا النفسك فكل ما كرهت أن يطلع عليه غيرك منك مما خفى من أمرك لزمك تركه ليتحقق ورعك (قوله احفظ لسانك من المدح) اى صنه عن الثناء على غيرك بما لم يشهد به علم المتابعة مثل ما تحفظه وتصونه عن ذمك اياه اذا علمت ذلك نعلم ان مدح الشخص نفسه أقبح بدليل قوله سبحانه فلا تزكوا أنفسكم الآية هذا وقد سمعت من بعض مشايخى ان مثل من يمدح نفسه مثل بهيم يتظف بلحس لسانه (قوله لان العبد قد يمدح الخ) محصله النهى عن مدح الغير سواء كان كاذبا فى المدح أم صادقا لكونه آثما فى الحالة الاولى موقعا للممدوح فى ضرر عجبه وكبره فى الثانية

وقد جاء في الخبر كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما سمع فليحفظ لسانه عن نقل اخبار الناس خوفا من الوقوع في الكذب (وقال بشر بن الحرث اشد الاعمال) اى اشقها على النفوس (ثلاثة) احدها (الجود في القلة) والحاجة لان الحامل عليه حينئذ كمال الايثار والاعراض عن النفس وحظها (و) ثانيها (الورع في الخلوة) عن الناس لان العبد قد يتورع عن الشئ اذا كان مع الناس لكونه مرائيا او يجد معينا فان العبد قد يعمل برؤية غيره وينشط بنشاطه بخلاف من يتورع وحده بحيث لا يراه احد فان ذلك انما هو لكمال اخلاصه وشوقه (و) ثالثها (كلمة حق عند من يخاف منه ويرجى) فيها السلامة منه لما فيه من كمال التغرير بالنفس وتعريضها للاهانة (وقيل جاءت اخت بشر الحافي الى احمد بن حنبل) وكانت لا تحب ان تتصرف في شئ من اموال الولاة (وقالت) له (انا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل) الولاة (الظاهرية ويقع الشعاع) اى شعاعها (علينا) فيزداد النورية عندنا زيادة على نور السماء (أفيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال احمد) لها لمعرفته ١٥٩ رفعة سؤالها وكمال حالها (من انت عافاك الله قالت اخت بشر الحافي فبكى احمد بن حنبل) رحمه الله على ذهاب بشر وامثاله من الدنيا (وقال) لها (من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها) في ذلك تنبيه على ان المفتي ينبغي له أن يراعي في افتائه حال السائل فان لم يعرف حاله الكامل أفتاه بالجائز والا فبالافضل والاكمل وذلك لان غزلها في الشعاع وان لم يكن تصرفا في مال الغير كالاستظلال بجداره والنظر في المرآة المنصوبة فيه مظنة انتفاع به في الجملة (وقال علي العطار مررت بالبصرة في بعض الشوارع فاذا مشايخ قعود وصبيان) بجانبهم (يلعبون) بما يكره ويستحيي منه (فقلت لهم اما تستحيون من هؤلاء المشايخ فقال صبي من بينهم هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم) اذ لو كمل ورعهم لنهونا عن ذلك فلما لم ينهونا قلت حرمتهم عندنا في ذلك تنبيه على ما تضمنه الخبر الصحيح من تأديب الصبيان وأمرهم بالصلاة وهم ابناء سبع سنين وضربهم عليها وهم ابناء اثنتي عشرة سنة (وقيل ان مالك بن دينار مكث بالبصرة اربعين سنة فلم يصح) اى يقع (له أن يأكل شيأ من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه) تورعا اما الشبهة يعرفها فيه او لمخالفة شهوته أو لغير ذلك (وكان اذا انقضى وقت الرطب قال يا اهل البصرة هذا بطني ما نقص منه شئ ولا زاد فيكم) شئ ومن ذلك ما حكى ان بشر بن الحرث قال انى لاشتهى الشواء منذ اربعين سنة ما صفا لي ثمنه كما مر مع بيانه في ترجمته وهذا من الورع الكامل (وقيل لابراهيم بن أدهم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت منه) فلم يشرب بدلو غيره تورعا وان كان الماء في نفسه حلالا فاضلا (سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول كان الحرث المحاسبي اذا مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب على رأس اصبعه عرق

(قوله كفى بالمرء اثما أن يحدث الخ) اى كفاه اثمه في تحدثه بكل مسموعاته ما صح منها وغيره مما قبل في العقل وما لم يقبل منها (قوله أشد الاعمال الخ) اى وانما كانت أشد الاعمال لكونها ليست من حظوظ النفس التي تميل اليها بل من التي تنفر منها (قوله ويرجى فيها السلامة) قيد في جواز الاقدام عليها والا امتنع شرعا (قوله وقالت له الخ) انظر كمال متابعتها وزيادة مراقبتها لحركاتها حيث خشيت على نفسها من غير كسبها وذلك غاية الورع ولذلك لما علم الامام علو همتها ونور بصيرتها اجابها بما يوافق سجيتها وطهارة فطرتها رضي الله تعالى عنهم وارضاهم عنا (قوله أفتاه بالجائز) اى اعتبارا بأقل درجات المؤمن لانه المحقق (قوله والا فبالافضل) اى فان عرف حاله وانه من الكاملين أفتاه بالافضل لانه هو المناسب لحاله ومقامه (قوله فقال صبي الخ) محصله ان تضييع مظاهر الامر والنهي يوجب عدم احترام المشايخ لانهم لو داموا على المتابعة لدام لهم التعظيم جزاء وفاقا (قوله وقيل ان مالكا الخ) فيه دليل على قوة صبره وعلو همته ولله الفضل حيث هو الموفق (قوله ما صفا لي ثمنه) انظر فاذا لم يتيسر لمثل هذا في زمنه هذا المقدار من محقق الحل فكيف الحال لمثلنا في هذا الزمن فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله وقيل لابراهيم بن أدهم الخ) اى وعنه ايضا أنه قال لا يتم الورع الا بتسويه الخلق كلهم في قلبك واشتغالك عن عيوبهم بذنبك وعليك باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جليل فكر في قلبك وتب الى ربك يثبت الورع في قلبك واحسم الطمع الا من ربك أقول وكل ذلك صحيح اذ الورع نوع من الخوف منه تعالى (قوله فقال لو كان لي دلو الخ) اى

فيعلم انه غير حلال) كما مر ايضا فى ترجمته هذا من حفظ الله تعالى لاوليائه وتنبيههم على ما خفى عليهم من الامارات وان لم يؤثر مثل
ذلك فى الاحكام لانه ليس بدليل شرعى ومن ذلك ما تقرر فى الشرع ان العيب يوجب الرد فهذا لا يعرف الا بدليله الشرعى واما انه
عيب اولا فيعرف باهل الخبرة ولا يلزم ان يكون المعرف له دليلا شرعيا (وقيل ان بشرا الحافى دعى الى دعوة) بفتح الدال على
المشهور وهى الطعام (فوضع بين يديه طعام فجهد ان يمد يده) اليه (فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل يعرف ذلك منه
ان يده لا تمتد الى طعام فيه شبهة ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة ان يدعو هذا الشيخ) هذا من جنس ما قبله وكل منهما يدل على
ان لكل من الطعام الحلال وغيره تأثيرا فى القلوب سواء اعرف الآكل ذلك ام لا فالاول تنوير فى القلوب ونشاط فى الجوارح
وغيرهما من امارات الخير والثانى عكس ١٦٠ ذلك وقول القائل ان يده لا تمتد الخ فى هذا المحل مشوش على صاحب هذه
الدعوة وعلى بعض الحاضرين
(اخبرنا احمد بن محمد بن يحيى
الصوفى قال سمعت عبد الله بن
على بن يحيى التميمى قال سمعت
احمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول
سئل سهل بن عبد الله) التسترى
(عن الحلال الصافى فقال) الحلال
الصافى (هو الذى لا يعصى الله
تعالى فيه) بأن يملك بوجه شرعى
لا شبهة فيه خلافا لمن زعم انه
لا حلال الا ما لم تتناوله الايدى
كالحشيش النابت فى الصحارى
(وقال سهل الحلال الصافى) هو
(الذى لا ينسى الله تعالى فيه) بأن
لا يحبه العبد محبة شديدة بحيث
يشغله عن رؤية ربه ومناجاته
(ودخل الحسن البصرى مكة
فرأى غلاما من اولاد على بن ابى
طالب رضى الله عنه قد اسند
ظهره الى الكعبة يعظ الناس
فوقف عليه الحسن وقال له ما ملاك الدين) اى اصله (فقال الورع فقال له فما آفة الدين قال الطمع) فى الدنيا   الورع
(فتعجب الحسن منه) فمتى غفل العبد عن الورع الواجب والمندوب او ارتكب الطمع بحيث لم يتوقف عن شئ يحصل له تلف
دينه (وقال الحسن) أيضا (مثقال ذرة من الورع السالم) من الرياء والكبر والعجب (خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة)
لان فيهما الغنيمة وفى الورع السلامة وهى مقدمة على الغنيمة كما مر (وأوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام لم)
وفى نسخة لا (يتقرب الى المتقربون بمثل الورع والزهد) لذلك (وقال ابو هريرة رضى الله عنه جلساء الله تعالى غدا) اى يوم
القيامة (اهل الورع والزهد) لانهم تقربوا اليه بأفضل القربات وهو بغض ما أبغضه الله وكراهة ما كرهه على ما دلت عليه
الادلة الخبر لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء (وقال سهل بن عبد الله) التسترى (من لم يصحبه

فقد قدم درء المفسدة على جلب المصلحة نفعنا الله به (قوله فيعلم أنه غير حلال) ان قلت
يلزم من ذلك ايذاء صاحب الطعام باظهاره ذلك قلت هو غير لازم لامكان امتناعه عنه
بوجه لا ضرر فيه على صاحب الطعام على انه قد يكون صاحبه ممن لم يبال بالذنب ومثله
لا يبالى بزجره (قوله وان لم يؤثر مثل ذلك الخ) أى اعتبارا بظاهر أحكام الشرع كما أشار
اليه الشارح والا فهو يؤثر باعتبار باطن الحقيقة وذلك بشاهد العلم الذوقى والله اعلم
بالحقيقة (قوله ومن ذلك) اى من الذى له دليل شرعى يناط الحكم به وان توقف تحققه
وثبوته على شئ آخر كأهل الخبرة الذين ليسوا من الدليل الشرعى (قوله فقال رجل
الخ) فيه انهم يتحملون الايذاء من غيرهم فكيف التسبب فيه قلت لعل له وجها قد خفى
بالنسبة لنا (قوله هو الذى لا يعصى الله فيه) أقول وذلك هو المعول عليه بظاهر الشرع
وحكم الطريقة وما بعده من المغالاة والمبالغات (قوله هو الذى لا ينسى الله تعالى فيه)
اى وضده ما استولت عليه النفس بمجرد حظها منه غافلة عن حق الحق فيه (قوله فقال
الورع) اى لان به يتم الانقياد الظاهرى والباطنى (قوله تلف دينه) اى وذلك بارتكاب
المحرم أو بترك ما هو الافضل فى حقه كما لا يخفى (قوله لان فيهما الغنيمة) اى للاجر وفى
الورع السلامة اى من الوزر ودفع المفاسد مقدم على جلب المصالح ولاسيما ان تعلقت
الحقوق بالآدمى (قوله بمثل الورع) أى لان من قدر على حبس نفسه عليه فهو على غيره
من المأمورات أقدر (قوله لذلك) اى لما فيه من السلامة وهى مقدمة على الغنيمة
(قوله جلساء الله الخ) المراد بهم من أكرم واتصف بأنواع الاكرام كما يكرم الجليس
من الكرام (قوله لو كانت الدنيا الخ) اى وانما كانت كذلك لانها دار امتحان وابتلاء
مع فنائها وزوالها بسرعة واشغالها بطبعها عن حق الحق تعالى (قوله من لم يصحبه

الورع أ كل راس القيل ولم يشبع) اى اشتدت رغبته فى الدنيا وفى أ كله مايطيب ومالا يطيب (وقيل حمل الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه (مسك من الغنائم فقبض على مشامه وقال انما ينتفع من هذا بريحه وأ نا أ كره أن أجد ريحه دون المسلمين) هذا من أ كمل الورع وحكى انه أمر من يقسمه ان يبعد عنه لئلا يجد رائحته حين قسمه بين الناس خوفا من أن يتنعم برائحته هو ومن حضره دون بقية المسلمين الذين هم شركاه وهذه عادته فى الورع (وسئل ابو عثمان الحيرى عن الورع فقال كان ابو صالح حمدون عند صديق له وهو فى النزع فمات الرجل فنفث ابو صالح فى السراج فقيل له فى ذلك فقال الى الآن كان الدهن له فى المسرجة) بفتح الميم (ومن الآن صار) الدهن (للورثة اطلبوا دهنا غيره) فعله تورعا وتقدم فيه كلام فى ترجمته (وقال كهمس أذنبت ذنبا وها انا أ بكى عليه منذ اربعين سنة وذلك انه زارنى اخ لى فاشتريت لاجله بدانق سمكة مشوية) ليأ كلها (فلما فرغ) من أ كلها (اخذت قطعة طين من دار جارى حتى غسل بها يده ولم استحله) قبل اخذى لها فبكاؤه على أخذه مع علمه بصريمه وتركه الاستحلال قبل أخذه وفى ذلك دلالة على غاية احترازه من الذنوب المستحقرة عند الناس (وكان 161 رجل يكتب رقعة وهو فى بيت بكراء فاراد أن يترب الكتاب من جدار البيت) وكان مبنيا بالطين اونحوه (فخطر بباله) اى بقلبه (ان البيت بالكراء ثم انه خطر بباله انه لاخطر لهذا) القدر الذى لا يتحاشى عنه عادة (فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا) اى يوم القيامة (من طول الحساب) فى ذلك تنبيه على رفعة منزلة هذا الرجل عند الله تعالى لكونه نبه على البعد عن مثل ذلك (ورهن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى سطلا له عند بقال بمكة حرسها الله تعالى فلما أراد فكاكه أخرج البقال اليه سطلين وقال خذ أيهما هو لك فقال احمد اشكل

٢١ يج نى

على سطلى فهو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وانما اردت أن أجربك فقال) احمد (لا آخذه ومضى وترك السطل عنده) تورعا وتعريفا له بأن اهل الدين والزهد لا يلتفتون لشئ من الدنيا ليتأدب بذلك ولا يمتحن أحدا (وقيل سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت الدابة فى زرع قرية سلطانية) اى زرعت بأموال السلطان وهى مشتركة بين المسلمين (فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها) بأن أباحها لمن يتملكها ووهبها لصاحب الزرع تورعا لما حصل لها من القوة بما اكلته من الزرع المذكور (وقيل رجع ابن المبارك من مرو الى الشام فى) اى بسبب (قلم استعاره فلم يرده على صاحبه) لان العارية مضمونة مؤداة فرجع ليؤديها وان كان مثل ذلك قد يتسامح فيه (واستأجر) ابراهيم (النخعى دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فاخذ السوط) من الموضع الذى سقط فيه (فقيل له لو حولت الدابة الى الموضع الذى سقط فيه السوط فأخذته كان أسهل لك فقال انما استأجرتها لامضى) عليها (هكذا الاهكذا) اى الى هذه الجهة لا الى هذه الجهة ففعل ذلك تورعا وان كان تركه مما يتسامح فيه

الورع الخ) اى فهو أس فى نزاهة النفس عن الفضول فاذا تجرد عنه العبد فقد تعرض للهلاك بالتهافت على الدنيا (قوله انما ينتفع من هذا بريحه) اى فشم ريحه هو المقصود منه وهو حق الغانمين فكره أن يتقدم عليهم بشم ريحه وذلك غاية الورع كما صرح به الشارح (قوله وتقدم فيه كلام الخ) حاصل ما تقدم ان الشارح قد اعترض عليه بأنه من حقوق الميت كباقى مؤن التجهيز وحينئذ فلا داعى لاطفاء السراج لان بقاء الميت فى بيت مظلم مما يزرى به وقد تقدم لنا رد هذا الاعتراض بأن مؤن التجهيز وان كانت من حقوق الميت غير انها لا تختص بعين من أعيان التركة بل الوارث يتصرف فيما يحسب ما يرى لانتقال الحق له بالموت فحرر ولا تغفل (قوله اذنبت ذنبا الخ) أقول هو وان كان من الذنوب حقيقة غير انه مما يستخف به عند الناس بجهلهم فبكاؤه عليه هذه المدة يدل على زيادة ورعه مع انه قد يتسامح فى مثله (قوله فسمع هاتفا الخ) حكمته قبح استصغار الزلات وفى ذلك عناية الله بهذا العبد لاجل انه يبعده عن مثله وهكذا عباد الله المحبوبون (قوله ورهن احمد الخ) فيه تنبيه على انه كان متحققا بحقيقة الورع نفعنا الله به ورضى عنه (قوله وقيل سيب ابن المبارك الخ) هو من حقيقة الورع كالذى قبله اذ الاموال السلطانية من الحقوق العامة (قوله لان العارية مضمونة مؤداة) اى يثبت ضمانها اذا تلفت عينها و يجب دفعها لمالكها ما بقيت عينها (قوله فسقط سوطه)

وفيه ورع آخر وهو انه كان يمكنه ان يقف موضعه ويأمر غيره أن يناوله السوط ولا يرجع ولكنه تورع عن سؤال الناس وتسخيرهم كما حكي ان ابابكر الصديق رضي الله عنه كان راكبا على بعيره فسقط مقود البعير من يده الى الارض فنوخ بعيره واخذ مقوده وركب عليه فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسألوا الناس شيأ (وقال ابو بكر الدقاق تهت في تيه بني اسرائيل خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق) اى رجعت وغلب على العطش (استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء فعادت) أي رجعت (قسوتها على قلبي وتألمت) بها (ثلاثين سنة) لان الغالب على الجندة التصفظ فيما يأخذونه وتقدمت هذه الحكاية في ترجمته (وقيل خاطت رابعة العدوية شقا في قميصها في ضوء مشعلة سلطان ففقدت قلبها) اى حضوره (زمانا حتى تذكرت) هذه القصة التي حصل بها قسوة قلبها (فشقت قميصها فوجدت قلبها) اى حضوره هذا من جنس ما مر عن المحاسبي وبشر وذلك حفظ وتأديب من الله تعالى لمن عظمت رتبته (ورؤى سفيان الثوري في المنام وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة الى شجرة فقيل له بم نلت هذا ١٦٢ المقام فقال بالورع بالورع) هذا المنام ترغيب في الورع وايهذا أكد طلبه بتكرير قوله بالورع وسائر المنامات التي تذكر أمثلة تدل على الترغيب والترهيب لمن أراد الله به خيرا لا أدلة شرعية (ووقف حسان ابن ابي سنان على أصحاب الحسن) البصري (فقال) لهم (أي شئ أشد) اى أشق (عليكم فقالوا الورع فقال ولا شئ أخف على منه فقالوا فكيف) ذلك (فقال لم أرو) اى لم أشرب (من نهركم منذ أربعين سنة) تورعا لاحتمال ان النهر حصل بظلم في حفره وتمييته وهذا منه يدل على كمال زهده لان من تعود الزهد خف عليه الورع فأراد رحمه الله أن ينقل أصحاب الحسن من الورع الى الزهد فدلهم على ذلك بفعله الذي هو انجع في الوعظ من قوله وهو انه لم يشرب من نهرهم المتيسر عليهم دائم اربعين سنة (وكان حسان بن ابي سنان لا ينام) بالليل (مضطجعا) بل على حالته التي هو عليها (ولا يأكل سمينا ولا يشرب ماء باردا ستين سنة) لكمال شغله بربه (فرؤى في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا الا اني محبوس عن الجنة بابرة) اى بسبب ابرة (استعرتها فلم اردها) الى صاحبها هذا يدل على كمال ورعه مع انه لم يسامح بابرة فاذا كان الحبيب القريب لم يسامح في حقوق الناس فكيف بمن أكثر ليله ونهاره يتمضمض باعراض الناس في الغيبة والنميمة والسب والقذف وغيرها من المحرمات فانا لله وانا اليه راجعون وهذا من جنس ما مر في القلم والقرة (وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين) عديدة (وتعبد أربعين سنة وكان في ابتداء أمره كيالا فلما مات رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا غير اني محبوس عن الجنة وقد أخرج) أي أظهر الله (على من غبار القفيز الذي اكتلته أربعين قفيزا) لان الكيال اذا كال ما فيه تراب حصل التراب في أسفل الكيل فان لم ينفضه في الحال وأكال به مرة أخرى تزايد التراب وحصل بواسطته في المدة الطويلة نقص كثير فيما يكال

اى في غير جهة مقصده كما يعلم من جوابه (قوله وفيه ورع آخر الخ) اى وهو بترك ذل سؤال الغير أن يناوله السوط وهما مما ينبغي لارباب النفوس العالية التخلق به اذ هو من الاخلاق المحمدية (قوله وقيل خاطت الخ) أقول ذلك من قبيل حسنات الابرار سيآت المقربين والافلا ذنب أصلا (قوله فشقت قميصها) ان قلت على فرض ان أصل الخياطة في ضوء مشعلة السلطان من التصرف في غير الملك فأي فائدة في شق القميص قلت لعله من التوبة من مثل ذلك بالنسبة لمقامها ولذلك ترتب عليه وجود قلبها (قوله تدل على الترغيب والترهيب الخ) اى تدل على ذلك بطريق الاشارة وشاهد علم الذوق وقوله لا أدلة شرعية اى فلا يثبت بها حكم شرعي (قوله فقالوا الورع الخ) اى لما فيه من حبس النفس عن مألوفاتها وهذا يدل على انهم في ابتداء السلوك ولذا جعلهم حسان على أعلى منه وهو الزهد (قوله وكان حسان الخ) يدل هذا على انه قد فنيت بشريته وقويت لاهوتيته (قوله مع انه لم يسامح الخ) اقول عدم مسامحته يدل على زيادة قربه وتنوير بصيرته وحينئذ فلا ينبغي قنوط غيره من رحمة ربه ممن لم يصل الى مثل هذه المقامات يختص برحمته من يشاء (قوله فكيف بمن أكثر ليله الخ) أقول مثل هذا من أخلاق خاصة اهل زماننا فضلا عن عوامهم فكانهم يعتقدون اباحة ذلك فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله وكان لعبد الواحد الخ) فيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي أن يكون

لحبس عن الجنة بذلك وروى البخارى خبر ان المؤمنين اذا خلصوا من الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا فاذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فلاحدهم أعرف بمنزله فى الجنة منه بمنزله الذى كان فى الدنيا يلهمون ذلك وحمل عليه بعض المفسرين قوله تعالى ويدخلهم الجنة عرفها لهم والقفيز يقال لما يكال ولما يكال به وهو الاصل قال الجوهرى القفيز مكيال وهو ثمانية مكاكيك والمكوك مكيال وهو ثلاثة امنان وسبعة اثمان من والمن رطلان (ومر عيسى ابن مريم عليهما السلام بمقبرة فنادى رجلا منهم) اى من أهلها (فأحياه الله تعالى فقال من أنت) وكيف حالك (فقال كنت حمالا أنقل للناس أمتعتهم فنقلت لانسان يوما حطبا فكسرت منه خلالا تخللت به فأنا مطالب به منذ مت) وان كان مثله مما يسامح فيه وذلك لخبر أدّ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك (وتكلم ابو سعيد الخراز فى الورع فمر به عباس بن المهتدى فقال له يا ابا سعيد أما تستحى) من الله (تجلس تحت سقف ابى الدوانيق وتشرب من بركة زبيدة وتتعامل) مع غيرك (بالدراهم المزيفة) اى المغشوشة (و) مع ذلك (تتكلم فى الورع) هذا توبيخ لمن يتكلم فى الورع ولم يتخلق بكماله وهو داخل فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ومدع لنفسه

* (باب الزهد) *

دائم اليقظة فى مراقبة الافعال حيث ثبت الحساب فى حقير الاشياء ولكن مع هذا فالحبس فى مثله للتحليل لا للتعنيف اى العقاب بنار التطهير والا فأى تعنيف أشد منه ولا سيما فى هذا الموطن الصعب (قوله وحمل عليه بعض المفسرين الخ) اى حيث قال فى معنى عرفها لهم اى بطريق الالهام (قوله فأنا مطالب به الخ) اى ويدل عليه فى شريعتنا قوله جل جلاله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية (قوله أدّ الامانة الخ) الامر فيه للوجوب والنهى للتحريم (قوله هذا توبيخ الخ) اى فلا ينبغى ان يأمر الانسان غيره او ينهاه الا بعد أن يأتمر وينتهى شعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(قوله ومدع) عطف على داخل من قوله وهو داخل الخ فهو خبر بعد خبر

* (باب الزهد) *

اقول من ثمراته العاجلة البعد عن ذل التشوف لما فى أيدى الناس اذ من طمع ذل على قدر طمعه لانه مقرون بثلاث التملق للمطموع فيه واستشعار الخيبة عند الطلب او سلطنة المعطى عند المساعدة وبذل ماء الوجه عند المواجهة مع ما ينضاف لذلك من أصله وفرعه قال المرسى الطمع ثلاثة أحرف كلها مجوفة فصاحبه بطن كله لا يشبع أبدا وقال صاحب الحكم العطائية ما قادك شئ مثل الوهم وقال ايضا أنت حر مما أنت منه آيس وعبد لما أنت له طامع والدليل عليه قوله جل شأنه بقيت الله خير لكم ثم الزهد وان كان من المحمود فهو يتفاوت باعتبار كل شاهد ومشهود فزهد المريد فى أمتعة الدنيا والاموال وزهد العابد فيما يشتغل منه البال وزهد الآكل فى مباح الحلال وزهد السالك فيما يحجب عن قيام الدين وزهد اهل الاحوال فى أحوال غيرهم من الرجال وزهد أرباب المقامات فيما يصدهم عن المشاهدات وزهد أصحاب المعارف فيما يعطلهم عن العوارف وزهد المحققين الكبار فيما سوى الحق من الاغيار فهؤلاء يرون الزهد عين الحجاب وقشرا اشتغل به اهله عن اللباب شعر

قالوا تزهد قلت لى حجب * عن الحقيقة فى اطوار تحقيق

الزهد غير وما للغير من أثر * عند العيان اذا ترقى بتوفيق اه

* (تنبيه) * المزهود فيه انما هو الدنيا المذمومة المحقرة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب والسنة وعلى ألسنة العلماء نفعنا الله ببركات علومهم قال تعالى زين للناس حب الشهوات الى أن قال ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فذكر سبحانه أنواع ما يحبه الناس ثم حقر ذلك بقوله ذلك متاع الحياة الدنيا اى ما يستمتع به فيها والمآب المرجع الى الجنة وفى ذلك تفضيل للمآب وتعظيم له وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا عالما او متعلما الحديث والزهد لغة قلة

انه متخلق بالمنازل او مراء طالب للمنزلة فى قلوب الخلق

رغبة النفس فى الدنيا يقال زهد فى الشئ وعن الشئ يزهد زهدا وزهادة والمزهد القليل المال والزهيد القليل وفلان يزهد فى عطاء فلان يعده قليلا واعلم أن الزهد ينقسم الى واجب ومندوب والمندوب الى فاضل وأفضل فالزهد فى الحرام واجب وفى المكروه مندوب وفى ترك الفضول من الحلال أندب فالزاهد من لم يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره كما نقل ذلك عن سفيان بن عيينة والزهرى أقول وما ذكراه من ثمرات الزهد اذ من ضعفت شهواته لزهده قوى صبره ولا تشغله الشهوات لو وجدت عن شكر المنعم فتأمل تفهم والله أعلم (قوله هو الاعراض الخ) أقول والاعراض والتهافت على تحصيل الدنيا سواء لانه لابد من وصول المقسوم فى الازل فالاعراض لا يمنعه والتهافت لا يجلب زائدا عليه ولا بأس بايراد قول عروة بن أذينة الشاعر وقصته حيث هو يقول

هو الاعراض بالقلب عن الدنيا وهو رأس كل طاعة لانه ضد حب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة

لقد علمت وما الاسراف من خلقى * ان الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنينى تطلبه * ولو قعدت أتانى لا يعنينى

وحاصل قصته ان عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له ألست القائل * لقد علمت وما الاسراف من خلقى * الخ وأراك قد جئت تضرب من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال له لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت فى الوعظ واذكرت ما أنسانيه الدهر وخرج من فوره الى راحلته فركبها وسار راجعا نحو الحجاز فمكث هشام يومه غافلا فلما كان الليل تعار على فراشه فذكره وقال فى نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد الى فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع هذا شاعر لا أدرى ما يقول فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه فقال لا جرم ليعلمن ان الرزق سيأتيه ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفى دينار وقال ألحق بهذا ابن أذينة فاعطه اياها فسار اليه فلم يدركه الا وقد دخل بيته فقرع عليه الباب فخرج فأعطاه المال فقال ابلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت قولى سعيت فأكديت ورجعت الى بيتى فأتانى المال الذى هو رزقى فتأمل هذه القصة فانها تحث على اليقين واعلاق الامل بالخالق دون المخلوقين واعلم أن قول هذا الشاعر وما الاسراف من خلقى يصح قراءته بالسين المهملة وبالشين المعجمة بمعنى التطلع الى الشئ والاستشراف له اه من درة الغواص (قوله هو الاعراض الخ) أقول ومما يسهل الزهد قصر الامل ولذا ورد كفى بذكر الموت مزهدا (قوله وهو رأس كل طاعة الخ) اى ولذلك كثرت ثمراته فمنها فراغ القلب عن المشغلات وعزة النفس بالرب والاستغناء عن جميع المخلوقات والتلذذ بالمناجاة والسلامة من التبعات وغير ذلك هذا وقول الشارح هو الاعراض الخ قال بعضهم لعل عده من المقامات باعتبار بعض السالكين والا فهو يستدعى منازعة النفس وهى عين الدعوى ومعارفة عما هو أكمل منه او هو الاشتغال بالحق تعالى فهو حينئذ باعتبار الخواص من

ولو لم يكن فيه الا الله بعده عن الدنيا التي هي ملعونة الله لكفى به فضلا وشرفا (اخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني

قال اخبرنا ابو الحسين عبيد الله بن احمد بن يعقوب المقري ببغداد قال حدثنا جعفر بن مجاشع قال حدثنا زيد ابن اسمعيل قال حدثنا كثير بن هشام قال حدثنا الحكم بن هشام عن يحيى بن سعيد عن ابي فروة عن ابي خلاد وكانت له صحبة) بالنبي صلى الله عليه وسلم (قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل قد اوتي زهدا في الدنيا ومنطقا) فيها بالوعظ (فاقتربوا منه فانه يلقن) وروي يلقي (الحكمة وقد اختلف الناس في الزهد) لا من حيث معناه بل من حيث حكمه والقنع بما تيسر وغيرهما كما سيأتي (فمنهم من قال الزهد) يكون (في الحرام لان الحلال مباح من قبل الله سبحانه فاذا أنعم الله تعالى على عبده بمال من حلال وتعبده بالشكر عليه فتركه باختياره لا يقدم على امساكه بحق اذنه) تعالى له فيه فلا يكون تركه زهدا عند هذا القائل (ومنهم من قال الزهد) في الحلال والحرام لكنه (في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة فان اقلال المال والعبد صابر ف) بمعنى على (حاله راض بما قسم الله تعالى له قانع بما يعطيه اتم من توسعه وتبسطه) في الدنيا (فان الله سبحانه زهد الخلق في الدنيا بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وغير ذلك من الآيات الواردة في ذم الدنيا والتزهيد فيها) كقوله تعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين

العارفين المحققين صرف الرغبة اليه تعالى وتعلق الهمة به والاستغناء به عن كل شئ وهو يتولى حسم أسباب الحجاب عنهم (قوله التي هي ملعونة الله الخ) قال بعضهم ذم الدنيا باعتبار ما طبعت عليه من كونها مشغلة عن الحق تعالى وهو لا ينافي مدحها باعتبار من وفقه الله في تصاريفه فيها ولذلك قيل بهذا الاعتبار انها مزرعة الآخرة (قوله فاقتربوا منه الخ) اى فتقربوا وامنه لتنالوا من بركات أنفاسه حيث كان لا ينطق الا بالحكمة بواسطة اشراق نور بصيرته (قوله لا من حيث معناه الخ) اى لانه لم يختلف فيه من هذه الحيثية للاتفاق على انه الاعراض بالقلب عن الدنيا وقوله بل من حيث حكمه اى متعلق حكمه كما لا يخفى (قوله وتعبده بالشكر عليه الخ) اى طلب منه الشكر عليه الذى هو صرف جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق له او هو انفاقه في مرضاة الله ولم يتعبده بغير ذلك فحينئذ تركه في حالة الاختيار وامساكه بحق اذنه سواء (قوله لا يقدم على امساكه الخ) اى فالامران سواء لا أولوية لاحدهما على الآخر فتركه مثل امساكه في الفضيلة (قوله ومنهم من قال الزهد الخ) اى لان كلا من الحلال والحرام يشغل عن الحق وشأن التوسع الاطغاء والدنيا بهذا الاعتبار مبغوضة له تعالى فالزهد في الحلال هو الزهد حيث درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وحاصل القولين هذا والذى قبله ان صاحب القول الاول نظر الى ثمرة الانفاق بوسائط التوفيق فلم يعد ترك المال اختيارا في هذه الحالة زهدا ولا فضيلة وصاحب القول الثانى نظر الى شأن المال من انه يطغي ويشغل عن الحق ومبغوض له تعالى ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح فرأى ان ترك الحلال في حالة الاختيار هو الزهد وعلى هذين القولين يتفرع الخلاف المشهور وهل الغني الشاكر أفضل أم الفقير الصابر الفقهاء على ترجيح الاول وسادة الصوفية على ترجيح الثانى وأقول لكل وجهة هو موليها فتأمل (قوله فان اقلال المال الخ) هذا ترويج لما عليه سادة الصوفية من ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وأقول قلبي يميل الى ما رجحه الفقهاء من ان الغني الشاكر أفضل لان ما يذم من المال فيما اذا صحبه الحظوظ أما اذا تجرد عنها فقد يبلغ به العبد المقصود دينا ودنيا مع ما فيه من مواساة الفقراء من الاخوان المسلمين في الحال وما بعده بجهة وقف وارصاد ولا سيما اذا نظرنا لاهل زماننا اذ لا قوة لهم على الصبر على الفقد والله أعلم (قوله فان الله سبحانه زهد الخلق في الدنيا) قيل هي من الدنو لقربها من الآخرة او من الدناءة لكونها خسيسة محقرة ويقابلها الآخرة اى المتأخرة او ذات الشرف بالنسبة لمن آمن واتبع فالسعيد من لم يشتغل بالدنيا وأعرض عنها لفنائها وسرعة انقضائها ولضررها العاجل والآجل والشقي من غفل عن ذلك كله (قوله كقوله تعالى الخ) اى وكقوله جل شأنه ولولا أن يكون الناس أمة واحدة الآية قال الطبري اى يصيرون كفارا أو يميلون الى الدنيا ويرفضون الآخرة

والقطيفة والخميصة ان أعطى رضى وان لم يعط لم يرض وخبر الترمذي ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع الى قول من قال الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر (ومنهم من قال اذا أنفق العبد ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما نهاه الشرع عنه في حال العسر فحينئذ يكون زهده في المال الحلال) وفي نسخة في المال غير الحلال (أتم) منه في الحرام (ومنهم من قال ينبغي للعبد أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه ولا طلب الفضول مما) اى من شئ (لا يحتاج اليه ويراعى القسمة) اى قسمة الله وأمره (فان رزقه الله مالا من حلال شكره وان وقفه على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال الحلال وتكلموا في معنى الزهد فكل نطق عن وقته وأشار الى حده) ورسمه (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول حدثنا احمد بن اسمعيل الازدي قال حدثنا عمران بن موسى الاسفنجي قال حدثنا الدورقي قال حدثنا وكيع قال قال سفيان الثوري

بجملتها الخ (قوله ولخبر لو كانت الدنيا الخ) اى ولخبر لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى اليه ثانيا ولو كان له واديان لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب حيث دل على ميل الخلق الى الدنيا الا من تاب فتاب الله عليه (قوله تعس عبد الدينار الخ) اى خاب وخسر وفيه مبالغة في ذم من تعلق قلبه بالدنيا حيث رضى لنفسه عبوديتها لاخس الموجودات ولكن من يضلل الله فلا هادى له (قوله ما الدنيا في الآخرة الخ) أقول هو من التقريب للعقول القاصرة والا فلا نسبة ولا مناسبة والله أعلم (قوله الى قول من قال الخ) اى من الصوفية وتقدم ان الفقهاء على ان الغنى الشاكر أفضل (قوله ومنهم من قال الخ) أقول يشبه أن يكون هذا القول جامعا بين القولين السابقين (قوله وفي نسخة في المال غير الحلال) في ذلك نظر لا يخفى فالاولى ما في النسخة الاولى (قوله اتم منه في الحرام) فيه انه يقتضى تفضيل المندوب على الواجب أقول ولا مانع من ذلك اذ له نظائر (قوله ومنهم من قال ينبغي للعبد الخ) تأمله فانه نفيس جدا وفيه النصفة هذا والزهد في الحقيقة مرجعه القلوب لا محض ترك الدنيا لان كثيرا من الخلق يتركها كسلا وضعف همة مع ميل قلبه اليها وكثيرا منهم يأخذها ويتعاطاها مع زهده فيها وقلة رغبته في ملاذها فيعمل فيها باذن ربه خاصة وبذلك اختلفت أحوال الناس (قوله شكره) اى بالتصرف فيه على حسب الاذن الشرعي بل ربما يؤثر به غيره (قوله وان وقفه على حد الكفاف الخ) اى عملا بخبر رواه أبو امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى قال أبو عيسى هذا حديث صحيح (قوله فالصبر أحسن الخ) اى فاللازم للعبد أن يكون فانيا في مراده تعالى لا يختار لنفسه حالا دون حال فيكون عمله بحسب تصريف ربه ان فقد صبر وان وجد شكر (قوله فكل نطق عن وقته الخ) اى تكلم على حسب شربه مما أنعم به عليه ربه واذا فلا خلاف في الحقيقة كما هو غنى عن البيان (قوله قال قال سفيان الثوري الخ) اعلم أن سفيان هو ابن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحرث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور الثوري هكذا نسبه الهيثم بن عدى ومحمد بن سعد وأما ثور فهو ابن عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار قال يحيى بن معين وغيره مولد سفيان الثوري سنة سبع وتسعين من الهجرة قلت وهو كوفي الدار طلب العلم في صغره قال يحيى بن أيوب المقابرى قال حدثنا أبو المثنى قال سمعت الناس بمرو يقولون قد جاء الثوري قد جاء الثوري فخرجت أنظر اليه فاذا هو غلام قد بقل وجهه وقال يزيد بن هرون أخذ العلم عن سفيان الثوري وهو ابن ثلاثين سنة قلت سمع سفيان من عمرو بن مرة وسلمة بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعبد الله بن دينار وعمرو بن دينار

وابى

وأبي اسحق ومنصور والاعمش وعبد الملك بن عمير وحصين بن عبد الرحمن وصالح مولى
التوأمة وأبي الزناد وسهيل بن أبي صالح وأيوب السختياني وخلق من طبقتهم ولقي جماعة
من كبار الصالحين قال رجل للثوري لم لا تلقى الزهري قال لم يكن لنا دراهم وقد كفانا معمر
وقال ابو نعيم كتبت عن نيف ومائة شيخ ممن كتب عنهم سفيان وقيل ان سفيان أدرك مائة
وثلاثين من التابعين وانه أخذ عن ستمائة نفس او أكثر قلت روى عنه مسعود بن جريج
ومحمد بن عجلان والاوزاعي ومحمد بن اسحق وابو حنيفة وهم أكبر منه وأقدم وشعبة
والحمادان وابن أبي ذئب ومالك وسليمان بن بلال وزائدة وزهير بن معاوية وهم من أقرانه
وابن المبارك ووكيع ويحيى القطان وأبو نعيم وعبد الرحمن بن مهدي ومحمد بن يوسف
الفريابي وعبيد الله الاشجعي ويحيى بن يمان وعبد الرزاق وقبيصة بن عقبة وأبو حذيفة
النهدي ومحمد بن كثير وأحمد بن عبد الله بن يونس وعلي بن الجعد وأمم لا يحصيهم الا الله
تعالى حتى ان الحافظ أبا الفرج بن الجوزي ذكر في مناقبه انه روى عنه أكثر من عشرين
ألفا ومما يدل على قوة ورعه انه ورد عن بشر بن الحرث أنه قال كان عشرة ينظرون
في الحلال والحرام النظر الشديد لا يدخل بطونهم الا الحلال ولو استفوا التراب فذكر
منهم الثوري وعن زيد بن الحباب قال نفدت نفقة الثوري بمكة فقدم عليه رجل وقال له
لك معي عشرة دراهم قال من أين قال من غزل فلانة قال ائتني به فاني منذ ثلاث أسف الرمل
ومما يدل على تواضعه ونحوله قال محمد بن عبد الوهاب الحارثي رأيت سفيان بالكوفة
وعليه قباء أبيض محشو وقلنسوة بيضاء وكساء يركب الحمار ويحمل ابن أخته وراءه
وكان أبيض الرأس واللحية وقال بشر بن الحرث كان سفيان ربما أخذ عباء الجمال
فيغطي بها رأسه وقال خلف بن تميم رأيت سفيان الثوري بمكة وقد كثر عليه أصحاب
الحديث فقال انا لله وانا اليه راجعون أخاف أن يكون الله قد ضيع هذه الامة حيث
احتاج الناس الى مثلي وقال علي بن ثابت ما رأيت سفيان في صدر مجلس قط انما يقعد
الى جانب الحائط ويجمع بين ركبتيه ومما يدل على شدة خوفه من الله وتفكره وبكائه
ما قاله أبو أسامة ما رأيت رجلا أخوف من الله تعالى من سفيان الثوري وقال ابو بكر
ابن ابي الدنيا حدثني عبد الله التيمي حدثني خالد بن الصقر السدوسي قال كان ابي خالصا
لسفيان قال اني استأذنت على سفيان في نحر الظهيرة فأذنت لي امرأته فدخلت عليه
وهو يقول أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ثم يقول بلى يارب وينتحب ودموعه
تسيل وكنت جالسا ما شاء الله ثم أقبل الي فجلس معي وقال مذ كم أنت ههنا ما شعرت
بمكانك وقال ابو اسامة كان من رأى سفيان كانه في سفينة يخاف الغرق أكثر ما نسمعه
يقول يارب سلم سلم وقال حمزة بن ربيعة سمعت سفيان يقول وددت اني أنفلت من هذا
الامر لا لي ولا علي ومما يدل على زيادة مجاهدته قال وكيع عن سفيان ما عالجت شيأ قط
أشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وقال احمد بن يونس حدثنا علي بن الفضيل بن

عياض رأيت سفيان الثوري ساجدا حول البيت فطفت سبع أسابيع قبل أن يرفع رأسه وقال مؤمل بن اسمعيل قدم سفيان مكة وكان من عادته انه اذا صلى الغداة جلس يذكر الله حتى ترتفع الشمس ثم يطوف سبع أسابيع يصلي لكل اسبوع ركعتين يطول فيهما ثم يصلي حتى ينتصف النهار ثم ينصرف الى منزله فيأخذ المصحف في حجره فيقرأ فربما نام كذلك ثم ينادي بالظهر فيخرج فيصلي الظهر ثم يتطوع حتى يصلي العصر فاذا صلى العصر أتاه أصحاب الحديث واشتغل معهم الى الغروب فاذا صلى المغرب تنفل الى العشاء الآخرة فاذا صلى العشاء الآخرة طاف سبعة اسابيع ثم انصرف فان كان صائما أفطر ثم يأخذ المصحف فربما يقرأ ثم ينام وهو قاعد فاذا نودي بالصبح خرج فلا يزال يطوف حتى يصلي الغداة فأقام بمكة نحوا من سنة على هذا رواه ابن ابي الدنيا في مناقب الثوري ومن كلامه في الزهد والاخلاص والوعظ عن يحيى بن يمان عن سفيان قال الدنيا بمنزلة رغيف عليه عسل جاءته ذباب فوقع على العسل ليأكل منه فانقطع جناحه فمات واذا مر برغيف يابس مر به سليما وقال وكيع سمعته يقول لو ان اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقا الى الجنة وخوفا من النار وقال له رجل أوصني قال اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها واعمل للآخرة بقدر مقامك فيها وعنه انه قال عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا وعليك بالورع يخفف الله حسابك وارفع الشك باليقين يسلم لك دينك ودع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال سليمان بن داود حدثنا يحيى بن المتوكل سمعت سفيان الثوري يقول اذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون فهو رجل سوء قيل كيف ذلك قال يراهم يعملون المعاصي فلا يغير عليهم و يلقاهم بوجه طلق ويمايل على صدعه بالحق قال الحسن بن الربيع البوراني سمعت يحيى بن عبد الملك بن ابي غنية يقول ما رأيت أحدا أصفق وجها في ذات الله من سفيان الثوري وقال الوليد بن شجاع بن الوليد ما كنت أخرج مع سفيان الثوري فلا يكاد لسانه يفتر من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن عمرو بن حسان كان سفيان نعم المداوي اذا دخل البصرة حدث بفضائل علي واذا دخل الكوفة حدث بفضائل عثمان وعن علي بن قادم سمعت الثوري يقول ان هؤلاء الملوك قد تركوا لكم الآخرة فاتركوا لهم الدنيا واذا أردت الوقوف على بقية مناقبه فارجع الى ما كتبه شيخ الاسلام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن الذهبي والله اعلم (قوله الزهد في الدنيا قصر الامل) اقول انما كان قصر الامل زهدا لان ثمرته كثرة الزهد كالجد في العبادة وتشمير السواعد فيما يرضي الرب سبحانه وراحة القلب بعدم التشوف الى شئ وعدم المشغلات عن الطاعة وبالجملة فقصر الامل من أسباب الزهد الباعثة عليه وليس عينه (قوله ليس بأكل الغليظ الخ) اى ولذلك قال يحيى بن معاذ طلب العاقل للدنيا أفضل من ترك الجاهل لها (قوله انه سبحانه سلب الدنيا الخ) اى فقد اتفق حال الاولياء والاصفياء والمحبين على البعد عن الدنيا فدل ذلك على

ان

الزهد في الدنيا قصر الامل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء ونحوهما وهذا في الحقيقة من امارات الزهد (وسمعته) ايضا (يقول سمعت سعيد بن احمد يقول سمعت عباس بن عصام يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري السقطي يقول ان الله سبحانه سلب الدنيا عن أوليائه) اى منعهم اياها

وان أحبوها حفظا لهم (وحماها) اى أمسكها (عن أصفيائه) فلم يعطهم اياها اكراما لهم لئلا تشتغل قلوبهم (واخرجها من قلوب اهل وداده) اى حبه فلم يخطرها بالهم شغلا بمحبته والانس به وأشار الى التعاليل السابقة بقوله (لانه لم يرضها لهم) فالاولياء أخرجها عنهم خيرا لحفظهم وسلامتهم من شرها والاصفياء لم يعطها لهم حفظا لاحوالهم واهل وداده لم يخطرها لهم لجمع هممهم عليه (وقيل الزهد) مأخوذ (من قوله سبحانه لكيلا تأسوا) اى تحزنوا (على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فرح بطر بل فرح شكر (فالزاهد) باعراضه عن الدنيا وقلة رغبته فيها (لا يفرح بموجود من الدنيا ولا يتأسف على مفقود منها) لاكتفائه بما ينفعه وهذا فى الحقيقة من ثمرات الزهد وصفات الزاهدين (وقال ابو عثمان) رحمه الله (الزاهد الذى يترك الدنيا ثم لا يبالى من أخذها) اى لا يكترث به (وسمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول الزهد أن تترك الدنيا كما هى لا تقول أبنى بها رباطا او) وفى نسخة ولا (أعمر بها (مسجدا) أو نحوه مما ترتاح النفس اليه من حب الثناء عليها به وبالجملة فقد اتفقوا على ان الزاهد اذا أعرض عن الدنيا لا يبالى ممن أخذها ولا فيما صرفها واذا تركها لم يبق فى قلبه التفات اليها (وقال يحيى بن معاذ الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح) فالزاهد لا كلفة عليه فى بذل الدنيا وان جلت والمحب يسهل عليه بذل روحه لله وشتان بين من هان عليه بذل ملكه لله ومن هان عليه بذل نفسه له

ان الزهد أصل كل خير (قوله سلب الدنيا عن أوليائه) اى ولم يشغلهم بها لملا به قلوبهم من انوار امداده فماذا بعد الحق الا الضلال قال ابو الحسن لو كشف عن أنوار قلوب الاولياء لعبدوا لان أوصافهم من أوصافه ونعوتهم من نعوته قال فى لطائف المنن فلو كشف الحق عن أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر فى مشرقات انوارهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوبهم لا كسوف لها ولا غروب وقال نور الشمس تشهد به الآثار ونور القلوب يشهد به المؤثر وشتان ما بين ذلك (قوله وان أحبوها الخ) اى بحسب بشريتهم فى بعض أوقاتهم لغرض انفاقها فى الذى يقربهم منه تعالى (قوله وحماها الخ) وقوله بعد ذلك واخرجها الخ عند التأمل نعلم رتب المتعاطفات (قوله فلم يعطهم اياها) اى وان استشرفوا لها الحق منها (قوله فالاولياء الخ) اذا تأملت كلام الشارح تراه حمل الاولياء على المؤمنين والاصفياء على المتقين واهل الوداد على المحبين المحبوبين وهو نفيس (قوله وقيل الزهد الخ) محصله انه يتحقق الزهد للعبد باستواء الوجود والفقد عنده وذلك يساعد من قال فيما تقدم ان الزهد أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه الى آخر ما ذكره (قوله الزاهد الذى يترك الدنيا الخ) هو قريب مما قبله فيؤول اليه (قوله لا تقول أبنى الخ) اى لا تقول ذلك بشاهد حظ نفسك اما اذا كان بشاهد علم المتابعة فهو فضيلة (قوله وبالجملة الخ) محصله ان الزاهد هو الفانى عن حركاته وسكناته لا يشهد غير فضل ربه (قوله وقال يحيى بن معاذ الخ) اقول يميل كلامه الى تفضيل التقلل من الدنيا على الاكثار منها مع التوفيق فى تصاريف العبد فيها حيث جعل مقام المحبة أعلى من مقام الزهد وفيه ان التكثر مع التوفيق فى الانفاق يوجب زيادة الحسنات المقربة اليه تعالى ولا كذلك حال التقلل فات رب العطاء الذى لا معقب لحكمه يجوز فى حقه ان يعطى من رغب عن الدنيا بغضا فيها لموافقته تعالى فى ذلك زيادة عن اكثر الانفاق وربك على كل شئ قدير (قوله وشتان بين من هان عليه الخ) اقول وذلك من طرق التقريب للعقول القاصرة والا فالمحب حقيقة لا يشهد الفضائل فى بذل الارواح بواسطة علمه بأن الحق تعالى هو المالك المطلق وانما البشر محل للعوارى فقط وشأن العوارى الرد للمالك ولمثل هذا المقام قد أشار قتيل الغرام حيث قال فى لاميته

فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك يا حبذا البذل

فمن لم يجد فى حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

وقال ايضا فى قصيدته الفائية

قلبى يحدثنى بأنك متلفى * روحى فداك عرفت ام لم تعرف

(وقال ابن الجلاء الزهد هو النظر) اى تطرك (الى الدنيا بعين الزوال لتصغر فى عينك) وتعرف قدرها عند الله (فيسهل عليك الاعراض عنها وقال ابن خفيف علامة الزهد وجود الراحة فى الخروج عن الملك) لعلمه بما يلحق القلب عند وجوده من التشويش فى حفظه ومن خوفه على قلبه من تعلقه به وكيف يصرفه (وقال ايضا الزهد سلو القلب عن الاسباب) اى أسباب تحصيل الاملاك لما يحصل فيها من الآفات والتكلفات (ونفض الايدى) عن ملك ما حصل (من الاملاك) لخلاص الزاهد أن لا يطلبها لحبتها واذا حصلت أخرجها لقلة رغبته فيها (وقيل الزهد عزوف النفس) اى اعراضها (عن الدنيا بلا تكلف) فيه لان قلبه امتلأ بصغر قدرها وما ترتب ١٧٠ عليه من ضررها بخلاف المتزهد فانه يتكلف الاعراض عنها فقوله بلا تكلف اشارة الى الفرق بين الزاهد والمتزهد (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت النصراباذى يقول الزاهد غريب) اى قليل (فى الدنيا والعارف بالله تعالى غريب فى الآخرة) لان أكثر العمال لها انما يعملون خوفا من العقاب او رجاء للثواب ومن لم يعمل الا لذلك ترك عمله اذا زال الخوف او الرجاء بخلاف العارف بالله فانه لمعرفة جلال الله تعالى وعظمته وتحقق وجوب عبوديته لحق أمره ونهيه لا يترك العمل أصلا وهذا غريب قليل فى ابناء الآخرة (وقيل من صدق فى زهده) فى الدنيا (أتته الدنيا راغمة) اى اضطرارا لان الزاهد لا رغبة له فيها وما قدر الله له مما لا بد منه يأتيه جبرا رغما لضمان الله له اولان الله قد يمتحن الزاهدين بها فيوليها اليهم كما قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم احسن عملا وان أحسن العمل فيها الزهد (ولهذا قيل لو سقطت قلنسوة من السماء لما وقعت الا على رأس من لا يريدها) ولا يحبها فهى تقع له ابتلاء وامتحانا ولا ارب له فيها وليس هذا كل الزهاد بل يحفظ الله تعالى بعضهم ولا يبتليهم بها بالكلية اما لضعفهم اولقوتهم (وقال الجنيد الزهد خلو القلب عما) اى عن محبة ما (خلت منه اليد) من الدنيا لا خلو اليد عن الملك او ورود العبد ما يأتيه كما زعمه بعضهم لان ذلك من ثمرات الزهد لا نفسه اذ الزهد انما يكون من اعمال القلوب

قطع

لم تقض حق هوى الشان كنت الذى • لم اقض فيه اسى ومثلى من يفى
مالى سوى روحى وباذل روحه • فى حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد اسعفتنى • يا خيبة المسعى اذا لم تسعف

والله اعلم (قوله الزهد هو النظر الخ) اقول ذلك من اسباب الزهد وليس عينه والله اعلم (قوله وقال ابن خفيف الخ) اقول هو احكم مما قبله • وكل انما الذى فيه ينضح • (قوله علامة الزهد وجود الراحة الخ) اقول هو خاق بمجرد عن التعليل المذكور فى كلام الشارح انما يناسب حال المبتدى كما لا يخفى (قوله سلو القلب الخ) ذلك يرجع الى الفناء عن المرادات الاختيارية والتبرى من الحول والقوة بشهود أن لا تأثير فى شئ لغيره تعالى فهو قريب مما قبله بل هو أوضح منه (قوله عزوف النفس الخ) هو ايضا قريب مما قبله ويرجع اليه (قوله الزاهد غريب الخ) يشير الى ان مقام الزاهد دون مقام العارف وذلك لان للطاعة والبعد عن المعصية سببين أحدهما الخوف والرجاء وهو للعامة والثانى المحبة والاجلال وهو للخاصة ممن لم يشغلهم عن الحق غيره وقوله غريب فى الدنيا اى فى اهل الدنيا وذلك لعزته فيهم ويحتمل ان المراد أنه بخموله بالزهد صار كالغريب لعدم الالتفات اليه (قوله غريب الخ) فيه الحث على علو الهمة نسأل الله التوفيق لمحابه (قوله وقيل من صدق فى زهده الخ) فيه تنبيه على الالتفات الى ان المقدر كائن لا محالة فراحة المرء من البر حيث اعراضه عن الدنيا لا يمنع ما قدر كونه له ولا تهافته على الدنيا يجلب زيادة عنه على أن العطاء قد يطلق على الاعراض ورب يخلق ما يشاء ويختار فافهم ولا تنظر الى من لم يعلم (قوله ولهذا قيل الخ) اى وذلك المذكور منظور فيه للعادات الالهية التى هى على وفق المعلومات الازلية (قوله وليس هذا لكل الزهاد الخ) اى لان بعضهم قد فطر على طهارة القلوب فلم يكن له سوى الحق مطلوب وبعضهم يلزمه فى طريقه الامتحان لما قد يغلب عليه من عادة الانسان (قوله خلو القلب الخ) أنت خبير بأن ٣ ما ذكره من امارات الزهد وليس عينه ومحصله ان المدار فى مقام الزهد على

٣ (قوله ما ذكره من امارات الزهد) أنت خبير بأن خلو القلب الخ هو عين الزهد لا من أماراته فتأمل

وقال ابو سليمان الدارانى الصوف) اى لبسه (علم من أعلام الزهد فلا ينبغى للزاهد ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفى قلبه رغبة خمسة دراهم) اى رغبة لبس صوف بخمسة دراهم أشار بذلك الى ان الزهد فى القلب ليس بلبس الغليظ ولا بأكل الخشن وان كان ذلك علامة له لان الزهد ضد الرغبة وهو من اعمال القلوب كما مر وقد يقال فى الطعام غير الزاهد لشحه على نفسه او لجمعه للمال لغرض (وقد اختلف السلف) رضى الله عنهم (فى الزهد) ايضا (فقال ١٧١ سفيان الثورى واحمد بن حنبل وعيسى ابن يونس وغيرهم الزهد فى الدنيا انما هو قصر الامل وهذا الذى قالوه يحمل على انه من امارات الزهد والاسباب الباعثة عليه والمعانى الموجبة له) عرفا فان العبد اذا قصر أمله واستشعر سرعة موته وفارقته الدنيا قلت رغبته فيها وفترت همته عن تحصيلها وقد جاء فى الخبر كفى بذكر الموت مزهدا (وقال عبد الله ابن المبارك الزهد هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر وبه قال شقيق البلخى ويوسف بن اسباط وهذا أيضا من امارات الزهد فانه لا يقوى العبد على الزهد الا بالثقة بالله تعالى) مع حب الفقر (وقال عبد الواحد بن زيد الزهد ترك الدينار والدرهم ونحوهما) كمطعوم وملبوس (بقلبه) اما تركهما بجوارحه ففى ثمرات الزهد التى منها برودة القلب عن كسب الدنيا وعدم الالتفات اليها عند حصولها وصرفها فى جهتها وذلك لان من قلت رغبته فى الشئ لم يحفظه ولم يحرص عليه وبذله للمحتاج اليه (وقال ابو سليمان الدارانى الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى) اى بقلبه والا فهو من ثمرات الزهد فقد يترك الانسان ما يشغله عن الله لا لزهده بل لشغله بما هو أشرف منه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت احمد بن على يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول وقد سأله رويم عن الزهد فقال هو استصغار الدنيا ومحو آثارها) محبة وذكرا (من القلب) هذا أيضا من ثمرات الزهد

قطع علق القلب من الدنيا وان لابسها بظاهره بحسب الاذن الشرعى (قوله الصوف الخ) اقول ذلك من قبيل تربية المريدين والا فالاعتبار بتجرد القلوب عن كامل الشواغل ولولا بس فى الظاهر الدنيا والحاصل انه لابد من موافقة الظاهر والباطن فى حالة السير والا كان من النفاق والرياء أعاذنا الله منه (قوله وقد اختلف السلف فى الزهد) اى فى حقيقة الزهد وفى أسبابه وقوله انما هو قصر الامل اى بعدم الالتفات الى عطب ملابسة الدنيا وذلك لانه اذا رغبتك البدايات زهدتك النهايات أعنى اذا رغبتك البدايات بحصول الفوائد زهدتك النهايات بوقوع النوائب وان رغبتك البدايات بوجود المنافع زهدتك النهايات بوقوع الفجائع وان رغبتك البدايات بتحصيل ما تريد زهدتك النهايات بوقوع ما لا تريد اى وذلك الاختلاف سببه ان كلا منهم تكلم بحسب شربه بما أذاقه الله تعالى فترجم من حاله ومقامه (قوله انما هو قصر الامل الخ) اى ويؤيده خبر أكثروا من ذكر هاذم اللذات الحديث (قوله كفى بذكر الموت مزهدا) اى فهو أكبر واعظ وأعظم دال على خسة الدنيا وحقارتها وقرب زوالها اى وحيث كان ذكر الموت من أعظم المزهدات فى الدنيا يلزم أن من زهد فى الدنيا رغب فى عمل الآخرة لما يراه من دوام لذتها ونعيمها (قوله هو الثقة بالله الخ) اى الوثوق بحصول ما تكفل به وقوله مع حب الفقر اى ميل النفس الى التقلل وذلك بشاهد العلم النقلى والذوق المفيد كل منهما زجر النفس عن طلب التوسع فى الدنيا بشهود أنه مما يطغى ويلهى عما يعنى (قوله ترك الدينار والدرهم الخ) محصله ان الذى يضر انما هو تعلق القلب المشغل عن حق الحق لا مجرد الملابسة مع التوفيق فى تعاطى ذلك دخولا وخروجا لان هذا مما يحمل عليه خبر الدنيا مزرعة للآخرة نعم التقلل طريق محمدى وهدى أحمدى والله اعلم (قوله ترك ما يشغل عن الله تعالى الخ) اى فالذى ينبغى للعبد أن يقتصر على قدر الكفاية ويترك ما يشوش مما زاد على ذلك فيكون حينئذ سالما من آفات اقبال الدنيا وادبارها بعد ذوق لذتها المتوهمة فى الكفاية كرامات ثلاث الراحة من التعب جلبا ودفعا والتفرغ للخدمة قالبا وقلبا وتحصيل الشكر والصبر فى حالة واحدة ولذلك قيل انه أفضل من الغنى مع الشكر ومن الفقر مع الصبر حتى سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ولعياله ولآله (قوله والا الخ) اى والا يكن ترك ما يشغل بالقلب بل كان للشغل بالاشرف فيكون الترك حينئذ من ثمرات الزهد لا عين الزهد (قوله هو استصغار الدنيا الخ)

(وقال سرى) السقطى (لايطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه) بغيرها من شهواتها الدنيوية لان شغله بنفسه انما هو باعراضها عن محبوباتها الدنيوية فاذا عدل عنها الى غيرها فقد اشتغل عنها وعن اعراضها عن ذلك فلا يكون زاهدا ومتى زهد فى شئ من الدنيا وبقى عليه شئ لم يزهد فيه لم يكمل زهده ولذلك لما سئل الجنيد رحمه الله عن لم يبق عليه من الدنيا الا النسم بمص نواة قال المكاتب عبد مابقى عليه درهم أشار به الى ان من بقى عليه ماذكر لم تكمل حريته من رق الشهوات (ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه) عن مولاه لان شغله انما هو بمولاه فلا تطيب نفسه باشتغاله بها بل باشتغاله بمولاه عما سواه (وسئل الجنيد رحمه الله عن الزهد فقال خلو اليد من الملك والقلب من التتبع) داوى بذلك من رآه ينفق دنياه فى جهات البر ثم يتبعها بكلامه او بقلبه مدحا ومحبة او ذما وحسرة فان تتبعها محبة لصنعه تعالى ومايجريه عليه لم يكمل زهده فكمال زهده أن لا يلتفت الى ماخرج من يده (وسئل الشبلى عن الزهد فقال ان تزهد) بقلبك (فيما سوى الله تعالى) حتى فى نفسك (وقال يحيى ابن معاذ لايبلغ أحد حقيقة الزهد) وهى غلبة أحواله على القلب (حتى يكون فيه ثلاث خصال) احداها (عمل بلا علاقة) اى خالصا لله تعالى لا لعلة من علل الدنيا كحب الحمد وخوف الذم والطمع فيما فى أيدى الناس فى الدنيا وكخوف العقاب ورجاء الثواب فى الآخرة فكمال زهده فى الحظوظ العاجلة والآجلة ان يكون عمله لوجه ربه خاصة دون غيره (و) ثانيها (قول بلا طمع) اى خالص لا لطمع عاجل ولا آجل فيخلص فى أقواله كما يخلص فى اعماله

اى بعد هذه صغيرة حقيرة دنيئة سريعة الزوال فانية لهوا ولعبا ومتاعا ومشغلة عن الاهم والله اعلم (قوله لايطيب عيش الزاهد الخ) اى وذلك لان مطلوبه قطع المشغلات فاذا لم يشتغل بعد قطعها بما ينفعه من القربات لم يطب عيشه اذ الاعراض عن الدنيا وسيلة لتحصيل الخيرات والاحوال والمقامات وهذا كله فى حق الزاهد اما العارف فراحته وعيشه فى اشتغاله بمعروفه وجمال صفاته بل فى فنائه فى ذلك عن نفسه وارادته فافهم (قوله اذا اشتغل عن نفسه) اى عما يصلحها بأن يتهافت على شهواتها الدنيوية فحينئذ شغله بنفسه يعنى بما يصلحها يتحقق باعراضه عن محبوباتها الدنيوية حتى لم يبق له تعلق بشئ منها باشارة خبر المكاتب عبد مابقى عليه درهم (قوله لم يكمل زهده) اى باعتبار ان الشئ اذا أطلق انما يحمل على الفرد الكامل (قوله المكاتب عبد الخ) اى فمن بقى فى رق النسم بمص النواة لم تتمحض حريته (قوله ولايطيب عيش العارف الخ) محصله انه لايتم له مقامه الا اذا فنى عن نفسه ومالها من الخير اشتغالا عن ذلك بالله سبحانه (قوله خلو اليد من الملك الخ) اى بشهود أن الكائنات الدنيوية عوار مستردة وامتحانات للعبيد المستعدة ليظهر بذلك الشريف من الخسيس قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم الآية (قوله ثم يتبعها بكلامه) اى وذلك يفسد ثواب الانفاق قال تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى لان المن غير محمود الا منه تعالى وقوله او بقلبه اى أو يتبعها بقلبه مدحا ومحبة بأن يميل قلبه الى الثناء عليه بالبذل بحسب طبعه او يتبعها ندما وتحسرا على بذلها بمقتضى ماجبل عليه من الحرص والبخل (قوله فان تتبعها محبة لصنعه تعالى الخ) هذا مقابل لقوله قبل ثم يتبعها بكلامه الخ فان قلت اى مفسدة وخلل فى هذا حتى ينافى الكمال قلت لان الكمال الذى هو صفة العارفين انما يكون فى الفناء عن نفوسهم ومايجريه الحق من تصاريف احكامه لها (قوله ان تزهد بقلبك فيما سوى الله) اى فلا تلتفت الى شئ صدر من نفسك من اعمال البر لان ذلك من نوع الدسائس (قوله حتى يكون فيه ثلاث خصال) محصلها صدق الاخلاص له تعالى قولا وفعلا وخلقا (قوله عمل بلا علاقة الخ) اى وذلك لان من صح زهده كانت اعماله مبرأة من الآفات ووعظه وتنبيهه مبرأ عن الطمع وكذلك يكون عزيز النفس لاستغنائه عن غيره به وليس عزه رياسة على الخلق وكبرا بل هو مستغن عنهم راحم لهم مشفق عليهم (قوله كحب الحمد الخ) محصل ماذكره تجرد النفس عن حظوظها ولو فى الآجل وقوله كخوف العقاب اى لان ذلك ينافى الكمال ولذا قيل عن رابعة العدوية أنها قالت عبدوك خوفا من لظى عبدوا لظى لا ربنا (قوله قول بلا طمع الخ)

اى

(و) ثالثها (عز بلا رياسة) بأن يكون عزيزا عن ان يذل نفسه فى طلب الدنيا فيتعاطى الامور الخسيسة التى تزرى بقدره فلا يكون عزه الا بمولاه وربما أغناه به من فضله عما سواه (وقال ابو حفص الزهد لا يكون الا فى الحلال) الخالص (ولا حلال) خالص (فى الدنيا) الا نادرا لاسيما مع كثرة التخليط فى التصرفات فى هذه الاوقات ١٧٣ (فلا زهد) الا نادرا (وقال ابو عثمان) رحمه الله (ان الله تعالى يعطى الزاهد) فى الدنيا (فوق ما يريد) منها لحاجته لكمال قنعه فأى شئ أتاه منها فهو فوق مراده (ويعطى الراغب) فيها (دون ما يريد) منها لانه لكمال محبته فيما يريد منها يرى ان ما أعطيه دون ما أراده (ويعطى المستقيم) اى من استقامت أحواله ورضى بكفايته (موافقة ما يريد) لانه يقنع بأى شئ أتاه فكان موافقا لحاله (وقال يحيى بن معاذ الزاهد) لكون قلبه امتلأ بهوان الدنيا عند الله وكثرة آفاتها بحيث انك تجد أكثر كلامه فى بيان نقائصها كأنه (يسعطك) يا طالبها (الخل والخردل) من حيث انه يؤلمك بكلامه وينكر عليك ما انت فيه ويصغر قدرك (والعارف) بالله لكون قلبه امتلأ بمعرفته به وبجماله وجلاله وتوالى انعامه وافضاله على خلقه بحيث انك تجد أكثر كلامه فى بيان ذلك كأنه (يشمك المسك والعنبر) من حيث انه يرغبك فى نيل المقامات ويشرح صدرك بذكر فضل الله ونعمه على خلقه فكل من الزاهد والعارف تكلم بما غلب عليه وامتلأ قلبه به * وكل اناء بالذى فيه ينضح * (وقال الحسن البصرى الزهد فى الدنيا ان تبغض أهلها وتبغض ما فيها) من حيث انها مبغوضة لله تعالى وانها تشغلك عن مطلوبك وهذا من ثمرات الزهد لا نفسه

اى لان الطمع ينافى الانفة التى هى عدم الاستشراف الى شئ سواء كان عاجلا او آجلا وهى من صفات الكاملين (قوله عزيزا عن ان يذل نفسه الخ) أقول وأقبح طرق الاذلال التعرض الى ما يدنسه ولو بلسان الحال وأشنع من ذلك اذا كان بالقال وقد اشتهر السؤال ذل ولو أين الطريق واعلم أن التعرض للعرض الفانى هو خلق فقراء زماننا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قوله ولا حلال خالص الخ) مراده نفى حقيقة الزهد بنفى متعلقه بشاهد أن النادر لا حكم له والحث على التقلل من الحلال الصرف (قوله ان الله يعطى الزاهد الخ) أقول والفوقية المذكورة بالاضافة الى أغراض الدنيا لا على الاطلاق لان الزاهد اى شئ فتح الله عليه به فحاجته الى ما دونه والراغب لو فتح الله عليه باضعاف ما تعلق به أمله فرغبته أبدا فى مزيد ومن قلت رغبته ولم يبلغ درجة الزاهد فهو قانع بما قسم له به كائنا ما كان فهو موافق لما يريد لان ارادته فيما يسره الله تعالى (قوله فوق ما يريد) اى لان العبد الموفق لقوة رضاه بما يجريه الحق تعالى يرى ان كل ما وصل اليه زائد عن مراده بخلاف غير الموفق ممن له رغبة فى الدنيا (قوله ويعطى المستقيم الخ) اى وحال هذا متوسط بين الاول والثانى (قوله الزاهد الخ) أقول ومع ذلك هو مقام عامى وأما مقام الخاصة فذكر الدنيا بكثرة ولو كان على سبيل ذمها نقص وتفرق لانه يشغل عن المقصود وتضييع للوقت بما يشبه تحصيل الحاصل مع ما فى ذلك من اشارة المبالاة بها وأن لها قدرا والله أعلم (قوله يسعطك الخ) اى لانه قد امتلأ قلبه بآفات الدنيا وضرر الاشتغال بها فهو لا يتكلم الا ببيان نقصها ونقص المنهمكين على حبها وهم يتألمون بذلك فلاجل ذلك شبه باسعاط الخل والخردل والعارف الغالب على قلبه رؤية الافضال عليه وعلى غيره من العالمين وشهود كمال مولاه وجماله فهو يحرك القلوب الى الله بدوام التذكير ويطيب النفوس بحسن الظن فشبه بمن يشم المسك والعنبر لحياة القلوب به (قوله يشمك المسك والعنبر الخ) أقول وطيب قوله من طيب قصده اذ بزيادة نور السر تظهر ينابيع الحكم على لسان الجهر وهذا بخلاف من زين الظاهر وخرب الباطن فهو وان رق لفظه لا يفيد وعظه فالله يرزقنا التوفيق لنصل الى مقام التحقيق (قوله وكل اناء الخ) أقول ويعلم هذا بشهود التأثير وعدمه فمجرد جمال الظاهر لا يكفى اذ الحلو قد يضر والمر بنفعه قد يسر فلا تغفل عن الدقائق فى ذوق تلك الرقائق (قوله ان تبغض أهلها الخ) اى من حيث شاهد العلم لما قدمناه مرارا من ان الضرر انما هو فى تعلق القلب بالدنيا تعلقا يوجب تضييع حق من حقوقه تعالى لا مطلقا ومع هذا فذلك من شيم العوام اما خلق الخواص فهو من

(وقيل لبعضهم ما الزهد فى الدنيا فقال ترك ما فيها) على من فيها اى بقلبه اما بجوارحه فهو من ثمرات الزهد لانه سه كامر تقليره (وقال رجل لذى النون المصرى) رحمه الله تعالى (متى أزهد فى الدنيا فقال اذا زهدت فى) حظوظ (نفسك) من مطعم ومشرب وملبس ومنكح وجاه ونحوها لانك اذا زهدت فيها قلت رغبتك فى الاسباب التى تحصلها بها واذا قلت رغبتك فيها زهدت فى الدنيا (وقال محمد بن الفضل ايثار ١٧٤ الزهاد) يكون (عند الاستغناء) عما يؤثرون به (وايثار الفتيان) يكون (عند الحاجة) لما يؤثرون به (قال الله تعالى) فى مدح الانصار بايثارهم مع حاجتهم (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) والتفاوت بين الزهاد والفتيان أن الزهاد انما زهدوا فى الفضول والفتيان فى المحتاج اليه (وقال الكتانى الشئ الذى لم يخالف فيه كوفى ولا مدنى ولا عراقى ولا شامى هو الزهد فى الدنيا وسخاوة النفس والنصيحة للخلق يعنى ان هذه الاشياء لا يقول أحد انها غير محمودة) بل محمودة ففضيلة الزهد قال بها سائر الاقاليم المذكورة وغيرها (وقال رجل ليحيى بن معاذ متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت) اى وصلت (من رياضتك لنفسك فى السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف فى نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك ان تفتضح بينهم) هذا منه تنبيه على انه لا ينبغى للعبد أن يقطع الاسباب ويتجرد عنها حتى يجد من نفسه قوة على الصبر على ألم الجوع فهو ثلاثة أيام ولا يجد منها الضعف عن عبادته والا كان مغرورا ومعترضا نفسه الى سؤال الخلق (وقال بشر الحافى الزهد) اى كماله (ملك لا يسكن الا فى قلب مخلى) اى لا يتحقق الا فى قلب انقطع طمعه عن الدنيا وتخلى عن حبها

التفرق عندهم ومن تضييع الوقت اذ لا التفات لهم الى الغير أصلا (قوله فقال ترك ما فيها) اى من جواهر واعراض على من فيها اى من افراد الثقلين حتى لا يشغل قلبك عن الحق شاغل من ذلك (قوله من مطعم الخ) اى حيث كان تعاطى ذلك لمجرد الشهوة واللذة أما اذا أكل لغرض التقوى على العبادة وشرب كذلك ولبس بقصد ستر العورة امتثالا ونكح لقصد كف الشهوة وللتوالد وهكذا كانت افعاله جميعها طاعة والله أعلم (قوله ايثار الزهاد الخ) يشير الى تفضيل الفتى عن الزاهد بما منحه الحق تعالى من قوة البذل لماله وجاهه بل ونفسه فقد فرق بين المقامين باظهار شرف الثانى على الاول ليحمل على علو الهمة (قوله فى الفضول) اى فيما فضل عن حاجتهم وقوله والفتيان الخ جمع فتى وهو من قوى بذله لماله وجاهه بل ولنفسه بحسب ما دل عليه علم النقل (قوله الذى لم يخالف فيه الخ) اى لان الزهد فى الدنيا أصل عظيم فى جميع الخيرات قد وقع عليه الحث فى كثير من الروايات ويقوى ما ذكره المصنف قول الفضيل بن عياض جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها (قوله بل محمودة) أقول كيف لا وقد أجمع أهل الاقاليم على حسن هذه الصفة وحينئذ فلا عذر فى عدم التخلق بالزهد فى الدنيا (قوله فى السر الخ) انما قيد به لان طهارته هى المعتبرة فى قبول طاعة الانسان وزيادة التوفيق لدوام العبادة مع التفويض والتسليم لفعل العليم الحكيم (قوله ثلاثة أيام الخ) انما قيد بهذه المدة لما قيل من ان العبد لا يعيش مدتها بدون الغذاء حيث لم يتقدم له عادة الرياضة ومع ذلك فالغرض الحث على الرضا بما يجريه الحق من تصاريف أحكامه فى الخلق (قوله ثم لا آمن عليك الخ) اى لانه حينئذ متكلف لا صاحب ذوق فهو عرضة لتغير الحال ويؤيد ما ذكرناه قول بعضهم

قالت لنا سودة الاحداق والمقل * ليس التكحل فى العينين كالكحل

(قوله والا كان مغرورا الخ) اى والا يجد من نفسه الصبر المذكور والقوة على العبادة هذه المدة بأن انتفى صبره فيها وانتفت قوته على العبادة كان مغرورا وعرضة لسؤال الخلق وذلك من قواطع الطريق (قوله الزهد اى كماله ملك الخ) أقول انما خص التشبيه بالملك لكونه نورانيا والزهد نورانى ووارد رحمانى فالسر فى التخلى عن التدبير هذا اذا قرئ بفتح اللام وان قرئ بكسرها فوجه الشبه مطلق النظافة والبعد عن

القاذورات

القاذورات (قوله من تكلم فى الزهد الخ) أقول وغير الزهد مثله فينبغى فى كل صفة ان المتكلم بها يكون متحليا بها حتى يؤثر كلامه فى المخاطب له والا فقد أشبه حاله حال المنافقين الذين يقولون مالا يفعلون (قوله رفع الله حب الآخرة من قلبه) اى لا يوفقه لاعمالها فيكون من الخاسرين وذلك من أشد الجزاء أعاذنا الله وأحبتنا والمؤمنين من ذلك (قوله وكل الله به ملكا الخ) اى لان القلب اذا تجرد عن الحظوظ كثرت أنواره وغرست اصول الحكمة فيه وتفرعت أغصانها منه وترجم اللسان عما أشرق فى السر من واردات الرب سبحانه (قوله فقال لزهدها فى) أقول ولله در أبى العباس الثقفى رحمه الله تعالى حيث قال اف لاشغال الدنيا اذا أقبلت واف لحسرتها اذا أدبرت والعاقل لا يركن الى شئ اذا أدبر كان حسرة واذا أقبل كان شغلا وأنشدوا فى معنى ذلك

وقائلة مالى أراك مجانبا * امورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة * فنحن اناس بالسلامة نفرح

تدبره فانه نفيس ثم أقول ويؤيده ما اتفق لبعضهم حسبما أخبر عن نفسه انه قال تركت الدنيا لكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها اه واعلم أن معرفة ما ذكر بالتجربة والذوق أتم من معرفته بالتعلم والتعليم (قوله لان العبد الخ) اى ولا سيما ان كان من المحبوبين وذلك لخبر اذا أحب الله عبدا حماه الدنيا اوزوى عنه الدنيا الحديث (قوله حمله ذلك على الاعراض عن اليسير الخ) مراده باليسير اليسير ولو فى المعنى وان كان كثيرا فى ظاهر الحال اذ هو وديعة مستردة ووقت الخروج عن ذلك قريب شعر

وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بد يوما أن ترد الودائع

(قوله الزهد على ثلاثة أوجه الخ) أقول وذلك باعتبار قوة العلم وضعفه لان العلم النافع هو الذى قد تمكن فى الصدر وأشرق نوره فيه فتصورت الامور حسنها وسيئها فوقع بذلك ظل فى الصدر بصور تلك الامور فيأتى العبد حسنها ويذر سيئها وذلك لا يكون الا بواسطة علم القلوب اما علم اللسان فانه هو شئ قد استدعى الحفظ والشهرة غالبة على صاحبه قد أذهبت تلك الشهرة بظلمتها ضوءه والله أعلم (قوله الاول ترك الحرام بالقلب) أقول ولله در من قال

اذا أقبلت كانت على القلب حسرة * وان أدبرت كانت كثيرا همومها

وذلك زيادة عن جزاء الآثام بالنسبة لمن تعاطى الحرام (قوله ترك الحرام بالقلب) انظر وجه مناط الترك المطلوب تعلم سر الامر المطلوب (قوله والثانى ترك الفضول الخ) قال أبو هاشم الزاهد وسم الله الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريد به تعالى دونها وليقبل المطيع عليه تعالى بالاعراض عنها فأهل المعرفة بالله تعالى من الدنيا مستوحشون والى

(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازى يقول سمعت محمد بن محمد بن الاشعث البيكندى يقول من تكلم فى الزهد ووعظ الناس ثم رغب فى أموالهم رفع الله تعالى حب الآخرة من قلبه) لانه اذا زهدهم وأوهمهم انه متخلق بما امرهم به ونهاهم عنه مع خلو قلبه عن ذلك كان مرائيا او متشبعا بما لم ينله وكلاهما معصية توجب رفع حب الآخرة من قلبه (وقيل اذا زهد العبد فى الدنيا وكل الله تعالى به ملكا) من ملائكته (يغرس الحكمة فى قلبه) بفضله تعالى وعونه لفراغ قلبه بالزهد عن المشغلات له بالحظوظ الدنيوية (وقيل لبعضهم لم زهدت فى الدنيا فقال لزهدها فى) لان العبد لا يناله من الدنيا التى لا تزن عند الله جناح بعوضة الا اليسير فاذا بعد عنه اكثرها ونال منها اليسير حمله ذلك على الاعراض عن اليسير المفاد بقوله لزهدها فى وفيما قاله تنبيه على أنه اراد أن يبعد عن دعوى الزهد بالكلية حتى لا يرى لنفسه مقاما فيه (وقال احمد بن حنبل الزهد على ثلاثة أوجه الاول ترك الحرام) بالقلب (وهو زهد العوام) من المسلمين (والثانى ترك الفضول من الحلال) بالقلب (وهو زهد الخواص) منهم

(والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى) بالقلب (وهو زهد العارفين) بالله تعالى وهم خواص الخواص اما ترك ذلك بالجوارح فهو من ثمرات الزهد لا نفسه كما مر نظيره (سمعت الاستاذ اباعلي الدقاق رحمه الله يقول قيل لبعضهم لم زهدت في الدنيا فقال لما زهدت في أكثرها أنفت) اي استنكفت (من الرغبة في أقلها) كما مر قريبا (وقال يحيى بن معاذ الدنيا كالعروس المجلوة) تراها الابصار وتحبها ١٧٦ القلوب وتمدحها الالسن من حيث ان الله خلقها وجملها بالمال والبنين وغيرهما كما قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا (ومن يطلبها) ويعمرها (ماشطتها) من حيث انه يزيدها حسنا للمغرورين (والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها) من حيث انه لما عرف نقصها وفناءها وقطعها للعبد عن عبادته اشتغل بتزهيد الخلق فيها وتقبيح محاسنها الظاهرة (والعارف مشتغل بالله تعالى لا يلتفت اليها) لكمال شغله بالله وبمعرفته وجماله وجلاله ومناجاته عن ذمها فضلا عن مدحها كما قالت رابعة لما رأت طائفة من الزهاد يذمون الدنيا ويحقرونها من احب شيأ اكثر من ذكره لو اشتغلتم بالله تعالى ومحبته لشغلكم عن سواه فالعارف قد انقطع قلبه عنها فلا يمدحها ولا يذمها وربما غفل عن ثواب آخرته (سمعت اباعبدالله الصوفي يقول سمعت ابا الطيب السامري) بفتح الميم وتشديد الراء نسبة الى سر من رأى بلدة ببلاد العجم (يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول مارست كل شئ من امر الزهد فنلت منه ما اريد) كالزهد في المطعم والملبس والمنام وفضول الكلام (الا الزهد العبد في) لقاء (الناس) والتبسط معهم في المقال والاستئناس بمحادثتهم (فاني لم ابلغه ولم اطقه) لعزته اما لقاؤه اياهم لنفعه بهم في دينه او لنفعهم به في دينهم فلا يزهد فيه ولا يذم العبد فيه نفسه على عدم نيل الزهد فيه وقد يزهد العبد في لقاء الناس ويبقى عليه الزهد في نفسه من الراحة وحب الكسل ونحوهما وقد يزهد في راحة نفسه ولا يزهد في بذل نفسه لله اذا حضر جهاد في سبيل الله

الآخرة مشتاقون والى ربهم مسارعون والله اعلم (قوله والثالث ترك ما يشغل العبد الخ) اي ويقال لاصحاب هذا المقام أصحاب أنفة وهي صفة تمنع صاحبها من التشوف لما سوى ربه من كل عاجل وآجل دنيوي أو أخروي والله اعلم (قوله فقال لما زهدت في أكثرها الخ) هذا منه نفعنا الله ببركاته من التقريب للعقول القاصرة على حسب ظاهر الحال والا فالدنيا بأسرها قليلة بالنسبة لأقل القليل من نعيم الآخرة (قوله الدنيا كالعروس المجلوة الخ) اي كـ العروس وقت زفافها وهذا بحسب ظاهر الحال والا فالباطن سم قتال ولذا أشار تعالى بقوله جل جلاله كمثل ريح فيها صر الآية فظاهرها حلو وباطنها مر وذلك لدسائسها وخستها وفتنتها وحجبها عن المقامات والدرجات وثبت في الخبر أنها جيفة قذرة وأن طلابها كلابها فتأملها بنور البصيرة لئلا تقع في الحيرة والله اعلم (قوله ماشطتها) اي فهو يكون مثلها في تحسين الشئ بحسب الظاهر وان كان قبيحا باعتبار الباطن (قوله يسخم وجهها الخ) اي يقبح وجهها الظاهر جماله والباطن قبحه وخبثه وذلك بكشفه عن معايبها ونشره عوراتها الكامنة في دسائسها (قوله وبمعرفته) اي معرفة كماله وقوله وجماله اي جماله الذي هو ظاهر في مظاهر أسمائه وصفاته وأفعاله وقوله وجلاله اي عظمته وقوله ومناجاته اي الثابتة بذكره وتلاوة آياته وكلماته (قوله من أحب شيأ أكثر من ذكره) ظاهر الخبر الشريف ان ذلك فيمن يميل بقلبه الى الشئ وعمومه يشمل ما اذا أظهر ذمه على انه تخلقا لا اخلاقا ولهذا نهت رابعة رضي الله تعالى عنها من أكثر عندها من ذم الدنيا و يوضح ذلك قولها لو اشتغلتم بالله الخ فلله درها (قوله فالعارف قد انقطع الخ) اي وانقطاع قلبه بواسطة فنائه ذاتا وصفة وفعلا في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله فحينئذ التفاته الى الدنيا ولو بالتحقير لها يعد من التفرق والحجاب بالنسبة لمقامه (قوله وربما غفل الخ) اي و يقال لهذا اصحاب أنفة كما تقدم وهي صفة تمنع من التشوف الى ما سواه تعالى (قوله مارست كل شئ الخ) مراده ان الزهد يختلف قوة وضعفا بحسب اختلاف المزهود فيه وان أقوى الزهد هو الزهد في الناس باعتبار ما للنفس فيهم من الحظ ولهذا قد قيل من الافلاس الانس بالناس (قوله اما لقاؤه الخ) أقول ذلك باعتبار حال المبتدي اما المحقق العارف فهذا بالنسبة له من التفرق والحجاب (قوله فلا يزهد فيه) اي لانه مطلوب من

فالزهد يتنوع على حب المزهود فيه (وقيل ما خرج الزاهدون) بزهدهم في الدنيا من حظهم الخسيس (الا الى) حظ (انفسهم) النفيس (لانهم تركوا النعيم الفاني) النكد الممزوج بالهموم والاحزان (للنعيم الباقي) الكامل الذي لا نكد فيه ولا ألم (وقال النصراباذي الزهد حقن دماء الزاهدين) فيه اى منع من ١٧٧ حقنه بما أبقاه الله لهم من حظوظ أنفسهم فانه أبقى لهم منها ما يعيشون به وجعله حقهم ولم يجعله منافيا لزهدهم فان الزهد كما مر في فضول الحلال (وسفك دماء العارفين) بالله من حيث انهم صاروا لا يلتفتون لانفسهم لكمال شغلهم بربهم (وقال حاتم الاصم الزاهد يذيب كيسه) اى ما فيه (قبل نفسه) لان أول ما يبدأ به الزاهد اخراج ماله من يده لانه أخف عليه ثم اخراج جاهه من قلبه ثم اخراج راحته من بدنه ثم يذل نفسه لربه (والمتزهد يذيب نفسه قبل) اخراج ما في (كيسه) لانه لا يخرج شيأ من ماله لشدة محبته له الا بكره من نفسه بأن يكرهها ويحملها على اخراجه فهو يذيبها قبل أن يخرج ما بيده (سمعت محمد بن عبد الله يقول حدثنا علي بن الحسين الموصلي قال حدثنا احمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن الحسن قال حدثنا محمد بن جعفر قال سمعت الفضيل بن عياض يقول جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا) لخبر حب الدنيا رأس كل خطيئة (وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد) لان العبد اذا أعرض عن الدنيا تيسرت له الخيرات لذهاب القواطع عنه والمشغلات

(باب الصمت) يقال صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا اى سكت

العبد شرعا (قوله فالزهد يتنوع الخ) اى وأعلى الزهد هو الزهد في النفس لانه به يصل العبد الى مقامات القرب (قوله ما خرج الزاهدون الخ) أقول وسبب ذلك ما أكرموا به من علم خشية الله تعالى المصحوب بمعرفته الدال على تحقيق عبوديتهم له تعالى لانه علم شريف الاصل والفرع اذ الاشياء تشرف بشرف موضوعاتها ومقاصدها والحق تعالى اجل معلوم فالمعرفة به أفضل العلوم وعلم الخشية علم هداية يصحبه تعظيم فهو يوقف في مواقف الادب والمراقبة وذلك يقتضي الوقوف مع الامر والنهي فيكسب صاحبه حقيقة الوراثة النبوية فمن كان على غير هذه الصفة من العلماء فهو مثاله كالشمعة تضيء على غيره ويحرق نفسه هذا ومحصل ما ذكره الاشارة الى ثمرة الزهد لغرض تنشيط العبد نفسه أن يتدارك ما فاته والله اعلم (قوله الممزوج الخ) اقول بطريق المبالغة ان مدة عيش الدنيا في صرف الهموم والاحزان لان الحكم في كل شيء باعتبار غالب أحواله فالله يرزقنا التوفيق (قوله الزهد حقن دماء الزاهدين فيه الخ) اى منع من اراقة دمائهم بواسطة ما أبقاه الله لهم من لوازم بشرياتهم التي لا تنافي زهدهم لمسامحتهم فيه وقوله وسفك دماء العارفين الخ اى أراق دماءهم من حيث انه تعالى أفناهم عن أنفسهم وغيبهم عنها (قوله الزاهد يذيب الخ) الغرض بذلك بيان هذين المقامين وتفضيل الاول منهما على الثاني (قوله جعل الله الشر الخ) محصله ان حب الدنيا باعتبار انه موصل الى كل دنيء وخسيس يكون سببا للشرور والقبائح والزهد باعتبار انه موصل الى كل شريف يكون سببا للطاعات والقربات

(باب الصمت)

اعلم أن منشأه ان من دخل الى حضرة الحق ناظرا لنفسه اذا أراد أن يظهر له ما جرى في حقه من الكرامات ناداه منادي الحقيقة تذكر كرامتك ولا تذكر ذاتك فيقف حينئذ عند حده ويفر مما بدا له عوضا من فرحه به فيكون حاله قبضا في قبض وكتمانا في كتمان وسترا في ستر وهو حال الزهاد والعباد واهل الطاعة والاوراد ممن لم يختص بالمعرفة ولا تبرأ من نفسه اما من دخل ناظرا الى احسان الله تعالى عاملا بما به تولاه راجعا اليه فيما من به عليه وأولاه فذلك الذي ينطق لسانه ويسترسل بالاظهار بيانه فلا يحتشم عن التعبير ولا يبالي بما فيه من جليل وحقير لانه لا يرى نفسه منفردا من البين ويشاهد معروفه الحق رؤية العين فافهم هذا واعلم أن الكمال كله في صمت اللسان والقلب فغير ذلك لا خير فيه لان الصمت والسكوت عن الاسرار مع غير الاهل من شأن الكاملين ومن خلق المحبوبين امام الاهل والاقران فهو من دأب المحبين

(أخبرنا عبد الله بن يوسف الاصبهاني قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان قال حدثنا أحمد بن يوسف السلمي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي ١٧٨ سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) رواه الشيخان دل على أن المقصود من الكلام قول الخير فإن لم يعلم العبد أن في كلامه خيرا فالصمت خير له وقد قال تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وسئل صلى الله عليه وسلم عن النجاة فقال في حفظ اللسان وروى الترمذي خبر من صمت نجا (أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا بشر بن موسى الأسدي قال حدثنا محمد بن سعيد الاصبهاني عن ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله ما النجاة فقال احفظ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) رواه الترمذي وحسنه بلفظ أمسك عليك وآفات اللسان كثيرة فمنها الغيبة والنميمة والهمز واللمز والاستهزاء والكذب في الأحكام وغيرها فلا بد من تثبت العبد خوفا من دخوله في قوله تعالى وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وقوله ويفترون على الله الكذب وهم يعلمون ومما أنشدوه في ذلك

احفظ لسانك أيها الإنسان • لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه • قد كان هاب لقاءه الشجعان

فبالصمت تكون السكينة والوقار وبالقيل والقال قد تنهتك الأسرار وبعبارة أخرى نقول الصمت هو السكوت عن المحرم والمكروه وخلاف الأولى أو هو السكوت عما لا يعني عملا بخبر من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه والدليل على مشروعية الصمت قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الطواف فمن نطق فلا ينطق إلا بخير (قوله من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) أي من له جوار وهو الكائن في دار من أربعين دارا من كل جانب لدار الإنسان وظاهره ولو كان ذلك الجار كافرا ذميا أو معاهدا أو مؤمنا وهو كذلك لأن إيذاء الجار من كبائر الذنوب وقوله ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه أي إذا كان من إخوانه المؤمنين وقوله ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا الخ هو محل شاهد الباب قال بعضهم في حثه على السكوت عبارة رقيقة دقيقة وهي دع زكريا بالنطق ومريم نفسك بسكتا يشار إليه تعالى عني عيسى قلبك في مهد صدرك بالحكمة ينطق صبيا ويحيى سرك يحيى باسمه تعالى نجيا (قوله فإن لم يعلم العبد) أي بعلم الشريعة أن في كلامه خيرا بأحدها فالصمت خير له بل هو الخير كما لا يخفى (قوله لا خير في كثير من نجواهم الخ) أي فالآية الشريفة تشير إلى أن النطق لا يكون مأذونا فيه إلا إذا تحققت خيريته وهو كذلك لمن رغب في الخير (قوله فقال في حفظ اللسان) أقول لما كانت جرائم اللسان كثيرة مهلكة أجاب سيد الحكماء صلى الله عليه وسلم بقوله في حفظ اللسان وكذلك قال بعض الحكماء ما ندم من سكت فافهم (قوله من صمت نجا) فيه مبالغة بادعاء أنه جميع أسباب النجاة ترغيبا فيه وحثا عليه فهو على حد الحج عرفة والندم توبة وأمثالهما (قوله احفظ عليك لسانك) أي صنه عما لا يعنيك وعما لم يأذن فيه الشارع بالأولى وقوله وليسعك بيتك أي فعليك بالعزلة عن الخلق والزم ناصية نفسك وقوله وابك على خطيئتك أي حزنا لها وتوبة تمحو أثر الخطيئة وإذا تأملت ما ذكر تجده بالغا في باب الإرشاد لإصلاح النفس جزى الله سلفنا عنا خيرا حيث حفظوا أقواله عليه الصلاة والسلام التي بها نتمكن من المتابعة (قوله منها الغيبة الخ) اعلم أن الغيبة من الكبائر محبطة لثواب العمل وهي ذكرك أخاك بما يكره ولو في حال حضوره والنميمة كبيرة أيضا وهي نقل الحديث بقصد الإفساد بين الناس والهمز واللمز قيل هما متحدان وقيل متغايران الأول يقال للإشارة بالعين والثاني يقال للإشارة باليد ولهما حكم النطق (قوله احفظ لسانك أيها الإنسان الخ) أي صن لسانك عن لغو الحديث وعما لا يعني منه وعما لم يأذن فيه الشارع يا أيها الإنسان ولا يخفى عليك ما في قوله أيها الإنسان حيث هو يشير إلى أن من فيه إنسانية هو المخاطب وهو الذي يتأتى منه سماع الموعظة والعمل بها وقوله لا يلدغنك الخ الغرض منه بيان غوائل

النطق

وبالجملة (الصمت سلامة) وهو الاولى (وهى) اى السلامة (الاصل) اذلاغنيمة الابعد السلامة فكل غانم سالم (وعليه) اى الصمت (ندامة اذاورد عنه الزجر) اى الزجر عنه لكون النطق مطلوبا (فالواجب ان يعتبر الشرع والامر) يعنى يعتبر فيه الامر به (والنهى) عنه شرعا (و) من ثم قالوا (السكوت فى وقته صفة الرجال) كأن يسكت خوفا من وقوعه فى الزلل (كما أن النطق فى موضعه من أشرف الخصال) كأن يأمر بتغيير منكر او يتكلم بكلمة حق عند من يخاف او يرجى خوفه (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس والصمت من آداب الحضرة قال الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وقال تعالى خبرا عن الجن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فلما حضروه قالوا أنصتوا وقال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الاهمسا وكم بين عبد يسكت تصاونا عن الكذب والغيبة وبين عبد يسكت لاستيلاء سلطان الهيبة عليه) بما يطرقه من الحياء والخجل وغلبة الاحترام وقد يغلب الاحترام على قلب المحترم بالحضور حتى ينسى جميع ما حضر لاجله (وفى معناه أنشدوا

أفكر ما أقول اذا افترقنا ... وأحكم) اى أتقن (دائبا) اى جادا من دأب فلان فى عمله اذا جد وتعب (حجج المقال فأنساها اذا نحن التقينا ... فأنطق حين أنطق بالمحال) الذى لا يفيد الغرض لما يغشى قلبى من احترام الحال او الفرح بالقرب والنوال فيشغلنى لذة الاجتماع عن ايراد ما حررته فى فكرى

النطق بدون اذن شرعى اصل الزجر عنه يؤثر فى الامتناع منه وانما اقتصر على ضرر اللسان الدنيوى وان كانت غوائله الدينية أشد باضعاف مضاعفة عملا بالمألوف المحسوس والله أعلم (قوله الصمت سلامة) اى سبب السلامة وقوله وهو الاولى أى والصمت الذى هو سبب السلامة الاولى للعبد تقديمه على الغنيمة لان ذلك من قبيل قولهم درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وقوله وهى اى السلامة الاصل اى أصل ما يبقى عليه العبد من أعماله وقوله اذلاغنيمة الابعد السلامة علة لما قبله من قوله وهى الاصل وقوله فكل غانم سالم اى جريا على تقديم السلامة على الغنيمة ولا يلزم العكس مطلقا بل على الوجه المذكور (قوله وعليه اى الصمت ندامة الخ) محصله ان كلا من الصمت والكلام يعتبر فيهما حكم الشرع أمرا ونهيا فيدوران مع حكم الشرع فيهما (قوله ومن ثم) أى من جهة ان المعتبر فيهما حكم الشرع قالوا السكوت الخ (قوله من سكت عن الحق) اى حيث كان مع قوله يجدى ولا يترتب عليه فتنة ولا ضرر (قوله والصمت من آداب الحضرة) اى من آداب اهل الحضور ممن يدوم على حال المراقبة له تعالى فى جميع حركاتهم وسكناتهم مثل الزهاد والعباد وأصحاب الاوراد ممن لم يتم لهم الشهود ولم يتحقق عندهم الورود اما الكاملون فى مقام العرفان المشاهدون مشاهد العيان ممن غلبت على قلوبهم غلبات الحقيقة فلا يبالون بالنطق حيث انهم قد تحققوا بالحق (قوله قال تعالى الخ) جميع ما أورده من الآيات المذكورة القصد به الاستئناس لحكم الباب لا أدلة حقيقية له (قوله قال الله تعالى واذا قرئ القرآن الخ) حمله امامنا الشافعى رضى الله عنه على الخطبة للادلة التى ثبتت عنده من السنة (قوله وكم بين عبد يسكت الخ) أقول تجليات المقامات تختلف باختلاف همم العبيد فتارة توجب صمتا وسكونا وأخرى نطقا بمظاهر العظمة والجبروت بل قد يتعاقب ذلك بالنسبة للعبد الواحد بحسب تجلى وقته ثم التعبير تارة يكون عن حقيقة بلا تحقق وذلك حال العلماء واهل البداية فهو يفيد العلم والفهم دون التأثر والتأثير وتارة يكون عن حقيقة مع تحقق وهو حال اهل المعرفة فيفيد التأثير والانفعال ومن عليك السلام (قوله تصاونا عن الكذب والغيبة الخ) واعلم أن هذا المقام أقل وأدون مما بعده ومع ذلك فهو عزيز جدا باعتبار اهل زماننا فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله لاستيلاء سلطان الهيبة الخ) اى هيبة من له الامر والنهى وهو الحق تعالى اما السكوت لهيبة المماثل من الخلق فقد يكون حسنا او قبيحا وذلك باعتبار المسكوت عنه فافهم (قوله أفكر ما أقول الخ) أى أشغل فكرى فى الذى أقوله للحبيب اذا التقينا بعد المفارقة وأتعب نفسى فى اتقان حجج المقال له ثم انا اذا التقينا أنسى ما اتقنته من تلك الحجج لغلبة سلطان

(وأنشدوا) فى معناه ايضا (فيا ليل) مرخم ليلى (كم من حاجة لى مهمة *) أريد أن أذكرها لكم (اذا جئتكم لم ادر ياليل ماهيا) لما حصل لى من لذة الاجتماع (وأنشدوا) فيه ايضا (وكم حديث) أريد أن أذكره (لك) ويستقر عندى (حتى اذا * مكنت من لقياك أنسيته) وقد يكون صمت ١٨٠ العبد لما يصرف قلبه من الدهش عند سماع الخطاب ممن يجله حتى يعجز عن الجواب كما دل عليه قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل الآية وسيأتى هذا فى كلامه مع ما فيه (والسكوت على ضربين سكوت بالظاهر) وهو سكوت اللسان (وسكوت بالقلب والضمائر) وهو هو القلب وعطف الضمائر وهى القلوب على القلب لاختلافهما لفظا كما فى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكما أن سكوت اللسان يختلف تارة لخوف الزلل وتارة لاشتغاله بما هو أهم مما أراده كذلك القلب قد يكون سكونه للوثوق بالضمان وهو سكوت المتوكل وقد يكون للرضا بما يجريه الحق عليه مما سبق فى الازل وهو سكوت العارف (فالمتوكل يسكت قلبه عن تقاضى الارزاق) لما وعد به من ضمانها من مولاه فلا يخشى فواتها (والعارف يسكت قلبه مقابلة للحكم بنعت الوفاق) اى الموافقة لاوامر الله ونواهيه (فهذا) اى المتوكل (بجميل صنعه واثق) لعلمه بأن ضامنه يوفى بضمانه (وهذا) اى العارف (بجميع حكمه قانع) راض لا اختياره (وفى معناه قالوا تجرى عليك صروفه *) تعالى اى حوادثه ونوائبه (وهموم سرك مطرقة) راضية (وربما يكون سبب السكوت حيرة البديهة) ودهشتها (فانه اذا ورد) على العبد (كشف على وصف البغتة خرست العبارة عند ذلك فلا بيان ولا نطق

(يوجد فى بعض نسخ المتن بعد قوله أنسيته وأنشدوا

رأيت الكلام يزين الفتى * والصمت خير لمن قد صمت * فكم من حروف تجر الحتوف * ومن ناطق ود أن لو سكت اه مصححه)

هيبته او محبته على ما نطق وقت ذلك بالمحال لفساد فكره بسبب ما تقدم (قوله فيا ليل) هو وما بعده قريب مما قبله فى المعنى فلا حاجة الى تكرار القول فيه مع وضوحه (قوله من الدهش الخ) الدهش حالة توجب زوال الشعور بسبب ما يفجأ الانسان من الامور العظيمة التى تعجزه عن الجواب لو سئل فى هذه الحالة (قوله والسكوت على ضربين الخ) يريد رضى الله عنه ان متعلق السكوت اللسان والقلب وان الكامل من اقدره الله على سكوتهما وعلى الاكمل الباعث عليهما بالاشتغال بالاهم والرضا بما يجريه الحق من تصاريفه فى العبيد فذلك من أعظم الاسباب التى توجب الترقى الى مقام العارفين المحققين (قوله لاختلافهما لفظا) اى فالاختلاف بحسب اللفظ يسهل العطف الذى وضعه المغايرة فى الذات (قوله لخوف الزلل وقوله بعد لاشتغاله بما هو اهم) يشير بذلك الى مقام المبتدئين وحال الكاملين (قوله للوثوق بالضمان) اى وذلك من أخلاق العامة وقوله وقد يكون للرضا الخ اى وهو من نعوت الخاصة (قوله فالمتوكل يسكت قلبه الخ) قال بعضهم وذلك عند الخواص عمى ورجوع الى الاسباب وذلك لانك رفضت الاسباب ووقفت مع التوكل فصار بدلا عنها فكأنك معلق بما رفضته من حيث اعتقادك الانفصال عنها فحينئذ حقيقة التوكل عند الخاصة الرجوع الى الله فى تخليص القلب من علة التوكل بشاهد ان الله لم يترك شيأ مهملا بل فرغ من تقدير الاشياء فهو المريد وشأنه سوق المقادير فى المواقيت فالتوكل صرف النفس عن النظر ومطالعة السبب سكونا الى ما سبق فى القسمة مع استواء الخلق فالطلب لا يجمع والتوكل لا يمنع فمتى كان بخلاف ذلك كان توكله مدخولا وقصده معلولا فافهم (قوله مقابلة للحكم الخ) اى فيكون سكونه بشاهد العلم حالة كونه فانيا عن مراده استغراقا فى مرادات ربه (قوله لعلمه بأن ضامنه) اى المتكفل برزقه يوفى بضمانه اى يعطى ما تكفل له به من الرزق الذى قسمه له (قوله وهذا اى العارف الخ) اى وذلك لفنائه مراده فى مراد ربه (قوله وفى معناه قالوا الخ) اى فى معنى حال العارف قالوا الخ (قوله وهموم سرك مطرقة الخ) لا تنفك عن سكون الموضوع هو نعت الوفاق لاوامره تعالى ونواهيه (قوله حيرة البديهة الخ) اى وسبب ذلك اما جمال او جلال على ما لا يخفى (قوله فاذا ورد على العبد كشف) اى مكاشفة واشراف على شئ عزيز على وصف البغتة اى على حالة هى مفاجأته بما بغتته ترتب على ذلك عدم التمكن من القول لا ببيان ولا بدونه

وطمست الشواهد هنالك فلا علم ولا حس قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) وهم عالمون بما اجابهم به الامم وقت التبليغ حتى (قالوا لا علم لنا) ويحتمل كما قيل أن يكون هذا أدبا في رد العلم اليه تعالى وانهم لا علم لهم زيادة على علمه بما بلغوه للامم فالمعنى لا علم لنا زائد على ما علمت انك أنت علام الغيوب فليس في الآية ما أشار اليه المصنف من الغيبة وعدم الادراك لانهم قد اجابوا ويحسن ان يوردهنا قوله تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون لان الحق تعالى اذا سأل الامم بقوله ماذا أجبتم المرسلين فأخذتهم صدمة العزة وسطوة السؤال حتى ذهلوا عن الجواب وعن سؤال بعضهم بعضا عن وجه الصواب (فأما ايثار أرباب المجاهدة السكوت) على النطق (فلما علموا ما في الكلام من الآفات ثم) لما علموا (ما فيه من حظ النفس واظهار صفات المدح والميل الى ان تميز بين اشكاله) واقرانه (بحسن النطق وغير هذا من آفات) اللسان (في الخلق وذلك) اى السكوت (نعت أرباب الرياضة وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة) من المقامات (وتهذيب الخلق) ويدل لذلك الخبر الصحيح ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا يهوي بها في نار جهنم وقد قال ابو بكر الصديق لعمر رضي الله عنهما لما رآه آخذا بلسانه وقال له عمر مه غفر الله لك هذا الذي أوردني الموارد وروى ابن عباس آخذا بثمرة لسانه يقول له قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم فحفظ اللسان غالبا من أهم الامور فانه ترجمان ما في القلب وسلامته من الزلل يستلزم تثبته بقلبه وينبغي التحفظ ايضا مما يقوم مقام اللسان من اشارة وكتابة ونحوهما فكم من ساكت هو متكلم

(قوله وطمست الشواهد الخ) اى وانطمسها بواسطة قوة التجلي والوارد الرباني (قوله وهم عالمون الخ) اى وانما أدهشهم عن الجواب ما فاجأهم من خطابه سبحانه وتعالى اياهم فقوله حتى قالوا لا علم لنا اى حين سؤالهم فنفي علمهم باعتبار وقت سؤالهم (قوله زيادة على علمه بما بلغوه الخ) الاولى ان يقول بما أجابهم به الامم بعد ان بلغوهم (قوله فليس في الآية الخ) اى على هذا الاحتمال (قوله ويحسن ان يورد هنا الخ) اى لان فيه الذهول والغيبة عن الجواب بواسطة سطوة السؤال (قوله فاما ايثار أرباب الخ) في قوة جواب عن سؤال في المقام محصله ان في النطق فوائد ومصالح فلم قدم أرباب المجاهدة السكوت عليه فأجاب عنه بقوله فاما ايثار الخ الذي حاصله ان السلامة مقدمة على الغنيمة ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح شعر

وقائلة مالي أراك مجانبا * امورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالي لربحك حاجة * فنحن اناس بالسلامة نفرح

(قوله فلما علموا الخ) يشير الى ان الآفات تحذر ولو كانت باعتبار حقيقة الحال او درجة الكمال (قوله وذلك اى السكوت نعت أرباب الرياضة) اى وأما العارفون ممن تسابق الى قلوبهم الانوار فلا يسكتون بل ينطقون بالحكمة فيؤثر قولهم في قلب السامع حيث انه مقدس الاصل طيب الفرع لان عبارات اللسان تتبع حركات القلوب فمن كان ناقص النور فعبارته عن النقص ومن كان عن هوى فكذلك ومن كان عن نور تام أفاد السامع نورا تاما كذلك فافهم (قوله ويدل لذلك) اى لتقديم السكوت على النطق لكون السلامة فيه وفي النطق قد يكون الضرر في الدنيا بحيث لا يشعر به المتكلم لقوة غفلته وعمى بصيرته (قوله لا يلقي لها بالا الخ) اى لكونه يستخف بها مع انها يترتب عليها انه يهوي بها في نار جهنم لعظم جرمها باعتبار ما في نفس الامر (قوله لما رآه آخذا بلسانه الخ) الضمير المستتر في رأى يعود على عمر والبارز يعود على الصديق فالمعنى لما رأى عمر الصديق آخذا بلسانه وقوله هذا الذي أوردني الخ مقول قول الصديق رضي الله عنه وقوله قبل مه غفر الله لك مقول قول عمر (قوله وروى ابن عباس الخ) الشاهد فيه قوله واسكت عن شر تسلم (قوله غالبا) احترز به عما اذا طلب القول بشاهد علم الشريعة (قوله فانه ترجمان الخ) اى فهو من امارات ما عليه الانسان من الاخلاق والاحوال اذ من مال قلبه الى شيء تفوه به لسانه غالبا (قوله يستلزم تثبته بقلبه) اى ولذلك قيل لسان العاقل في قلبه وقلب الجاهل في لسانه (قوله وينبغي التحفظ الخ) اى لحكم ما يقوم مقام اللسان حكم اللسان لان غوائل اللسان تعرض له ايضا

(وقيل ان داود الطائى رحمه الله لما أراد أن يقعد) اى يعتزل (فى بيته) ليسلم من آفات اللسان فى الجدال والخصام (اعتقد) اى عزم على (ان يحضر مجالس ابى حنيفة رحمه الله اذ كان تلميذاله ويقعد بين اقرانه) من العلماء (ولا يتكلم فى مسئلة) اى لما اراد ذلك قال لنفسه لا اختلى حتى أجالس أصحابى الذين كنت اجالسهم فى الفقه سنة ولا اتكلم فجلس معهم ولم يتكلم بحيث كانت تمر به المسئلة وهو اشهى الى الكلام فيها من العطشان الى الماء البارد ولا يتكلم (فلما قوى نفسه على ممارسة هذه الخصلة) وهى الصمت (سنة كاملة قعد فى بيته عند ١٨٢ ذلك وآثر العزلة) على الخلطة ومن لم يجاهد نفسه الى ان تتغير أخلاقه الذميمة الى الجميلة لا يفيده مجرد حبسها فانه اذا حبسها بغير قصد رياضة أخلاقه ثم سيبها رجعت الى حالها وكانت سلامته وقت حبسها تامة واخلاقه الذميمة باقية (وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا كتب كتابا واستحسن لفظه مزق الكتاب وغيره) بكتابة غيره خوفا من العجب وأخذا بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول اخبرنا عبد الله بن محمد الرازى قال حدثنا ابو العباس محمد بن اسحق السراج قال سمعت احمد ابن الفتح يقول سمعت بشر بن الحرث يقول اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم) لان فى ذلك مخالفة لهوى النفس وردا لها عن هواها واعجابها باحدهما يكون اما لاستحسانها للشئ ولو كان ما استحسنته لا يخالف الشرع لكنه يحملها على الشغل به عما هو أولى منه او لاضافة ما استحسنته اليها ومدحها عليه ونسيان كونه (قوله من فضل الله (وقال سهل بن عبد الله لا يصح لاحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة) غالبا لان الصمت مع خلطة الناس متعذر غالبا فاذا خلا بنفسه حتى تعود السكوت امكنه ان يسكت مع الخلطة وقد يمن الله تعالى على العبد بالقوة على مخالفة النفس فيصمت مع الخلطة وان لم يتقدمه خلوة (ولا تصح له التوبة) من فضول الكلام وزلل اللسان (حتى يلزم نفسه الصمت) غالبا لان الغالب ان من كثر كلامه كثر خطؤه (وقال ابو بكر الفارسى من لم يكن الصمت وطنه) اى مقامه بأن لم يصمت بقلبه ولسانه وسائر جوارحه (فهو فى الفضول) بكثرة اقواله ووساوسه وتشعب أفكاره

(قوله وقيل ان داود الخ) تقدم الكلام على ذلك وانما أعاده لمناسبة المقام (قوله ليسلم من آفات اللسان فى الجدال الخ) قال بعضهم شعرا

اياك اياك المراء فانه • الى الشر دعاء وللشر جالب

(قوله قال لنفسه الخ) اى فلا بد من مجاهدة النفس قبل الخلوة والعزلة حتى تثمر خلوته الفوائد والا كانت مجرد حبس للنفس بدون ثمرة تدوم (قوله وكان عمر الخ) فيه تنبيه على قوة مراقبته لافعال نفسه رضى الله تعالى عنه (قوله ونهى النفس عن الهوى) اى فالخير كله فى مخالفة الهوى كما ان الشر كله فى موافقته (قوله اذا أعجبك الكلام فاصمت الخ) محصله الحث على مخالفة ما تدعو اليه النفس وما تميل اليه ولو كان ميلها بشاهد العلم وذلك لاجل البعد عن حظوظها خشية من دسائسها (قوله واعجابها الخ) شروع فى بيان وجه طلب مخالفة النفس بايضاح دليله (قوله لكنه يحملها على الشغل به) اى وذلك حجاب يحجب عما هو أولى منه وهو الشغل بمن تفضل بذلك عليه (قوله حتى يلزم نفسه الخلوة) اى لانها من جملة رياضة النفس وتمرينها على دوام السكوت ومن الاسباب المسهلة له (قوله متعذر غالبا) احترز به عن النادر بالنسبة لبعض الكمل (قوله وقد يمن الله تعالى الخ) مفهوم قوله قبله غالبا وقوله فيصمت مع الخلطة اى مثل ما تقدم عن داود الطائى (قوله حتى يلزم نفسه الصمت) اى سواء كان الكلام عاديا او شرعيا اوغير ذلك لان الالفاظ حلية المعانى والمعانى قلبية وما يبرز من بساط يظهر أثره فيه والعبد قبل الخلوة والتوبة لم يتقدس قلبه فيخشى عليه من عطب العبارة ولذا قيل الناس ثلاثة متكلم مجموع ومتكلم مسموع ومتكلم مدفوع فالمجموع ما تنفع عبارته وتؤثر اشارته والمسموع ما تستحلى عبارته وتفهم اشارته والمدفوع ما تمجه الاسماع ولا يحصل به انتفاع والله أعلم (قوله لان الغالب الخ) ومنه ما اشتهر من كثر لغطه كثر سقطه اى زلله (قوله فهو فى الفضول) اى فالسلامة فى السكوت باللسان والقلب على معنى انه لا يخوض فيما لا يعنيه قولا وفعلا قالبا وقلبا ويقف مع الحدود التى حدها الشرع

لانه اذا كان مشغولا باعلام غيره بما تضمنه قلبه كان متكلما (وان كان صامتا) بلسانه لانه تارة يشير الى مقصوده بيده وتارة بعينه وتارة بغيرهما كما مر ولهذا قال (والصمت ليس بمخصوص) وقوعه (على اللسان لكنه) يقع ايضا (على القلب والجوارح كلها وقال بعضهم من لم يستغنم السكوت) اى لم يعرف فضيلته و يعده غنيمة (فاذا نطق نطق بلغو) لقلة خوفه من آفات اللسان (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ممشاد الدينورى يقول الحكماء ورثوا) بكسر الراء (الحكمة بالصمت والتفكر) لان الحكمة وضع الشئ فى محله فمن لم يثبت بقلبه وجوارحه ١٨٣ حتى يعرف الصواب من الخطا لم يكن حكيما ووقع فى الخطا (وسئل ابو بكر الفارسى عن صمت السر) وهو جمع العبد همته على ماهو الاولى به (فقال ترك الاشتغال بالماضى والمستقبل) بان يجمع العبد همه على ماهو الاولى به فى وقته (و) لهذا (قال ابو بكر الفارسى اذا كان العبد ناطقا فيما يعنيه وفيما لابد منه فهو فى حد الصمت) اى لافضول عنده وان كان ناطقا فيما لايعنيه فليس بصامت والحاصل ان كلامه وفكره فيما يحتاج اليه لايخرجه عن الصمت وفيما لايحتاج اليه يخرجه عنه وان سكت بلسانه (وروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال كلم الناس قليلا وكلم ربك) اى اذكره (كثيرا لعل قلبك يرى الله تعالى) فاذا كنت من الدائبين على ذكره كنت ممن يعبد الله كانه يراه ومن لايقصد فى حوائجه سواه ويلزم من ذلك عادة أن لايكلم الناس الا لحاجة مهمة (وقيل لذى النون المصرى من أصون الناس لنفسه) من الوقوع فى الآفات كالغيبة والنميمة (فقال املكهم للسانه) لان من ملك لسانه حتى لايتكلم الا بما يثاب عليه فقد سلم من الآفات وصان نفسه عن الوقوع فيها (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (ما من شئ) من الجوارح (بطول السجن أحق من اللسان) اى أحق منه مبذلك (و) لهذا (قال على بن بكار جعل الله لكل شئ) من الجوارح غير اللسان (بابين) يعنى مصراعين (وجعل اللسان أربعة أبواب) بمعنى مصاريع (فالشفتان مصراعان والاسنان) العليا والسفلى (مصراعان) غرادهان ماعدا اللسان من الجوارح يكفى فيه باب واحد له مصراعان وان اللسان لايكفى فيه الا بابان لكل باب مصراعان

(قوله كان متكلما) اى بالقوة لا بالفعل (قوله والصمت ليس بمخصوص الخ) اقول بحسب ذوقى ان صمت القلب صمت لغيره فهو السبب الاقوى فى صمت اللسان وباقى الجوارح (قوله من لم يستغنم السكوت الخ) اقول فيه مبالغة حيث جعل السلامة غنيمة (قوله ورثوا الحكمة الخ) اى فالصمت مع التفكر هو ماء حياة شجرة الحكمة بسبب مايرد على القلب فى حالتهما من واردات الرب سبحانه وتعالى (قوله فمن لم يثبت الخ) فيه ارشاد شرعى وسياسى وذوقى فعلى الكيس الحاذق أن يتفكر و يتذكر قبل أن يتكلم فان وجد خيرا أقدم والا أحجم (قوله فقال ترك الاشتغال الخ) محصله عدم تضييع الحال بما لايجدى من الماضى والاستقبال فالمقصود من العبد قصر قوله على مايعنيه فيكون حينئذ فى حد الصمت وبضدها تتميز الاشياء (قوله والحاصل الخ) اى حاصل المقصود من الصمت حصر القول والفكر فيما يعنى فى الوقت الحاضر لا مجرد السكوت فمن اشتغل بما يعنيه كان فى حد الصمت ولو كان متكلما ومن اشتغل بما لايعنيه خرج عن حد الصمت وان كان ساكتا (قوله كلم الناس قليلا الخ) من اشارته يعلم ان الخير فى قلة اللغو وكثرة الذكر فهى مدارج يترقى عليها العبد حتى يصل الى مقام الاحسان والقرب (قوله لعل قلبك يرى الله) اى لعله يحصل له حال المراقبة فى جميع حركاته وسكناته (قوله ويلزم من ذلك الخ) اى باعتبار حال العامة اما الخاصة فلا حاجة ولا ضرورة تدعوهم الى غيره تعالى لان ذلك عندهم نقص وتفرق وعمى بصيرة والله اعلم (قوله فقال املكهم للسانه) فيه تنبيه على ان ذلك من أقوى أسباب السلوك والتهيؤ لخدمة الملوك واعلم أن محل ماذكر اذا لم يكن فى الكلام اذن شرعى او ذوقى والا فالكلام أفضل وامارة الاذن الشرعى تعلق الامر به وجوبا او ندبا وامارة الاذن الذوقى انطلاق اللسان بدون احتشام قال الشاذلى نفعنا الله ببركات علومه الولى يكون مشحونا بالعلم والحقائق لديه مشهورة حتى اذا أعطى العبارة كان كالاذن من الله تعالى له اه (قوله أحق من اللسان) اى لان غوائله من أكبر مفسدات الدين كالغيبة والنميمة وغيرهما من كبائر الذنوب (قوله وجعل للسان الخ) فيه تنبيه للعبد على دوام مراقبته لاقواله

فعلم ان اللسان أحق بالسجن من غيره وقيل لبعضهم ما اجلوسك فى هذه الصومعة فقال لست براهب وانما أنا حارس كاب لسانى سبع ضار ان أطلقته آذانى وآذى الناس (وقيل ان ابابكر الصديق رضى الله تعالى عنه كان يمسك فى فيه حجرا كذا كذا سنة ليقل كلامه) لانه كلما تحرك الحجر فى فيه تذكر به ما جعله فيه فيشتد حذره من زلل اللسان واذا كان هذا حذر من سماه النبى صلى الله عليه وسلم صديقا لمبالغته فى الصدق قولا وفعلا فكيف بغيره ممن لا يقع منه الصدق الا نادرا (وقيل ان اباحمزة البغدادى رحمه الله كان حسن الكلام فهتف به هاتف فقال له تكلمت وأحسنت بقى) عليك (ان تسكت فتحسن فما تكلم بعد ذلك) بكلام لا يثاب عليه (حتى مات ومات قريبا من هذه الحالة) اى حالة سكوته (على رأس اسبوع او أقل) منه (او أكثر) نبهه الهاتف على ان يجمع لنفسه بين احسانه فى سكوته وكلامه فاحسانه فى سكوته ان يسكت عما لا يثاب عليه وفى كلامه ان يتكلم بما يثاب عليه (وربما يكون السكوت يقع ١٨٤ على المتكلم) اى يطلب منه (تأديبا له لانه أساء أدبه فى شئ) ارتكبه كان استحسن حاله ومقاله وأضاف ذلك الى نفسه ونسى كونه من فضل ربه (كان الشبلى اذا قعد فى حلقته) مع أصحابه (ولا يسألونه) فى الكلام (يقول ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون وربما يقع السكوت على المتكلم لان فى القوم من هو أولى منه بالكلام) فيما هو فيه (سمعت ابن السماك رحمه الله يقول كان بين شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ صداقة فجمعهما بلد فكان شاه لا يحضر مجلسه فقيل له فى ذلك فقال الصواب هذا) اى ان لا أحضره (فما زالوا به حتى حضر يوما مجلسه وقعد ناحية لا يشعر به يحيى بن معاذ فلما أخذ يحيى بن معاذ فى الكلام سكت ثم قال ههنا من هو اولى بالكلام منى وأرتج عليه) اى تعذر عليه الكلام كانه أطبق عليه كما يرتج الباب اى يغلق (فقال) لهم (شاه قلت لكم الصواب ان لا أحضر مجلسه) (قوله فأيتم نبه الحق تعالى بذلك يحيى ليتأدب ويبحث عن مجلسه ليعطيه حقه وينزله منزلته ويكون متعلما منه لا معلما له (وربما يقع السكوت على المتكلم لمعنى فى الحاضرين وهو انه يكون هناك من ليس بأهل لسماع ذلك الكلام) بأن لا يستحقه (فيصون الله تعالى لسان المتكلم) عن ان يلقى ذلك الكلام لغير أهله (غيرة) عليه (وصيانة لذلك الكلام عن غير أهله) كما حكى عن عيسى عليه السلام انه قال لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها بوضعها فى غير محلها فيفوت الانتفاع بها (وربما كان سبب السكوت الذى يقع على المتكلم)

وافعاله وعليه ان يزيد فى مراقبته للسانه حذرا من فلتاته (قوله لسانى سبع الخ) جملة مستأنفة أفاد بها ان اللسان قد تكون أذيته بالغة فى الضرر والتشبيه انما هو فى مطلق الضرر وان كان ضرر المشبه يعود على النفس كالغير (قوله كان يمسك فى فيه الخ) اقول واذا ثبت ذلك عن الصديق الاكبر فكيف يكون الحال بالنسبة لامثالنا ممن لا يذكر فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله يقع على المتكلم الخ) اى مع ثبوت الفضيلة فى الكلام وقوله لانه أساء أدبه فى شئ اى كأن تكلم بدون اذن له فيه اذ القلوب معادن الاسرار فاذا برزت المعانى منها بدون اذن برزت ظلمانية كالشمس زمن الكسوف لا تكاد تقبل لثقلها ولا تفهم لبعدها ولا تسمع لحجابها قال ابو الحسن كلام المأذون له يخرج وعليه حلاوة وطلاوة وكسوة وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من احدهما وترد على الآخر (قوله كان الشبلى الخ) محصله الاشارة الى ان السكوت عن سؤال أسباب النجاة وطرق الوصول يكون سببه غفلات حصلت للمريدين فى حال سيرهم وسلوكهم (قوله لان فى القوم الخ) اى فيكون حق العبد السماع لمن هو أكبر منه فلا يتكلم بالحقيقة فى حضرته اذ المستمعون للحقائق عيال على المتكلم فيها وهى أقواتهم منه لانهم يطلبونها لقوام المعانى كما يطلبونه لقوام الابدان وينتفعون بها فى نفوسهم كما ينتفعون بالقوت فى أبدانهم وعلى المتكلم مراعاتهم بما تسعه عقولهم وتقبله قلوبهم رأفة بهم ورحمة (قوله سمعت ابن السماك الخ) تقدمت هذه القصة مع الكلام عليها فلا تغفل وانما أعادها لمناسبة المقام (قوله وأرتج عليه) يقرأ على صيغة المبنى للمجهول (قوله لمعنى فى الحاضرين) اى معنى يوجب نقصانهم وحجابهم عن مقامات المقربين بسبب كثرة ملابستهم لظلمات الغفلات

ان بعض الحاضرين) لا يصلح لهذا الكلام بأن (كان معلوم الله سبحانه من حاله انه) حيث (يسمع ذلك الكلام) يفسد حاله (فيكون) ذلك (فتنة له اما لتوهمه انه) اى الكلام (وقته) وحاله اى المطلوب له (ولا يكون) وقته (او لانه) بسماعه له (يحمل نفسه ما لا يطيق) بأن يكون بحيث لو سمعه لثارت فى قلبه أحوال تكون سبب ضرره وهلاكه لضعفه عن حمل ما يرد عليه (فيرحمه الله عز وجل بأن يحفظ سمعه عن ذلك الكلام اما صيانة له او عصمة عن غلطه) وهذا من باب اللطف بالسامع والشفقة عليه (وقال مشايخ هذه الطريقة ربما يكون السبب فيه) اى فى السكوت عن الكلام (حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن) كالانس (اذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن) يستمعون ١٨٥ لان الجن مكلفون كالانس (سمعت الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله يقول اعتللت) اى مرضت (مرة بمرو فاشتقت) الى (أن أرجع) منها (الى نيسابور فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى لا يمكنك أن تخرج من هذا البلد فان جماعة من الجن استحلوا كلامك) واستمعوا به (ويحضرون مجالسك فلاجلهم تجلس ههنا) ولا تسافر (وقال بعض الحكماء رحمهم الله (انما خلق للانسان لسان واحد وعينان واذنان ليسمع ويبصر أكثر مما يقول) اى فينبغى أن يكون كلامه أقل من سماعه ورؤيته ولذلك حكمة أخرى وهو ان العبد لما احتاج ان يسمع ويرى من جهتيه تفضل عليه الحق بعينين وأذنين وأما اللسان فترجمان عما فى الضمير فلا يحتاج الى تعدده (ودعى ابراهيم بن أدهم الى دعوة فلما جلس) مع القوم عليها (أخذوا فى الغيبة فقال عندنا يؤكل الخبز قبل اللحم وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم أشار) بذلك (الى قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) هذا من باب التلطف فى التنبيه على انكار الغيبة وهو مطلوب لا سيما اذا كان من تكلم لا يحتمل الامر والنهى لعظمته فى نفسه أو لصغر قدر الآمر والناهى والاولى بمن ابتلى بذلك أن يعدل الى الحكايات والامثال لتنبيه المغتاب من نفسه على زلله وينكف عن غيبته فان عجز عن ذلك عرض بحديث آخر غير ما هم فيه ليشتغل المغتابون عما هم فيه (وقال بعضهم الصمت) عن مكافأة المؤذى (لسان الحلم) أى يدل على حلم من أوذى (وقال بعضهم تعلم الصمت كما تتعلم الكلام) لتوقع كلامك موافقا محله (فان كان الكلام يهديك) الى الخير (فان الصمت يقيك) الشر

(قوله ان بعض الحاضرين الخ) محصله ان السبب اللطف بالسامع او ارادة حفظه من الغلط رحمة من الله وفضلا (قوله اما لتوهمه انه وقته الخ) اى فيكون فى هذه الحالة متشبعا بما لم ينل ممن يقال له طرماذ على ما حكاه ابو عمرو الزاهد فى كتاب اليواقيت وانشد عليه لبعض الرجاز شعرا

سلت فى يومى على معاذ * سلام طرماذ على طرماذ

(قوله او لانه بسماعه له يحمل نفسه الخ) اى مع ان المطلوب منه حمله على الجد فى العبادة تدريجا لا دفعة خوف الملل (قوله كالانس) اقول بل ربما كان الانس اقوى فى ذلك باعتبار ما هو مشاهد فى اهل وقتنا (قوله فرأيت فى المنام الخ) اى فحبسه عن الخروج يلزم منه حبس نطقه عن غير هذا المنتفع (قوله انما خلق للانسان الخ) محصله ان حكمة وحدة اللسان هى الاشارة الى طلب قلة النطق طلبا للسلامة التى هى مقدمة على الغنيمة (قوله ان يكون كلامه اقل الخ) اى لان السماع والابصار للمشروعات من نوع الغنيمة وقلة القول ولو مشروعا من طرق السلامة والسلامة مقدمة (قوله من جهتيه الخ) التثنية باعتبار كل من سمعه و بصره فلكل جهة وذلك لا ينافى ان الادراك بالسمع من الجهات كلها فالجهة بالاضافة الى السمع من قبيل المفرد المضاف (قوله فترجمان عما فى الضمير) أى وهو واحد فناسبه وحدة اللسان (قوله وهو مطلوب) أى لكونه من الاخلاق المحمدية اذ ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كره شيأ من أحد لم يشافهه بالزجر بل كان يقول ما بال أقوام يفعلون كذا (قوله بمن ابتلى بذلك الخ) الاشارة الى من لا يحتمل الامر والنهى لعظمته فى نفسه أو لصغر قدر الآمر والناهى (قوله فان عجز عن ذلك) أى عن الحكايات والامثال ومثل ذلك ما اذا علم عدم نفعها وقوله عرض الخ أى لان ذلك كله من قبيل النصح مع الاخوان المؤمنين وهو واجب شرعى (قوله الصمت عن مكافأة المؤذى الخ) أى ومحله اذا كان فيما يخص

وان كانت الوقاية دون الهداية ولهذا قيل اذا كان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب (وقيل عفة اللسان صمته وقيل مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك) وعلى غيرك (وسئل أبو حفص اى الحالين للولى أفضل الصمت أو النطق فقال لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت ان استطاع عمر نوح) ليسلم (ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله عز وجل ضعفى عمر نوح حتى ينطق) اى يهتدى الى الخير (وقيل صمت العوام) يكون (بألسنتهم) عن فضول الكلام (وصمت العارفين) يكون (بقلوبهم) عن فضول الفكرة فى غير المرام (وصمت المحبين) يكون (بالتحفظ من خواطر أسرارهم) أن تشير الى غير محبوبهم (وقيل لبعضهم تكلم فقال ليس لى لسان فأتكلم فقيل له اسمع فقال ليس فى مكان فاسمع) أشار بذلك اما الى التبرى من الحول والقوة فى سائر حركاته وسكناته ومعانيه القائمة به أو الى استغراقه فيما أنعم الله به عليه حتى شغله به عن غيره (وقال بعضهم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع لسانى الا من قلبى) لكونى أتثبت بقلبى فلا أنطق الا بما صح فيه ووزنته بميزان الشرع (ثم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع قلبى الا من لسانى) لانى لما سهلت على المعانى وصارت العلوم والحكم نصب عينى وصار الحق يجريها تفضلا على من غير احتياج الى تفكر صار قلبى يسمع من لسانى أى ينتفع ويعيش بما أجراه الحق عليه (وقال بعضهم لو أسكت لسانك لم تنج من كلام قلبك) لان الكلام فى الفؤاد واللسان مترجم عما فيه وما فيه هو حديث النفس ولا تقدر على اسكاته (ولو صرت رميما لم تخلص من حديث نفسك) فكيف تقدر على اسكاته وأما الروح فهى عند جماعة من الصوفية معنى له تعلق بالله تعالى وصفاته ونيل قربه منه ومناجاته وعند كثير منهم كما مر بيانه أول الكتاب مع زيادة جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه فلا التفات لها الى حديث النفس لكمال شغلها عنه ولهذا قال (ولو جهدت كل الجهد) فى ان تكلمك روحك

الانسان من الحقوق لان العفو فى حقه أفضل من المكافأة لا اذا كان فيه حق للحق فلا يعد الصمت عنه من الحلم بل هو من الجهل (قوله وان كانت الوقاية دون الهداية) أى وذلك لان الوقاية من نوع السلامة وهى مقدمة على الغنيمة كالهداية وانما قدمت الوقاية مع انها أقل من الهداية بعدا عن خطر الهداية (قوله وقيل عفة اللسان الخ) أى فالعفة كما تثبت للنفس والجملة تثبت أيضا للجوارح (قوله وقيل مثل اللسان الخ) اى فله العدوى مثل السبع بل هو اضر اذ عدوى السبع على الغير فقط وعدوى اللسان على النفس وعلى الغير على ان ضرر السبع دنيوى وضرر اللسان دينى ودنيوى ولا يخفى الفرق (قوله لو علم الناطق الخ) أى فلكل من النطق والصمت ضرر فعلى المكلف العمل فيهما بالهدى المحمدى ليغنم او يسلم فافهم (قوله عن فضول الفكرة) أى مثل التفكر فيما نهى عنه أو كان نقصا بالنسبة لحال المتفكر ومقامه (قوله وصمت المحبين الخ) اى ولذلك قال سيد العشاق فى تائيته

ولو خطرت لى فى سواك ارادة • على خاطرى سهوا قضيت بردتى

ومراده بالردة الرجوع عما يلزم لمقام المحبة لا المتعارفة كما لا يخفى (قوله اما الى التبرى الخ) أى لفنائه عن أفعال نفسه فى أفعال الحق تعالى بواسطة ترقيه الى مقام الجمع وقوله أو الى استغراقه الخ أى بواسطة فنائه عن نفسه أيضا بوصوله الى مقام جمع الجمع (قوله وقال بعضهم مكثت الخ) فيه تنبيه على كمال طهارة أسراره وزيادة اشراق أنواره حيث ترقى الى درجة استفتاء القلوب وأخذ الحكم من حقيقة المطلوب فكان نفعنا الله به ممن عنى السيد الكامل صلى الله عليه وسلم بقوله استفت قلبك الحديث فافهم (قوله لو أسكت لسانك الخ) يشير الى أنه ينبغى للعبد الرجوع الى الحق فى حفظه نفسا وجوارحا ظاهرة وباطنة اذ لا قدرة على شئ من ذلك الا له تعالى (قوله وأما الروح الخ) ذكرها فى مقابلة النفس بناء على تغايرهما وقد قيل بذلك فى طريق القوم فان النفس عندهم هى متعلق المجاهدات حتى تفنى عن حظوظها وتصل الى مقام شرفها وأما الروح فهى بذاتها من عالم النور لا تلابس شيأ من الظلمات والله أعلم (قوله غير داخل فيه الخ)

أى وذلك لانها من المجردات على ما عليه أهل التحقيق (قوله لانها كائنة للسر) اى ولهذا كانت من عالم الغيب والامر بشاهد قوله جل اسمه قل الروح من أمر ربى (قوله بل لابد أن يقطع الخ) أى لحقيقة الزهد الاعراض عن جميع حظوظ النفس وحظوظ الجوارح الظاهرة والباطنة (قوله وقيل لسان الجاهل مفتاح حتفه) أى سبب فى موته وذلك لانه يفوه من غير قلبه أو عن قلبه المظلم بظلمات المخالفات والجهالات بسائر العلوم اللازمة لصفاء القلوب وزيادة تذكرها ويقظتها واعلم انه لما كانت فلتات الجوارح غير اللسان يمكن تلافيها وتداركها ولا كذلك اللسان كانت جرائمه أهلك للنفس فعلى العاقل مراعاة حفظه دائما وأبدا ولهذا قيل ما ندم من سكت فتدبر (قوله اذا سكت الخ) حمله الشارح على ذكر اللسان وذلك من نوع القصور فالاولى حمله على الاعم من ذكر اللسان والقلب بل عادة المحبين لزيادة غيرتهم على محبوبهم يكون ذكرهم له قلبيا قال الشاعر

أغالط عذالى اذا ذكرواله * حديثا كأنى لا أحب له ذكرا

(قوله فلا يمكنه السكوت عنه) أى لان حياته انما تكون بدوام ذكر محبوبه ولهذا المشهد أشار العارف الفارضى حيث قال فى ميميته

أدر ذكر من أهوى ولو بملامى * فان أحاديث الحبيب مدامى
ليشهد سمعى من أحب وان نأى * بطيف سلام لا بطيف منامى
فلى ذكرها يحلو على كل صيغة * وان مزجوه عذلى بخصام

الى آخر ما قال (قوله والعارف اذا سكت عن ذكر معروفه ملك) أى لان المحبة اذا صدقت لا تظهر على المحب العارف بلفظه وانما تلوح على شمائله ولحظه فلا يفهم حقيقتها من المحب سوى المحبوب ولا يطلع على أسرارها الا المقرب المطلوب ولذا قيل شعرا

تشير فأدرى ما تقول بطرفها * وأطرق طرفى عند ذاك فتعلم

وذلك لان محبة الخواص من العارفين خاطفة تقطع العبارة وتدق الاشارة فلا تتضح بالنعوت ولا تعرف الا بالحيرة والسكوت فافهم (قوله من عد كلامه من عمله الخ) أى وذلك لانه قد ذاق العلم ووفق للعمل به فعلم ان حصائد اللسان مهلكة قد توجب القتل بل الخلود فى النار مع القتل أعاذنا الله من ذلك

*(باب الخوف)

هو فزع القلب الخ أقول ذلك باعتبار العامة اما الخاصة رضى الله تعالى عنهم فلا خوف عندهم ولا حزن وذلك لانهم يعدون الوعيد وعدا والعذاب عذبا لانهم يشهدون المبلى فى البلاء والمعذب بكسر الذال المعجمة فى العذاب فقد عدموا ما وجدوا فى جانب ما شاهدوا ومن أجل ذلك قال قائلهم شعرا

سقمى فى الحب عافيتى * ووجودى فى الهوى عدمى

(قوله وسببه تفكر العبد الخ) أقول ذلك بحسب الظاهر فى الوجود الخارجى والا

(لم تكلمك روحك لانها كائنة للسر) والمراد ان العبد اذا صمت بلسانه لا يكتفى به بل لا بد أن يقطع عن نفسه فضول الفكر عن قلبه (وقيل لسان الجاهل مفتاح حتفه) يعنى قتله بسبب عثرة لسانه ففيه تنبيه على التحذير من كثرة الكلام وقد يغلط اللسان غلطة يكون فيها قتل النفس وهلاكها فى الدنيا وفى الآخرة (وقيل المحب اذا سكت) عن ذكر محبوبه (هلك) بقلقه بنيران شوقه اليه فلا يمكنه السكوت عنه بل يتروح من كربه ويستريح من شدة حبه عنه بما يجرى به الحق على لسانه من ذكره (والعارف اذا سكت) عن ذكر معروفه (ملك) بما منحه من شريف أحواله اذ شأن العارف الكامل شغل بربه الكتمان لما وجد وشأن المحب الهيمان طلبا لما فقد (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول سمعت مردويه الصائغ يقول سمعت الفضيل بن عياض رحمه الله يقول من عد كلامه من عمله) الذى يحاسبه الله عليه ويسأله عنه (قل كلامه) لكونه يتثبت فيه خوفا من عاقبته فلا يتكلم (الا فيما يعنيه) أى يحتاج اليه

(باب الخوف)

هو فزع القلب من مكروه يناله أو محبوب يفوته كما سيأتى وسببه تفكر العبد فى المخوفات

فالسبب فى الحقيقة انما هو سابق عناية الله تعالى واحسانه حيث وفق العبد الى هذا المقام الجليل (قوله كتفكره فى تقصيره الخ) أفاد بذلك ان الخوف يختلف باختلاف أحوال الخائفين قوة وضعفا فقد يكون الخوف من سطوات الوعيد أو من فوات أمر سديد أو من خوف الحجاب والبعد عن درجة الاحباب وعلى كل حال هو من أسباب الخيرات وتزايد الحسنات (قوله والخوف ممدوح) أى الثناء على الخائف اللازم منه طلبه (قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا) المراد بالطمع انما هو الرجاء الذى هو تعلق القلب بمرغوب فيه مع الاخذ فى الاسباب وذلك لان الطمع مذموم عقلا وشرعا كما لا يخفى ووجه الدلالة من الآيات المذكورة الثناء على الخائفين وما أعده الحق تعالى للخائف فيها (قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان) شروع فى تعداد النعم الفائضة على المؤمنين فى الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم فى الدنيا منها سواء الدينية والدنيوية ومقام الرب سبحانه وتعالى موقفه الذى تقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحوال العباد من قام عليه اذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل أو هو مقحم للتعظيم والمراد بقوله تعالى جنتان يحتمل انه على معنى ان للخائف الانسى جنة وللخائف الجنى جنة فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد منكما جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصى أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل عليه بها أو روحانية وجسمانية (قوله ويدعوننا رغبا ورهبا) أى راغبين فى الثواب وراجين الاجابة أو راغبين فى الطاعة وخائفين من العقاب والمعصية أو للرغبة والرهبة وكانوا لنا خاشعين أى مخبتين متضرعين أى دائمى الوجل وحاصل المعنى ان الانبياء المذكورين نالوا ما نالوا من احسان الله تعالى بسبب اتصافهم بهذه الصفات الحميدة المذكورة فى الآية الشريفة فمن كان من هذه الامة على مثل هذه الصفات يثبت له مثل أو قريب مما ثبت لهم صلوات الله وسلامه عليهم غير انه يشترط أن تكون أحوالهم دائرة بين الرجاء والخوف على ما دلت عليه متابعة السيد الكامل صلى الله عليه وسلم لان تحكيم الرجاء دائما أو الخوف دائما مذموم شرعا لما يترتب على كل من التفريط او القنوط وذلك المذكور فى الآية هو المطلوب من العبد فاذا قاموا بما طلبه الحق منهم قام لهم بما طلبه من نفسه لهم فضلا منه واحسانا لان المقصود من العارفين الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية وذلك بالتزام أحكامها ومدار ذلك على أمور ثلاثة التشمير للحقوق والاعراض عن كل مخلوق والاستسلام تحت جريان المقادير والاحكام وقد يعبر عن ذلك بامتثال أمره والاستسلام لقهره وتدبره (قوله لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى) أى لا يدخلها أصلا ان دام على الخوف بمعونة التوفيق أو المراد نار الخلود لا نار التطهير هذا وفى الخبر المذكور تنبيه على فضل الخشية والجهاد بذكر ثمرتهما

كتفكره فى تقصيره واهماله وقلة مراقبته لما يرد عليه وكتفكره فيما ذكره الله فى كتابه من اهلاك من خالفه وما أعده له فى الآخرة وقد يعبر عن الخوف بالفزع والروع والرهب والخيفة والخشية كما سيأتى الاشارة اليه مع زيادة والخوف ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا) وقال ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال ويدعوننا رغبا ورهبا (أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيرى العدل) رحمه الله (قال أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلويه الدقاق) بضم اللام المشددة (قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا عامر بن أبى الفرات قال حدثنا المسعودى عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى بن طلحة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى) أى من خوفه منه

(قوله

(حتى يلج اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد ابدا) رواه الترمذي وقال حسن صحيح والمنخر بفتح الميم وكسرها (حدثنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن ابراهيم المهرجاني قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن الشرقي قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا يحيى بن سعيد القطان ١٨٩ قال حدثنا شعبة قال حدثنا قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم) أي من الاهوال المخوفة (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) رواه الشيخان وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من خاف الله تعالى خافه كل شئ ومن لم يخف الله خاف من كل شئ ثم بين الخوف فقال (الخوف معنى متعلقه) يوجد (في المستقبل لانه) أي العبد (انما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب ولا يكون هذا الا لشئ يحصل في المستقبل فاما ما يكون في الحال موجودا) أو وجد في الماضي (فالخوف لا يتعلق به والخوف من الله سبحانه هو ان يخاف) العبد (أن يعاقبه الله اما في الدنيا واما في الآخرة وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى) فلا تخافوهم (وخافون ان كنتم مؤمنين وقال فاياى فارهبون ومدح المؤمنين) من الملائكة (بالخوف فقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم) فوقيته تعالى ليست بمكان بل بالاجلال والتعظيم وكمال الاقتدار وبتنزيهه عن مماثلته لخلقه وقد يطلق الخوف من فوقهم على العذاب بحذف مضاف أي يخافون عذاب ربهم من فوقهم (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول الخوف) أي مطلقه (على) ثلاث (مراتب الخوف والخشية والهيبة فالخوف من شرط الايمان

(قوله حتى يلج اللبن في الضرع) أي حتى يدخل فيه بعد انفصاله عنه وهو من المحال العادي فالمعنى حينئذ ان من بكى من خشية الله لا يدخل النار أصلا (قوله ولا يجتمع غبار في سبيل الله) أي ابتغاء مرضاة الله ولاعلاء كلمة الله ودخان جهنم في منخري عبد أبدا أي اذا مات في الجهاد أو عاش على سداد التوفيق والعمل بشاهد المتابعة (قوله لو تعلمون ما أعلم الخ) أقول لما كان علمه صلى الله عليه وسلم من علم الشهود علق الحكم به فلا يقال ان الاهوال قد ذكرت مفصلة وذكرت أسبابها كذلك وعلم ذلك المؤمن واطلع عليه ولم يتأثر بشئ من ذلك على ان من يضلل الله فلا هادي له واعلم انه بدوام المتابعة لسيد الانام والجد في العمل والناس نيام تحصل ثمرة اتقاء الخوف اذ العمل على وجه المتابعة يدور على ثلاث حصول البشارة بزوال الخوف والحزن لقوله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية والحياة الطيبة بالرضا والقناعة لقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الآية وظهور رسول الخلافة بتسخير الكائنات لقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية (قوله من خاف الله تعالى الخ) أقول وذلك ظاهر وآثاره جلية اذ من كان كذلك كان تجليه الجلالي وحينئذ متردبرداء الهيبة وبالضد يعلم حكم ضده (قوله معنى متعلقه يوجد في المستقبل) أي فالفزع الذي هو معنى الخوف متعلقه وهو المخوف منه يوجد في المستقبل والحاصل ان الخوف لا يتعلق الا بما كان وجوده في المستقبل لا بما وقع في الماضي أو الحال (قوله فالخوف لا يتعلق به) أي بل الذي يتعلق به انما هو الاسف او الحزن (قوله اما في الدنيا واما في الآخرة) أي والاول يكون للمحبوبين والثاني لعوام المؤمنين (قوله وقد فرض الله الخ) أي حكم وقضى وأمر العباد انهم يخافونه وذلك بشاهد العلم أقول ومن اشارة الجملة الشرطية في قوله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين يخاف على من تجرد عن الخوف سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى (قوله وقال فاياى فارهبون) أقول صريح الآية الامر بالخوف منه تعالى دون غيره فلا ينبغي لعاقل آمن بما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يخاف غيره تعالى اذ لا فاعل غيره سبحانه وتعالى (قوله ومدح المؤمنين من الملائكة) أي والثناء عليهم به يقتضي طلبه منهم (قوله وقد يطلق الخوف الخ) أي وعليه فالفوقية حقيقية (قوله الخوف على ثلاث مراتب) أي فهي أنواع لمطلق الخوف كما ذكره الشارح (قوله فالخوف من شرط الايمان) أي ولذا علق عليه في الآية الشريفة فيلزم ان من آمن ايمانا كاملا أن يخاف الله تعالى اذ من صدق بالوعيد خاف

وقضيته) فإيمان العبد يفيده الخوف (قال الله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين والخشية من شرط العلم) وقضيته فعلم العبد
يفيده الخشية (قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء) أي به تعالى (والهيبة من شرط المعرفة) وقضيتها

فمعرفة العبد تفيده الهيبة (قال الله تعالى ويحذركم الله نفسه) ولما كان العارفون مشغولين بربهم عن سواه حذرهم من نفسه ولم يذكر شيأ من عذابه وبما قاله علم ان الخوف يطلق على الثلاثة وأن الخوف الثاني أخص من الاول ونظيره الهبة تنقسم الى هبة وهدية وصدقة كما هو مقرر في محله وهذا لا ينافي قول بعضهم الخشية حال من مقام الخوف والخوف اسم جامع لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة وفسر بعضهم الخشية بانها خوف مقترن بتعظيم وبذلك فسرت قراءة انما يخشى الله من عباده العلماء لانه مدح العلماء الذين وصفهم الله بالخشية فان العبد اذا تفكر في ذنبه وشدة عقاب ربه رهب وهرب وخشي أن لا تقبل توبته فاذا امن عليه بالعلم وعلم أنه يقبل التوبة رجع اليه واعتدل خوفه ورجاؤه وصار من العلماء العاملين لله على الخشية لعلمه بصفاته وهو انه شديد العقاب غفور رحيم (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد ابن علي الحيري يقول سمعت محفوظا يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سوط الله يقوّم به الشاردين)

وقوعه (قوله وقضيته) أي لان الايمان والتصديق بالوعد والوعيد يقتضي الخوف وكذا يقال فيما بعده (قوله والخشية من شرط العلم) أي من لوازمه وهي أتم من الخوف وأعلى منه فقوله فعلم العبد يفيده الخشية أي لان من علم ما للحق من الجلال والعظمة والانعام وباقي صفات الكمال يثبت له معنى الخشية منه (قوله انما يخشى الله من عباده العلماء) اى فهم الذين تثبت لهم حقيقة الخشية منه تعالى وليس المراد مطلق العلماء بل المراد العلماء بالله كما صرح به الشارح لانهم هم العالمون بما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لان مدار الخشية على معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه عز وجل كما قال صلى الله عليه وسلم أنا أخشاكم لله وأتقاكم له وغير العلماء بمعزل عن هذه المعرفة ولاسيما الكافرين فيمتنع انذارهم لذلك (قوله والهيبة من شرط المعرفة) أي التي تتحقق بواسطة الشهود وبعد رفع الحجب (قوله فمعرفة العبد تفيده الهيبة) أي لاشرافه عيانا على مظاهر الاسماء والصفات والافعال (قوله ولم يذكر شيأ من عذابه) اى لان السبب عند مثل هؤلاء في جدهم واجتهادهم انما هو اجلال الله تعالى ومحبته فهم رضي الله تعالى عنهم لا التفات لهم لغيره تعالى لا حبا ولا بغضا ولا خوفا ولا أمنا (قوله يطلق) أي مطلقه على الثلاثة أنواع أي الخوف والخشية والهيبة (قوله وان الخوف الثاني) أي المعنون عنه بالخشية أخص من الاول الذي هو أعم (قوله ونظيره الهبة الخ) أي فالهبة نظير الخوف في الانقسام الى ثلاثة أنواع وذلك باعتبار أن يراد منها مطلق العطاء (قوله الى هبة وهدية وصدقة) الاولى للمثل غالبا والثانية للاعلى كذلك والثالثة للاقل كذلك (قوله وهذا لا ينافي الخ) أي جعلها أي الخشية نوعا من أنواع الخوف لا ينافي جعلها حالا من مقامه اذ الحال قد يكون مقاما من مقاماته التي هي أنواعه (قوله والخوف اسم جامع لحقيقة التقوى) أي لانها تجنب ما حذر عنه الشارع لخوف الوعيد فهي من ثمراته (قوله والتقوى معنى جامع الخ) أي ولذا قال الجنيد في بيان حقيقتها حين سئل عنها أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك (قوله بانها خوف مقترن بتعظيم) أي وذلك الاقتران منشؤه الالتفات الى علم قبول التوبة بعد الهرب بطوارق جلال اسمه ونعمته تعالى بشديد العقاب والحاصل أنه بهذا الالتفات المتقدم اعتدل الخوف والرجاء حيث تحقق العبد بالعلم والعمل على الخشية (قوله فان العبد) أي المجرد عن العلم بدليل ما سيذكره بعده ويحتمل ان المراد به الغافل عن علم أن الله غفور رحيم فقوله فاذا امن عليه بالعلم أي بالرجوع اليه وتذكره بعد الغفلة عنه وهذا أظهر (قوله واعتدل خوفه ورجاؤه) أي فكان يعامل الله بالخوف في حال صحته وبالرجاء في حال شدته ومرضه (قوله الخوف سوط الله) أي مثله في سوق الشاردين من النفوس وقوله يقوّم به الشاردين أي يعدلهم به

أى الهارب من معاصيهم (عن بابه) فلا يردهم عنها الا خوفهم من عذاب ربهم تبارك وتعالى وسطوته (وقال أبو القاسم الحكيم
الخوف على ضربين رهبة وخشية فصاحب الرهبة يلتجئ الى الهرب اذا خاف) من شئ (وصاحب الخشية يلتجئ الى
الرب ورهب وهرب يصح أن يقال انهما واحد معنى مثل جذب وجبذ فاذا هرب انجذب فى مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فاذا كبحهم) أى جذبهم (لجام العلم) بان منّ الله عليهم بالعلم (وقاموا بحق الشرع) وعلموا أن لا ملجأ من الله الا اليه وان رحمته واسعة (فهو) أى ما اتصفوا به من ذلك (الخشية) حاصله انه مدح العلماء الذين وصفهم الله بالخشية فان العبد اذا تفكر فى ذنبه وشدة عقاب ربه رهب وهرب أى خشى انه لا يقبل توبته فاذا منّ عليه بالعلم وعلم انه يقبل التوبة رجع اليه واعتدل خوفه ورجاؤه وصار من العلماء العاملين لله على الخشية لعلمه بصفاته وهو انه شديد العقاب غفور رحيم ولعلمه بما أجراه الله عليه من المعصية والتوبة عنها فاذا نظر الى وقوع المعصية خاف واذا نظر الى أنه تعالى منّ عليه بالتوبة رجا واعتدل خوفه ورجاؤه كما ذكر ودامت طاعته ومراقبته وخشيته (سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت عبد الله ابن محمد الرازى يقول سمعت أبا عثمان يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سراج القلب به يبصر) بواسطة العلم (ما فيه من الخير والشر) فالخوف فى الحقيقة حامل له على التثبت ليميز الخير من الشر وتمييزه بالعلم لا بالخوف

ويصيرهم الى الاستقامة (قوله أى الهارب من معاصيهم) الباء فى قوله بمعاصيهم للسببية كما لا يخفى (قوله يلتجئ الى الهرب) أى يرجع الى الله اذا خاف وعيده (قوله يصح أن يقال انهما واحد معنى) أى وهو الرجوع الى الطاعة (قوله فاذا هرب انجذب فى مقتضى هواه) أى عنه ففى بمعنى عن فهو بمعنى قوله فاذا كبحهم لجام العلم الخ وحينئذ فقوله كالرهبان مثال لمن كان منصرفا فى هواه بشاهد حظ نفسه قبل ان تدركه عناية الجذب هذا ما ظهر فى جمع أطراف كلامه فانظره ويحتمل ابقاء فى على معناها ويكون بيانا لحال بعده بملابسة الحظ وذلك ما يلوح من كلامه وفيه تأمل فتدبره (قوله فاذا كبحهم) أى ردهم لجام العلم أى العلم الذى هو كاللجام حيث علموا بواسطة أنواره ما يضرهم وما ينفعهم وقوله وقاموا بحق الشرع أى بأن عملوا به وتحلوا بثمرته وقوله فهو الخشية الجملة جواب قوله فاذا كبحهم الخ (قوله فهو الخشية) أى وهى أعلى من مطلق الخوف والهيبة أشرف من الخشية اذ لا تكون الا عن شهود بعد رفع الحجب عن العبد المقرب والحاصل ان الخوف سببه مجرد الايمان والخشية سببها الايمان المصاحب للعلم والهيبة سببها الايمان والعلم المقارن للمشاهدات والمعاينات (قوله حاصله انه مدح العلماء) محصل كلام الشارح ان مراد المؤلف الثناء على العلماء بما يترتب على علمهم من الرجوع الى الطاعة واعتدال الخوف والرجاء بعد افراط الخوف بملابسة المخالفات واسترسال النفس فى الشهوات وذلك بنظرهم فى أسمائه تعالى وصفاته فرأوا انه كما وصف نفسه بانه شديد العقاب الموجب للرهبة والهرب قد وصفها كذلك بانه غفور رحيم الموجب للرجاء والرجوع اليه فاعتدل بذلك خوفهم ورجاؤهم كما ذكر ودامت طاعتهم ومراقبتهم وخشيتهم فتأمله (قوله الخوف سراج القلب الخ) أقول ولذلك قيل اذا أردت أن تعرف قدرك عنده ولانك فانظر فيما يقيمك فيه لان المنازل على حسب النازل فان وجهك الى الدنيا فقد أهانك وان شغلك بالخلق فقد صرفك وان وجهك الى العمل فقد أعانك وان فتح لك فى العلم فقد أراد لك وان فتح لك بابا الى مناجاته فقد قربك وان واجهك بالبلاء فقد هداك وان صرفك عن الاعراض فقد ادبك وان رضيت به وعنه فقد فتح لك باب الرضا منه وهو أعظم الابواب وأكملها وأتمها قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله الرضا باب الله الاعظم وسراج العابدين وجنة الدنيا وفى الخبر يقول الله تعالى انا الله لا اله الا انا خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وفى الحديث من أراد أن يعلم ماله عند الله فلينظر ما لله عنده فان الله ينزل العبد حيث ينزله العبد من نفسه (قوله به يبصر الخ) أى بواسطة نور القلب العلى يبصر ما فيه من الخير والشر فيدوم أو ينكف (قوله على التثبت) أى التوقف عن المخالفات وغيرها حتى يتبين هذا من ذاك بذوق العلم على

(سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول الخوف أن لا تعلل نفسك بعسى وسوف) بل تطلب ما تأمن به وتهرب مما تخافه وهذا في الخوف المعتدل لان الناقص لا يحمل على طلب ولا هرب والمفرط يوقع في القنوط واليأس من رحمة الله وكلاهما منهي عنه فالذي يحمل العبد على مسارعته الى خلاصه مما يخافه هو المعتدل وصاحبه لا يعلل نفسه بعسى ولا بسوف بل يهرب في الحال من كل مخوف ١٩٣ (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول سمعت ابا عمر الدمشقي يقول الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان) لانها أعدى الاعداء وأقربهم وألزمهم للانسان اذ لا يمكن الخلاص منها ولانه لا قدرة له عليك الا بميل نفسك الى الشهوات وان كان هو الذي يزينها لها ويذكرها بأنواعها فكان الحذر منها أشد منه ولذلك كانت أعدى عدو للانسان كما جاء في الخبر (وقال ابن الجلاء الخائف من تؤمنه المخوفات) أي تجعله في أمان بأن يأمن منها في حال طروقها عليه فلا يؤثر فيه لغيبته عنها بخوف الله ومن غاب عن الاشياء غابت عنه ولان من علم أنه لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع الا الله تعالى لم يخف غيره من سبع ونار وغيرهما كما وقع للسيد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فمن لم يخف غير مولاه أمن من كل مخوف وان خاف من بعض المخلوقات فانما يخاف أن يسلطه الله عليه ويكون خوفه من البعوضة أن يسلطها عليه أشد من خوفه من الفيل وخوفه من الهر الذي يتأنس به عادة أن يسلطه عليه أشد من خوفه من الاسد ومن خاف الله خافه كل شئ كما جاء في الخبر وسببه أن غلبة الخوف من الله تعالى على باطن الخائف من آثار مشاهدة الجلال ومن تجلى عليه بالجلال كساه ملابس الهيبة فهابه كل شئ فالخائف تارة يخاف من المخوفات وتارة يأمنها والثاني اعلى

ان أصل الباعث على كل خير العلم لان الخوف وغيره من المقامات لا يتحقق للعبد الا بما ينكشف له بنوره ويؤيد ذلك خبر من أراد الله به خيرا يفقهه في الدين وكفى العلم شرفا أن يدعيه من ليس متصفا به ويشرف به من تحلى بنعته (قوله أن لا تعلل نفسك الخ) أقول ذلك نتيجة الخوف وثمرته لا نفسه وحقيقته اذ هو الفزع من الوعيد واشارات التهديد فالخوف هو الباعث للعبد على أن لا يعلل نفسه بعسى وسوف اذ مقتضاه الرجوع بالفعل عن جميع المخالفات والاخذ في الجد في الطاعات من غير توان ولهذا المعنى اشار عارف وقته حيث قال في تائيته

وجذ بسيف العزم سوف وان تجد • تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت
وأقبل اليها واحجها مقلما فقد • وصيت لنصحي ان قبلت وصيتي

(قوله وهذا في الخوف المعتدل) أي ما تقدم من قوله ان لا تعلل نفسك الخ انما هو في الخوف المعتدل اي المتوسط لا الناقص الذي لا يحمل على شئ ولا المفرط المؤدي للقنوط (قوله الخائف من يخاف الخ) الغرض من ذلك الحث على مخالفة النفس اذ جل الضرر ثابت بمتابعة هواها فان الشيطان يسهل ان تبعده عن نفسك بعوذ والاستعاذة وغير ذلك من الوارد ولا كذلك النفس فينبغي حينئذ الخوف منها أكثر وايضا فان الشيطان يمكن علم دسائسه فتجتنب ولا كذلك النفس لانها رواغة تيانة خداعة (قوله من تؤمنه المخوفات) أي لاستغراقه في فناء الافعال في فعله تعالى فلا يرى فاعلا غيره سبحانه وتعالى وذلك لما تحقق عنده من الخوف والجلال والعظمة له تعالى وبها قد غاب عن كل شئ سواها ولا يخفى ما في قوله تؤمنه المخوفات من المبالغة الرقيقة الآخذة بمجامع القلوب نسأل الله بركة انفاس أحبابه (قوله ولان من علم الخ) أي وعلم ذلك لازم للخوف كما هو ظاهر (قوله كما وقع للسيد ابراهيم الخ) أي كما وقع له وقت القائه في نار نمرود حين هبط عليه جبريل قائلا له ألك حاجة حيث قال له اما اليك فلا وعلمه بحالي يغني عن سؤالي (قوله وان خاف من بعض المخلوقات الخ) جواب عما يقال انا كثيرا نرى من تحقق بالخوف منه تعالى ومع ذلك يقع له الخوف من بعض المخلوقات والجواب انه انما خاف التسليط ومرجع ذلك الخوف منه تعالى (قوله فالخائف تارة يخاف من المخوفات) أي من تسليط الله اياها عليه فالخوف من فعله تعالى لا من مخلوقاته (قوله والثاني اعلى) أي لاستغراقه في

(وقيل ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه) و يتألم على حاله وما هو فيه من فساد نيته لانه خوف يسير (انما الخائف) أي الخوف المحمود (من يترك ما يخاف أن يعذب) هو (عليه) أي بسببه فالخوف المحمود ما صان العبد عن الاخلال بشيء من المأمورات أو الوقوع في شيء من المنهيات (وقيل للفضيل) بن عياض (ما لنا لا نرى خائفا فقال) لمن قال له ذلك (لو كنت خائفا لرأيت الخائفين لان الخائف لا يراه الا الخائفون) لان الخائف انما يعرف خوفه بقيامه بأوامر ربه وبعده عن مناهيه فمن لم يعرف من الخائفين الا من تحلى بظاهر ما يكاد اعياقه أن يخلصه ١٩٣ لم يعرفهم حقيقة وانما يعرفهم حقيقة من عرفهم بحركاتهم وسكناتهم وتحفظهم في كلامهم واستماعهم ونظرهم وسائر ما هم فيه ولا يعرف ذلك الا من كمل علمه وتحقق به في نفسه وعرف أمثاله من الناس فيميل اليهم بطبعه لرجاء منفعته ولذلك قال (وان الثكلى) وهي التي فقدت ولدها (هي التي تحب أن ترى الثكلى) لمعرفتها بما عليه من صفات الثكلى أو لمساعدتها لها على ما هي فيه من الحزن والبلاء (وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة) لان خوفه من الفقر يحمله على أن يشح بماله على نفسه وعياله ويخل بقيامه بكثير من الواجبات كفرض ولده ووالده وحق زكاته ويقع في كثير من المحرمات لتحصيل المال كالتلبيس والغش في العيوب وتعاطي المعاملات الفاسدة فلو خاف من النار كما يخاف من الفقر لهرب من أسباب دخولها وتعاطى أسباب دخول الجنات ولما غلبت عليه الشهوات (وقال شاه الكرماني علامة الخوف الحزن الدائم) لان الخوف كما مر انما يتعلق بفوات محبوب او حصول مؤلم في المستقبل فيتوالى على قلب العبد الفكر فيه ويورثه الغم والحزن الطويل ولو وقع المخوف بسرعة لم يثمر حزنا الا على ما فات (وقال ابو القاسم الحكيم من خاف من شيء) كأسد او نار (هرب منه ومن خاف من الله عز وجل هرب اليه)

في الخوف منه تعالى وخشيته عما سواه (قوله ليس الخائف الذي يبكي الخ) مراده ان الخوف قد ينشأ عنه البكاء في وقت ويلابس الخائف بعد ذلك شيأ من المخالفات مع ان هذا ليس من المطلوب بل هو ما أثمر دوام الانقياد على وفق المتابعة بشاهد العلم والحاصل ان المقصود دوام مراقبة جلال الله تعالى بالتأمل فيما جاء من وعيده على لسان رسوله الاكرم صلى الله عليه وسلم حتى بذلك يدوم خوفه فيستمر انقياده ومتابعته لسيد الكمل عليه الصلاة والسلام (قوله لو كنت خائفا لرأيت الخائفين) أي ويشير اليه خبر المؤمن مرآة المؤمن فمن تحقق بمعنى الخوف الكامل نظر مثله بواسطة أنوار وارداته ومال بقلبه اليه لوجود المناسبة التامة فهي علة الاجتماع في كل شيء (قوله من عرفهم بحركاتهم الخ) أي لا بمجرد صورهم وحكاية أخلاقهم (قوله وان الثكلى الخ) أقول ذلك عنوان وعبارة عن المناسبة الموجبة للاجتماع سواء فقد الولد أولا وانما خص الثكلى بالذكر لانه قد حظ نفسها من الولد فهي مثل الخائف في ذلك بمقتضى خوفه (قوله مسكين ابن آدم لو خاف الخ) الغرض بهذا تحصيل الفضيلة عليه لانه لو حرص على فعل المأمورات واجتناب المنهيات خوف العقاب بالنار على تضييعها مثل حرصه على حفظ المال خشية الفقر لدخل الجنة مع السابقين وهذا من قبيل التنزل والا فالحق الخوف من الاول دون الثاني على ان الثاني منقصة في الدين وأي منقصة لان سببه عدم الوثوق بوعد ربه قال صاحب الحكم العطائية قدس الله سره اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك قلت لانك أتيت بالشيء على غير وجهه ووضعته في غير محله حيث تركت ما أمرت بالقيام به وقتها كفيت أمره قال في التنوير وكيف يثبت لك عقل او بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك فيما طلب منك ولذلك قيل ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن الآخرة وطلب منا الدنيا والله أعلم (قوله الحزن الدائم) اي بدوام الخوف لانه ثمرته ونتيجته فامارة الخوف الحزن الدائم وذلك خلق محمدي (قوله من خاف من شيء هرب منه) أقول مع ان ذلك جهل ونقص اذ من علم ان المقدر كائن لا محالة وغير ذلك مستحيل لا يخاف غيره تعالى وقد ثبت في صحيح الخبر ما أصابك لم يكن ليخطئك فمن علم مصادر الافعال رجع في كل شيء

لان الخوف حقيقة كما مرّ انما يكون من الله لانه الفاعل لكل مخوف فاذا خاف العبد غيره مع غفلته عن الله هرب منه واذا ذكر الله وخشى ان يسلطه عليه هرب الى الله اى رجع اليه فلا يهرب من المخوفات الا الغافل عن الله والا فمن علم انها مسخرة بيد الله هرب ورجع الى الله القادر على خلاصه منها لا غيره (وسئل ذو النون المصرى رحمه الله تعالى متى يتيسر) اى يسهل (على العبد سبيل الخوف) اى طريقه ١٩٤ (فقال اذا انزل نفسه منزلة السقيم) الذى (يحتمى من كل شئ مخافة طول السقام) فمن أنزلها منزلته وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ما ينفعها ودفع ما يضرها الا بالله وأدام النظر فى ذلك سهل عليه أمر الخوف اى عمل بمقتضاه وبعد عما يخشاه ولم يلتفت لما يطرقه من المشقة فى ارتكاب المخالفة لهواه لما يؤمله فى عقباه ولذلك شبهه بالمريض الذى يحتاج الى الادوية ويتحمل فى تناولها ما تكرهه نفسه وتأباه رجاء العافية من سقمه وبلواه (وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ان المؤمن) اى العارف الكامل بأحكام ربه عليه (لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته وفى نسخة روعه اى فزعه من الآفات التى تقع فى اعماله المطلوبة منه (حتى يخلف) اى يجاوز (جسر جهنم وراءه) لانه الصراط الذى هو آخر المخاوف اذ جاء فى الخبر انه جسر ممدود على متن جهنم (وقال بشر الحافى الخوف من الله ملك لا يسكن الا فى قلب متق) لانه لا يقوى ولا يكمل ويحمل على الخير ويصرف عن الشر الا فى قلب تطهر من الشهوات بأنواع الكسب والمجاهدات او عن الله بطهارته من غير كسب وتكلفات كان الملوك عما لا تسكن فى محل الاوساخ والقاذورات واذا نزلت بموضع وبه قذر غسل من ساعته ونظف لان شرف همتهم تنافيها (وقال ابو عثمان الحيرى عيب الخائف فى خوفه السكون الى خوفه لانه أمر خفى) لان من سكن الى مقام شريف منعه سكونه عن الارتقاء الى ما هو أكمل منه كما مرّ

اليه تعالى اذ لا مؤثر غيره والله اعلم (قوله لان الخوف حقيقة الخ) اى وحيث كان ذلك هو الخوف المشروع فلا مفر منه الا اليه تعالى فينبغى الرجوع بالكل للكل (قوله فقال اذا انزل نفسه الخ) اقول ما ذكره من التقريب للعقول بما تألفه والا فلا سقم يضر حقيقة الا فى المخالفات والخروج عن المتابعات لا فى الامراض الحسية بل هى قد تكون من أنجع أدوية النفس دينا ودنيا باعتبار الثمرة والفائدة المترتبة عليها ولا سيما ان صحبها صبر وعدم جزع وشكوى من المبتلى (قوله لا يطمئن قلبه) اى خوفا من فوات ما شاهده من علىّ المقامات وسنى التجليات ويؤيده ما ذكر ما قيل المخلصون على خطر عظيم فعادة الله فى خلقه انه كلما ازداد القرب زاد الخوف لزيادة علم المقرّب بسطوات قهره تعالى (قوله الخوف من الله ملك الخ) يصح ان يقرأ بكسر اللام وسر التعبير به الاشارة الى التخلى عن القاذورات المعنوية كما يخلى مكان الملك عن الحسية منها والتحلى بالكمالات المعنوية كما يحلى مكان الملك بالزينة الحسية ويصح ان يقرأ بفتح اللام وذلك لانه نورانى لا يسكن الا فى محل الانوار اذ لا تجتمع الظلمات والنور فى محل واحد وفى وقت واحد فالقلوب طور تجلى الحق تعالى ومحل أنواره ومهبط أسراره (قوله أو عن الله بطهارته) اى بطريق الفضل والهبة وسابق العناية ومع ذلك فطريق الكسب هو الاغلب (قوله عيب الخائف الخ) خصه بالذكر لمراعاة المقام والا فغيره من المقامات مثله فعلى الكامل أن لا يعتمد على عمله بل يتبرأ منه بشهود المتفضل عليه مع ذوق قول الحق لنبيه الاكرم صلى الله عليه وسلم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فقوله عيب الخائف الخ الغرض منه بعد ذكر غرة الخوف التحذير من معايبه مثل السكون الى مقامه فانه مانع من الارتقاء الى ما هو أكمل منه قال صاحب الحكم كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته قلت وذلك على ثلاثة أوجه الاول انطباع وجودها من حيث النفع والضر وذلك بالاعتماد عليها والاستناد اليها الثانى انطباعها من حيث الجمال والاستحسان الموجب للحب وذلك يقتضى العبودية لها الثالث انطباعها من حيث الشهوة وذلك يقتضى الغفلة بها ومعنى انطباعها فى مرآة القلب ارتسامها فيه على وجه لا يقبل غيرها وصور الاكوان اعيان الموجودات وحقائقها ومرآة القلب بصيرته وانما لا يشرق القلب مع ما ذكر لانه ليس له الا وجه واحد اذا توجه لشئ انقطع

(وقال الواسطى الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد وهـذا اللفظ فيه اشكال) لان الخوف مطلوب فكيف يكون حجابا بين الخائف وربه (و) جوابه أن يقال (معناه) اى اللفظ المذكور (ان الخائف متطلع لوقت ثان وابناء الوقت) وهم الصوفية (لا تطلع لهم فى المستقبل وحسنات الابرار سيآت المقربين) فعدوا الخوف الذى هو تطلع لوقت ثان حجابا وهفوة لان تطلع العبد الى غير وقته تفرقة واشتغاله بوقته جمع واعترضه بعضهم بأن ذلك لايدل على تفرقة خارجة عن مقام الخوف لان متعلق كل مقام من ضرورة التخلق به ملاحظته فهو جمع لا تفرقة قال والاولى أن يقال العبد اذا وقف وسكن مع حالته فى الخوف استحسن مقامه فيه وكونه استعان به على خلاصه من المكروهات ونشط به فى الطاعات فوقوفه معه مع استحسانه له حجاب بينه وبين ربه بمعنى انه منعه من انتقاله الى ماهو أعلى منه وأقرب الى ربه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن على الهاوندى يقول سمعت ابراهيم ابن فاتك يقول سمعت النورى يقول الخائف يهرب من ربه الى ربه) اى من معصيته الى طاعته ومن سخطه الى رضاه اذ لا مهرب من الله الى غيره كما مر (وقال بعضهم علامة الخوف التحير) اى القلق فى أسباب النجاة والفكرة فى الخلاص مما يوجب العقاب (والوقوف على باب الغيب) ومن لازم شدة الله الباب رجى له نيل الثواب فضلا عن خلاصه من العقاب (سمعت اباعبد الله الصوفى يقول سمعت على بن ابراهيم العكبرى) بضم العين والباء (يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل عن الخوف فقال هو توقع العقوبة مع مجارى الانفاس) اى أزمنتها الا ان الخوف يرفع عن القلب الحجاب ويفيده المراقبة برضا الاكرم الوهاب (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت الحسين بن احمد الصفار يقول سمعت محمد ابن المسيب يقول سمعت هاشم بن خالد يقول

عما سواه والله أعلم (قوله الخوف حجاب بين الله وبين العبد) اى بين كمالات الله وبين العبد على معنى انه ينقل عن الشغل بالاهم من الحال الى التطلع الى طوارق الاستقبال وذلك ينافى قولهم الصوفى ابن وقته لا ينظر الى ماض ولا الى استقبال (قوله متطلع لوقت ثان) اى لان حقيقة الخوف انزعاج القلب فى الحال بما يتوقع فى المستقبل مما لا يلائم النفس وذلك تفرق واشتغال بغير الاهم من وظائف الحال (قوله وحسنات الابرار سيآت المقربين) اى فمقام الخوف وتحققه للابرار يعد حسنة وهو حجاب وسيئة باعتبار المقربين وذلك لعلو همتهم فلا يرضون الا به تعالى (قوله واعترضه بعضهم الخ) أقول فيه ان التفرقة وان لم تخرج عن الخوف الا انها تخرج عما هو أكمل منه من المقامات المطلوب من العبد منازلتها ويحصل ذلك الحث على علو الهمة بالانتقال عن مقام الخوف الى ماهو أعلى منه فتدبره بانصاف (قوله قال والاولى الخ) أقول هو وجيه أيضا كالذى قبله (قوله الخائف يهرب من ربه) اى لانه لا يرى فاعلا غيره تعالى فهو اذا خاف شيأ هرب منه اليه بخلاف الجاهل الذى يخاف بجهله غيره (قوله علامة الخوف التحير) أقول الصبر من لوازم الخوف ومن ثمراته لان شأن الخائف دوام الصبر فيما به خلاصه ووقوفه على باب غيب الامان بوسايط سر القبول فيدوم على شهود الجلال عسى ان يحظى بمظاهر الجمال (قوله والوقوف على باب الغيب) اى لاستمطار الرحمات الربانية من طريق الفضل والاحسان (قوله فقال هو توقع العقوبة الخ) أقول لعل ذلك باعتبار حال من حضره والا فمقامه البسط بالمشاهدات لا القبض بالخوف ولذا حكى ان الشبلى رأى قوما مجتمعين على شاب بسط وضرب مائة سوط فما استغاث ولا تألم مع كونه ضئيل الجسم ثم بعد ذلك ضرب سوطا واحدا فاستغاث وتألم فتعجب الشبلى من حاله فتبعه وسأله عن صبره على المائة وصياحه وتألمه من سوط واحد فقال له يا أخى العين التى كنت أعاقب من أجلها كانت فى المائة ناظرة الى فكنت أتلذذ لاستغراقى فى مشاهدتها وفى السوط الاخير احتجبت عنى فبقيت مع نفسى فتألمت اه فلما كان مثل الطبيب يداوى كل أحد بما يناسبه قال ما تقدم باعتبار حال من حضره كما ذكرنا والا فهو على بساط الانس لا يبقى للخوف فى ساحته وجود والله اعلم (قوله ما فارق الخوف الخ) اقول هو باعتبار حال العامة ولذا قيل فى قوله تعالى والكافرون لهم عذاب شديد ان عذاب

سمعت اباسليمان الدارانى يقول مافارق الخوف قلبا الاخرب) لان الخوف درجات ومن انتقل الى مقام شريف لم يحذر مما يفسده عليه اولا يكمله اولا يرقيه الى ماهو أعلى منه فسد عليه ماهو فيه فلا يستغنى مقام عن الخوف لكن شتان مابين خوف العذاب وخوف العتاب وخوف الحجاب وخوف فراق الاحباب (وسمعته) ايضا (يقول سمعت عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن يقول سمعت اباعثمان يقول صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا) لان الورع هو تجنب مايحذر فكل خوف لايثمر تجنب الخوف فليس بخوف صحيح (وقال ذوالنون) المصرى (الناس على الطريق مالم يزل عنهم الخوف فاذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق) لما مرّ ان الخوف ١٩٦ لايستغنى عنه مقام (وقال حاتم الاصم لكل شئ زينة وزينة العبادة الخوف) إذ لا تكمل عبادة وتحفظ مما يشينها الا بالخوف (وعلامة الخوف قصر الامل) لان من قصر أمله حسن عمله لخوف هجوم موته وهو ينفع العاصى حيث يتخلص من زلله والمطيع حيث يجذبه فى بلوغ أمله (وقال رجل لبشر الحافى أراك) اى أظنك (تخاف الموت) فاسببه (فقال القدوم على الله عز وجل شديد) فيه دليل على كمال تعظيمه لمولاه وشدة حضوره بسؤاله عن تقواه وهذا بحسب مايغلب على قلب العارف مما يحدثه الحق فيه فتارة يخاف اللقاء وتارة يشتاق اليه ويحبه ومحبته له تختلف تارة خوفا على نفسه من التغيير وتارة لنيل مايرجوه من فضل العليم الخبير (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول دخلت على الامام ابى بكر بن فورك عائدا) له فى مرضه (فلما رآنى دمعت عيناه فقلت له ان الله سبحانه وتعالى يعافيك ويشفيك فقال لى ترانى اى أخاف الموت انما أخاف مما وراء الموت) كان لا يقبل عمّى وان تطرقه آفة (اخبرنا عدم على بن احمد الاهوازى قال اخبرنا احمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن عثمان قال حدثنا القاسم بن محمد قال حدثنا يحيى بن يمان عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن موهب عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة اهو الرجل يسرق ويزنى ويشرب الخمر قال لا ولكن الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ان لايقبل منه) ذلك فيه دليل على ان الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لايعرف صحة عمله ولا قبوله لخفاء مايطرق الاعمال من الآفات

المؤمنين غير شديد بخلاف الكافرين لانهم ماشاهدوا المعذب بكسر الذال المعجمة فى العذاب بخلاف المؤمنين فالعذاب على شهود المعذب عذب والثواب على الغفلة عن المنعم صعب فالخوف من منازل العوام وانما للخواص الهيبة وهى أقصى درجة يشار اليها فى الخوف لان الخوف يزول بالامن ولا كذلك هى فهى تنافى الخوف فى ذلك والحاصل ان الغرض بما ذكر الحث على دوام العبد على الخوف ليدوم له صدق العمل حيث هو السائق وقد أشار الشارح الى ان الخوف يختلف باختلاف مقامات الخائفين فمنهم من يخاف العقاب لبقاء نفسه ومنهم من يخاف العقاب والحجاب وذلك باعتبار من ترقى الى درجة المشاهدات ومنهم من ترقى عن ذلك الى درجة المعاينات والمكاشفات فيخاف فراق الاحباب وكل هذا باعتبار حال العامة اما باعتبار حال الخاصة فكل ذلك نقص عندهم وتفرق لقلوبهم عماسواه تعالى وجمع هممهم عليه فافهم (قوله صدق الخوف هو الورع) اى ثمرته الورع عن المخالفات (قوله الناس على الطريق) اى على طريق الاستقامة مالم يزل عنهم الخوف اى مدة عدم زواله فاذا زال عنهم الخوف فقد ضلوا عن الطريق وخرجوا عن الاستقامة (قوله وزينة العبادة الخوف) اى لانه به يتحقق التخلى عن قاذورات المخالفات وبذلك تحفظ الزينة عما يشينها من الدنس (قوله وعلامة الخوف قصر الامل) اى لانه هو الباعث على الخوف والسائق لحسن العمل (قوله فقال القدوم على الله شديد) ان قلت صفة المؤمن محبة لقاء الله قلت هو كذلك على معنى انه يميل الى فعل مايقربه الى الله تعالى ويبعده عما به سخطه وذلك لاينافى هيبة القدوم على الحق تعالى كما لايخفى وهذا فيه تنبيه على كمال هذا الاستاذ باشارة اشتغاله بمولاه وعدم التفاته الى ماسواه من نعيم وعذاب وهذا شأن الكمل من احبائهم الله تعالى (قوله كان لايقبل عملى) اقول ذلك يقوى ما كتبناه قبل ووجه التقوية ان مراده بما وراء الموت هو هول هيبة اللقاء وهو الذى يناسب مقام مثل هذا الشيخ وبه تعلم مافى قول الشارح كان لايقبل عملى (قوله فيه دليل الخ) اى وفيه دليل آخر على

(وقال ابن المبارك رحمه الله الذى يهيج الخوف حتى يسكن فى القلب دوام المراقبة فى السر والعلانية) اذ الحامل على دوامها انما هو قوة الخوف من لحوق الضير فيتوالى الخوف على القلب فتحصل المراقبة وعلامة سكون الخوف فى القلب توالية فيه حتى يصير كانه ساكن فان الاعراض لا بقاء لها (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن يقول سمعت ابا القاسم بن ابى موسى يقول سمعت محمد بن احمد يقول سمعت عليا الرازى يقول سمعت ابن المبارك رحمه الله يقول ذلك) اى الذى يهيج الخوف الخ (وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا بكر الرازى يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول اذا سكن الخوف القلب) بان توالى عليه (أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه) لان الخوف يحجز عنها و يمنع من الوقوع فيما اشتملت عليه من البليات ومن ثم كانت الدنيا رأس كل خطيئة وخوف الله تعالى باب كل خير ١٩٧ (وقيل الخوف قوة العلم بمجارى الاحكام) اى بتصرف الله فى خلقه من هداية واضلال وعافية ومرض وغيرها فمن قوى علمه بذلك لم يأمن على نفسه وان كان فى أفضل المقامات والاحوال وهذا العلم سبب الخوف لا نفسه فعبر عنه بسببه كما عبر الثورى عن الزهد بقصر الامل (وقيل الخوف حركة القلب وقلقه من جلال الرب) وعظمته فمتى استشعر القلب نظر الرب اليه فى حالته التى هو فيها وان كانت أفضل عباداته اضطرب قلبه واقشعر جلده ووجل كما قال تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم (وقال ابو سليمان الدارانى ينبغى للقلب أن لا يكون الغالب عليه الا الخوف فانه اذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب ثم قال) لتلميذه اسمه احمد لما رأى منه ميلا الى الرجاء (يا احمد) ا قوم (بالخوف ارتفعوا فاذا ضيعوه نزلوا) ومع ذلك فاذا استقامت أحوال العبد كان الكمال فى استواء الخوف والرجاء فى القلب من غير اخلال وهو الذى أوصى به ابو بكر عمر رضى الله عنهما بقوله ليكون العبد راغبا راهبا لا يتالى على الله ولا يقنط من رحمته أخذا من الغالب فى القرآن من ذكر الترغيب والترهيب مقترنين ويدل له قول عمر رضى الله عنه لو نادى مناد من السماء أيها الناس انكم كلكم داخلون النار الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أناهو ولو نادى مناد انكم كلكم داخلون الجنة الا رجلا واحدا لخشيت أن أكون أناهو وقال بعضهم هذا فى غير حالة الاحتضار اما فيها فالاولى غلبة الرجاء وحسن الظن وقال الغزالى رحمه الله تعالى ان غلب على العبد داء القنوط واليأس فالرجاء أفضل او غلب الامن من مكر الله فالخوف أفضل (وقال الواسطى الخوف والرجاء

عدم منافاة ذلك للكمال فى الطاعة كما أشار اليه الشارح (قوله حتى يسكن فى القلب دوام المراقبة) اى وبدوامها يهيج الخوف ويتوالى على القلب حتى كانه حال ونازل به لا ينتقل عنه (قوله أحرق مواضع الشهوات منه الخ) اى بواسطة فناء النفس الامارة فحينئذ يتطهر القلب من حظوظ شهواتها الخبيثة وبفنائها وموتها تحيي النفس اللوامة فتحث الانسان على فعل الشريف وتمنعه من الخسيس (قوله وقيل الخوف قوة العلم بمجارى الاحكام) اى وبذلك ينظر فى خطر السوابق وفجأة اللواحق فتفنى حينئذ الاسباب بشهود ما فى الباب ومثل هذا فى الكمال تفرق وتضييع للوقت بلا فائدة فحال الكمال البسط بشهود تجليات الجمال وغاية التسليم والرضا بفعل العليم الحكيم (قوله قوة العلم الخ) اى فسببه الاعظم قوة العلم بمجارى الاحكام اى بأنه لا فاعل غيره تعالى ولا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل فعلم العبد بذلك كله ويقينه بذلك سبب أعظم فى دوام خوفه منه تعالى (قوله من جلال الرب) وهو مقام الكمل من المقربين فشأنهم دوام الهيبة ثم اذا نقلهم الى المشاهدات تملوا حينئذ بمقام الانس (قوله ينبغى للقلب الخ) اقول محله مادام العبد صحيحا والا فالذى ينبغى له فى حالة المرض قوة الرجاء (قوله فاذا استقامت أحوال العبد الخ) اى والاستقامة انما تكون بالدوام على الامتثال وقوله كان الكمال فى استواء الخوف والرجاء فى القلب مراده بذلك العمل بكل فيما يناسبه بشاهد علم النقل (قوله لا يتالى على الله) اى لا يقسم عليه بواسطة قوة رجائه ولا يقنط من رحمته بسبب افراط خوفه بل يكون حاله الاعتدال فيهما (قوله هذا) اى ما تقدم من تغليب الخوف فى غير حالة الاحتضار واما فيها فالاولى غلبة الرجاء مطلقا فى حق الكامل وغيره (قوله وقال الغزالى الخ) اقول هو فى غاية من التحقيق (قوله وقال الواسطى الخ) اقول قد تقدم عد الخوف سائقا والرجاء قائدا والعكس

زمامان) مستوليان (على النفوس) يحفظانها (ائلا تخرج الى رعوناتها) اى سكونها الى حالتها واستحسانها ما هى عليه من طاعتها او جزعها ويأسها من فضل ربها عند مخالفتها فالخوف والرجاء يصدانها عن رعونتها لانها اذا استحسنت احوالها وركنت الى اعمالها زجرها الخوف وان يئست من فضل ربها او قنطت لسوء حالها اجتذبها الرجاء للسلامة (وقال الواسطى) أيضا (اذا ظهر الحق على السرائر) بأن أظهر الله تعالى لصاحبها من جماله وجلاله ما اشغله عن احساسه بنفسه فضلا عن غيره من المخلوقات (لا يبقى فيها فضلة) من الاحساس (لرجاء ولا لخوف قال) المستملى قال الاستاذ (الامام) القشيرى رحمه الله (وهذا فيه اشكال) على من لم يعرف اصطلاح القوم لان الخوف ١٩٨ والرجاء مطلوبان فكيف ينفى بفقدهما وجوابه ان يقال (ومعناه) انه (اذا اصطلمت) اى استأصلت (شواهد الحق تعالى الاسرار) بأن أطلع الله العبد من جماله وجلاله على ما أشغله عن احساسه بنفسه (ملكتها فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان) بفتح الحاء والدال قال الجوهرى الحدث والحديث والحادثة والحدثان بمعنى (والخوف والرجاء من آثار بقاء الاحساس بأحكام البشرية) مع اضطرار العبد لا يطلب منه الخوف والرجاء اذ لا اختيار له حينئذ فى فقدهما بخلافهما مع اختياره (وقال الحسين بن منصور من خاف من شئ سوى الله تعالى اورجا سواه أغلق عليه أبواب كل شئ) من الخير لان غير الله تعالى لا يقدر على تحصيل نفع ولا دفع ضرر لانه تعالى هو المنفرد بالافعال ولو سلط على العبد أضعف خلقه لكان أضر عليه من أقواهم (وسلط عليه المخافة) اى الخوف من العقاب لكونه التفت الى غيره (وحجب قلبه بسبعين حجابا) لذلك وذكر السبعين للمبالغة لا للحصر كما قيل به فى قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم (أيسرها الشك) اى التردد الاعتبارى من نظره الى الاسباب الظاهرة وغفلته عن انه تعالى هو المنفرد بالافعال فليس ذلك منه شكا فى انه الفاعل او غيره والا لكان كافرا وانما هو تردد اعتبارى كما قلنا (وان مما أوجب) على العبد (شدة خوفهم فكرتهم فى العواقب) التى لا يعلمها الا الله (وخشية تغير أحوالهم) لانه تعالى يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل ولا يقع الا ما سبق فى علمه والعبد لا يدرى أين يراد به ان رأى نفسه على الصراط القويم غلب على ظنه نجاتها وان رآها بعكس ذلك خاف عليها فهو وان غلبت طاعاته يخاف التغيير والتبديل ولا يغتر بحالته التى هو عليها

وكل صحيح (قوله زمامان) اى بالنسبة لاصحاب النفوس الحية بسبب بقاء حظوظها لا فى الذى غلبت على قلبه أحوال الحقيقة حتى اصطلمته أخذا تاما بأن اذ لا مجال للخوف والرجاء فيه (قوله اذا ظهر الحق) اى غلب على السرائر وذلك باعتبار الكمل من عباد الله غير ان لهم مقام الهيبة والاجلال لا يفارقهم أصلا وحينئذ فلا سكون لهم مع ذلك (قوله معناه انه اذا اصطلمت الخ) اى وذلك بالفناء عن النفس ثم الاكمل من هذا الرجوع منه الى الاحساس مع دوام تجلى الهيبة (قوله من خاف من شئ سوى الله تعالى الخ) اى وهو لا يكون الا ممن غلبت حجبها لانه توقف مع أسباب العطب الظاهرة وغفل عن الفاعل المختار فى الحقيقة (قوله أغلق عليه الخ) اى بأن يكله ويرجعه الى جهله حتى يعامله بمقتضاه فيغلق عليه الابواب ويعسر عليه الاسباب (قوله لكان اضر عليه من أقواهم) وذلك بما أودع فيه الله من قوة الايلام عند تسليطه دون ما لم يسلطه عليه (قوله وسلط عليه المخافة) اى زيادة على ما كان عنده (قوله وحجب قلبه) اى عن شهود المؤثر الفاعل (قوله كما قيل به) اى من ارادة المبالغة لا الحصر وفيه انه تقدم له فى هذه الآية القول بارادة الحصر فلا تغفل (قوله اى التردد الاعتبارى) اى الحاصل ذلك من قصر نظره الى الاسباب باعتماده عليها غفلة عن الفاعل الحق مع اعتقاده انه الفاعل لا فاعل غيره والا كان كافرا كما ذكره الشارح (قوله وان مما أوجب الخ) مراده بيان الباعث على الخوف ومحصله انه شدة تفكر العبد فى العواقب وخشية تغير الحال لان مجرد أسباب النجاة الظاهرة لا توجب الاطمئنان لانه لا معقب لحكم الله تعالى فأسباب النجاة امارات فقط على السلامة بشاهد العلم وان كانت العبرة بما فى نفس الامر وعلم الله الازلى (قوله لكنه ان رأى الخ) محصله ان الذى يتحقق للعبد فى الوقت من اعماله وحركاته امارات على ما يكون له من ثمراتها مما يسر او يضر فاذا طرق قلبه احتمال التغير الجائز فى حقه ترتب عليه مقتضاه من سرور وحزن

(قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) اى يظنون (وقال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فكم من مغبوط فى أحواله انعكست عليه الحال) التى هو فيها (ومنى) بضم الميم وكسر النون اى وقدر له (بمفارقة) اى مخالطة (قبيح الاعمال فبدل بالانس وحشة وبالحضور غيبة) فلا يغتر العبد بحالته التى هو فيها وان سكنت نفسه اليها وأثنى عليه الناس بها (سمعت ١٩٩ الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله ينشد كثيرا

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

سمعت منصور بن خلف المغربى رحمه الله يقول كان رجلان اصطحبا فى الارادة) اى المشيئة وفى العبادة (برهة) بضم الباء وكسرها اى مدة طويلة (من الزمان ثم ان أحدهما سافر وفارق صاحبه) اى مضى (وأتى عليه مدة من الزمان ولم يسمع منه) بمعنى عنه وفى نسخة له (خبرا فبينا هذا الآخر كان فى غزاة يقاتل عسكر الروم اذ خرج على المسلمين رجل مقنع فى السلاح يطلب المبارزة فخرج اليه من ابطال المسلمين واحد فقتله الرومى ثم خرج اليه آخر فقتله ثم ثالث فقتله فخرج اليه هذا الصوفى) الذى كان صاحبه (وتطاردا) وتضاربا (فحسر الرومى) قناعه (عن وجهه فاذا هو صاحبه الذى صحبه فى الارادة والعبادة سنين فقال هذا له ايش الخبر فقال له انه) يعنى نفسه (ارتد وخالط القوم) الذين صحبهم من الكفار (وولد له أولاد واجتمع له مال فقال وكنت تقرأ القرآن بقراآت كثيرة فقال لا أذكر منه حرفا فقال له هذا الصوفى لا تفعل وارجع) عن صحبة هؤلاء الى ما كنت عليه (فقال لا أفعل فلى فيهم مال وجاه فانصرف أنت عنى والا فعلت بك ما فعلت بأولئك) الثلاثة (فقال له الصوفى اعلم انك قتلت ثلاثة من المسلمين وليس عليك انفة فى الانصراف فانصرف أنت وأنا أمهلك) الى ان ترجع (فرجع الرجل موليا فاتبعه هذا الصوفى وطعنه فقتله فبعد تلك المجاهدات ومقاساة تلك الرياضات) منه (قتل على النصرانية)

(قوله قال الله تعالى وبدا لهم الخ) دليل على ما قبله اى ظهر لهم من فعله تعالى ما لم يكن لهم فى حساب وذلك لوقوفهم مع الاسباب وغفلتهم عن تصاريف الحق فى الخلق (قوله الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا) اى بحسب ما لابسوه من المخالفات ومفسدات الاعمال وهم بجهلهم يحسبون يظنون انهم يحسنون صنعا (قوله فكم من مغبوط الخ) أشار بذلك الى ان العبرة بما سبق من حكم الحق وقضائه بمقتضى حكمته وحينئذ فلا يغتر الموفق ظاهرا ولا يقنط المقصر ولذا ثبت والمخلصون على خطر عظيم اى من خوف التغيير فى سابق العلم الازلى والمغبوط هو من يتمنى غيره مثل ما ثبت له من الخير مع عدم ميل ذلك الغير الى زوال نعمته عنه (قوله فبدل بالانس) اى بدل أنسه بظاهر حاله وحشة اى خوفا وفزعا وقوله وبالحضور غيبة اى وبدل بقربه المتوهم له بعدا والعياذ بالله تعالى من ذلك (قوله فلا يغتر العبد بحالته الخ) اى لان العبرة بالقبول لا بما هو فى باطن الحال مدخول ومعلول اه (قوله أحسنت ظنك) اى بسبب جهلك ووقوفك مع الواقع فى الحال والغفلة عما يجرى به الحق فى الاستقبال صيرت ظنك حسنا ولم تخش قدر السوء مع ان حوادث الحق التى لا تلائم النفس قد تقع عندما تتوهمه صفوا فعلى كامل العقل التيقظ والبعد عن طرق الغفلة اه لعله يدرك النجاة وبعبارة أخرى يقال أحسنت ظنك أيها المغرور بالايام ومثلها الليالى اذ حسنت بزهرتها وزينتها فى الظاهر ولم تخف سوء ما يأتى به القدر اى لم تخش ما يجرى به الحق تعالى من المقدرات التى يسوء وقوعها بالعبد وسالمتك الليالى اى جعلتك فى سلم وأمن بحسب ما ظهر فيها من تصاريف الحق فى الحال الملائمة للحظ فاغتررت بها اى صرت فى غرور وغفلة حيث وثقت معها ولم تتأمل فيما يحدثه الله تعالى مما لا يلائم الجائز وقوعه والحال والعادة انه عند صفو الوقت يحدث الكدر اى ما يكدر النفوس اه (قوله كان رجلان الخ) أقول فى ايراد مثل هذه العبارة غاية التخويف وما أظن مثل هذا المرتد الا انه كان من المنافقين فى حالته الاولى والا فيبعد كل البعد ان من يذوق حلاوة الايمان بقلبه مدة طويلة انه يصدر منه مثل ذلك والله أعلم (قوله فبعد تلك المجاهدات الخ) أقول وقد ثبت فى صحيح الاخبار ما يدل على مثل هذا فى الحديث الشريف ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة

(وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر) بعد مجاهدته وزياضته (طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان زمانا طويلا فأوحى الله تعالى اليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يارب انا لا نأمن مكرك) فنبكى خوفا من مكرك بنا بالتغيير والتبديل كما وقع لابليس (فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكرى ويحكى عن السرى السقطى رحمه الله انه قال انى لانظر الى أنفى فى اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة وقال ابو حفص منذ أربعين سنة اعتقادى فى نفسى ان الله تعالى ينظر الى نظر السخط) والمقت (واعمالى تدل على ذلك) ٢٠٠ اى لكثرة غفلاته واسوء أدبه فى معاملاته مع الله ومع خلقه (وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقى آدم عليه السلام فيها مالقى) مما هو معروف (ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقى مالقى) من الرد وغيرها (ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام) ويقال بلعم بن باعورا من علماء بنى اسرائيل (كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقى) حيث كفر وصار مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث مع اندلاع لسانه على صدره (ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر قدرا من المصطفى صلى الله عليه وسلم (و) مع ذلك (لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال) لهم (انى قد اجترأت البارحة على الله تعالى) حيث (سألته الجنة) وأنا مقصر فى نفسى ولا تصلح احوالى لسؤالها وكان حقى أن أستعيذ به من النار (وقيل خرج عيسى عليه السلام ومعه صالح من صالحى بنى اسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعد منتبذا) اى منفردا (عنهما منكسرا) ذليلا (فدعا الله سبحانه تعالى وقال اللهم اغفر لى ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع غدا) اى يوم القيامة (بينى وبين ذلك العاصى فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام انى قد استجبت دعاءهما جميعا ورددت ذلك الصالح) لاغتراره بعمله (وغفرت لذلك المجرم) لتفويضه أمره الى ربه ونظره الى عمله بعين النقص (وقال ذو النون المصرى قلت لعليم) المجنون (لم سميت مجنونا قال لما طال حبسى عنه) اى عن رؤيته تعالى فى الدنيا (صرت مجنونا لخوف فراقه فى الآخرة) بأن لا أراه فيها

حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار الحديث وقد أشار الى ذلك أيضا صاحب الحكم العطائية حيث قال سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار فالله سبحانه وتعالى يرزقنا حقيقة الاعتبار (قوله وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر) اى من الطرد وتأبيد اللعنة والبعد عن الرحمة بواسطة ما كتبه عليه حسب سابق حتم القضاء الازلى (قوله طفق) اى شرع جبريل وميكائيل يبكيان (قوله مالكما) استفهام تقريرى مع انه العالم بما تكنه السرائر وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعلم (قوله هكذا كونا) اى فينبغى للعاقل الكامل أن يدوم على الخوف خشية التغيير اذ لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل ولفظة المكر يجب صرفها عن معناها المتعارف لاستحالة ارادة الحقيقة فى حقه تعالى (قوله انى لانظر الى أنفى الخ) فالمداواة لبعض الحاضرين ممن يداوى بمثل ذلك والا فلعله مع كمال شأنه نعمه البسط بشهود التسليم لفعل العليم الحكيم (قوله اى لكثرة غفلاته) انظر هذا من الشارح نفعنا الله بعلومه مع غزارة علمه وكماله حيث حمل كلام ابى حفص على مثل هذا الوجه الذى لا يليق الا بالعامة ثم ان أريد من ذلك القصور عن أداء حق الحق تعالى والتقصير فيه حسبما هو اللائق له تعالى فلا يبعد والله أعلم (قوله وقال حاتم الاصم الخ) أقول قد جمع فى الوعظ أسباب الاغترار حيث تجنبها من أكبر أسباب النجاة فجزاه الله عنا خيرا (قوله ومع ذلك لم ينتفع الخ) اى وقد قيل له انك لا تهدى من أحببت (قوله حيث سألته الجنة الخ) أقول ذلك منه لهضم نفسه وارشاد غيره والا فسؤال الجنة مندوب اليه (قوله فأوحى الله تعالى الخ) فيه تنبيه على عدم رؤية الاعمال وعدم الاغترار بشريف الاحوال حيث ذلك من الوقوف مع الاسباب والغفلة عن شأن رب الارباب فالله يرزقنا السلامة مع التسليم وتفويض امورنا الى العزيز الحكيم (قوله وغفرت لذلك الخ) اى ولهذا اقد أشار صاحب الحكم حيث قال رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (قوله قال لما طال حبسى الخ) أقول ذلك من قبيل هضم النفس والا فرؤية الله بمعنى مراقبته

تعالى فى الدنيا وبمعنى مشاهدته بالابصار فى الآخرة ثبتت لعوام المؤمنين فضلا عن خواصهم (قوله لوان مابى الخ) الغرض افادة ان ماير دعليه من خشية أسباب الفتن الموجبة لهلاك العبد لا يتحمله صخر من الحجر فكيف يتحمله شخص ضعيف القوة خلق من عنصر الطين الخالى عن الصلابة (قوله مارأيت رجلا الخ) اى فقد كان رضى الله عنه بالنسبة لنفسه تجليه الجلال بشاهد العلم ونور المعرفة (قوله قطع الخوف كبده) أقول وقد ثبت عن الصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه انه كان يشم من فمه رائحة الكبد المشوى وذلك لكثرة خوفه من الله تعالى (قوله فقال لانها عزلت الخ) اى وفى ذلك الاشارة الى حكمة تغير الانسان عند الموت بلون الصفرة وذلك لكون الانسان وقت حضور أجله يخشى تزحزحه عن درجة كماله من الايمان فيصفر لونه ثم اذا أمن بعد ذلك يبعث ووجهه مشرق (قوله ويحكى عن أحمد الخ) فيه تنبيه على ان من أعظم أسباب الاستقامة استصحاب الخوف منه تعالى ومن أعظم أسباب العطب سكون النفس وطمأنينتها واغترارها بسعة رحمته تعالى مع التهاون فى الاوامر والنواهى الالهية

(باب الرجاء)

اعلم أن حقيقة الرجاء تعلق القلب بمرغوب فيه مع الاخذ فى الاسباب وهو مندوب اليه بهذا المعنى بخلاف الطمع فانه محرم فالرجاء حينئذ من قبيل طلب غائب وانتظار مفقود وذلك من أضعف منازل العوام لانه معارضة من وجه ودعوى من وجه آخر وله فائدة واحدة نطق به التنزيل ووردت به السنة وهى تبريد حرارة الخوف لئلا يفضى بالعبد الى اليأس فهو دواء لمرض الخوف وهو لا يعرض الا للعوام من العبيد اما الخواص منهم فالرجاء عندهم شكوى وعمى اذهم دائما على بر الالطاف وغرق بحر الجود وتحت قابلية الاحسان فلم يدع لهم ما شاهدوه مستزادا ولا ما كوشف لهم عنه فى الدارين مرادا فالرجاء عندهم وهن وعقال فى الارادة وعلة ووصمة فى المحبة فما ترك وجود الحق لهم غرضا ولا ابقى جوده لهم رجاء ولا غادر حبه لشئ من الكونين فى قلوبهم أثرا فالعارفون المحققون لم يبق لهم امل يتعلقون به ولا غرض يستوقفهم فيقفون معه فى اقل أقل ما لاطفهم به من اجل اجل ما تنتهى اليه رغباتهم ولهذا اشار سيد الكمل صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن نعيم أهل الجنة حيث قال لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان ذلك لهم من حظ النفس من الجنة فما ظنك بما لهؤلاء من حظ قلوبهم من الله عز وجل ثم اعلم ان من اسباب الرجاء التوبة وحسن الظن بالله تعالى لان العبد اذا تأمل وجد ما منه اليه انما هو احسانه من افضاله وعطائه ومن امتنانه حيث أوجده من العدم وامده بالنعم من باب الكرم وجعله مؤمنا من غير سالفة ولا قدم بل هو جوده وكرمه وامتنانه قال أبو حبيب البدوى رحمه الله تعالى لم نر خيرا قط الا من ربنا فما لنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط الا منه وقال الشاذلى نفعنا الله به أما نحن فلا نحب

(وفى معناه أنشدوا * لوان مابى على صخر لانحله *) اى أهرمه وأسقمه (فكيف يحمله خلق من الطين وقال بعضهم ما رأيت رجلا أعظم رجاء لهذه) وفى نسخة فى هذه (الامة ولا أشد خوفا على نفسه من ابن سيرين) حيث نظر الى عمله بعين النقص وحسن ظنه بالمسلمين فرجا لهم العفو عما يقع منهم (وقيل مرض سفيان الثورى فعرض دليله) اى ما يستدل به على مرضه (على الطبيب فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء) اليه (وجس عرقه) اى نبضه (ثم قال ما علمت ان فى الحنيفية مثله) فى كمال خوفه وتقصيره (وسئل الشبلى لم تصفر الشمس عند الغروب فقال لانها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام) اى مقام التمام (وكذا المؤمن اذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه لانه يخاف المقام فاذا طلعت الشمس طلعت مضيئة كذلك المؤمن اذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق) اى يضئ (ويحكى عن احمد بن حنبل رضى الله عنه انه قال سألت ربى عز وجل ان يفتح على بابا من الخوف ففتح) على به (فخفت على عقلى فقلت يارب) أعطنى (على قدر ما أطيق فسكن) عنى (ذلك) فعلم ان الخوف يتنوع بتنوع المخوف منه وان توالبه على العبد يرقيه الى أعالى الدرجات ويحفظ عليه ما يخاف منه الفوات والله أعلم *(باب الرجاء)*

بالمد بمعنى الامل وسيأتى بيانه وسببه الدوام على الاعمال الصالحة وهو ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى من كان يرجو لقاء الله) أى بالبعث والجزاء (فان اجل الله لآت) وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الاهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عمرو بن مسلم الثقفى قال حدثنا الحسن ابن خالد قال حدثنا العلاء بن زيد قال دخلت على مالك بن دينار فرأيت عنده شهر بن حوشب فلما خرجنا من عنده قلت لشهر رحمك الله زودنى زودك الله فقال نعم حدثتنى عمتى أم الدرداء عن أبي الدرداء رضى الله عنه عن نبى الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قال ربكم عز وجل) يا (عبدى ماعبدتنى ورجوتنى ولم تشرك بى شيأ غفرت لك ما كان منك) من الهفوات (ولو استقبلتنى بملء الارض خطايا وذنوبا استقبلتك بملئهن مغفرة فاغفر لك ولا ابالى) باحد فيه دلالة على سعة رحمة الله تعالى للتائبين حيث يغفر لهم جميع ذنوبهم ويؤيده

غير الله تعالى فقال له رجل قد رأى ذلك جدك يا سيدى بقوله جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فقال انالم نر محسنا الا الله تعالى فلا نحب سواه وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى بحب الله الحديث (قوله وسببه الدوام على الاعمال) أى بخلاف الطمع اذ هو امل الخير مع ترك اسبابه ولذا حرم شرعا (قوله وهو ممدوح ومطلوب) أى مثنى على فاعله ولازم منه طلبه (قوله قال الله تعالى) استدلال على ماقدمه من قوله وهو ممدوح ومطلوب (قوله من كان يرجو لقاء الله) أى كرامته فالمراد بلقاء الله كرامته وادخال الماضى فى قوله من كان يرجو للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والدوام والاستقامة على رجاء لقاء الله وحينئذ فليعمل على طريق المتابعة ليتوصل الى كرامته يوم لقاء ربه فانه لآت وكل آت قريب (قوله فليعمل عملا صالحا) فى نفسه لائقا بذلك المرجو ولا يشرك بعبادة ربه أحدا شركا خفيا أو جليا كما فعل المبعدون من المرائين والكافرين ووضع المظهر موضع المضمر مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلة الامر والنهى ووجوب الامتثال فعلا وتركا (قوله يا عبدى الخ) اذا تأملت اضافة التشريف تفهم سر حكمة التخفيف فالله تعالى يحقق لنا صحة الانتساب لنندرج فى زمرة الاحباب (قوله ماعبدتنى الخ) ما مصدرية ظرفية أى مادمت تعبدنى على حسب الطاقة مع الرجاء المشروع وعدم الشرك فى العبادة غفرت لك ما كان منك أى محوت جميع سيئاتك وتجاوزت لك عنها ولو بلغت بالكثرة بحيث لو جسمت لملأت الارض اذ رحمة الله أوسع واعلم أن العباد منقسمون الى تائبين ومنيبين ومخبتين وزهاد واتقياء وأولياء وغيرهم ثم انهم وان اجتمعوا فى دائرة الايمان فقد افترقوا فى منازل العرفان وتشعبوا فى أودية الاحسان قد علم كل اناس مشربهم فالناس منهم هم الذين لم يصلوا عين اليقين ولم يشربوا بكأس حقه ولم يتنعموا ببرده فمن يعمل على رجاء الجنة وخوف النار فهم وان كانوا على جانب من الحق ونسبة فى الجنة الى المعبود برابطة النسك والعبادة فغاية مرامهم ونهاية قصدهم التمتع بالجنة وما احتوت عليه من النعيم وذلك نزر بالنسبة لمطلب العارفين اذ غايته الوصول الى الحق والذات المطلقة التى كل متميد بقيد الحسن حسنة من حسناتها فشتان بين مشرق ومغرب * فافهم والله أعلم (قوله ورجوتنى) أقول لا تظن أن مجرد الرجاء ينفعك حيث كان بدون أخذ فى الاسباب فانه حينئذ أمنية وهى عين المنية والخلع التعطيل فى كل قال معروف الكرخى طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا متابعة نوع من الغرور فالامانى أودية الشياطين يجلون فيها فافهم (قوله ولم تشرك بى شيأ) أى شركا خفيا أو جليا بان تمحض قصدك فى طاعتك لذاتى فنفى الشرك بنوعيه شرط فى غفران الذنوب ولو كثرت (قوله ولو استقبلتنى) أى قدمت على بملء الارض خطايا لو جسمت لاستقبلتك أى لقابلتك بملئهن مغفرة لو جسمت كذلك (قوله ويؤيده

قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء الآية وقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له (أخبرنا على بن احمد قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا ٢٠٣ بشر بن موسى قال حدثنا خلف بن الوليد قال حدثنا مروان بن معاوية الفزاري قال حدثنا أبو سفيان طريف) بالمهملة (عن عبد الله بن الحرث عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى) يوم القيامة (اخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة شعير من ايمان ثم يقول اخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ثم يقول وعزتى وجلالى لا اجعل من آمن بى ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بى) بل اجعله كمن آمن بى أبدا لان الايمان يجب ما قبله وثمرات الرجاء لمن داوم على الاعمال الصالحة عظيمة ويكفى فيها قول النبى صلى الله عليه وسلم قال الله ما تقرب الى المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وان دعانى لاجيبنه وان سألنى لاعطينه وان استعاذنى لاعيذنه وما ترددت فى شيء انا فاعله ترددى فى نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته فانه يدل على أن هذا العبد محفوظ فى سائر اعضائه فلا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ولا يمد يده ولا رجله الا محفوظا من الزلل جاريا على حسن العمل ويدل على انه مجاب الدعوة ثم بين حقيقة الرجاء

قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء) أى شأنها أن تسع فى الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم وفى نسبة الاصابة الى العذاب المذكور قبل فى هذه الآية بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضى ايذان بان الرحمة مقتضى الذات وأما العذاب فمقتضى معاصى العباد واعلم ان المشيئة معتبرة فى جانب الرحمة أيضا فعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور ألا ترى الى قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون فانه متفرع على اعتبار المشيئة (قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به) أى سواء اليهود وغيرهم ممن اجمع على كفرهم فان الشرع قد نص على اشراك أهل الكتاب قاطبة وان كانت الآية الشريفة وردت فى اليهود واعلم أن المراد بالشرك مطلق الكفر وقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء عطف على خبر ان ولفظة ذلك للاشارة الى الشرك وما فى معناه من معنى البعد مع قربه فى الذكر للايذان ببعد درجته وانه فى أقصى مراتب القبح أى ويغفر ما دونه فى القبح من المعاصى ولو بدون توبة لمن يشاء من الخلق بلا فرق بين كبائر المعاصى وصغائرها والله أعلم (قوله وخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له) أقول واذا صادفت العبد العناية الالهية تحصل له المغفرة والتجاوز وان لم توجد منه توبة والله أعلم (قوله مثقال حبة شعير من ايمان) أقول والله أعلم ان المراد المبالغة فى الغفران للمؤمن ولو قل ايمانه وفضل الله واسع وكرمه عظيم فلا يختص باحد من المؤمنين دون أحد اذ الكل عبيده ومحل لتنزل رحمته (قوله بل أجعله كمن آمن بى ابدا) أى لان حقيقة الايمان واحدة والثواب المرتب على مجرد الايمان كذلك أما ثواب الاعمال فشئ آخر (قوله وثمرات الرجاء) وهى تحقق ما ترجى العبد حصوله بل زيادة الاحسان اليه زيادة عما توقعه بدليل تنكير قوله عظيمة وقوله لمن داوم على الاعمال الصالحة تصريح بالمعلوم من حقيقة الرجاء المشروع على ما لا يخفى والا كان طمعا محرما (قوله قول النبى الخ) أى فى الحديث القدسى (قوله بمثل اداء ما افترضت عليهم) يشير الى أن للقرب منه تعالى أسبابا وآكدها أداء ما فرض على المكلفين من الطاعات وأعمال البر بمعنى القيام بها فى أوقاتها المحدودة لها وان من جملة أسباب القرب القيام بنوافل العبادات بعد أداء المفروضات ومن ذلك يتحقق للعبد المحبة من الله له (قوله حتى أحبه الخ) ليس يخفى عليك أن محبة الله لعبده احسانه اليه أو ارادته ذلك (قوله كنت سمعه الخ) المعنى كما اشار اليه الشرح على حفظ جوارحه الظاهرة والباطنة عن الزلل مع التوفيق للخير فلا تغتر بغير هذا مما يقال فى مثل ذلك (قوله وان دعانى) أى طلب منى شيأ لاجيبنه لما طلب بمحكمتى وتقديرى وعطف قوله وان سألنى على دعانى تفسيرى (قوله وان استعاذنى) أى طلب التعوذ بى لاعيذنه وامنع عنه ما يسوءه (قوله وما ترددت فى شيء الخ) المراد والله اعلم اظهار عنايته تعالى ورعايته لهذا العبد والا فا

فقال (الرجاء تعلق القلب بمحبوب) من جلب نفع أو دفع ضر (سيحصل في المستقبل) وذلك بأن يغلب على القلب الظن بحصوله في المستقبل (وكان الخوف) المقابل للرجاء (يقع) متعلقه (في مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما) أي لمحبوب (يؤمل) وقوعه في زمن (الاستقبال وبالرجاء) المرتب على العمل الصالح يحصل (عيش القلوب واستقلالها) بالملاذ الاخروية (والفرق بين الرجاء وبين التمني) وهو طلب ما لا طمع ٢٠٤ في وقوعه كليت الشباب يعود (ان التمني يصاحبه الكسل ولا يسلك) صاحبه (طريق الجهد والجد) في الطاعات (وبعكسه صاحب الرجاء) فانه يسلك طريق ذلك (فالرجاء محمود والتمني معلول) اى مذموم (و) قد (تكلموا) اى الصوفية (في الرجاء فقال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة) ومن المعهود في أعمال الدنيا ان من وضع حبة في ارض طيبة قد رويت قوي رجاؤه وظنه بحصول مطلوبه وعكسه من وضع حبة في ارض سبخة في زمن الصيف وقال الله قادر على ان ينبتها فيها وهذا القول وان كان صحيحا لكن المتبع ما اجراه الله من عادته في خلقه (وقال ابن خبيق) أصل (الرجاء ثلاثة رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها ورجل عمل سيئة ثم تاب منها فهو يرجو المغفرة والثالث الرجل الكاذب) المغرور (يتمادى في الذنوب ويقول ارجو المغفرة) ويتمناها مع اقامة الزلل فحق الحازم ان لا يزال على وجل وان حسن عمله قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وتقدم في باب الخوف خبر عائشة رضي الله عنها في تفسير هؤلاء (ومن عرف نفسه بالاساءة ينبغي) أي فالاولى (ان يكون خوفه غالبا على رجائه) ليوافق اذ الخوف يقلع به العبد عن الزلات خوفا من العقوبات والرجاء طمع في رفيع الدرجات وكان هذا مقيل لما مر في الباب السابق (وقيل الرجاء ثقة الجود من الكريم الودود وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال) كل منهما ليس برجاء بل الاول سببه لان الثقة بالوعد تحمل العبد على العمل الموعود عليه بالثواب وعلى التوبة الموعود بها بالغفران والصفح عن العذاب

يتبادر من العبارة غير مراد لاستحالته في حقه سبحانه وتعالى (قوله تعلق القلب بمحبوب الخ) أي مع الاخذ في الاسباب والا كان من الطمع المذموم شرعا (قوله يحصل عيش القلوب) أي معيشتها وحياتها وقوله واستقلالها أي تفرغها للملاذ الاخروية فلولا ذلك لهلكت القلوب بسبب قوة طوارق الخوف على النفوس (قوله والفرق بين الرجاء وبين التمني الخ) أي الفرق بين الرجاء الممدوح وبين التمني المذموم وذلك الفرق باعتبار ما يترتب على كل منهما (قوله فالرجاء محمود) أي لكونه مطلوبا شرعا ولما يترتب عليه من الثمرات وقوله والتمني معلول أي لعدم مشروعيته ولما يترتب عليه من الكسل وضياع الاوقات بدون فائدة (قوله علامة الرجاء حسن الطاعة) أي علامته وامارة تحققه وحسنه حسن الطاعة وذلك لان حسن الطاعة شرط في مشروعيته وحسن صدوره من العبد (قوله ومن المعهود الخ) بيان لما قدمه بما تألفه البشريات وتعتاده في أمور دنياهم ليقوى تحقق مثله فيما لاخراهم (قوله وعكسه من وضع الخ) أي وذلك مثل للطمع فانه تامل مرغوب فيه مع التكاسل وايثار الراحة ولذلك كان محرما ومذموما (قوله وان كان صحيحا) أي في نظر الشرع والعقل غير ان عادة الله الجارية في خلقه بخلاف ذلك وان جاز تخلفها (قوله الرجاء ثلاثة) أي باعتبار متعلقه وهو الشيء المرجو (قوله الرجاء ثلاثة) محصله ان الاولين مشروعان دون الثالث وان الرجاء من منازل المؤمن اذ لا يعتمد على شيء سوى ربه (قوله رجل عمل حسنة الخ) أي رجاء رجل عمل حسنة الخ ومثل ذلك يقال فيما بعده (قوله فحق الحازم) أي العاقل الحاذق اذ لا يزال على وجل وخوف من احتمال عدم القبول الجائز في حقه وان حسن عمله لان الحق تعالى لا يسئل عما يفعل ولا معقب لحكمه على ان ذلك لازم في كل شيء من اسباب الخير فلا يصح الاستناد اليها لما تقدم (قوله وتقدم في باب الخوف خبر عائشة) أي وهو قولها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر قال لا ولكن الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا يقبل منه (قوله ومن عرف نفسه بالاساءة الخ) محصله ان الرجاء لا يصح الا ممن تجرد عن الزلات حتى يرجو رفيع الدرجات ومثله عزيز فحينئذ ينبغي ان يكون خوف الراجي من عدم صحة رجائه بواسطة انه قل ان يخلو من الزلات (قوله ومن عرف نفسه الخ) أي ومظنة ذلك الصحة فالاولى ان يناط الخوف بها

والثانى راجع الى المعرفة أو الى المرجو دون الرجاء (وقيل هو قرب القلب من ملاطفة الرب) هذا قريب مما قبله وفيه اشارة الى الحضور ودوام العلم بتوالى نعم الله على العبد (وقيل) هو (سرور الفؤاد بحسن المعاد) أى المرجع والمصير وفى نسخة الميعاد (وقيل هو النظر الى سعة رحمة الله تعالى) كل منهما يشمل التمنى مع أن الثانى يرجع الى سبب الرجاء دون الرجاء لان النظر الى سعة رحمة الله تعالى يحمل العبد على العمل والتوبة (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول الخوف والرجاء هما كجناحى الطائر اذا استويا استوى الطير وتم طيرانه واذا نقص أحدهما وقع فيه النقص واذا ذهبا صار الطائر فى حد ٢٠٥ الموت) وذلك لانه تعالى مدح من استقام على طاعته بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين بتفسير الرغب بالرجاء والرهب بالخوف فمتى استقام العبد فى أحواله استقام فى سلوكه فى طاعاته باعتدال رجائه وخوفه ومتى قصر فى طاعاته ضعف رجاؤه ودنا منه الضلال ومتى قل خوفه وحذره من مفسدات الاعمال تعرض للهلاك ومتى عدم الرجاء والخوف تمكن منه عدوه وهواه وبعد عن حزب من حفظه ربه وتولاه وبذلك علم وجه الشبه بينهما وبين جناحى الطائر (وسمعته) أى السلمى (يقول سمعت النصراباذى يقول سمعت ابن أبى حاتم يقول سمعت على بن شهمرذان) باسكان الهاء والراء وفتح الميم (يقول قال أحمد بن عاصم الانطاكى وقد سئل ما علامة الرجاء فى العبد قال أن يكون اذا أحاط به الاحسان ألهم الشكر راجيا لتمام النعمة من الله عليه فى الدنيا وتمام عفوه فى الآخرة) لان من توالت عليه النعم من ربه ورجا دوامها وتوالى أمثالها شكرها فان شكره عمل وعد عليه بالزيادة كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم (وقال أبو عبد الله بن خفيف الرجاء استبشار بوجود فضله) هذا ليس برجاء بل هو راجع الى الفرح بالنعم لانه استبشار بحاصل والرجاء طمع فيما لم يحصل (وقال) أيضا الرجاء (ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب) هذا أيضا ليس برجاء بل هو راجع الى سببه أو الى المعرفة بكرم الله تعالى وصفاته (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من حمل نفسه على الرجاء) بان نظر الى ما منّ الله به عليه

ليوافق المنقول فى كتب الفروع (قوله والثانى راجع الى المعرفة) أى معرفة مصدر الافعال وقوله أو الى المرجو أى الذى تعلق به القلب دون نفس الرجاء (قوله وقيل هو قرب القلب) أى مراقبة القلب مظاهر نعم الرب والاء الله تعالى المتوالية على عبيده (قوله وقيل هو سرور الفؤاد) أى بما يطرقه من بشائر الوعد فبواسطة قوة ايمان العبد يثق بانجاز الوعد فيسر قلبه بحسن الرجوع اليه تعالى (قوله وقيل هو النظر الى سعة رحمة الله) أى صلاحيتها للشمول لكل من صالح المؤمنين وطالحهم (قوله مع ان الثانى يرجع الخ) أقول ومثله الاول ايضا (قوله هما كجناحى الطائر الخ) محصله الحث على انه ينبغى للعبد ان يكون عمله عليهما حتى لا يغتر ولا يقنط فيهلك والله أعلم (قوله ضعف رجاؤه) أى لضعف شرطه وهو العمل (قوله تعرض للهلاك) أى بسبب فترته عن المأمورات والمنهيات (قوله قال ان يكون الخ) محصله ان الرجاء ما صاحبه التوفيق والا كان من الطمع المذموم (قوله ألهم الشكر) أى وهو دوام عبادة المنعم على حسب الطاقة (قوله بل هو راجع الى الفرح بالنعم) أى وذلك مذموم اذا كان الفرح بها لا من حيث المنعم بها بل لحظ النفس منها فانه ناشئ من عمى البصيرة ويثمر حرصا واسترسالا فى العوائد وقلة المبالاة فى القبض والصرف وشدة الفرح بالموجود والحزن على المفقود وبذلك يقع الهلاك والخسران اما اذا كانت محبة النعم والفرح بها من حيث المنعم بها فهو ممدوح لان صاحبه قد قام بالشريعة فى عين ملاحظة الحقيقة (قوله والرجاء طمع فيما لم يحصل) أى مما تتوقع النفس حصوله فى المستقبل فيه أن الفرح بوجود فضله تعالى يصح أن يكون المراد به الثابت فى ذاته مما تعلق به رجاؤه وان كان غير حاصل للراجى فى الحال اذ لا شك أن الرجاء يفيد ذلك الفرح وهو بهذا المعنى لا يخرج عن حقيقته ومثله يقال فيما بعده نعم يقال ان ذلك لازم للرجاء لا حقيقته (قوله من حمل نفسه الخ) محصله الحث على حمل العمل على اعتدالهما أى بين الرجاء والخوف وذلك لما فى افراد كل منهما

(تعطل) عن الطاعة لامنه من مكر الله تعالى (ومن حمل نفسه على الخوف) بان تفكر فيما ارتكبه من الزلات (قنط) وايس من رحمة الله تعالى (ولكن) يحمل (من هذه) الجهة (مرة ومن هذه) الاخرى (مرة) بحيث يداوى زيادة الرجاء بالخوف وبالعكس وهذا طريق من اراد أن يستوى رجاؤه ٢٠٦ وخوفه ويستوى على سلوك الطريق (وسمعته) أيضا (يقول حدثنا أبو العباس البغدادي قال حدثنا الحسن بن صفوان قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثت عن بكر بن سليم الصواف قال دخلنا على مالك بن انس رحمه الله في العشية التى قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك فقال ما ادرى ما أقول لكم) أى مما رأيت الآن من اكرام الله لى ومن صور الملائكة الذى يعالجون روحى بحيث عجزت عن ان اعبر عنه بلسانى (غير انكم ستعاينون من عفو الله تعالى مالم يكن لكم فى حساب ثم ما برحنا) من مكاننا (حتى اغمضناه) فاولياء الله تعالى اعد لهم من النعيم مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وقال يحيى بن معاذ يكاد رجائى لك) يا الله (مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الاعمال لانى اجدنى اعتمد فى الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها) أى احفظها من الآفة (وانا بالآفة) من الرياء والكبر والعجب ونحوها (معروف واجدنى فى الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وكلموا ذا النون المصرى وهو فى النزع فقال لا تشغلونى) أى عن كمال شغلى بربى ومناجاتى له (فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معى) أى بى من الخير والتقريب (وقال يحيى بن معاذ الهى أحلى العطايا) واطيبها والذها (فى قلبى رجاؤك) لما تجدده على من فضلك (واعذب الكلام على لسانى ثناؤك) لكمال محبتى لك عذوبة

من المفاسد (قوله تعطل) أى لانه ربما وقف معه فتعطل عن الاعمال أو غيرها من المقامات (قوله قنط) أى يئس من الرحمة وذلك من كبائر الذنوب (قوله ولكن يحمل من هذه الخ) أقول هو قريب مما ذكره بعضهم كالغزالى من التفصيل الذى محصله ان من قوى رجاؤه وخاف منه العطب طلب له الخوف ومن غلب عليه الخوف وخاف مفاسده طلب منه الرجاء وهو نفيس (قوله فقال ما ادرى) أى لما ظهر لى مما لا تسعه العبارة ولا تغنى عن بيانه الاشارة من عظيم فضل الله وجزيل ما انعم الله به واولاه ولاسيما لمثل هذا الامام ممن عم فضله الانام كيف وهو عالم المدينة الشريفة ذو الفضائل المنيفة رضى الله تعالى عنه وارضاه عنا (قوله غير انكم الخ) أقول ومثل هذا من مثل هذا الامام فى مثل ذلك الوقت الذى يصدق فيه الكذوب بشرى للمؤمنين عظيمة وغير بعيد لرب الكرم التفضل ولو على المسىء كيف وقد أمر عباده بذلك فالله تعالى يحسن لنا ولاخواننا العواقب ويعاملنا بالاحسان (قوله يكاد رجائى الخ) محصله قوة الرجاء منه فى سعة فضل الله تعالى وموائد كرمه سواء مع مصاحبة الاعمال أو مع التجرد عنها بل مع التجرد قد يحسن الرجاء منه اكثر اذ لا اعتماد له حينئذ الا على فضل ربه وحاشى الكريم ان يضيع من هذه صفته ومع الاعمال يكون الرجاء أيضا حسنا اذ سر القبول انما هو الاخلاص والتحفظ من الآفات وكل يعسر الا على الموفق والحاصل أن الرجاء هو المطلوب فى حالة المضايق لصاحبه عمل أولا والله اعلم (قوله يكاد رجائى الخ) أقول وهكذا يكون حال الفقير عديم الناصر من عمه الافلاس وعافه الناس ان يرجع الى مالك ازمة الرحمات ومبدع سائر أسباب السعادات وحينئذ فالشأن القبول ولاسيما اذا توسل بسيدنا الرسول قال بعضهم

وحمل الزاد أقبح كل شئ * اذا كان القدوم على كريم

(قوله فقد تعجبت الخ) أقول عجبه ليس من اكرامه فى مثل هذا الوقت الذى يزيد فيه اضطراره وفاقته لان الاكرام فى مثل هذه الحالة مرجو لغيره من عوام المؤمنين المقصرين فضلا عن خواصهم العارفين فحينئذ يكون تعجبه مما شاهده من أنواع الاكرام التى لا تسعها العقول ولا تفى بحصرها النقول والله اعلم (قوله الهى أحلى العطايا الخ) الهى منادى قاله تعبدا وتلذذا بالتنويه بالوهية الحق تعالى وقوله احلى العطايا أى اهنؤها والذها وامرؤها فى قلبى باعتبار ثمرة ومصدرها رجاؤك أى وصول ما رجوته منك مما لم يكن لاحد من خلقك على فيه منة وقوله وأعذب الكلام أى اقواه

(واحب الساعات الى ساعة يكون فيها القاؤك) أى بوقوفى او بحضورى معك بان لا اشتغل بغيرك الا فى ذلك من مراقبتك واستشعار نظرك الى ودوام الادب حينئذ (وفى بعض التفاسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على اصحابه من باب بنى شيبة فرآهم يضحكون فقال) منكرا عليهم (اتضحكون لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم مر) الى جهته (ثم رجع) اليهم رجوع القهقرى وقال نزل على جبريل عليه السلام وأتى بقوله تعالى نبئ عبادى ٢٠٧ انى انا الغفور الرحيم) فيه دلالة على سعة رحمة الله تعالى وكمال تجاوزه عن خلقه وعلى ان رجاء العفو لا ينافيه الانبساط بالضحك ونحوه والاشق ذلك على خلقه (أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الاهوازى قال حدثنا أبو الحسن الصفار قال حدثنا عباس بن تميم قال حدثنا يحيى بن ايوب قال حدثنا مسلم بن سالم قال حدثنا خارجة ابن مصعب عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم فقلت بابى وامى يارسول الله أو يضحك ربنا عزوجل فقال والذى نفسى بيده انه ليضحك فقالت لا يعدمنا خيرا اذا ضحك) اذ الضحك علامة الرضا وبذلك علم انه تعالى لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة فمن اطاعه فبركة طاعته عائدة عليه ومن عصاه فشؤم معصيته راجع اليه فان تاب عنها فلا يأس من رحمة الله فان ايس منها فهو جاهل ومن ثم ضحك تعالى ممن ييأس لانه اتى بشئ عجيب وهو غفلته عن سعة رحمته او جهله واعتقاده ان معصيته يرجع الى ربه منها شئ فضحك ربه مقابلة له بضد حاله فانه لما ايس من رحمته استبعها عليه لاسيما بعد توبته (واعلم ان الضحك فى وصفه) تعالى ليس الضحك المعتاد تعالى الله عن ذلك بل هو (من صفات فعله وهو اظهار فضله كما يقال ضحكت

عذوبة وحلاوة ولذة على اسماتى ثناؤك أى بتعداد صفات كمالك وجمالك اذ به تنفس نيران أشواق المودعة بقلبى من غرس محبتك ونعمك وقوله وأحب الساعات أى اللحظات الى ساعة أى وقت يكون فيه لقاؤك بقلبى الذى هو كناية عن أعمال البر مع المراقبة والله أعلم (قوله لو تعلمون ما اعلم الخ) وجهه ان علمه صلى الله عليه وسلم من حق اليقين وعلمهم من علم اليقين والفرق بينهما ظاهر (قوله نزل على جبريل الخ) فيه اشارة الى أن ادخال السرور على المؤمنين أفضل من ذكر ما يفزع قلوبهم من مظاهر الجلال والخوف ولاسيما بالنسبة لمن كمل يقينه واستقامت أعماله وغلب عليه حال الخوف (قوله نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم) تأمل اضافة التشريف المسوغة فى قالب العموم مع ايراد اسمه تعالى الرحيم بعد الغفور تفهم عموم البشرى والرحمة ولذلك نعت الرسول صلى الله عليه وسلم بالرأفة والرحمة فتكرير الاشارة بالاحسان ليطمئن قلب الوجل الولهان (قوله نبئ عبادى) هم الذين عبر عنهم بالمتقين انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم ذلك تقرير لما سبق من الوعد والوعيد وفى المغفرة المذكورة اشعار بانه ليس المراد بالمتقين من يتقى جميع الذنوب وفى وصف ذاته تعالى بهما وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما من مقتضيات الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج (قوله ان الله تعالى ليضحك من يأس العباد) أقول الاشارة بذكر الضحك الى انه تعالى على خلاف ما يخطر فى الاوهام وان رحمته وسعت كل شئ وانه يتم لا فى مقابلة شئ من الجهل والحمق والغفلة الوقوف مع شئ من الطاعات واليأس من وقوع المخالفات فعلى الكيس الاخذ بالمتابعات والتسليم لسابق التقديرات (قوله فقالت لا يعدمنا خيرا الخ) يؤخذ من ذلك ان فرحها رضى الله عنها بالرضا منه تعالى وذلك عين الكمال لانه من شأن أهل المقامات والاحوال فذلك دليل على صدق حالها رضى الله تعالى عنها (قوله فقالت لا يعدمنا خيرا الخ) أى فاذا ثبت رضاؤه عنا فشأن كرمه انه لا يعدمنا خيرا بل يديمنا باحسانه والمقصر منا بالكرم أولى فى كل من الآخرة والاولى (قوله فان أيس منها فهو جاهل) أى لجهله بمجارى القضاء والقدر حيث هما لا لعلة ولا سبب قال قائلهم

بلا عمل منى اليه اكتسبته * سوى محض فضل لا بشئ يعلل

(قوله بل هو من صفات فعله) أى الذى هو انعامه على خلقه (قوله كما يقال ضحكت

الارض بالنبات) أى اخرجته منها (وضحكه) الاولى فضحكه تعالى (من قنوطهم اظهار تحقيق فضله الذى هو ضعف) بل اضعاف طول (انتظارهم له) المرتب عليه يأسهم (وقيل ان مجوسيا استضاف الخليل ابراهيم عليه السلام) أى طلب منه أن يضيفه (فقال) له (ان اسلمت اضيفك فقال المجوسى اذا اسلمت فأى منة تكون لك على فر المجوسى) أى جاوزه (فاوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه نحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ماذا عليك) من الحرج (فمر ابراهيم عليه السلام خلف المجوسى واضافه فقال له المجوسى أى شئ كان السبب فى الذى بدا لك فذكر له ذلك فقال له المجوسى أهكذا يعاملنى) ٢٠٨ وفى رواية نعم الرب رب يعاتب نبيه فى عدوه (ثم قال اعرض على الاسلام) فعرضه عليه (فأسلم) وجه تعلق هذا بالرجاء انه تعالى يجعل الاسباب الضعيفة موصلة لغفران الذنوب العظيمة فاذا علم العبد بذلك تعلق قلبه بمحبوبه من جلب نفع ودفع ضرر وفيما ذكره اشارة الى ان الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة حيث بسطها لاعدائه وبسط رحمته الدنيوية يعم الكافر والمؤمن بخلاف الاخروية كما قال تعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ولما رأى المجوسى فضل الله عليه فى معاتبة نبيه لاجل عدوه وشكر ذلك جازاه الله بتوفيقه للاسلام (سمعت الشيخ أبا على الدقاق رحمه الله يقول رأى الاستاذ ابو سهل الصعلوكى رحمه الله ابا سهل الزجاج فى المنام وكان يقول بوعيد الابد) أى بان الله تعالى اذا توعد على معصية بعقاب فلابد من وقوعه وهو غفلة منه عن شرطه فان ذلك يغفره اذا شاء كما قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمنا) يحتمل ان يكون الله غفر له اعتقاده المذكور لغفلته عن شرطه ويحتمل انه تاب عن اعتقاده قبل موته ولم يعلم الرائى حاله فلما رآه فى المنام وسأله عن حاله اخبره بما ذكر (سمعت أبا بكر بن اشكيب يقول رأيت الاستاذ ابا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف فقلت له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظنى بربى بحسن ظنى بربى) مرتين (ورؤى مالك بن دينار فى المنام فقيل له ماذا فعل الله بك فقال قدمت على ربى بذنوب كثيرة محاها عنى حسن ظنى به تعالى) لقوله تعالى انا عند ظن عبدى بى وقد عرفت ان الرؤيا اما مبشرة أو منذرة

الارض بالنبات الخ) التشبيه فى مطلق التجوز بلفظ الضحك عن معناه المتعارف الى اظهار الانعام أو النبات (قوله وقيل ان مجوسيا الخ) فى هذه القصة تنبيه على انه لا ينبغى الاغترار بالعمل ولا القنوط من الخطيئة ولا احتقار مخلوق لكفره أو فسقه اذ العواقب مجهولة واسباب السلامة قد تكون معلولة ولا اعظم للذنوب فى جانب الرحمة فقد تكون النجاة من عظيم الآثام بقليل بذل الحطام وقد يزل قدم ذى الكمال بعد مجاهدته الايام والليال فالله يرزقنا السلامة والتسليم لجارى أفعال العزيز الحكيم (قوله اهكذا يعاملنى) الغرض افادة ان شأن الحق تعالى معه انه يقابل قبيح أفعاله بحسن افضاله وانه اذا كان هذا شأنه فى وقت نفرة العبيد فكرمه بعد تحقق الايمان يرجى به التوفيق والتسديد (قوله وجه تعلق هذا بالرجاء الخ) محصله ان من اسباب الرجاء العلم بسعة الفضل وانه لا يقتضى كبيرا كانة بل قد يترتب على أقل شئ من العبد (قوله تعلق قلبه بمحبوبه) أى دون غيره من سائر الكائنات (قوله وبسط رحمته الدنيوية الخ) جملة مستأنفة لافادة ان النعم الدنيوية تعم الكافر والمسلم الصالح والطالح بخلاف الاخروية فهى خاصة بالمؤمنين العصاة والموفقين (قوله ولما رأى المجوسى) أى بواسطة عين الاعتبار بما قذفه الله فى قلبه من نور الاستبصار (قوله فقال وجدنا الامر أسهل الخ) أقول فى ذلك تنبيه على انه قد غفر له ما كان يعتقده اما لما ذكره المؤلف من رجوعه عنه وتوبته منه واما لعدم تقصيره فى ذلك الاعتقاد حيث كان هو الذى اداه اليه اجتهاده بعد البحث على حسب الوسع (قوله فقال بحسن ظنى بربى) أى وله الاشارة بقول بعضهم شعرا

فقرى لمعروفك المعروف يدنينى * يا من ارجيه والتقصير يرجينى
ان أوبقتنى الخطايا عن مدى شرف * نجا بادراكه الناجون من دونى
أو غض من أملى ما ساء من عملى * فان من حسن ظنى فيك يكفينى

فمن غلب عليه الخوف حتى يخشى عليه من اليأس من رحمة الله تعالى أراه الله في نومه من يعتقد صلاحه فيعرفه سعة رحمة الله للخلق فيقل مخافته ويسلم من اليأس فتكون الرؤيا في حقه مبشرة ومن غلب عليه توالى الغفلات ثم من الله عليه بالتوبة واشتغل بالاعمال الصالحة وغفل بما هو فيه من حسن حاله عما كان فيه قبل أراه الله في نومه من يعتقد صلاحه وحذره من أدنى الشبه فيقول كيف حالك فيقول الساعة كما تخلصت من الحساب فتكون الرؤيا في حقه منذرة وحاملة له على تدارك مافات ويقول لنفسه اذا كان مثل هذا الصالح كما تخلص من الحساب فكيف يكون حالي (وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هو خير منهم) وفي رواية في ملأ خير من ملئهم (وان اقترب الي شبرا اقتربت اليه ذراعا وان اقترب الي ذراعا اقتربت اليه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة * أخبرنا بذلك أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني قال أخبرنا ٢٠٩ يعقوب بن اسحق قال حدثنا علي بن حرب قال حدثنا أبو معاوية ومحمد ابن عبيد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك) ورواه مسلم ايضا وفيه دلالة على ان العبد اذا عمل يسيرا من الطاعة اعطاه الله من الاجر كثيرا وهو داخل في قوله والله يضاعف لمن يشاء والمراد بالقرب والاتيان في الخبر في حق العبد سرعة الامتثال وفي حقه تعالى سرعة الاجابة وكثرة الاجابة (وقيل كان) عبد الله (بن المبارك يقاتل علجا) هو الكافر الغليظ الشديد (مرة فدخل وقت صلاة العلج فاستمهله) مدة (فامهله فلما سجد للشمس اراد ابن المبارك أن يضربه بسيفه فسمع من الهواء قائلا يقول واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا فامسك) عنه (فلما سلم المجوسي) من صلاته (قال له لم امسكت عما هممت به فذكره ما سمع فقال له المجوسي نعم الرب رب يعاتب وليه في عدوه فأسلم وحسن اسلامه) فيه دلالة على كرم الله تعالى وهذه الحكاية كحكاية استضافة المجوسي ابراهيم عليه السلام (وقيل انما أوقعهم في الذنب حين سمى) يعني أوقعهم تسمية الله (نفسه عفوا) وفي نسخة غفورا فاغتروا بكونه عفوا عن الذنوب فارتكبوها وتمادوا فيها بلا توبة لذلك مع غلبة شهوتهم وهواهم وغفلوا عن الشرط في قوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا (وقيل لو قال تعالى لا اغفر الذنوب لم يذنب مسلم قط كما انه لما قال تعالى ان الله لا يغفران يشرك به لم يشرك به مسلم قط) في كل منهما نظر (ولكن لما قال ويغفر مادون ذلك لمن يشاء طمعوا في مغفرته) وعفوه (ويحكى عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه قال كنت انتظر مدة من الزمان ان يخلو المطاف لي فكانت ليلة ظلماء فيها مطر شديد فخلا المطاف فدخلت الطواف وكنت أقول) فيه (اللهم اعصمني اللهم اعصمني) مرتين

(قوله فمن غلب عليه الخوف) محصله ان الرؤيا تختلف باختلاف أحوال العبيد بمقتضى الحكمة العلية (قوله انا عند ظن عبدي بي الخ) معناه اني احقق ما ظنه في وانا معه بالحفظ والعلم والنصرة وقوله اذا ذكرني أي اثنى علي ثم فصل الذكر باعتبار أحواله فقال ان ذكرني في نفسه أي بعيدا عن الخلق وعن الاشتغال بهم ذكرته في نفسي على معنى اني اتحفه بانواع الكرم التي لا يعلمها الا الله تعالى وان ذكرني في ملأ أي جماعة ذكرته في ملأ هو خير منهم أي في جماعة أشرف وافضل منهم وذلك هو الملأ الاعلى وقوله وان اقترب أي تقرب الي وحتى بعبادتي شبرا أي شيأ قليلا اقتربت اليه ذراعا أي منحته اكثر من فضلي واحساني وقوله وان اقترب الي ذراعا أي وان زاد في اسباب التقرب من رحمتنا زدناه من احساننا وقوله وان أتاني الخ المعنى على سرعة الاجابة والقبول من الحق تعالى وسرعة الامتثال والعمل من العبد والله أعلم (قوله وقيل كان عبد الله الخ) فيه حث على الوفاء بالعهود واشارة الى ان النجاة تترتب على اخف سبب وعلى سعة الفضل والاحسان ومقابلة الاحسان بالاحسن (قوله لم امسكت الخ) ان قلت باي وجه اطلع على همه بقتله قلت لعله بامارة أو بنور نفته في قلبه فنظر ذلك ببصيرته والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده (قوله وقيل انما أوقعهم الخ) أي أوقع معاشر الخلائق حين سمى نفسه عفوا أي سبب جراءتهم على المخالفة تسميته تعالى نفسه باسم العفو والغفور فعلموا من ذلك انه لا بد لهذه الاسماء من مظاهر لاستحالة تعطلها فلابسوا الخطايا من أجل ذلك ثم الذي علموه صحيح غير انهم بواسطة القضاء الازلي قد غفلوا عن اسباب النجاة وشرط القبول على حسب ما جاء عن سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم (قوله في كل منهما نظر) لعل وجهه حمل الشرك على المعنى المراد منه وهو مطلق الكفر وحمل المسلم على مطلق من له انقياد ظاهري وقد وقع الكفر بعد الايمان والعياذ بالله تعالى بعد ثبوت قوله جل شأنه ان الله لا يغفر ان يشرك به فيجوز كذلك وقوع المعصية لو ثبت عدم قبول التوبة منها

(فسمعت هاتفا يقول لى يا ابن ادهم انت تسألنى العصمة وكل الناس يسألونى العصمة فاذا عصمتكم فلمن ارحم) وفى نسخة فعلى من اترحم وفى ذلك دلالة على انه سبق فى علمه انه لابد من وقوع المعصية والرحمة وقد تقع الرحمة ولا معصية فمن رحمته عصمة الانبياء وحفظ الاولياء وقد قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا واراد بما ذكر ان ينبه ابراهيم بن ادهم على ان لا يسأله ما ليس له به علم كما فى قصة نوح عليه السلام اذ سؤال العبد العصمة سؤال عما لا علم له به فقد يكون فى معلومه تعالى انه ممن يعصى فسؤاله المغفرة أولى به ٢١٠ واقرب لعبوديته ويجوز أن يسأل العبد ربه ان يحفظه ويصونه من سائر المعاصى واما العصمة فمن خصائص الانبياء وبالجملة فقد اختلف فى جواز سؤالها لغيرهم فقائل منع لانه يؤدى الى تعطيل التوبة وفى الصحيح خبر لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم وقائل جوز وقد سألها الامامان مالك والشافعى ويشهد له خبر النسائى واذا خرج أحدكم من المسجد فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمنى من الشيطان وهذا أحسن وان قال الزركشى الحق انه ان قصد بالعصمة التوقى عن المعاصى فى جميع الحالات فممتنع لانه سؤال مقام النبوة وان قصد الحفظ من الشيطان والتحصن من افعال الشر فلا بأس به (وقيل رأى أبو العباس بن شريح فى منامه فى مرضه الذى مات فيه كأن القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه يقول اين العلماء قال فجاؤا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسأنا قال فاعاد السؤال كأنه لم يرض به واراد جوابا آخر فقلت اما انا فليس فى صحيفتى الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال) فيه دلالة على جواز الغفران لمن لم قيل يشرك بالله كالآية التى اشار اليها وعلى بشرى عظيمة لابن شريح وهو انه مغفور له وقد اعترف هو ومن معه بالتقصير ومن اعترف بتقصيره رجا المغفرة (وقيل كان رجل شريب) أى كثير الشرب للخمر (جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له) وكان صالحا يشكر عليه ذلك (أربعة دراهم وامره أن يشترى) بها (شيأ من الفواكه للمجلس) أى لاهل مجلسه (فمر الغلام بباب مجلس) الشيخ (منصور ابن عمار وهو يسأل لفقير شيأ ويقول من دفع له أربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع له الغلام الدراهم)

بخبر الله تعالى نعم ربما يقال ان المراد بالمسلم الفرد الكامل وهو الذى يكون موفقا ليقظة القلب ومثله فى هذه الحالة لا يلابس معصية ولا كفرا فتأمل ولا تك أسير التقليد (قوله فسمعت هاتفا الخ) محصله الزجر عن سؤال العصمة للاشارة الى ان سؤالها يرجع الى طلب تعطيل مظاهر بعض الاسماء الالهية وهو لا يصح ولانه سؤال ما لا علم له به اذ قد يسبق فى القضاء عصيانه والتوبة عليه بمظهر الرحمة الالهية ولانه يرجع أيضا الى طلب مقام النبوات اذ العصمة من خواصهم فبعد ان زجره هذا الهاتف تضمن زجره تنبيهه على عمله بما هو الاليق به وهو سؤال المغفرة والرحمة تدبره فانه نفيس (قوله فاذا عصمتكم الخ) يشير بذلك الى ان متعلق الرحمة عام بالقضاء ازلا واجابة مثل هذا السؤال يصير خاصا وذلك غير جائز اذ لا تغيير ولا تبديل لما سبق به القضاء (قوله فمن رحمته عصمة الانبياء) أى قبل النبوة وبعدها سهوا وعمدا سواء كانت صغائر أو كبائر بل ومن المكروهات وخلاف الافضل على الصحيح فى كل ذلك الا لغرض التشريع وقوله وحفظ الاولياء والفرق بينهم وبين الانبياء هو جواز المخالفة بالنسبة لهم دون الانبياء عليهم الصلاة والسلام (قوله ويجوز أن يسأل العبد الخ) ان قلت هذا يرجع الى سؤال العصمة قلت لا لجواز طرو المخالفة فى مقام الحفظ ولا كذلك فى مقام العصمة (قوله الى تعطيل التوبة) أى وذلك لا يصح ويحرم سؤاله لاستحالته (قوله لو لم تذنبوا الخ) ليس الغرض من ذلك اباحة المعاصى بل افادة ان طاعة العبد ومخالفته قد سبق القدر بهما وحينئذ فلا بد من تحققهما (قوله وقد سألها الامامان مالك الخ) أى سألاها على وجه خاص كما يرشد اليه الخبر المذكور فلا يخالف المتقدم من منع سؤال العصمة المطلقة (قوله وهذا أحسن) أى القول بجواز سؤال العصمة أحسن من القول بالمنع (اقول) اذ كان مراده سؤالها على وجه خاص كالعصمة من الشيطان كما فى الخبر فسلم وان كان مراده جواز طلب العصمة المطلقة فكيف يقال فيما يلزم ذلك من محذور التعطيل المتقدم حكايته فحينئذ يكون قوله وان قال الزركشى الخ هو الوجه اذ لا محذور فيه فتأمل والله أعلم (قوله وقيل رأى أبو العباس الخ) فيه دليل قوى على سعة الرحمة وعدم بعد المغفرة ولو مع ملابسة التقصير وهو كذلك حيث الله هو أكرم الكرماء وأرحم الرحماء بل لا كرم ولا رحمة الا له تعالى (قوله وقيل كان رجل الخ) فيه دليل على أن الرحمة قد تكون فى حال ملابسة ما به السخط فالعبرة حينئذ بما سبق فى العلم القديم بحكمة مولانا الحكيم (قوله منصور بن عمار الخ)

لانه رأى ان سيده يرضى بذلك أو رأى ان هذا أولى مما أمره به سيده وهان عليه مشقة الضرب والالم من سيده حتى لا يقع في هذا المنكر الشديد وظنه منصور انه مالك الدراهم (فقال) له (منصور ما الذى تريد) منى (ان ادعو لك به فقال لى سيد اريد ان اتخلص منه) بالعتق لاخلص مما يد خلنى فيه مما لا أحبه (فدعالى) منصور (بذلك وقال) له ما الدعوة (الاخرى قال أن يخلف الله تعالى على دراهمى) التى دفعتها للفقير لاردها الى سيدى وأقول لا افعل ما أمرنى به فرأى منصور بعد علمه بانى رقيق ان سيدى يرضى بما فعلته (فدعالى بذلك ثم قال وما) الدعوة (الأخرى فقال أن يتوب الله على سيدى) بان يوفقه للتوبة مما هو مرتكبه لاستريح من ضربه بالكلية (فدعا) بذلك (قال وما الاخرى فقال ان يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم) أى جلسائه (فدعا منصور بذلك فرجع الغلام الى سيده فقال له لم ابطأت فقص عليه القصة) فاثر فيه صدقه واستحسن فعله (فقال له وبم دعا فقال سألت لنفسى العتق) فدعالى به (فقال اذهب فانت حر) لوجه الله (وايش) المدعو ٢١١ به (الثانى) وفي نسخة الثانية (فقال أن يخلف الله على الدراهم) لاردها لك (فقال لك أربعة آلاف درهم فقال وايش الثالث) وفي نسخة الثالثة (فقال أن يتوب الله عليك فقال تبت الى الله تعالى وايش الرابع فقال أن يغفر الله تعالى لك ولى وللقوم وللمذكر) لى بقوله من دفع للفقير أربعة دراهم دعوت له اربع دعوات وهو منصور (فقال هذا الواحد ليس الى) بل الى الله تعالى (فلما بات) وصدق فى توبته (رأى فى المنام كأن قائلا يقول له انت فعلت ما كان اليك ترانى) وفى نسخة ترى أنى (لا افعل ما الى قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين) عندك فيه دلالة على انه تعالى اكرم الاكرمين وانه يجازى بالخير الكثير على العمل اليسير وهو موضع الاستدلال على الرجاء لان سيد الغلام لما تكرم باليسير غفر الله له ولغلامه ولمن كان سببا فى ذلك (وقيل حج رباح القيسى حجات كثيرة فقال يوما وقد وقف تحت الميزاب) على رأى من يرى هبة الاعمال الصالحة (الهى وهبت من حجاتى كذا كذا للرسول صلى الله عليه وسلم وعشرة منها لاصحابه العشرة رضى الله عنهم واثنتين منها للوالدين والباقى للمسلمين ولم يحبس منها شيئا لنفسه فسمع هاتفا يقول هو ذا يتسخى علينا لاغفرن لك ولابويك ولمن شهد شهادة الحق) اراه الله بذلك حسن نيته وبركة قصده بان عرفه ان كرم الله أوسع واعم (وروى عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى انه قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة قال فاخذت مكان المرأة وذهبنا الى المقبرة فصلينا عليها ودفناها فقلت للمرأة من كان) يعنى ما نسبة (هذا منك قالت ابنى قلت أولم يكن لكم جيران) يحملونها (قالت نعم ولكنهم صغروا أمره) وحقروه (فقلت ايش كان هذا فقالت هو مخنث) بالمثلثة وبكسر النون وبفتحها (قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلى واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا ونمت تلك الليلة فرأيت كأنه اتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض

قيل انه كان مجاب الدعوة نفعنا الله ببركاته (قوله لانه رأى ان سيده الخ) مراده الحمل على طريق يجوز معه تصرف الغلام فى الدراهم غير أن قوله أو رأى ان هذا أولى الخ لم يظهر لى وجهه لان ذلك لا يبيح له التصرف فانه لا يباح الا باذن السيد أو علم رضاه فحرر (قوله ان يخلف الله على دراهمى الخ) الاضافة لادنى ملابسة والا فهى دراهم سيده (قوله فرأى منصور الخ) أى حتى أقره على ذلك ودعا له (قوله فقال يتوب الله الخ) أقول انما قال يتوب الله على سيدى ولم يقل يتوب سيدى لان توبة العبد لا تكون الا بتوفيق الرب بشاهد قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا (قوله فاثر فيه صدقه الخ) أقول كان الاولى أن يقول فاثر فيه سر اجابة دعاء الداعى بواسطة صدق الغلام (قوله فقال لك أربعة آلاف درهم) انظر سر المضاعفة بواسطة الصدق فالله تعالى يرزقنا طهارة القلوب (قوله وللمذكر لى الخ) منه يعلم صدق ايمانه وذلك بشاهد قوله تعالى ان الذكرى تنفع المؤمنين (قوله بل الى الله تعالى) أى والذى للخلق انما هو التوسل والشفاعة فقط (قوله ما كان اليك) أى ما كان فى وسعك أن تفعله وقوله ترانى الخ هو بضم التاء أى اتظنى (قوله وانه يجازى بالخير الكثير) أى الدنيوى والاخروى حيث اخلف على الغلام الاربعة دراهم أربعة آلاف درهم ووفق السيد ومن معه للتوبة وغفر للجميع (قوله واثنتين منها للوالدين) يقرأ على صيغة التثنية (قوله يتسخى علينا) أى يتكرم علينا مع أنه من جنس الاشحاء على الخير وقوله لاغفرن لك أى ويجوز بعظم الكرم الالهى ابقاء ثواب حجاته له مع التفضل على من وهب لهم بمثل ما تفضل به عليهم وفضل الله واسع (قوله فاخذت مكان المرأة) أى رحمة بها ورجاء للاجر (قوله ولكنهم صغروا أمره) أى عدوه صغيرا بواسطة استهانتهم به وقوله فقلت ايش كان أى لاى سبب ثبت هذا (قوله بالمثلثة الخ) أى وهو من يتخلق بخلق الاناث (قوله قال فرحمتها الخ) أى

يقول يتشكر لي فقلت من أنت فقال المخنث الذى دفنتونى اليوم رحمنى ربى باحتقار الناس اياى) وكلامهم فى مع بركة دعاء الرجل وامى لى وشفقتها على فيه دلالة على انه تعالى يجازى بالخير الكثير على العمل) اليسير (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول، مر أبو عمرو البيكندى يوما بسكة فرأى قوما ارادوا اخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكى) عليه (قيل انها أمه فرحمها أبو عمرو فتشفع له اليهم وقال هبوه منى) وفى نسخة لى (هذه المرة فان عاد الى فساده فشأنكم) واياه (فوهبوه منه) وفى نسخة له (فمضى أبو عمرو فلما كان بعد ايام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال فى نفسه لعل الشاب عاد الى فساده فنفى من المحلة) فبكت عليه امه (فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب فخرجت العجوز وقالت له مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب اجله قال لا تخبرى الجيران بموتى فلقد آذيتهم وانهم يشمتون بى ولا يحضرون جنازتى فاذا دفنتينى فهذا خاتم لى مكتوب عليه باسم الله فادفنيه معى فاذا فرغت من دفنى فتشفعى لى الى ربى عز وجل قالت ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس قبره سمعت صوته وهو يقول انصرفى يا اماه فقد قدمت على رب كريم) فيه دلالة على انه تاب توبة بالغة حتى انه تبرك باسم الله وتشفع به وبدعاء امه والتوبة تمحو ماقبلها وفاء بقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا (وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم) أى لعبيدى ٢١٢ (انى لم اخلقهم لاربح عليهم وانما خلقتهم ليربحوا على) لانه تعالى غنى عنهم وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون المراد منه اثابتهم على عبادتهم له (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ابا بكر الحربى يقول سمعت ابراهيم الاطروش يقول كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخى على الدجلة) نهر بغداد (اذ مر بنا قوم احداث) أى شبان (فى زورق يضربون بالدف ويشربون) الخمر (ويلعبون) بالملاهى (فقلنا لمعروف اما تراهم يعصون الله تعالى مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يده) وفى نسخة يديه (وقال الهى كما فرحتهم فى الدنيا فرحهم فى الآخرة) لان ذلك فعلك وانت القادر عليه وعلى ازالته (فقالوا له انما سألناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم فى الآخرة فقد تاب عليهم) واذا تابوا ازال عنكم ماتكرهونه فيحصل مطلوبكم من الدعاء عليهم وهذا من كمال المعرفة والسياسة فى تغيير المنكر الذى لا يتمكن العبد من ازالته لقوة الجاه والسطوة فسلك معروف فى ازالته مسلك السؤال وطلب الفضل من الله فى ان يغير أحوالهم عما هى عليه لانه تعالى الفاعل بهم ماهم فيه فقال اللهم كما فرحتهم فى الدنيا فرحهم فى الآخرة فأعلمهم بذلك ان التغيير فى هذا الوقت لمثل هؤلاء انما هو بالدعاء لهم بالتوبة وبين ذلك بقوله اذا فرحهم فى الآخرة فقد تاب عليهم (سمعت أبا الحسن عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد المزكى قال حدثنا أبو زكريا يحيى بن يحيى الاديب قال حدثنا الفضل بن صدقة قال حدثنى أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن أكثم القاضى صديقا لى وكان يودنى واوده) بفتح الواو فيهما أى يحبنى واحبه من الود بتثليث الواو وهو المودة أى المحبة (فمات يحيى فكنت اشتهى ان اراه فى المنام فاقول له مافعل الله بك فرأيته ليلة فى المنام فقلت له مافعل الله بك قال غفر لى الا أنه وبخنى ثم قال لى يا يحيى خلطت على فى دار الدنيا فقلت أى رب اتكلت على حديث حدثنى به أبو معاوية الضرير عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى

رق لها قلبى لما أصابها من فقد ولدها مع الاستهانة به (قوله رحمنى ربى الخ) أى ولذا قيل كم لخاطر ينال كان الحق بخلاف ذلك وحينئذ فلا ينبغى الاعتماد على الطاعات ولا اليأس مع المخالفات (قوله مع بركة دعاء الرجل الخ) فيه انه لم يتقدم ذكر داع من الرجال فلعل هنا سقطا فحرر (قوله اجتاز) أى مر (قوله ففعلت وصيته) فيه ان دفن ما عليه اسم معظم مع الميت ممنوع منه شرعا (قوله فيه دلالة على انه تاب الخ) أى والتوبة هى السبب فى رجاء الخير منه تعالى (قوله والتوبة تمحو الخ) أى ويدل له خبر التوبة تجب ماقبلها من الذنب أو كما ورد (قوله الا ليعبدون) أى الا ليصير أمرهم الى العبادة فاللام للصيرورة والعاقبة وذلك بالنسبة لمن سبق فى علمه القديم وحكمته الازلية أنهم يصيرون كذلك فلا يقال بالخلف فى الخبر بواسطة مشاهدة أكثر الخلق على غير طريق العبادة بل على الضلال والبهتان (قوله فرفع يده الخ) أقول ذلك منه من قبيل التخلق بالخلق المحمدى حيث قال فى كفار قريش اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون بشهوده ان الفاعل المختار هو الله سبحانه وتعالى وان كل كائن فبقدرته وارادته فسأله ان يغير حالهم من عقوق المعاصى الى امتثال الطاعات وذلك بواسطة ما منحه الله تعالى من الرأفة والرحمة بعباد الله لا عجزا عن الانكار لمعرفته أن مجرد الانكار لا ينفع ولا يؤثر فافهم ما اشرت اليه تعلم مافى الشارح مما عول عليه (قوله كان يحيى الخ) فيه تنبيه على سعة الفضل والرحمة وأنهما

قد يكون تائبا لمن خلط في العمل الحسن بالقبيح بل لمن تجرد مع صحة الايمان كيف وقد أمر عباده بالعفو والاحسان ولو في حق من تعدى من نوع الانسان فالرب أولى بالكرم اذ هو ولي سائر النعم (قوله وتاب صاحبها الخ) أقول انما قيد بذلك نظرا للحكم النقل والا فلا قيد باعتبار حكم العقل (قوله بمعنى الايجاب الخ) أي لاستحالة معناها الذي هو الترجي في حقه تعالى (قوله من اعترف له بذنبه الخ) قيد بضمير الحق تعالى ليحترز به عن اعتراف العبد بذنبه لغيره فانه معصية اخرى تزيد على معصية الفعل

* (باب الحزن) *

أقول وهو لا يكون الا من قلب حي تألم من المعاصي وحزن على فوات الطاعات فطالب هذه ويفر من تلك لما أحس به من ألم أو ملامة ولما وجده من مرارة وحلاوة فحزن على ما فاته من الموافقات على حسب همته وندم على ما فعله من الزلات والقلب الميت لا يحس بشئ من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال ابن مسعود رضي الله عنه المؤمن يرى نفسه من ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال به هكذا فطار فحقيقة الحزن انقباض السر لما سلف من مخالفة الامر والتلهف على ما وقع فيتمنى انه لم يكن وقع وقال بعضهم الحزن هو انقباض القلب لفوات محبوب أو خوف حصول مكروه فتهيجه حسرة خوف الفوات أو وجود الفوات وذلك عذاب حاضر لا فائدة له الا التشمير في المستأنف فان أفاد عملا أو نهوضا لاستدراك الممكن منه كان حسنا جميلا والا فليس بشئ بل هو زيادة في الاغترار وقد يزداد صاحبه برؤية ورؤيته للنفس فيكون سببا لطرده من حيث يراه سبب قربه ولقد سمعت عن شيخنا أبي عبد الله النوري رحمه الله يقول رأيت في حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا استكمل الرجل النفاق ملك عينيه يرسلهما متى شاء وقال بعضهم الحزن من منازل العامة اذ هو انخلاع عن السرور وملازمة للكآبة بتأسف على فائت أو توجع لممتنع وانما كان من منازل العامة لان فيه نسيان المنة والتفاتا الى رقة الطبع وهو في مسالك الخواص حجاب لان معرفة الله تعالى جلا نورها كل ظلمة وكشف سرورها كل غمة فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وقيل ان عتبة الغلام دخل على رابعة العدوية وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته بخلاف ما سبق من عادته فقالت له يا عتبة ما هذا التيه وهذا العجب الذي لم أره في شمائلك قبل اليوم فقال يا رابعة من أولى بهذا مني وقد أصبح الله لي مولى وأصبحت له عبدا شعر

يرنحني اليك الوجد حتى * أميل من اليمين الى الشمال
ويأخذني لذكركم اهتزاز * كما نشط الاسير من العقال

١٠ (قوله ثم هو قد يكون محبوبا الخ) أي فاذا نشأ عن فوات أمور الآخرة فهو محبوب مثاب عليه بخلافه على فوات الحظوظ التي تؤدي الى المخالفات فهو حينئذ مذموم مأزور فاعله أما اذا كانت الحظوظ بشاهد العلم ولا تنافي الانقياد فالحزن على فواتها محبوب مثاب صاحبه عليه غير ان الافضل الرضا (قوله الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) أي وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس خوف الاعراض

الله عليه وسلم انك قلت اني لاستحي ان اعذب ذا شيبة) أي شابت في الاسلام وتاب صاحبها من زلله (بالنار فقال قد عفوت عنك ياعبدي وصدق نبيي الا انك خلطت علي في دار الدنيا) فيه دلالة على انه غفر له بحسن ظنه بربه مع عمله الصالح وان كان قد خلطه بشئ لاعترافه بذنبه فقد قال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله بمعنى الايجاب والوعد لا بمعنى الترجي فقد وعد تعالى من اعترف له بذنبه ان يرزقه التوبة والمغفرة

* (باب الحزن) *

هو قبض يرد على القلب لفوات محبوب أو توقع مؤلم وقد ينسى سببه ثم هو قد يكون محبوبا وقد يكون مذموما كما سيأتي (قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن * اخبرنا علي ابن احمد بن عبدان قال اخبرنا أحمد بن عبيد قال اخبرنا علي بن حبيش قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا ابن وهب قال حدثنا اسامة بن زيد الليثي عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سمعت عطاء بن يسار قال سمعت ابا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول مامن شئ يصيب العبد المؤمن من وصب) أى مرض (أو نصب) أى تعب (أو حزن أو ألم) وفى نسخة أو هم (يهمه) أى يقلقه (الا كفر الله عنه من سيئاته) لصبره على ما ابتلى به والحزن تارة يكون قويا وتارة يكون ضعيفا فمتى كان فى قبض العبد اتساع للنظر فى أسبابه أو الحيلة فى الخلاص ٢١٤ منه كان فيه تفرقة ومتى تراكم القبض وتوالى سمى كدا وبينهما حالة تسمى شجا وهى ان يخطر ببال العبد السبب الذى

ابتزه وكان محمودا وجزا انشراحا فى صدره بما من عليه من الحزن وسأل المحاسبى شيخه ما علامة الشجا فقال دوام البكاء ممزوجا بفرح لعلمه معرفة النعمة عليه فى الحزن والبكاء اذا عرفت ذلك فنقول (الحزن) حال (يقبض القلب عن التفرق فى أودية الغفلة) وهذا فى الحزن القوى (والحزن من أوصاف أهل السلوك) فى الطريق (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول صاحب الحزن يقطع من طريق الله) أى من الطريق اليه (فى شهر مالا يقطعه من فقد حزنه سنين) لان من حزن على التقصير حقق التحصيل ومن خشى الفوات اجتهد قبل الممات (وفى الخبر ان الله يحب كل قلب حزين) لان الحزن على الخسرات وفوات الاوقات فى البطالات من نعم الله تعالى على العبد (وفى التوراة اذا أحب الله عبدا جعل فى قلبه نائحة) يجلب الحزن له (واذا ابغض الله عبدا جعل فى قلبه مزمارا) يجلب له الفرح (وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان دائم الفكر) فيما يحصل به الثواب (وقال بشر ابن الحرث الحزن ملك) أى كالملك (فاذا سكن فى موضع لم يرض أن يساكنه أحد) لان الحزن اذا نزل شئ فى القلب عمره وغمره حتى لا يبقى فيه ذكر لغير ما هو محزون عليه (وقيل القلب اذا لم يكن فيه حزن خرب) بكسر الراء كالخوف بل أولى لان الخوف من مقدمات الحزن (كما أن الدار اذا لم يكن فيها ساكن تخرب وقال أبو سعيد القرشى بكاء الحزن يعمى) البصر (وبكاء الشوق يغشى البصر ولا يعمى)ه

والآفات وعنه أيضا خوف الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش هذا والظاهر انه الجنس المنتظم بجميع احزان الدنيا (قوله مامن شئ الخ) وفى رواية اخرى ما أصاب المؤمن من مصيبة الاوله فيها اجر حتى الشوكة يشاكها (قوله الا كفر الله عنه من سيئاته) أى حيث صبر واحتسب ولم يشك (قوله كان فيه تفرقة) أى لان همته لم تجتمع على ما تجلى عليه الحق تعالى به وذلك بواسطة ما بقى فيه من ذلك الاتساع (قوله وبينهما حالة الخ) أقول البينية باعتبار قوة النظر فى أسباب متعددة ليعلم منها ما به حزنه فى الاول بخلاف الثانى فان قوته بمجرد حزنه ورماية حزنه لا غير وفرق بين الحالتين (قوله وكان محمودا) أى يشاهد اعلم بحيث لا ينافى دوام الانقياد (قوله وجر انشراحا الخ) أى باعتبار شهود مصدره (قوله لعلمه معرفة النعمة الخ) علة لثبوت الفرح له أى ففرحه لشهود ان حزنه وبكاءه من النعم لما يترتب له على ذلك من جزيل الاجر منه تعالى (قوله الحزن حال يقبض الخ) أى الحزن الكامل يكون كذلك فكلامه فى حزن على فائت مما يتعلق بالآخرة لا على ما يتعلق بحظوظ النفس (قوله والحزن من أوصاف أهل السلوك) أى لانه من ثمرة اعمالهم وتجليات عبودياتهم فى حال سيرهم (قوله يقطع من طريق الله) أى الطريق المعنوى الموصل الى احسان الله وكرمه ورضاه (قوله ان الله يحب كل قلب حزين) ليس يخفى عليك ان محبة الله للعبد انما هى احسان الله اليه أو ارادته ذلك له (قوله جعل فى قلبه نائحة) المراد بالنائحة وكذا المزمار الآتى فى كلامه ما يوجد فى قلب العبد بخلق الله سبحانه وتعالى من دواعى وبواعث الخير والشر (قوله كان متواصل الاحزان الخ) اعلم ان ذلك انما هو باعتبار تصوراته احوال امته صلى الله عليه وسلم بمقتضى رأفته ورحمته الجبلية له والا فحاله صلى الله عليه وسلم وكماله لا يضاهى (قوله الحزن ملك الخ) مراده الحزن الكامل الذى جمع صاحبه همته عليه حتى استأصل قلبه بغلبات أحواله ولم يبق فيه مساغ لغيره (قوله فاذا سكن فى موضع الخ) أنت خبير بان المحمود من الحزن هو الذى لم يصل الى حد الافراط المؤدى لليأس والقنوط الذى هو من الكبائر ففى الخبر انه صلى الله عليه وسلم قال خصلتان ليس فوقهما شئ من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شئ من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله ويقال خمسة فى الذنب أعظم من الذنب احتقار الذنب والاصرار على الذنب والمجاهرة بالذنب والجراءة على الذنب واليأس من غفران الذنب فافهم (قوله بل أولى الخ) أى لان مقام الحزن فوق مقام الخوف (قوله بكاء الحزن يعمى البصر) أى فتأثير الحزن أقوى من تأثير الشوق والدليل على ذلك ما فى قصة يعقوب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ويشهد له أيضا حسن العيان أيضا اذ لا راحة ولا حظ فى

(قال الله تعالى وابيضت عيناه) أى بدل سوادهما بياضا ببكائه (من الحزن فهو كظيم) أى مغموم مكروب جعل سبب العمى الحزن اذ الحزن يمنع من الطعام والشراب ويكثر معه الهموم والغموم فتصعد من المعدة أبخرة رديئة مظلمة فتكون سببا لزوال الادراك من العين وقت البكاء هذا بكاء الحزن وأما بكاء السرور فممزوج بفرح (وقال ابن خفيف الحزن حصر النفس عن النهوض فى الطرب) والفرح (وسمعت رابعة العدوية رجلا يقول واحزناه فقالت له قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس) يعنى لم تتفرغ للاستغاثة بقولك واحزناه ولذلك قال بعض العارفين واحزناه على الحزن لانه لو ترك قوله على الحزن لاحتمل أن يكون قوله واحزناه من الخوف فبين مراده بقوله على الحزن أى فقده (وقال سفيان بن عيينة لو أن محزونا بكى فى أمة) من الامم (لرحم الله تلك الامة ببكائه) فيه دلالة على ان المحزون شديد الاضطرار الى ما حزن عليه وعند الاضطرار وعده الله بالاجابة فقال امن يجيب المضطر الآية (وكان دواد الطائى الغالب عليه الحزن وكان يقول بالليل الهى همك عطل على الهموم وحال بينى وبين الرقاد) فيه تضرع الى الله أن يفرج عنه ما هو فيه بان ينيله مطلوبه مما هو فوق ذلك كمقام التوحيد والجمع (وكان يقول كيف يتسلى من الحزن) أى ينكشف عنه الحزن (من تتجدد عليه المصائب فى كل وقت) فيه دلالة على كمال طلبه لربه وشغل همه بان ينيله مطلوبه (وقيل الحزن يمنع من الطعام) لكثرة الهموم والغموم بواسطة شدة تعلق قلبه بمطلوب شريف يريد حصوله (والخوف يمنع من الذنوب) لكونه سببا للتوبة وهى سبب للمغفرة بوعد الله تعالى

(قوله وابيضت عيناه من الحزن) أى من الحزن مع انه من الداآت المهلكة للنفوس الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبتها الى بياض كدر وقد قيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روى انه ماجفت عينا يعقوب عليه السلام من يوم فراق يوسف الى يوم لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب عليه السلام روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من اجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله قط وفيه دليل على جواز البكاء والحزن عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد واقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت موت ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذى لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك (قوله وأما بكاء السرور الخ) ذكره لمناسبة ذكر ضده وهناك فرق آخر غير ما ذكره الشارح وهو ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة (قوله حصر النفس) أى انحصارها اذ لا يشترط فعل (قوله فقالت له قل الخ) أقول فلكمال حالها نفعنا الله ببركاتها حملته على الكامل من الحزن اذ لا يخرج عن الاحساس سواه (قوله لو ان محزونا بكى الخ) أقول وفى صحيح الخبر ان العبد اذا اذنب الذنب فقال يا رب اغفرلى قال الله تعالى اذنب عبدى ذنبا وعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به اشهدكم انى قد غفرت له الحديث فعلم العبد أن الرب يغفر الذنب من مشاهدة كرم الرب وجماله وعلمه بانه يأخذ به من مشاهدة جلاله ولولا اجتماعهما له فى موضع واحد ما انتفع باستغفاره فافهم (قوله لرحم الله تلك الامة) انظر كون رحمة الله الامة من أجل بكاء الباكى تعلم فضيلة البكاء وما يعطيه الحق تعالى فى مقابلته حيث كان بكاؤه مشروعا (قوله وكان يقول بالليل الخ) اعلم ان الكامل من يكون نظره للفضل والعدل لا للذنب والعيب ولذا قال يحيى بن معاذ ان أنالهم فضله لم يبق لهم سيئة وان اقام عليهم عدله لم يبق لهم حسنة وفيما أوحى الله الى بعض انبيائه عليهم السلام قل لعبادى الصديقين لا يغتروا فانى ان أقم عليهم عدلى وقسطى اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادى المذنبين لا يقنطوا فانى لا يتعاظمنى ذنب اغفره لهم وقال تعالى فى كتابه العزيز نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم وقال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب وقال تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة فكله على السواء فى حقه سبحانه وتعالى (قوله فيه تضرع الى الله الخ) أى فيما استغاث به تضرع وابتهال وما ذكره الشارح لا يتعين اذ قد يصل الى مقام التوحيد والجمع فى وقت ويعود الى الاحساس فى آخر ثم هو اذا عاد استغاث مما عاد اليه شوقا الى ما كان فيه (قوله من تتجدد عليه المصائب) أى ولو كان ذلك بالقوة مما يتوقع أو بالفعل ويكون ذلك أشد تأثيرا (قوله الحزن يمنع من الطعام الخ) يفيد كلامه ان الخوف أتم واشرف من الحزن وتقدم قبل هذا ما يفيد العكس فلعل الاختلاف بحسب

(وسئل بعضهم بم يستدل على حزن الرجل فقال بكثرة انينه) لانه بتراكم عليه ألم الحزن عسر عليه التعبير بلسانه وانما يتنفس و يتروح بانينه (وقال سري السقطي) مقنيا لدرجة الحزن (وددت ان حزن كل الناس) المحزونين (القي علي) لانال كمال ما اعطاه الله لهم على حزنهم (وتكلم الناس في الحزن فكلهم قالوا انما يحمد حزن الآخرة) أي الحزن على فوات الخيرات الاخروية (واما حزن الدنيا فغير محمود) لان المقصود انما هو العمل الاخروي (الا اباعثمان الحيري فانه قال الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة للمؤمنين) وان كان حزن الدنيا لان الحزن على فوات النعم واللذات المباحة اذا نزل بالعبد وصبر عليه محمود (مالم يكن بسبب معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا) بارتفاع الدرجات (فانه يوجب تمحيصا) ومحو الذنوب اما اذا كان بسبب معصية فلا نزاع انه مذموم (وعن بعض المشايخ انه كان ٢١٦ اذا سافر واحد من أصحابه يقول ان رايت محزونا فاقرئه مني السلام) ليدعو لي فانتفع بدعائه وفيه دلالة على فضيلة المحزونين الكمال معرفتهم بربهم وفيه انه عرف بعض أصحابه بذلك لقلة المحزونين وأنهم آحاد في الصالحين (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها هل طلعت اليوم على محزون) فيه دلالة أيضا على ذلك (وكان الحسن البصري لايراه أحد الاظن انه حديث عهد بمصيبة) لما به من الحزن (وقال وكيع لما مات الفضيل) بن عياض (ذهب الحزن اليوم من الارض) لما كان به من كمال الحزن (وقال بعض السلف أكثر مايجد المؤمن في صحيفته من الحسنات) ما أوجبه (الهم والحزن) بسبب البلايا التي اصابته في نفسه وماله وولده مع الصبر عليها وانما كانت حسناتها اكثر لان حسنات غيرها مشروطة بالاخلاص وهو عسر فقلت الحسنات المرتبة عليه بخلافها على البلايا (سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول سمعت علي بن بكران يقول سمعت محمد بن علي المروزي يقول سمعت احمد بن أبي روح يقول سمعت أبي يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول كان السلف يقولون ان على كل شئ زكاة وزكاة العقل) يعني القلب (طول الحزن) فكما ان الزكاة طهرة للمال جعل الحزن طهرة للقلب من سائر خواطر الدنيا المانعة لامتلائه من خواطر الآخرة (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول سألت اباعثمان الحيري يوما عن الحزن فقال الحزين لايتفرغ الى سؤال الحزن) أي وأنت سائل عنه فانت فارغ منه ولولا فراغك منه لما سألت عنه (فاجتهد في طلب الحزن ثم) بعد اجتهادك في طلبه (سل) عنه ثم بعد حصول كماله لاسؤال لان كمال الحزن يشغلك عن السؤال عنه

مالاجله ذلك في الحزن ثم اذا كان المعنى ان الحزن يمنع من الطعام زيادة عن منعه من المرة الذنوب فلا يخالف ماتقدم من أن الحزن أفضل فالحمل على هذا أولى (قوله بكثرة انينه) أقول لعل ذلك باعتبار بعض افراد المحزونين والا فهو قد يلوح على صفحة الاجر الوجوه وان لم يوجد الانين (قوله وددت الخ) غاية غرضه رغبته في زيادة ما اهده علم والافسؤال العافية مندوب اليه (قوله فكلهم قالوا الخ) أقول ذلك منهم وعليه الحيري الذوق وعلو الهمة والاولى المنقول من أحكام الشرع يترجح ماذهب اليه معصية) والمدار في كل على التسليم والرضا بما يجري به القضاء (قوله مالم يكن بسبب الحزن على فوات أي بان كان لايحصل المباح الذي فاته الا بمقارفة معصية فحزنه حينئذ لاجل تحصيلها) المعصية فهو في هذه الحالة غير محمود بل هو مذموم (قوله لانه ان لم يوجب تمحيص الذنوب أي ان لم ينشأ عنه تخصيص بارتفاع الدرجات فلا أقل من انه ينشأ عنه التمحيص) مراده من وهو كذلك موافقة المنقول في أحكام الفروع (قوله ان رأيت محزونا الخ) مرادي قلناه من شغله الحزن واستغرقه حتى غيبه عن حظ نفسه لامطلق المحزون وهو بالمعنى المذكور الآتي بقاء هذه نادر كما ذكره الشارح (قوله هل طلعت الخ) أي فيكون الخير باقيا في الامر وان كان نفعنا الفضيلة العظيمة التي هي صفة الحزن (قوله وكان الحسن البصري الخ) أي فلانه عليه وسلم الله ببركاته متخلقا بالخلق المحمدي اذ ثبت في الخبر أنه كان دائم الاحزان صلى الله من الاجر (قوله اكثر مايجد المؤمن الخ) فيه بيان افضلية الحزن بفضيلة مايترتب عليه الاخلاص (قوله بخلافها على البلايا) أي فلا معطل لها مما يتعسر تحققه للعبد مثل التأييد لرفعة (قوله كان السلف يقولون الخ) أقول يصدق بالحزن لفوات اعمال الآخرة المطلوبة فقال الدرجات فيها ولفوات مابه التنعم في الدنيا مالم يكن بسبب معصية كما تقدم (قوله فلا يكون الحزين الخ) حمله على الفرد الكامل من الحزن وهو الذي اذا قام بالعبد اصطلمه فلم يبق فيه مساغ لشئ ولا للسؤال عنه ثم دله على تحصيل مثل هذا الحال بقوله فاجتهد الخ فيه تأمل

(تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث أوله باب الجوع)